لُبابُ التفاسيرِ

تأليفُ الإمامِ المُفسِّرِ

تاجِ القُرّاءِ الكرمانيِّ

بُرْهانِ الدِّينِ أبي القاسمِ محمودِ بنِ حمْزةَ بنِ نصرٍ الكرمانيِّ

المُتوفَّى بعْدَ سنةِ ٥٠٠هـ

يُطبعُ أوّلَ مرّةٍ محقّقاً على ثلاثِ نُسخٍ خطّيّةٍ

تحقيقُ وتعليقُ

محمّد عبد الحليم بعّاج

دار اللُّباب

لباب التفاسير

(٥)

حُقوق الطّبع محفُوظَة

الطبعَة الأولى
١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

يُمنع طباعةُ هذا الكتاب أو ترجمته أو تصويرُه ورقياً أو إلكترونياً
إلا بإذن خطي من الدار الناشرة
تحت المُساءلة الدُّنيوية والأُخروية

9 789933 930271

دار اللُّباب
للدِّراسات وتحقيق التُّراث
DAR-ALLOBAB
Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

بيروت - لبنان
009615813966
0096170112990

دمشق - سوريا
00963993151546
info@allobab.com
Www.allobab.com

اسطنبول - تركيا
00902125255551
00905454729850

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

لباب التفاسير

تأليف الإمام المفسر

تاج القرّاء الكرماني

برهان الدين أبي القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرماني

المتوفى بعد سنة ٥٠٠هـ

يطبع أول مرة محققاً على ثلاث نسخ خطية

تحقيق وتعليق

محمد عبد الحليم بعّاج

المجلد الخامس

دار اللباب

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ الحِجرِ

سُورَةُ الحِجْرِ

تسعةٌ وتسعونَ آيةً[1]، مكِّيَّةٌ.

ليس فيها ناسخٌ ولا منسوخٌ إلّا قولُه: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥]، وكذلك: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]، فإنَّهما منسوخَتانِ بآيةِ القتال[2].

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾.

﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾؛ أي: هذه آياتُ الكتابِ، و﴿الْكِتَابِ﴾: القرآنُ، وعُطِفَ عليه ﴿وَقُرْآنٍ﴾ كما يُعطَفُ الوصفُ على الوصفِ[3].

وقيل: ﴿الْكِتَابِ﴾ للجنسِ، والمُرادُ به: ما تقدَّمَ القرآنَ منَ الكتبِ؛ أي: هذه الآياتُ آياتُ الكتبِ التي تقدَّمتِ القرآنَ، يريدُ: معنى هذه معناها.

---

(١) «تسعة وتسعون آية» من (ن).

(٢) في (و): «السيف». وما ذكره المصنف موافق لما ذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٣٩)، أما ابن حزم فذكر في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٤٢) ثلاث آيات أخرى، وهي: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾، و﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾، و﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾.

(٣) هذا بشرط الاختلاف كما هو معلوم، وقد تقدم الكلام عليه في تفسير قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ﴾، وانظر: «شرح المقدمة المحسبة» لابن بابشاذ (٢/ ٤٠٩)، و«نتائج الفكر» للسهيلي (ص: ١٨٦)، و«شرح قطر الندى» لابن هشام (ص: ٢٩٥).

وقيل: ﴿تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ يُريدُ: التَّوراةَ والإنجيلَ، وهذه آياتُ قرآنٍ مُبينٍ تُبيِّنُ الرُّشدَ منَ الغيِّ، والهدى منَ الضَّلالِ.

***

(٢) ـ ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾.

﴿رُبَّما يودُّ الّذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ قيل: هي عندَ النَّزْعِ[١].

وقيل: إذا عايَنُوا حُسنَ أحوالِ المُؤمنينَ.

وقيل: هو ما رَوَى سعيدُ بنُ جُبيرٍ عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما، أنَّه قال: يُخرَجُ منَ النّارِ حتَّى يُقالَ: أخرِجُوا مَن كانَ في قلبِه مثقالُ حبّةٍ من خردلٍ من إيمانٍ، فيتمنَّى الكافرُ لو كان مسلمًا[٢].

ورُوِيَ عنِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قال: «إذا كان يومُ القيامةِ اجتمعَ أهلُ النّارِ في النّارِ ومعهم مَن شاءَ الله من أهلِ القِبلةِ، قالَ الكفّارُ لمَن في النّارِ من أهلِ القِبلةِ: ألستُم مسلِمين؟ قالوا: بلى، قالوا: فما أغنَى عنكم إيمانُكم وأنتُم معنا في النّارِ؟ فيغضبُ الله لهم، فيأمرُ بكلِّ مَن كانَ من أهلِ القِبلةِ فيُخرَجونَ منها، فحينَئذٍ ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾»، وقرأ رسولُ الله عليه السَّلامُ هذه الآيةَ[٣].

---

(١) في (و): «قيل: عند النزول».

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢٥٠)، ورواه من طريق آخر: الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٩)، والآجري في «الشريعة» (٧٧٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣٤٥).

(٣) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٨٤٤)، والحاكم في «المستدرك» (٢٩٥٤) وصححه، عن أبي موسى رضي الله عنه. ورواه النسائي في «الكبرى» (١١٢٠٧)، والطبراني في «الأوسط» (٥١٤٦)، عن جابر رضي الله عنه. ورواه ابن حبان في «صحيحه» (٧٤٣٢)، والطبراني في «الأوسط» (٨١١٠) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

قال الشَّيخُ[(١)]: ويحتمِلُ اللَّفظُ عمومَ هذه الأحوالِ.

وكلمةُ: (رُبَّ) للقِلَّةِ عندَ النَّحويِّين خلافَ (كم)، وجميعُ ما جاء في الشِّعرِ جاء للكثرةِ، وكذلك في الآيةِ تدلُّ على الكثرةِ؛ لأنَّ الكفَّارَ في العُقبى دائمًا يَودُّون لو كانوا مسلِمين، فلعلَّهم استعمَلُوها استعمالَ الشَّيءِ بضدِّ ما وُضِعَ له، نحو: الضَّريرُ يُسمَّى بصيرًا، أو مقصودُ النُّحاةِ بقولِهم: وُضِعَ للتَّقليلِ؛ أي: بالإضافةِ إلى (كم)[(٢)].

وقد خُفِّفَ، كما قرأه نافعٌ وعاصِمٌ[(٣)].

وقد تدخلُها (ما) الكافَّةُ، فإنَّه حرفٌ يجرُّ ما بعدَه ويختصُّ بالاسمِ النَّكرةِ، فإذا كُفَّتْ وقعَ بعدَه الاسمُ والفعلُ الماضي، وجاءَ ﴿يَوَدُّ﴾ على حكايةِ الحالِ، وهذا كلامُ أبي عليٍّ[(٤)].

وقال الكوفيُّونَ: ما هو آتٍ لا محالةَ فهو كالماضي[(٥)].

وقيل: (كانَ) هاهنا مُضمَرٌ، وهو بعيدٌ[(٦)].

---

(١) «قال الشيخ»: ليست في (ن).

(٢) نصّ ابن السراج في «الأصول» (١/ ٤١٦) وكثير من النحويين من بعده على أن (ربّ) للتقليل، لكن سيبويه لم يذكر ذلك صراحة، ونص في «الكتاب» (٢/ ١٥٦ و١٦١ و٣٣١) على أن (ربّ) بمعنى (كم)، وهذا يحتمل أنها للتكثير، وقال الرضي في «شرح الكافية» (٤/ ٢٨٧): «هذا الذي ذكرنا من التقليل أصلها، ثم تستعمل في معنى التكثير، حتى صارت في معنى التكثير كالحقيقة، وفي معنى التقليل كما لمجاز».

(٣) والباقون بالتَّشديد. انظر: «السبعة» (ص: ٣٦٦)، و«التيسير» (ص: ١٣٥).

(٤) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٤/ ٤٤٥)، و(٥/ ٣٩)، وانظر: «الإيضاح العضدي» (ص: ٢٥٤).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٦) دون نسبة، واستغربه.

(٦) نقل أبو حيان هذا عن الكوفيين وابن السراج، قال: «ولا يجوز على مذهب سيبويه». انظر: «الكتاب» (٣/ ١١٥ و٥١٨)، و«الارتشاف» (٤/ ١٧٤٩).

قال ابنُ السَّرّاجِ: الأفعالُ كلُّها جنسٌ واحدٌ، فجازَ وقوعُ كلِّ لفظٍ منها موقعَ الآخرِ إذا لـم يُورِثْ اشتباهًا[١].

* * *

(٣) ـ ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ الصِّيغةُ صيغةُ الأمرِ، والمعنى: الوعيدُ؛ إذ لم يكونُوا ممنوعين منَ الأكلِ والتَّمتُّعِ؛ أي: دَعِ الكفَّارَ يأكُلون في الدُّنيا ويتمتَّعوا من لذَّاتِها وتشغَلُهم الأمانيُّ عن الإيمانِ والتَّكثيرِ منَ الطَّاعاتِ ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ ما يصيرون إليه من عذابِ الله.

* * *

(٤) ـ ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾.

﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾؛ أي: أجلٌ مقدَّرٌ[٢] ووقتٌ محدودٌ.

وقيل: هو كتابٌ فيه أعمالُهم وأعمارُهم وآجالُهم وهَلاكُهم.

ومعنى ﴿مَّعْلُومٌ ﴾؛ أي: تعلمُ الملائكةُ ذلك الوقتَ.

---

(١) انظر: «الأصول في النحو» لابن السراج (١/ ٤١٩ ـ ٤٢٠)، وفيه: «ولما كانت «رب» إنما تأتي لِمَا مضى فكذلك (ربما) لمَّا وقع بعدها الفعل كان حقَّه أن يكون ماضيًا، فإذا رأيت الفعل المضارع بعدها فثم إضمارُ (كان)، قالوا: في قوله: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾: إنه لصدق الوعد كأنه قد كان كما قال: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ ﴾ [سبأ: ٥١] ولم يكن، فكأنه قد كان لصدق الوعد».

قلت: ولعل المتأمل في كلامه يلاحظ أنه يجمع الأقوال الثلاثة الأخيرة، أعني: قول الكوفيين، والقول بإضمار (كان)، والقول المنسوب إليه، فتأمل.

وهذا القول ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٦)، وعدَّه من العجائب.

(٢) في (و): «مقدور».

وقيل: ﴿مَّعْلُومٌ﴾ منَ العلامةِ، وفيه نظرٌ(١).

وذكرَ الماورديُّ: ﴿كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾: فرضٌ محتومٌ(٢). وهذا التَّأويلُ هاهنا بعيدٌ جدًّا.

أي: ما أهلَكْنا قومَ قريةٍ إلّا ولإهلاكِهم وقتٌ مُعيَّنٌ لا يتقدَّمُ ولا يتأخَّرُ، وهو قولُه:

(٥) ـ ﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾.

﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾؛ أي: وقتَ إهلاكِها ﴿وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ يُريدُ: عنِ الوقتِ المضروبِ لهم.

و(مِن) في الآيتَينِ صِلةٌ، والواوُ للحالِ، ويجوزُ حذفُه في غيرِ القرآنِ(٣)، و﴿يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ محمولٌ على المعنى(٤).

الحسنُ: ﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾: رسولَها وكتابَها فتُعذَّبَ قبلَه، ﴿وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾؛ أي: لا يستأخرُ القومُ إذا كذَّبوا الرُّسلَ(٥).

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٦)، واستغربه. ولو كان من العلامة مكان (مُعَلَّم).

(٢) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٣/ ١٤٨)، وعدَّه المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٦) من العجائب.

(٣) ظاهر كلام المصنف يوهم أن المراد جواز حذف الواو، والأمر على خلاف هذا، وإنما مراده جواز حذف الصلة في غير القرآن.

(٤) لذلك جاء ضمير جماعة الذكور على اعتبار أن الأمة فيها ذكور وإناث، والذكور يُغلبون على الإناث، كما سبق.

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٤٨).

(٦ ـ ٧) ـ ﴿وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾.

﴿وَقَالُوا۟﴾ يعني: الكفَّار ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ يعنون: محمَّدًا عليه السَّلامُ، و﴿ٱلذِّكْرُ﴾: القرآنُ؛ أي: نُزِّلَ عليه بزعمِه ودَعواه، قالوه استِهزاءً.

﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾: مُصابٌ في عقلِكَ ورأيِكَ مستورٌ عليك وجهُ الصَّوابِ، إنْ كنتَ تُقدِّرُ أنَّا نَدعُ دينَ آبائِنا ونصيرُ لك تبعًا من غير بيِّنةٍ وبرهانٍ:

﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا﴾: هلَّا تأتينا. وقيل: لِمَ لا تأتينا[1]؟

﴿بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ أي: هلَّا كانَ معكَ ملائكةٌ يُصدِّقونَكَ ويشهدون لك على دعواكَ، فإنَّا[2] إذا رأينا ذلك صدَّقناكَ وآمنَّا بك واتَّبعناك.

* * *

(٨) ـ ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ﴾.

﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾: إلَّا بالرِّسالةِ أو العذابِ أو الموتِ، ولو كذَّبوا الملَكَ لوَجَبَ هلاكُهم عاجلًا.

ابنُ عيسى: ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ الذي لا يثبُتُ معه الباطلُ طرفةَ عينٍ.

وقيل: إلَّا بالقرآنِ.

﴿وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ﴾ أي: لو نزلتِ الملائكةُ لم يُنظَروا.

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٦)، واستغربه.

(٢) في (و): «دعوتك فأما» وفي (ن): «وإنا».

(٩) ـ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ يعني: القرآنَ ﴿وَإِنَّا لَهُۥ﴾ للقرآنِ ﴿لَحَٰفِظُونَ﴾ من أن يُزادَ فيه ما ليس منه، أو يُنقَصَ منه ما هو فيه.

وقيل: ﴿لَحَٰفِظُونَ﴾ من إبليسَ والشَّياطينِ أن يزيدوا فيه باطلًا.

قتادةُ: ﴿لَهُۥ﴾ لمحمَّدٍ عليه السَّلامُ ﴿لَحَٰفِظُونَ﴾ نحفظُه من أعدائِه[1].

وقيل: ﴿لَحَٰفِظُونَ﴾ في قلبِ مَن أرَدْنا به الخيرَ.

* * *

(١٠) ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ﴾: جمعُ شيعةٍ، وهي الأممُ والفِرَقُ والطَّوائفُ والتَّوابعُ والأنصارُ، مُشتقَّةٌ من شاعَه؛ أي: تبعَه[2]، وأصلُه من الشِّياعِ، وهو الحطبُ الصِّغارُ يُوقَدُ به الكبارُ.

و﴿الْأَوَّلِينَ﴾ قيل: من إضافةِ الشَّيءِ إلى صفتِه، وهذا ممتنعٌ عند سيبويهِ[3].

وقيل: ﴿الْأَوَّلِينَ﴾: هم الأقدمونَ الذين سنُّوا الضَّلالةَ لمَن بعدَهم، ومَن تبِعَهم شيعتُهم؛ لاقتدائِهم بهم.

---

(١) ذكره الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٩) دون نسبة، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٧)، واستغربه.

(٢) انظر: «الصحاح» مادة: (ش ي ع).

(٣) والبصريون يوافقون سيبويه على المنع، أما الكوفيون فيجيزون ذلك. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٣٠) و(٢/ ٥٦)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٢١٦)، و«الإنصاف» للأنباري (٢/ ٣٥٦).
ولا بد من التنبيه إلى أن سيبويه استخدم الإضافة بمعناها هنا، واستخدم حروف الإضافة بمعنى حروف الجر، واستخدم الإضافة بمعنى النسبة، وباب الإضافة عنده هو باب النسبة. انظر: «الكتاب» (١/ ١٨٢) و(١/ ١٢) و(٣/ ٢٢٥).

(١١) ـ ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾.

﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾: يُعزِّي نبيَّه عليه السَّلامُ.

***

(١٢) ـ ﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾.

﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾؛ أي: كما سلَكْنا الكفرَ والاستهزاءَ في شيَعِ الأوَّلين ﴿نَسْلُكُهُۥ﴾ أي: الكفرَ والاستهزاءَ ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ من أمَّتِكَ.

***

(١٣) ـ ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾.

﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ بالله. وقيل: بالذِّكرِ. وقيل: بالعذابِ، حكاه الماورديُّ[١].

وقيل: نسلُكُ الذِّكرَ في قلوبِ المُجرمينَ بإسماعِ النَّبيِّ إيّاهم ذلك، وهم مع ذلك لا يُؤمنون به[٢].

والسَّلْكُ: إدخالُ الشَّيءِ في الشَّيءِ، وجاء (أسلَكه) أيضًا[٣]، والسُّلوكُ لازمٌ ومُتعدٍّ[٤].

﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ للمُعانِدين بالخُذْلانِ. وقيل: للكافرينَ بالعذابِ.

***

---

(١) انظر: «النكت والعيون» (٣/ ١٥٠).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٧)، واستغربه.

(٣) انظر: «ما جاء على فعلت وأفعلت» للجواليقي (ص: ٤٦).

(٤) يقال: سلكَ الطريق سلوكاً؛ بمعنى: صلح للمسير فيه، وهذا لازم، وهو بمعنى الإدخال متعدٍّ. انظر: «العين» مادة: (س ل ك) (٥/ ٣١١)، و«الأفعال» لابن القوطية (ص: ٦٩).

(١٤ ـ ١٥) ـ ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾.

﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾؛ أي: لو أظهَرْنا لهم أوضحَ آيةٍ، وهو فتحُ بابٍ منَ السَّماءِ ﴿فَظَلُّواْ﴾: أقاموا النَّهارَ كلَّه ﴿فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾: يصعَدون.

قتادةُ: ﴿يَعْرُجُونَ﴾: يختلِفون فيه جائينَ وذاهِبين[١].

والذين يعرُجونَ بنو آدمَ، وقيل: تعرُجُ الملائكةُ في البابِ، وهذا جوابٌ لقولِهم: ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾؛ أي: لو أُجيبوا إلى ما اقترَحوا ﴿ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا ﴾ الأخفشُ: أُمسِكَتْ، تقولُ: سكَرتُ البابَ: إذا حبستَه بخشبةٍ.

أبو عمرٍو: غُشِيَتْ[٢] أبصارُنا وأُخِذَتْ[٣].

الحسنُ: سُحِرَتْ[٤].

وقيل: دِيْرَ بنا[٥].

الزَّجَّاجُ: تحيَّرتْ وسكَنَتْ عن أن تنظُرَ[٦].

الضَّحَّاكُ: سُدَّتْ[٧].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٤) من طريق قتادة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في (ن) و(و): «غشي».

(٣) ذكره عنه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٥)، وابن زنجلة في «حجة القراءات» (ص: ٣٨٢)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٥١) جميعهم بلفظ: غشيت وغطيِّت، وذكر عنه الطبري أنه كان يقرأ بتخفيف الكاف ويقول: هو مأخوذ من سكر الشراب، ومعناه: قد غشَّى أبصارنا السُّكر.

(٤) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٤/ ١٤)، والثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٤٣٤).

(٥) «وقيل: دير بنا»: من (ن).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٧٥).

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٧).

الكلبيُّ: عَمِيَتْ[١].

قتادةُ: خُدِعَتْ[٢].

وقُرِئَ: (سُكِرَتْ) بالتَّخفيفِ[٣].

قال أبو عليٍّ: هما سواءٌ، لكنَّ التَّشديدَ يدلُّ على المُبالغةِ، وأصلُه منَ الحبسِ، تقولُ: سكَرْتُ النَّهرَ، والسِّكْرُ: ما يُسْكَرُ به[٤].

ابنُ عيسى: أصلُه: إدخالُ اللَّطيفِ في المسامِّ، ومنه السُّكْرُ، والسَّكْرُ: السَّدُّ بالتُّرابِ.

﴿بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ﴾: مخدوعون، وقيل: سحَرَنا محمَّدٌ.

* * *

(١٦) ـ ﴿وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾.

﴿وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: خلَقْنا فيها ﴿بُرُوجٗا﴾ الحسنُ ومجاهدٌ وقتادةُ: نُجومًا[٥].

ابنُ جريرٍ: هي كواكبُ تَنزِلُها الشَّمسُ والقمرُ[٦].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٤٣٤)، ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (٦/ ٣٨٧٠).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٥١)، والقرطبي في «تفسيره» (١٠/ ٨) عن جويبر.

أما قتادة فقد روى الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢١) عنه قوله: «أخذت»، وهكذا ذكر الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٤٣٤)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٥١) عن قتادة.

(٣) قرأ بها ابن كثير، والباقون بتشديد الكاف. انظر: «السبعة» (ص: ٣٦٦)، و«التيسير» (ص: ١٣٦).

(٤) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٥/ ٤٣).

(٥) ذكره عنهم ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧١٦) ورواه عن سعيد بن جبير، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٩٤)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣١) عن قتادة.

ورواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٠) عن مجاهد بلفظ: «كواكب».

(٦) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٣٠).

غيرُهم: هي البروجُ الاثنا عشرَ: الحمَلُ والثَّورُ والجَوْزاءُ والسَّرطانُ والأسدُ والسُّنبلةُ والميزانُ والعقربُ والقوسُ والجَدْيُ والدَّلْوُ والحوتُ، وهي منازلُ الشَّمسِ والقمرِ والنُّجومِ التي تجري فيها(١).

وذلك أنَّ الفلَكَ قُسِّمَ اثني عشرَ قسمًا، وكلُّ قسمٍ منها سُمِّي بُرجًا، ولُقِّبَ كلُّ بُرجٍ ببعضِ الكواكبِ التي في ذلك القسمِ، كالحمَلِ والثَّورِ... إلى التَّمامِ.

وقيل: البروجُ: قصورٌ في السَّماءِ(٢).

وأصلُ الكلمةِ من بُروجِ الحصنِ، واشتقاقُه منَ البروجِ؛ وهو الظُّهورُ.

﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾ قيل: السَّماءَ، وقيل: البُروجَ ﴿لِلنَّٰظِرِينَ﴾: للمُعتَبرين.

***

(١٧) ـ ﴿وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾.

﴿وَحَفِظْنَٰهَا﴾: السَّماءَ ﴿مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾: ملعونٍ.

وقيل: مَرميٍّ بالنُّجومِ(٣).

***

(١٨) ـ ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ﴾ الزَّجَّاجُ: يجوزُ أن يكونَ خفضًا؛ أي: إلَّا ممَّن استرَقَ، ويجوزُ أن يكونَ الاستثناءُ مُنقطِعًا(٤).

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٥/ ٤٣٥).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٧)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٧)، واستغربه.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٧٦)، وعدَّ المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٨) الجرَّ من الغريب.

﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾؛ أي: رامَ اختِلاسَه سرًّا، والسَّمعُ: المسموعُ، فتبِعَه[1] ﴿شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾: نارٌ تظهرُ لكلِّ ذي عينَينِ.

ابنُ عيسى: الشِّهابُ: عمودٌ من نارٍ يمتدُّ بشدَّةِ[2] ضيائِه كالنّارِ.

قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: كانت الشَّياطينُ لا يُحجَبون عن السَّماواتِ، وكانوا يدخلُونها ويأتون بأخبارِها، لأنَّ الملائكةَ يتدارَسون ممَّا انتسَخُوه منَ اللَّوحِ المحفوظِ، ثمَّ يأتونَ الكهنةَ فيُخبِرونهم بذلك، فيخلِطُون به كذبَهم، فلمَّا وُلِدَ عيسى عليه السَّلامُ مُنِعوا من ثلاثِ سماواتٍ، ولم يُمنَعوا من أربعٍ، فلمَّا وُلِدَ محمَّدٌ عليه السَّلامُ مُنِعوا منَ السَّماواتِ كلِّها، فما منهم مَن يريدُ استراقَ السَّمعِ إلّا رُمِيَ بشهابٍ، فيَجرحُه[3] أو يخبِّلُه أو يحرِقُ جزءًا منه، ولا يقتلُه[4].

الحسَنُ: يقتلُه[5].

ولا يعودُ الشِّهابُ، وقيل: يُرجَمون بها وتعودُ الشُّهبُ إلى أماكنِها.

***

---

(١) في (ن) و(ط): «فيتبعه».

(٢) في (ن): «شدة».

(٣) في (ن): «فيخرجه»، وفي (و): «فيجزعه»، ولعل معناه القطع أو الكسر، من اجتزعه: كسره وقطعه. انظر: «القاموس» مادة: (ج ز ع).

(٤) ذكر نحوه السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢٥٣)، والثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٤٣٦)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ٥٦٦).

وروى بعضه البخاري (٧٧٣)، ومسلم (٤٤٩) عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «انطلق النبي ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب، قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث...» الحديث.

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٥٣)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ٣٥٤).

(١٩) - ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾.

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾: بسَطْناها مـن تحتِ الكعبةِ؛ من قولِه: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠].

وعن الحسنِ أنَّه قالَ: أخذَ الله طينةً فقالَ لها: انبَسِطي، فانبسَطَتْ(١).

والجمهورُ على أنَّ الله تعالى مدَّها على وجهِ الماءِ.

﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا﴾: فـي الأرضِ ﴿رَوَٰسِيَ﴾: جبالًا ثوابتَ، والرَّاسي: الثَّابتُ. وقيل: الغائبُ في الأرضِ.

﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ قيـل: فـي الأرضِ. وقيـل: فـي الجبـالِ. وقيل: فيهما(٢).

ومعنى ﴿مَّوْزُونٍ﴾؛ أي: شأنُها أن تُوزَنَ كالحنطةِ والشَّعيرِ والزَّعفرانِ والذَّهبِ والفِضَّةِ والنُّحاسِ.

وقيل: ﴿مَّوْزُونٍ﴾: معلومٍ عندَ الله.

وقيل: ﴿مَّوْزُونٍ﴾: مقدورٍ بقَدَرٍ.

قتادةُ: ﴿مَّوْزُونٍ﴾: مقسومٍ(٣).

---

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ٤٧٢)، وذكر نحوه الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٢١٣)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ٢٩٥)، ولفظ الثعلبي: «كانت الأرض في يد الرحمن طينة واحدة، فسطحها وبطحها فصارت الأرض قطعًا متجاورة...».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٨)، واستغربه.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٥٤)، وروى عبد الرزاق في «المصنف» (١٤٣٥)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٦) عن قتادة قال: «معلوم».

قال الشَّيخُ(١): ويحتمِلُ أنَّ المُرادَ به المكيلُ والموزونُ والمعدودُ؛ لأنَّ مآلَ الكلِّ إلى الوزنِ؛ كالخبزِ وحبِّ الرُّمَّانِ والمَجِّ(٢).

ويحتمِلُ أنَّ المُرادَ بالموزونِ: ما له منزلةٌ؛ كما تقولُ: ليس له وزنٌ؛ أي: قَدْرٌ ومنزلةٌ(٣).

***

(٢٠) ـ ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا﴾: في الأرضِ ﴿مَعَٰيِشَ﴾: جمع معيشةٍ، وهي مصدرُ عاشَ، فجُعِلَ اسمًا لِمَا يُعاشُ به.

ابنُ عيسى: المعيشةُ: طلبُ أسبابِ الرِّزقِ منَ المطاعمِ والمشاربِ والملابسِ مدَّةَ الحياةِ، قد يطلُبها الإنسانُ بالكسبِ والتَّصرُّفِ، وقد تُطلَبُ له، فإنْ أتاه من غيرِ(٤) طلبٍ فهو العيشُ الهنيُّ(٥).

﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾: العبيدُ والإماءُ؛ أي: يخدمونكم والله يرزقُهم.

مجاهدٌ: الدَّوابُّ والأنعامُ والبهائمُ(٦). وفيه بُعدٌ، أو يُضَمُّ إليها العبيدُ والإماءُ(٧).

---

(١) «قال الشيخ»: ليست في (ن).

(٢) «المج»: حب كالعدس إلا أنه أشد استدارة منه، وهذه الحبة يقال لها: الماش. انظر: «معجم متن اللغة» مادة: (م ج ج)، وهذا القول ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٨)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٨)، وعدَّه من العجائب.

(٤) في (ن): «أتاه بغير».

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٩).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٦٠). وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٨)، واستغربه، وقال: «ولفظ (من) يدفع هذا القول».

(٧) وجه بُعده أن ما ذكره مجاهد غير عاقل و(مَن) تدل على العاقل، ولكن إذا انضاف إليه الإماء والعبيد وهم عقلاء، غُلِّبوا على غير العقلاء.

وقيل: أرادَ به الوحشَ والسِّباعَ والطَّيرَ(١).

ومحلُّ ﴿مَن﴾ جرٌّ، وهذا ممتنعٌ من وجهَين(٢):

أحدُهما: أنَّه لا يجوزُ العطفُ على الضَّميرِ المجرورِ إلّا بإعادةِ الجارِّ(٣).

والثّاني: أنَّه يحتاجُ إلى إضمارِ (معايش) فيصيرُ عطفًا على عاملَينِ مختلفَين، وهذا لا يجوزُ أيضًا.

بل محلُّه(٤) نصبٌ من وجهَينِ:

أحدُهما: بالعطفِ على ﴿مَعَـٰيِشَ﴾.

والثّاني: بالعطفِ على محلِّ(٥) ﴿لَكُمْ﴾.

ومن هذا الوجهِ يحتمِلُ الرَّفعَ أيضًا؛ أي: ومَن لستُم له برازقين جعَلْنا له فيها معايشَ.

قال الشَّيخُ(٦): ويحتملُ أنَّ المُرادَ به قومٌ عقلاءُ ليسوا من بني آدمَ؛ كالجنِّ(٧)، فيكونُ محلُّ ﴿مَن﴾ نصبًا.

---

(١) ردُه المصنف كسابقه للعلة نفسها. انظر المرجع السابق.

(٢) ذكر وجها الامتناع في حاشية (ط) باختلاف يسير.

(٣) وليس هذا من المجمع عليه، بل هو مذهب البصريين، ومذهب الكوفيين الجواز، ووافقهم ابن مالك؛ لوروده في القراءة المتواترة: ﴿والأرحامِ﴾ [النساء: ١] بالجر، وهي قراءة حمزة من السبعة، وقراءة ابن عباس والحسن وأبي رزين ومجاهد وقتادة والنخعي والأعمش ويحيى بن وثاب. وانظر: «الإنصاف» للأنباري (٢/ ٣٧٩)، و«شرح التسهيل» لابن مالك (٣/ ٣٧٦).

(٤) في (و): «ومحله».

(٥) «محل»: ليس في (و).

(٦) «قال الشيخ»: ليست في (ن).

(٧) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٨)، واستغربه.

(٢١) ـ ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾.

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ ﴾ ذهبَ بعضُهم إلى أنَّ المُرادَ به المطرُ، وأنَّه أصلُ جميعِ الأشياءِ، والمُرادُ بالخزائنِ: أنَّه القادرُ عليه وعلى إحداثِه.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ التَّقديرَ: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ ﴾ ممَّا تُنبتُه الأرضُ منَ الثِّمارِ والأشجارِ ﴿ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ ﴾ يُريدُ الماءَ أيضًا، لكنَّه جعلَ خزائنَ الماءِ خزائنَ هذه الأشياءِ لـمَّا كانَتْ منه، وهذا هو القولُ الأوَّلُ بعينِه.

ابنُ بحرٍ: لفظُ الخزائنِ مُستَعارٌ، والمعنى: أنَّ الخيرَ كلَّه بيدِ الله[1].

وقيل: خزائنُه: مفاتحُه[2].

وقيل: عندَنا خُزَّانُه يُرسِلون منه.

ابنُ عيسى: خزائنُ الله: مقدوراتُه[3].

الثَّعلبيُّ حاكيًا: في العرشِ تِمثالُ جميعِ ما خلَقَ الله في البرِّ والبحرِ، قال: وهو تأويلُ قولِه عزَّ وجلَّ: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ ﴾[4].

وقيلَ: يُريدُ الماءَ الذي في السَّماءِ ينزلُ إلى السَّحابِ ثمَّ ينزلُ إلى الأرضِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٩)، وعدَّه من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٩)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٩)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٩/ ٥٧٥)، ونسبه الواحدي في «البسيط» (١٢/ ٥٧٥)، والرازي في «تفسيره» (٣٠/ ٥٤٩) إلى أهل المعاني، ونسب أبو حيان نحوه في «البحر» (٤/ ٥١٨) للكلبي.

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٥/ ٤٤٨) وقد رواه من طريق جعفر بن محمد عن أبيه عن جده. وجده هو علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم أجمعين.

وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٨٩)، وعدَّه من العجائب.

﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾؛ أي: معلومٍ عندَ الله حدُّه ومبلَغُه.

قال ابنُ مسعودٍ: ليس أرضٌ بأمطرَ من أرضٍ، ولا عامٌ بأمطرَ من عامٍ، ولكنَّ الله يقسمُه ويُقدِّرُه في الأرضِ كيف يشاءُ، عامًا هاهنا وعامًا هاهنا(١).

وفي روايةٍ أخرى: وربَّما كان في البحرِ(٢).

ورُوِيَ أيضًا: أنَّه ينزلُ مع المطرِ منَ الملائكةِ أكثرُ من عددِ ولدِ إبليسَ وولدِ آدمَ، يعلمون كلَّ قطرةٍ حيثُ تقعُ وما تُنبتُ(٣).

***

(٢٢) - ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾.

﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾: جمعُ لاقحةٍ، وفي لاقحةٍ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: حاملةٌ، والمعنى: وأرسَلْنا الرِّياحَ حوامِلَ بالسَّحابِ؛ لأنَّها تحملُ السَّحابَ.

وقيل: ذاتُ لقحٍ، وهي كالأوَّلِ.

وقيل: لاقحةٌ بمعنى: مُلْقِحةٍ؛ لأنَّ الرِّياحَ تُلْقِحُ الأشجارَ، وهي ضدُّ العقيمِ، وقيل: تُلْقِحُ السَّحابَ، وقيل: تُلْقحُهما.

---

(١) رواه الداني في «الفتن» (٢١١)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٩-٤٠). ورواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٦٤٨١) مرفوعًا، وقال: «والصحيح موقوف».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٤٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٦٠)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤٩٣)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٤٤٧)، جميعهم من قول الحكم بن عتيبة.

(٣) في (و): «ولا تنبت»، وفي (ن): «تنبت»، والمثبت من (ط)، وهو موافق لـ «تفسير الطبري»، فهذا الخبر هو تتمة الخبر السابق عن الحكم بن عتيبة.

ورَوَى أبو هريرةَ رضي الله عنه: الرِّيحُ الجنوبُ منَ الجنَّةِ، وهي الرِّيحُ اللَّواقحُ التي ذكرَها الله تعالى في كتابِه[1].

مَن قرأ: ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾ فوجهُها ظاهرٌ، ومَن قرأ: ﴿الرِّيحَ﴾[2] حملَها على الجنسِ كالإنسانِ.

﴿فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ﴾؛ أي: جعلْنا المطرَ سقيًا لكم، وفيه حياتُكم ﴿وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾؛ أي: في السَّماءِ، بل خَزْنُه وإنزالُه إلى الله.

وقيل: ﴿وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾: حافظين في الأرضِ لولا حفظُ الله إيّاه لكم.

***

(٢٣) ـ ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثُونَ﴾.

﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ﴾؛ أي: نُحيي بالإيجادِ ونُميتُ بالإفناءِ، ﴿وَنَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثُونَ﴾ إذا ماتَ الخلائقُ كلُّها.

***

(٢٤ ـ ٢٥) ـ ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ مِنكُمۡ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحۡشُرُهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾.

﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ مِنكُمۡ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما قالَ: كانت تُصلِّي خلفَ النَّبيِّ عليه السَّلامُ امرأةٌ حسناءُ في

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٤٦)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٣٠٥) كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا، وساقه ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٥٦) عن الطبري وقال: «هذا إسناد ضعيف».

(٢) قرأ حمزة: (الريح) بالتوحيد، والباقون بالجمع. انظر: «السبعة» (ص: ١٧٣)، و«التيسير» (ص: ٧٨).

آخرِ النّاسِ، وكان بعضُهم يتقدَّمُ في الصَّفِّ الأوَّلِ لئلّا يراها، وكان بعضُهم يكونُ في الصَّفِّ المُؤخَّرِ، فإذا ركعَ قال هكذا فينظرُ من تحتِ إبطِه، فنزلَتْ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾[1].

وقالَ الرَّبيعُ بنُ أنسٍ: حضَّ رسولُ الله عليه السَّلامُ على الصَّفِّ الأوَّلِ في الصَّلاةِ، فازدَحَمَ النّاسُ عليه، وكانت بنو عُذْرَةَ دُورُهم قاصيةٌ عن المسجدِ، فقالوا: نبيعُ دُورَنا ونشتَري دُورًا قريبةً منَ المسجدِ، فأنزلَ الله هذه الآيةَ[2].

والمعنى: نعلَمُ المُتقدِّمَ والمُتأخِّرَ، ونعلَمُ نيّاتِهم فنُجازيهم عليها يومَ القيامةِ، وهو قولُه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

وقيل: المُستقدِمون: هم الأمواتُ، والمُستأخِرون: الأحياءُ، وهذا المعنى أليَقُ بما قبلَه وما بعدَه منَ الآياتِ.

عكرمةُ: المُستقدِمون: الذين خُلِقُوا، والمُستأخِرون: الذين لم يُخلَقوا بعدُ[3].

وقيل: هم الأوَّلون والآخِرون.

وقيل: المُستأخِرون: أمَّةُ محمَّدٍ عليه السَّلامُ، والمُستقدِمونَ: مَن قَبْلَهم.

وقيل: المُستقدِمون في الخيراتِ، والمُستأخِرون عنها.

* * *

---

(١) رواه الترمذي (٣١٣٢)، والنسائي (٨٧٠)، وابن ماجه (١٠٤٦)، وذكر الترمذي: أنه روي نحوه مرسلاً ولم يذكر فيه: «عن ابن عباس»، قال: «وهذا أشبه أن يكون أصح من حديث نوح».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٤٥٦، ٤٥٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٧٦). وروى البخاري (٦٥٦) عن أنسٍ: أنَّ بني سلمة أرادوا أن يتحولوا عن منازلهم فينزلوا قريبًا من النبيِّ ﷺ، قال: فكره رسول الله ﷺ أن يعروا المدينة، فقال: «ألا تحتسبون آثاركم؟!».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤٤٦)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٤٨).

(٢٦) - ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ يعني: آدمَ عليه السَّلامُ ﴿مِن صَلْصَٰلٍ﴾: حَمَأةٍ صارَتْ بمُفارقةِ الماءِ طيناً يُصوِّتُ إذا نُقِرَ، مشتقٌّ من الصَّلصلةِ، وهي صوتُ الشَّيءِ إذا نُقِرَ. وقيل: من صلَّ اللَّحمُ: إذا أنتَنَ.

﴿مِّنْ حَمَإٍ﴾: جمع حمأةٍ، وهي الطِّينُ يَطولُ جرَيانُ الماءِ عليه[1] فيُنتِنُ ويسوَدُّ.

﴿مَّسْنُونٍ﴾: مصبوبٍ لِيَيْبَسَ، والسَّنُّ: الصَّبُّ.

وقيل: مُتغيِّرٍ من حالِ الحَمْأةِ إلى حالِ الصَّلصلةِ.

وقيل: مُتغيِّرِ الرّائحةِ.

سيبويهِ: مُصوَّرٍ، من سُنَّةِ الوجهِ، وهي صورتُه، حكاه الثَّعلبيُّ[2].

الفرَّاءُ: ﴿مَّسْنُونٍ﴾: حكَّ بعضُه بعضًا، من سنَنْتُ الحجرَ بالحجرِ: إذا حكَكْتَهما[3].

وقيل: المسنونُ: الرَّطبُ.

وقيل: المُخلَصُ، من قولِـهم: سَنَّ سيفَه: جَلاه.

***

(٢٧) - ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾.

﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ﴾ الحسنُ وقتادةُ ومقاتلٌ: إبليسُ[4].

---

(١) «عليه» من (ط)، وهو موافق لـ «غرائب التفسير» (١/ ٥٩٠).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٥/ ٤٦٠)، وذكره الواحدي في «البسيط» (١٢/ ٥٩٧)، ونسبه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٠) لبعض نحويي البصريين.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٨٨)، وفيه: «والمسنون: المتغير والله أعلم، أخذ من سننت الحجر على الحجر، والذي يخرج مما بينهما يقال له: السنين».

(٤) ذكره عنهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما الواحدي في «البسيط» (١٢/ ٥٩٨)، ورواه الطبري في =

الكلبيُّ في جماعةٍ: أبو الجِنِّ[١].

وقيل: الجِنُّ كلُّه.

ابنُ عبَّاسٍ: آدمُ أبو البشرِ، والجانُّ أبو الجِنِّ، وإبليسُ أبو الشَّياطينِ، وهم لا يموتون إلّا معَ أبيهم، والجنُّ يموتون، ومنهم كافرٌ ومنهم مؤمنٌ[٢].

﴿مِن قَبْلُ﴾: قبلِ آدمَ ﴿مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾: الرِّيحِ الحارَّةِ التي تقتلُ، وسُمِّيت سَمومًا لدخولِها في المسامِّ[٣].

الكلبيُّ: نارٌ لا دُخانَ لها[٤].

وقيل: هي نارٌ فوقَ النَّارِ التي فوقَ الهواءِ، وهي نارٌ بين السَّماءِ وبين الحجابِ.

عَمرُو بنُ دينارٍ: من نارِ الشَّمسِ، حكاه الماورديُّ[٥].

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ إبليسَ من حيٍّ من أحياءِ الملائكةِ يُقالُ لهم: الجنُّ، خُلِقوا من نارِ السَّمومِ من بينِ الملائكةِ، وخُلِقَ الجنُّ الذي ذُكِرَ في القرآنِ من مارجٍ من نارٍ[٦].

= «تفسيره» (١٤/ ٦٣) عن قتادة، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٤٦٢) عن قتادة ومقاتل، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٥٨) عن الحسن، وانظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٤٢٨).

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٥٨).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٥٨).

(٣) روى عبد الرزاق في «المصنف» (٣٠٣٥٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩٠٥٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٧٠) وصححه، عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: «السموم التي خلق الله منها الجان جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٤٦٣).

(٥) انظر: «النكت والعيون» (٣/ ١٥٩)، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٩٠) دون نسبة، واستغربه.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٤)، والثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٤٦٣)، من طريق الضحاك =

(٢٨) - ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾: واذكُرْ إذ قالَ ربُّك ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا﴾ يعني: آدمَ عليه السَّلامُ ﴿مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾.

* * *

(٢٩) - ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾: أتمَمْتُ خَلْقَه ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾: جعلْتُ فيه الرُّوحَ، وأضافَ الرُّوحَ إلى نفسِه تخصيصًا.

والرُّوحُ: ما يصيرُ الجسمُ به حيًّا مُدرِكًا.

وقيل: الرُّوحُ هاهنا: ما يأتي الأنبياءَ منَ الله وفيه صلاحُ العبادِ.

﴿فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾: أمرٌ من وَقَعَ يقَعُ؛ أي: اسقُطوا على الأرضِ، والمعنى: اسجُدوا له.

* * *

(٣٠) - ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾.

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ﴾: (كلٌّ) تأكيدٌ للاستيعابِ والإحاطةِ بالجميع.

﴿أَجْمَعُونَ﴾: مُجتمعين في حالٍ واحدةٍ.

* * *

(٣١) - ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾.

﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ قيل: الاستثناءُ صحيحٌ، وهو من قومٍ منَ الملائكةِ يُقالُ لهم: الجِنُّ.

= عن ابن عباس. وهذا ضعيف لانقطاعه؛ فإن الضحاك لم يلق ابن عباس.

الحسنُ في جماعةٍ: الاستثناءُ مُنقطِعٌ، ولم يكُنْ هو من الملائكةِ ولا طرفةَ عينٍ[١].

﴿أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: امتنعَ من أن يكونَ معَهم.

* * *

(٣٢) - ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾.

﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: أيُّ شيءٍ حصَلَ لك فمنعَكَ من أن تسجُدَ؟

* * *

(٣٣ - ٣٤) - ﴿قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ﴾.

﴿قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾: منَ السَّماءِ، وقيلَ: منَ الجنَّةِ، وقيل: من صورةِ الملائكةِ؛ ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٞ﴾: ملعونٌ مطرودٌ.

وقيل: إنْ حاوَلْتَ الرُّجوعَ إلى السَّماءِ رُجِمْتَ بالشِّهابِ كما تُرجَمُ الشَّياطينُ[٢].

* * *

(٣٥-٣٦) - ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾.

﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ﴾: فأخِّرْني ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾: يومَ القيامةِ، يُريدُ أن ينجُوَ منَ الموتِ[٣].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٨٩)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٦٨١)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ١٧٢)، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٦٦) عن الحسن قال: «قاتل الله أقواماً يزعمون أن إبليس كان من ملائكة الله، والله تعالى يقول: كان من الجن».

(٢) بعدها في (و): «ينجو من الموت». ولعلها سبق نظر من الناسخ، وستأتي العبارة في موضعها المناسب.

(٣) «ينجو من الموت» ليست في (و).

(٣٧ ـ ٣٨) ـ ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴾.

﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴾؛ أي: المعلومِ عند الله، وهي النَّفخةُ الأولى عندَ الجمهورِ.

* * *

(٣٩) ـ ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى ﴾ قسَمٌ؛ أي: بإغوائِكَ، وقيل: بسببِ إغوائِك، وهو الإضلالُ، وقيل: التَّعريضُ للغوايةِ، وقيل: النَّسبُ إليها.

﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾: أدعوهم بالوسوسةِ إلى المعاصي ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾: أحملُهم على عصيانِكَ.

* * *

(٤٠) ـ ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾.

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ المخلصين﴾: الذين أخلَصُوا أنفُسَهم لله وطاعتِه، و﴿ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ بالفتحِ[1]؛ أي: أخلَصْتَهم لطاعتِكَ وطهَّرتَهم منَ الشَّوائبِ، وأكثرُ هذه الآياتِ سبقَ تفسيرُها.

* * *

(٤١) ـ ﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾.

﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ ﴾: (هذا): إشارةٌ إلى الائتمارِ لأمري والطَّاعةِ لي.

وقيل: إشارةٌ إلى الإخلاصِ.

ومعنى ﴿عَلَىَّ﴾: إليَّ.

---

(١) قرأ الكوفيون ونافع: ﴿المخلصين﴾ إذا كان في أوله ألف ولام بفتح اللام حيث وقع، والباقون بكسرها. انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٨).

وقيل: تقديرُه: عليَّ أن أُبيِّنَه وأُظهِرَه.

وقيل: هو كقولِه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾ [الفجر: ١٤].

وقيل: هذا تهديدٌ، كما تقولُ لمَن تُهدِّدُه: عليَّ طريقُكَ.

وقُرِئ: ﴿عَلِيٌّ﴾[1]؛ أي: عالٍ ﴿مُسۡتَقِيمٌ﴾.

* * *

(٤٢) ـ ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾.

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ﴾: حُجّةٌ وبُرهانٌ.

وقيل: قَهرٌ وحملٌ على العصيانِ، يُريد: المُخلِصين منهم.

﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾ بتزيينِكَ ووَسوسَتِكَ.

* * *

(٤٣) ـ ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾.

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ يُريدُ: الكفّارَ الذين وُعِدوا بالنّارِ.

* * *

(٤٤) ـ ﴿لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ﴾.

﴿لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ﴾ يدخُلُ المُعذَّبون فيها.

وقيل: هي طبقاتٌ؛ أوَّلُها جهنَّمُ، ثمَّ لظًى، ثمَّ الحُطَمةُ، ثمَّ السَّعيرُ، ثمَّ السَّقَرُ، ثمَّ الجحيمُ، ثمَّ الهاويةُ، وهي أسفلُها.

﴿لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ﴾: من أتباعِ إبليسَ ﴿جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ﴾: نصيبٌ مفردٌ.

---

(١) هي قراءة يعقوب من العشرة، وقرأ الباقون بفتح اللام من غير تنوين. انظر: «النشر» (٢/ ٣٠١).

الضَّحَّاكُ: أعلاها: فيه أهل التَّوحيدِ يُعذَّبون على قَدْرِ أعمالِهم ثمَّ يُخرَجون، والثّاني: فيه اليهودُ، والثّالثُ: فيه النَّصارى، والرّابعُ: فيه الصّابئون، والخامسُ: فيه المَجوسُ، والسّادسُ: فيه مُشرِكو العربِ، والسّابعُ: فيه المنافقون؛ لقولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥](١).

***

(٤٥ ـ ٤٦) ـ ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا﴾؛ أي: يُقالُ لهم: ادخُلوها ﴿بِسَلَٰمٍ﴾؛ أي: بسلامةٍ منَ النّارِ ومنَ الآفاتِ والعاهاتِ.

وقيل: ﴿بِسَلَٰمٍ﴾: بتحيّةٍ منّا تصحبُكم.

﴿ءَامِنِينَ﴾ منَ المرضِ والموتِ فيها والخروجِ منها.

***

(٤٧) ـ ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾؛ أي: نزَعْنا في الدُّنيا بما أُلقِيَ بينَهم منَ الأُلفةِ، وهو قولُه: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنفال: ٦٣].

وقيل: ﴿وَنَزَعْنَا﴾ في الجنَّةِ ﴿مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ كان في الدُّنيا.

والغِلُّ: الغَدْرُ والخيانةُ، ومنه الحسدُ والمُنافسةُ والبُخلُ.

﴿إِخْوَٰنًا﴾: حالٌ.

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ﴾: جمعُ سريرٍ. وقيل: جمعُ سرورٍ، حكاه أقضى القُضاةِ(٢).

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٦٥)، والثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٤٧١).

(٢) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٣/ ١٦٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٩١)، واستغربه.

﴿مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾ بالوجوهِ يرى بعضُهم بعضًا. وقيل: مُتقابلين بالمودَّةِ والمحبّةِ. وقيل: مُتقابلين في المنزلةِ لا يُفضُلُ بعضُهم بعضًا. وقيل: لا يرى بعضُهم قَفَا بعضٍ.

***

(٤٨) ـ ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾.

﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا﴾: في الجنَّةِ ﴿نَصَبٌ﴾: تعبٌ ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ فإنَّ تمامَ النِّعمةِ بالخلودِ.

في سببِ النُّزولِ عن عليِّ بنِ الحسينِ رضي الله عنهما: أنَّ هذه الآيَةَ نزلَتْ في أبي بكرٍ وعمرَ وعليٍّ رضي الله عنهم، قال: واللهِ إنَّها لفيهم نزلَتْ، وفيمَنْ نزلَتْ إلّا فيهم؟ فقيل: وأيُّ غِلٍّ هو؟ قال: غِلُّ الجاهليّةِ، إنَّ بني تميمٍ وعديٍّ وبني هاشمٍ كان بينَهم في الجاهليّةِ ما كانَ، فلمَّا أسلَمَ هؤلاءِ القومُ تحابُّوا، فأخذَتْ أبا بكرٍ الخاصرةُ، فجعَلَ عليٌّ يُسخِّنُ يدَه ويُكمِّدُ بها خاصرةَ أبي بكرٍ، فنزلَتْ هذه الآيةُ[(١)].

ورُوِيَ عن عليٍّ كرَّمَ اللهُ وجهه أنَّه كان يقولُ: فينا أهلَ بدرٍ نزلَتْ هذه الآيةُ[(٢)].

وقال له رجلٌ: اللهُ أعدَلُ من أن يجمَعَ بينَك وبين طلحةَ والزُّبيرِ في الجنَّةِ وقد سلّا عليك السَّيفَ، فقال: مه، بفيكَ التُّرابُ، إنْ لم نكُنْ أصحابَ هذه الآيةِ فمَن هم[(٣)]؟!

---

(١) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائده على «فضائل الصحابة» لأبيه (١٢٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٦٧).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٩٠٢)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٧٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٧٨)، وابن بطة في «الإبانة» (٧٠).

(٣) رواه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٣٠٠)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٧٦). =

(٤٩ ـ ٥٠) ـ ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾.

﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ في سببِ النُّزولِ: رَوَى ابنُ المباركِ رحمَه الله بإسنادِه عن رجلٍ من أصحابِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قال: اطَّلعَ علينا رسولُ الله عليه السَّلامُ منَ البابِ الذي يدخلُ فيه بنو شيبةَ ونحن نضحكُ، فقال: «لا أراكُم تضحَكُونَ»، ثمَّ أدبرَ، حتى إذا كان عند الحجرِ رجعَ إلينا القهقَرى، فقال: «إنِّي لـمَّا خرجْتُ جاء جبريلُ ـ عليه السَّلامُ ـ فقال: يا محمَّدُ، يقولُ الله تباركَ وتعالى: لِـمَ تُقنِّطْ عبادي؟ ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾»[(١)].

قتادةُ: بلَغَنا أنَّ نبيَّ الله عليه السَّلامُ قال: «لو يعلَمُ العبدُ قَدْرَ عفوِ الله لَـمَا تورَّعَ عن حرامٍ، ولو يعلمُ قَدْرَ عذابِه لبخَعَ نفسَه»[(٢)].

* * *

= ورواه من طريق آخر الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٢٩٥)، وفيه: «فقال له ابنُ الكوَّاءِ: اللهُ أعدلُ من ذلك، فقام إليه بِدِرَّتِه فضربه، فقال: أنت لا أُمَّ لك وأصحابُك تنكرون هذا؟».

ورواه الحاكم في «المستدرك» (٥٦١٣) وصححه، وفيه: «فقال رجلان جالسان إلى ناحيةٍ، أحدُهما الحارثُ الأعورُ: اللهُ أعدلُ من ذلك، أنْ نقتلَهم ويكونوا إخوانَنا في الجنةِ، قال: قُوما أَبْعَدَ أرضِ الله وأسحَقَها، فمَن هو إذا لم أكن أنا وطلحةُ». قلت: ولعل الرجل الآخر هو ابن الكواء.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٨٢)، والسمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢٥٨)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٤٧٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٧٧).

(٢) انظر: «الزهد والرقائق» لابن المبارك (١/ ٣١٢)، وقد رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٨١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٦٨).

(٥١) ـ ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾.

﴿وَنَبِّئْهُمْ﴾: أخبِرْ أمَّتَكَ ﴿عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾: أضيافِه؛ يعني: الملائكةَ الذين أتوه للبُشرى بالولدِ ولإهلاكِ قومِ لوطٍ.

***

(٥٢) ـ ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾.

﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا﴾: قولًا سلامًا، وقيل: سلَّموا سلامًا ﴿قَالَ﴾ يعني: إبراهيمُ ﴿إِنَّا مِنكُمْ﴾: أنا وأصحابي ﴿وَجِلُونَ﴾: خائفون؛ إذ لم تتناوَلُوا من طعامِنا.

***

(٥٣) ـ ﴿قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾.

﴿قَالُواْ لَا تَوْجَلْ﴾: لا تخفْ.

ابنُ عيسى: الوجَلُ: اضطرابُ النَّفسِ لتوقُّعِ ما تكرهُ.

﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾: هو إسحاقُ؛ لقولِه في الأُخرى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ﴾ [هود: ٧١]، والمعنى: إذا بلَغَ كان عليمًا نبيًّا.

***

(٥٤) ـ ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾.

﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾؛ أي: على هذه الحالةِ أم أُرَدُّ إلى حالِ الشَّبابِ.

مجاهدٌ: قال ذلك تعجُّبًا من الولدِ على كبَرِه وكبَرِها(١).

وقال بعضُهم: ﴿عَلَىٰٓ﴾ هاهنا بمعنى: في؛ أي: أبشَّرتُموني في وقتِ الكِبَرِ.

وقيل: ﴿عَلَىٰٓ﴾ هاهنا بمعنى: بعدَ؛ أي: أبشَّرتموني بعد أن مسَّنيَ الكِبَرُ(٢).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٨٣)، وذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٦/ ٣٩٠٩).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٩١)، واستغربه.

ابنُ بحرٍ: هذا كما تقولُ لصاحبِكَ وقد أخبرَكَ بشيءٍ يبعُدُ عنك: ما تقولُ يا هذا؟ وانظُرْ ما تقولُ(١).

﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ بما قد فاتَ؟ استفهامٌ بمعنى الجحدِ، و﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ أبأمرِ(٢) الله أم لا؟

***

(٥٥) - ﴿قَالُوا۟ بَشَّرۡنَـٰكَ بِٱلۡحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَـٰنِطِینَ﴾.

﴿قَالُوا۟ بَشَّرۡنَـٰكَ بِٱلۡحَقِّ﴾: بالصِّدقِ، وقيل: بأمرِ الله، وقيل: بيقينٍ(٣) من جهةِ الله.

﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَـٰنِطِینَ﴾: من اليائسينَ مِن(٤) ذلك.

***

(٥٦) - ﴿قَالَ وَمَن یَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦۤ إِلَّا ٱلضَّاۤلُّونَ﴾.

﴿قَالَ﴾؛ أي: إبراهيمُ ﴿وَمَن یَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦۤ إِلَّا ٱلضَّاۤلُّونَ﴾: الجاهلونَ باللهِ، الذين لا يعرِفونَ سعةَ رحمةِ الله وقُدرتَه.

وقيل: لا يقنطُ إلَّا الضَّالُّون في الآخرةِ؛ لأنَّهم لا يرجُونَ هناك خيرًا.

ابنُ عيسى: القُنوطُ: اليأسُ من رحمةِ الله، مع فتحِ الطَّريقِ إليها، والحثِّ على طلبِها(٥).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٩١)، وعدَّه من العجائب.

(٢) في (و): «أفبأمر»، وفي (ط): «بأمر».

(٣) في (ن): «تيقُّنٍ»، وهي غير واضحة في (و).

(٤) في (ن): «في».

(٥) وتفسير القنوط باليأس من الرحمة هو قول الجمهور، كما قال الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣١٥).

وفيه لُغتانِ: الفتحُ والكسرُ[(١)]، وقُرِئَ في الشَّاذِّ: (يقنُطُ) بالضَّمِّ أيضًا[(٢)]، واجتمعَ القرَّاءُ أيضًا على فتحِ ماضيه.

* * *

(٥٧ـ٥٨)ـ ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ۝٥٧ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾.

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ ﴾: ما شأنُكم؟ والخَطْبُ: الأمرُ العظيمُ.

﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ۝٥٧ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾ يُريدونَ قومَ لوطٍ.

* * *

(٥٩)ـ ﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.

﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ﴾ يُريدُ: أهلَه المؤمنين ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ممَّا يُعذَّبُ القومُ به.

* * *

(٦٠)ـ ﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾.

﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾؛ أي: قُلنا وكتَبْنا وأخبَرْنا؛ ليصحَّ وقوعُ: ﴿إِنَّهَا﴾ بعدَها.

وقيل: قدَّرْنا عليها.

ابنُ عيسى: التَّقديرُ: جعلُ الشَّيءِ على مقدارِ غيرِه لتظهرَ المُساواةُ والمُبايَنةُ، والمعنى: مع الباقين منَ الكفَرةِ لتهلكَ معهم.

---

(١) قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة: ﴿يقنط﴾ بفتح النون، وقرأ أبو عمرو والكسائي بكسر النون. انظر: «السبعة» (ص: ٣٦٧)، و«التيسير» (ص: ١٣٦).

(٢) نسبت ليحيى بن يعمر والأشهب العقيلي وعيسى. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٥)، وللأعمش والأشهب وأبي البرهسم. انظر: «شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ٢٦٦).

الزَّجَّاجُ: الاستثناءُ الأوَّلُ مُنقطعٌ؛ أي: لكنَّ آلَ لوطٍ، والثَّاني صحيحٌ(١).

المُبرِّدُ: كلاهما صحيحانِ، و﴿ءَالَ لُوطٍ﴾: مُستثنًى من ﴿قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾، وليسوا هم بمُجرمين، و﴿ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ مُستثناةٌ من ﴿ءَالَ لُوطٍ﴾ مردودةٌ إلى حكمِ الأوَّلين(٢).

***

(٦١) ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ إنَّما قال: ﴿جَآءَ ءَالَ لُوطٍ﴾ وهم أتوا لوطًا؛ لأنَّهم كانوا في بلدةٍ واحدةٍ.

وقال المُبرِّدُ: (آلُ لوطٍ): شخصُه، وقد تقدَّمَ(٣).

***

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٨١)، وعبارته: «﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾: استثناء ليس من الأول».

(٢) في «تفسير ابن عطية» (٣/ ٣٦٧): ومثل بعض الناس في هذا بقولك: لي عندك مائة درهم إلا عشرة دراهم إلا درهمين، فرجعت الدرهمان في حكم التسعين الدرهم، وقال المبرد: ليس هذا المثال بجيد؛ لأنه من خَلَق الكلام ورَثِّه؛ إذ له طريق إلى أداء المعنى المقصود بأجمل من هذا التخليق، وهو أن يقول: لي عندك مئة إلا ثمانية، وإنما ينبغي أن يكون مثالاً للآية قولك: ضربتُ بني تميم إلا بني دارمٍ إلا حاجباً؛ لأن حاجباً من بني دارم، فلما كان المستثنى الأول في ضمنه ما لا يجري الحكم عليه، والضرورةُ تُدخله في لفظه، ولا يمكنك العبارة عنه دون ذلك الذي يجري الحكم عليهم، اضطررت إلى استثناء ثان.

قال ابن عطية: ونزعة المبرد في هذا نبيلة. انظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ٣٦٧).

(٣) ذكره المصنف في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ [البقرة: ٥٠]، واستشهد عليه بخبر عن الحسن، فلينظر ثمة، وانظر: «الفروق اللغوية» للعسكري (ص: ٢٨١)، وقد جاء في (ن): «تقدم تفسيره».

(٦٢) ـ ﴿ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴾.

﴿ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴾ ابنُ جريرٍ: لا نعرِفُكم، قالوا: نحنُ رسُلُ اللهِ[1].

المُبرِّدُ: سلَّموا فأنكرَهم؛ لأنَّهم لم يكُنْ يُسلِّمُ بعضُهم على بعضٍ.

وقيل: معناه: أنكرْتُ مجيئكُم وكرِهتُه، وإنَّما ذلك لخوفِه عليهم من قومِه.

* * *

(٦٣) ـ ﴿ قَالُواْ بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾.

﴿ قَالُواْ بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾؛ أي: نحنُ ملائكةُ اللهِ جئناكَ بعذابِ قومِكَ الذي أوعَدْتَهم به فشكُّوا فيه.

وقيل: جئناك بتصحيحِ ما شكُّوا فيه.

* * *

(٦٤) ـ ﴿ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾.

﴿ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ ﴾: بالعذابِ ﴿ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ فيما أخبَرْناكَ به.

* * *

(٦٥) ـ ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾.

﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ ﴾؛ أي: اذهَبْ بهم في طائفةٍ منَ اللَّيلِ، وقد سبقَ.

﴿ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ ﴾: تأخَّرْ أنتَ على أثرِهم وسِرْ خلفَهم.

﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾؛ أي: لا يمتنِعَنَّ عن المُضيِّ.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٨٦).

وقيل: ﴿لَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ لينظُرَ ما وراءَه.

وقيل: لئلّا يُصيبَه ما أصابَهم.

وقيل: لئلّا يرى من هولِ ما ينزلُ بهم ما لا تُطيقُه نفسُه.

وقيل: لا ينصرِفَنَّ أحدُكم فيُصيبَه ما يُصيبُ القومَ.

﴿وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾: حيثُ أمرَكم الله بالمُضيِّ إليه.

وقيل: أمرَكم جبريلُ.

ابنُ عبَّاسٍ: الشَّام[1].

مقاتلٌ: مِصر[2].

* * *

(٦٦) ـ ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾.

﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾؛ أي: أعلَمْناه وأوحينا إليه، ومعنى: ﴿ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾: إهلاكُ القومِ.

﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ بدلٌ من ﴿ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾، ومحلُّه نصبٌ، وقيل: معنى ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ﴾ فرغنا إلى لوط من ذلك الأمر[3] وأخبَرْناه أنَّ دابرَ

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٤٨١)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ٦٢٦).

(٢) ذكره بلا نسبة الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٥٨٤) وأبو حيان في «البحر» (٦/ ٤٨٨)، وفي «تفسير الثعلبي» (١٥/ ٤٨١): «وقال مقاتل: يعني: صُغَر؛ لأن لوطًا عليه السلام دخلها. صغر: اسم قرية من قرى لوط ـ عليه السلام ـ وكان له خمس قرى فأهلك أربعة ونجا صغر؛ لأن لوطًا عليه السلام دخل صغر». وانظر: «البسيط» للواحدي (١٢/ ٦٢٦)، وفي «تفسير مقاتل بن سليمان» (٢/ ٤٣٣) نحو قول ابن عباس، وذكر ياقوت في «معجم البلدان» (٣/ ١٤٣) أن زغر قرية بمشارف الشام، وأنها سميت باسم ابنة لوط عليه السلام لأنها نزلت بها وذكر (٣/ ٤١١) أن أهلها يسمونها صفر، وأنها بقية مدائن لوط عليه السلام.

(٣) «ومحله نصب، وقيل: معنى ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ﴾ فرغنا إلى لوط من ذلك الأمر» سقطت (ن) و(و).

هـؤلاءِ، بدليـلِ قراءةِ ابنِ مسـعودٍ رضـي الله عنه: (وقُلنا لـه إنَّ دابرَ هـؤلاءِ)(١)؛ أي: أصلَهم. وقيـل: آخرَهم.

﴿مَقۡطُوعٞ﴾: مُستأصَلٌ، ﴿مُّصۡبِحِينَ﴾: وقتَ دُخولِـهم في الصُّبحِ.

❊ ❊ ❊

(٦٧) ـ ﴿وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾.

﴿وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ﴾ يعني: سَدُوْمَ ﴿يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ بأضيافِ لوطٍ طمَعًا منهم في رُكوبِ الفاحشةِ.

قال عطاءُ بنُ أبي رباحٍ: ظهرَتِ امرأةُ لوطٍ على سطحٍ، فلوَّحَتْ إلى قومٍ تُعلِمُهم بالأضيافِ(٢).

ويُقالُ: بعثَتْ إليهم، وكانتِ العلامةُ بينَها وبينَهم: أطعِمُونا ملحًا، فيعرِفون ما تُريدُ(٣).

❊ ❊ ❊

(٦٨) ـ ﴿قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ﴾.

﴿قَالَ﴾ لـوطٌ: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي﴾ ولا بـدَّ مـن مُراعاتِهـم، ﴿فَلَا تَفۡضَحُونِ﴾ فيهم وعندَهم.

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٩٠)، و«تفسير الطبري» (١٤/ ٨٩)، و«تفسير الثعلبي» (١٥/ ٤٨١).

(٢) روى الطبري نحوه في «تفسيره» (١٢/ ٥٢١) عـن حذيفة رضـي الله عنه، وفيه: «فلما دخلوا ذهبت عجوزه، عجوز السوء، فصعدت فلوحت بثوبها». وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٩٢)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٩٢)، وعدَّه من العجائب.

(٦٩) ـ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾: لا تُهينوني ولا تُخجِلوني، يجوزُ أن يكونَ منَ (الخِزْيِ)[١]، ويجوزُ أن يكونَ منَ (الخَزايةِ)، وهو الحياءُ.

***

(٧٠) ـ ﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾: عن ضيافةِ الغُرَباءِ؛ فإنَّا نغلِبُكَ عليهم.

***

(٧١) ـ ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾.

﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ قيل: بناتُ قومي.

قتادةُ: أرادَ أن يقِيَ أضيافَه ببناتِه[٢]؛ أي: تزَوَّجوهُنَّ، وكان جائزًا إنكاحُ المُؤمناتِ من الكافرين[٣].

وقيل: شرَطَ عليهم الإسلامَ.

﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾؛ أي: راغبين فيهنَّ.

الحسنُ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ كنايةٌ عن الجماعِ[٤].

المُبرِّدُ: إن كنتم تُريدونَ النِّكاحَ الحلالَ[٥].

---

(١) وهو الهوان.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٩١)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣٤٦).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٩٢)، وعدَّه من العجائب.

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٢/ ٦٣٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٩٢)، واستغربه.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٩٢)، واستغربه.

وقيل: كانت له ثلاثُ بناتٍ، ارتحلَ بهنَّ لوطٌ حتَّى إذا كان بمكانٍ منَ الشّامِ مرِضَتْ الكبرى وتُوفِّيت، فظهرَ عندَها عينُ ماءٍ يُقالُ لها: عينُ الدّابّةِ، ثمَّ ماتتِ الصُّغرى، وبقيتِ الوُسطى.

وقيل: كانوا خطَبُوا إليه بناتِه فامتَنَعَ، فأجابَ إلى ذلك يومَئذٍ.

وقيل: كانت لهم سادةٌ إليهم يَؤولُ أمرُهم، فأرادَ أن يُزوِّجَهم بناتِه.

***

(٧٢) ـ ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

﴿لَعَمْرُكَ﴾ أجمعَ[١] المُفسِّرون على أنَّ الله سبحانَه وتعالى لم يُقسِمْ بحياةِ أحدٍ منَ الآدميِّين سواه تعظيمًا له وتفضيلًا على غيرِه.

والعَمْرُ والعُمْرُ: مدَّةُ بقاءِ الحيِّ، ولا يُستعمَلُ في القَسَمِ إلّا مفتوحًا[٢].

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ معناه: وحقِّكَ، كما تقولُ: لَعمرُ الله؛ أي: حقُّه.

و﴿لَعَمْرُكَ﴾ رفعٌ بالابتداءِ، وخبرُه محذوفٌ تقديرُه: لَعمرُكَ قَسَمي.

المُبرِّدُ: يجوزُ أن يكونَ ﴿لَعَمْرُكَ﴾ من قولِهم: قد عَمَرَ فلانٌ دينَه: إذا صلَّى وصامَ، وفلانٌ يَعْمُرُ اللهَ؛ أي: يعبدُه، وعَمَرَ ركعتَين[٣].

قتادةُ: ﴿لَعَمْرُكَ﴾؛ أي: عملُك[٤]. والوجهُ الأوَّلُ.

---

(١) «أجمع»: من (ن).

(٢) انظر: «الصحاح» مادة: (ع م ر) (٢/ ٧٥٦)، وعلة ذلك أن العرب استخفوا الفتح في القسم. انظر: «الكتاب» (١/ ٢١٠)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٦/ ٤٩٠).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٩٣)، واستغربه، وعلى هذا القول يكون القسم بعبادة النبي ﷺ.

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٦٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٩٣)، وعدَّه من العجائب.

﴿إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ﴾ قيل: الضَّميرُ يعودُ إلى قُريشٍ. وقيل: إلى قومِ لوطٍ.

والسَّكْرةُ: الضَّلالةُ والجهلُ، وقيل: الغَفْلةُ.

﴿يَعْمَهُونَ﴾: يتردَّدون. قتادةُ: يلعبون[1]. ابنُ عبَّاسٍ: يتمادَون[2].

* * *

(٧٣) ـ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾: العذابُ ﴿مُشْرِقِينَ﴾: مُصادِفين لطُلوعِ الشَّمسِ.

وقيل: داخلين في وقتِ شروقِ الشَّمسِ.

* * *

(٧٤) ـ ﴿فَجَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾.

﴿فَجَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾: رفعَها جبريلُ عليه السَّلامُ إلى السَّماءِ ثمَّ قلَبَها.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: رفعَها جبريلُ إلى السَّماء وأُمطِروا حجارةً ثمَّ قلبَها.

والثَّاني: أُمطِروا على الغائبينَ منَ البلدِ.

﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾ منَ السَّماءِ الدُّنيا.

وقد سبقَ بيانُ أكثرِ هذا في (سورةِ هودٍ) عليه السَّلامُ.

* * *

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤٥٢)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٩٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٩٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٢٦).

(٧٥) ـ ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾.

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾: للمُتفكِّرين[١] المُعتبِرين.

وقيل: المُتفرِّسين، وهو الذي يطلُبُ سمةَ الشَّيءِ ووَسْمَه، وهو العلامةُ.

وقيل: العارِفين.

***

(٧٦ ـ ٧٨) ـ ﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴾.

﴿ وَإِنَّهَا ﴾: وإنَّ سَدُوْمَ ﴿لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾: بطريقٍ بيِّنٍ واضحٍ.

وقيل: ﴿مُّقِيمٍ﴾: معلومٍ.

وقيل: ﴿مُّقِيمٍ﴾: مُعبَّدٍ دائمِ السُّلوكِ.

ابنُ عبّاسٍ رضيَ الله عنهما: ﴿لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾: هلاكٍ دائمٍ[٢].

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴾؛ أي: وإنَّ الأمرَ والشَّأنَ كانَ أصحابُ الأيكةِ ﴿لَظَٰلِمِينَ ﴾: لكافرين.

الأَيْكةُ: الشَّجرةُ المُتكاثِفةُ؛ أي: المُلتفَّةُ، وجمعُها: أَيْكٌ.

وجاءَ في التَّفسيرِ: أنَّ عامّةَ شجرِهم الدَّوْمُ، وهو المُقْلُ[٣].

والأَيْكةُ: الغَيضةُ، بعثَ الله إليهم شُعيبًا فكذَّبوه فأُهلِكُوا بالظُّـلَّةِ.

---

(١) في (ن): «للمتذكرين».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٧٠)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٦٨).

(٣) الدَّوْمُ: ضِخامُ الشَّجرِ ما كان، وقيل: هو شجرٌ يُشبهُ النَّخل، إلاَّ أنه يُثمِرُ المُقْلَ، وله لِيفٌ وخُوصٌ. انظر: «مجمع الغرائب» للفارسي مادة: (د و م).

وقيل: الأَيْكةُ: اسمُ النّاحيةِ، ولَيْكةُ: اسمُ المدينةِ؛ كمكَّةَ وبكَّةَ.

وقُرِئَ في (الشُّعراءِ) و(ص): ﴿لَيْكَةَ﴾[1] على أنَّها اسمُ علمٍ.

وقيل: كانوا أصحابَ غِياضٍ ورِياضٍ وأشجارٍ وأنهارٍ، يأكلونَ في الصَّيفِ الفاكهةَ الرَّطبةَ وفي الشِّتاءِ اليابسةَ.

***

(٧٩) ـ ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾؛ أي: كذَّبوا شُعَيبًا فانتقَمْنا منهم، يُريدُ: أهلَكْناهُم وعذَّبناهُم.

﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ الجمهورُ على أنَّ الكنايةَ تعودُ إلى قريتَي قومِ لوطٍ وشُعَيبٍ ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾: طريقٍ منَ الحقِّ واضحٍ.

وقيل: الخبرَ بهلاكِ قومِ لوطٍ وأصحابِ الأيكةِ لمكتوبٌ في إمامٍ مبينٍ. وهو اللَّوحُ المحفوظُ.

المُؤرِّجُ: الإمامُ: الكتابُ بلغةِ حميرَ[2].

المُفضَّلُ: وإنَّ آياتِ عذابِنا لقومِ لُوطٍ وشُعيبٍ بالإمامِ.

***

(٨٠) ـ ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾ وهم ثمودُ، نبيُّهم وهو صالحٌ، وجُمِعَ لأنَّ مَن كذَّبَ نبيًّا فقد كذَّبَ الكلَّ.

---

(١) بغير همز والهاء في آخره مفتوحة قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وأبو عمرو فيهما بالهمز والألف وكسر الهاء. انظر: «السبعة» (ص: ٤٧٣)، و«التيسير» (ص: ١٦٦).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٦٩).

والحِجْرُ: بينَ المدينةِ والشّامِ.

ورَوَى عبدُ الله بنُ عمرَ وجابرُ بنُ عبدِ الله رضي الله عنهما، قالا: مرَرْنا مع رسولِ الله عليه السَّلامُ على الحِجْرِ، فقالَ لنا رسولُ الله عليه السَّلامُ: «لا تدخُلوا مساكنَ الذينَ ظلَمُوا أنفُسَهم إلّا أن تكونُوا باكين؛ حذَرًا أن يُصيبَكم مثلُ ما أصابَهم»، ثمَّ قالَ: «هؤلاءِ قومُ صالحٍ أهلَكَهُم الله إلّا رجُلًا كان في حرمِ الله منعَه حرمُ الله من عذابِ الله»، قيل: مَن هو يا رسولَ الله؟ قال: «أبو رِغال» - وإليه تُنسَبُ ثقيفٌ - ثمَّ أسرعَ حتَّى خلَّفَها[1].

***

(٨١) - ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُمْ ءَايَـٰتِنَا فَكَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

﴿وَءَاتَيْنَـٰهُمْ ءَايَـٰتِنَا فَكَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ الآياتُ: النَّاقةُ وسقبُها[2] وشِربُها ودرُّها.

وقيل: أنزلَ إليهم آياتٍ من كتابِ الله.

وقيل: يُريد بها: نصبَ الأدلَّةِ، فأعرَضُوا عنها ولم يُؤمِنُوا بها.

***

---

(١) هكذا تبع المصنفُ الثعلبيَّ في «تفسيره» (١٥/ ٤٨٨) حيث أدخل حديث جابر رضي الله عنه في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، فأما حديث ابن عمر فرواه البخاري (٤٧٠٢)، ومسلم (٢٩٨٠)، إلى قوله: «أن يُصيبَكم مثلُ ما أصابَهم».

وأما حديث جابر رضي الله عنه فرواه الإمام أحمد في «مسنده» (١٤١٦٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٦١٩٧)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٠٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٤٨): أن رسول الله ﷺ قال وهو بالحجر: «هؤلاء قومُ صالح أهلكهم اللهُ إلا رجلاً كان في حَرَم الله مَنَعه حَرَمُ الله من عذاب الله»، قيل: يا رسول الله! مَن هو؟ قال: «أبو رِغالٍ». لفظ الطبري.

(٢) السَّقْبُ: ولد الناقة. انظر: «تاج العروس» مادة: (س ق ب) (٣/ ٦١).

(٨٢) ـ ﴿ وَكَانُوا۟ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴾.

﴿ وَكَانُوا۟ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ﴾: يُنقِّبونَ في الجبلِ. وقيل: يبنونَ منَ الحجارةِ. وأصلُ النَّحتِ في الخشبِ، ثمَّ يُستَعارُ لغيرِه.

﴿ءَامِنِينَ ﴾ منَ الخرابِ ووقوعِ الجبلِ عليهم. وقيل: منَ العذابِ. وقيلَ: منَ الموتِ.

* * *

(٨٣) ـ ﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ ﴾.

﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ ﴾: العذابُ ﴿مُصۡبِحِينَ ﴾: في اليومِ الرَّابعِ وقتَ الصُّبحِ.

* * *

(٨٤) ـ ﴿ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُوا۟ يَكۡسِبُونَ ﴾.

﴿ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُوا۟ يَكۡسِبُونَ ﴾؛ أي: لم تدفَعْ عنهم أموالُهم وأولادُهم وبيوتُهم الحصينةُ، بل خرُّوا جاثمين.

* * *

(٨٥) ـ ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴾.

﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ ﴾؛ أي: وما خلَقْنا الخلائقَ إلّا بالعدلِ والإنصافِ؛ أي: لم نُهلِكْ مَن تقدَّمَ ذِكرُهم إلّا بعدَ إقامةِ الحجّةِ عليهم.

﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ ﴾؛ أي: الجزاءُ قريبٌ ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴾ ولا تعجَلْ عليهم، وهذه منسوخةٌ كما سبقَ(١).

---

(١) في مطلع السورة، وقد استبعد الرازي في «تفسيره» (١٩/ ١٥٨) أن تكون هذه الآية من المنسوخ فقال: «المقصود من ذلك أن يظهر الخلق الحسن والعفو والصفح، فكيف يصير منسوخاً؟!».

والصَّفْحُ الْجَمِيلُ: الإعراضُ؛ كقولِه: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج: ٥]، ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: ١٠].

وقيل: من غيرِ عتابٍ.

وقيل: في حقِّ نفسِه[1].

وقيل: لا تُعرِضْ عنهم كلَّ الإعراضِ، ولا تيأسْ من صنيعِ الله.

وقيل: هو كقولِه: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ﴾ [النساء: ٦٣].

وقيل: اصفَحْ حيثُ الصَّفحُ أدعى إلى الإيمانِ، وأَخشِنْ حيثُ الخشونةُ أولى.

***

(٨٦) - ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ﴾ لجميعِ الموجوداتِ ﴿الْعَلِيمُ﴾: العالمُ بأحوالِهم.

***

(٨٧) - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ فيه خمسةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّه فاتحةُ الكتابِ، وذهبَ إلى هذا عدَّةٌ من الصَّحابةِ والتَّابعين، واختارَه كثيرٌ منَ المُفسِّرين، وسُمِّيَ: المثاني؛ لأنَّها نزلَتْ مرَّتين، وقيل: لأنَّ أكثرَ كلماتها مثنًى. وقيل: لأنَّ أوَّلها ثناءٌ على الله تعالى. وقيل: لأنَّها تُثنَّى في كلِّ صلاةٍ.

والثَّاني: أنَّ المثانيَ السَّبعُ الطُّوَلُ: (البقرةُ) و(آلُ عمرانَ) و(النِّساءُ) و(المائدةُ) و(الأنعامُ) و(الأعرافُ) و(التَّوبةُ)، وقيل: (يونسُ).

---

(١) أي: أمره بالصفح في حق نفسه فيما بينه وبينهم، قاله الحسن. انظر: «النكت والعيون» (٣/ ١٧٠).

والطُّوَلُ: جمعُ الطُّولى، كالكُبْرى والكُبَرِ.

وسُمِّيت المثاني؛ لأنَّ القِصصَ فيها مثنَّاةٌ، والتَّثنيةُ: إضافةُ مثلِ الشَّيءِ إلى الشَّيءِ.

والثَّالثُ: أنَّ المثانيَ: جميعُ القرآنِ؛ لقولِه: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ﴾ [الزمر: ٢٣].

والرَّابعُ: أنَّ المثانيَ: معاني القرآنِ، وهي سبعةٌ: أمرٌ، ونهيٌ، وتبشيرٌ، وإنذارٌ، وضربُ أمثالٍ، وتعديدُ نِعَمٍ، وأنباءُ قُرونٍ.

والخامسُ: كراماتٌ أكرمَ اللهُ نبيَّه بها. حكاه أقضى القُضاةِ(١).

﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾؛ أي: عظيمَ القدرِ، مَنَّ اللهُ عليه بفاتحةِ الكتابِ على الخصوصِ ـ أو بالسَّبعِ الطُّوَلِ ـ كما منَّ عليه بجميعِ القرآنِ.

الزَّجَّاجُ: ﴿مِّنَ﴾ للتبيينِ(٢). غيرُه: للتَّبعيضِ.

***

(٨٨) ـ ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ حظَرَ على النَّبيِّ عليه السَّلامُ أن يمُدَّ عينَيه إلى الدُّنيا، ونهاهُ أن يَرْغَبَ فيها، والمعنى: لا تطمَحْ ببصرِكَ إلى ما متَّعنا به أقوامًا لا خَلاقَ لهم تمتيعًا سريعَ الزَّوالِ قليلَ اللَّباثِ(٣).

قال أنسٌ رضي الله عنه: مرَّتْ برسولِ الله عليه السَّلامُ إبلٌ أيَّامَ الرَّبيع، وقد

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٧١) عن جعفر بن محمد، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٩٤)، وعدَّه من العجائب.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٨٥ ـ ١٨٦).

(٣) في (ن) كتب تحتها: «اللبث».

عَبِسَتْ في أبعارِها وأبوالِـها، فغطَّى رسولُ الله عليه السَّلامُ عينَه بكمِّه فقال: «بهذا أمرَني ربِّي»، ثمَّ تلا هذه الآيَةَ(١).

قولُـه تعالـى: ﴿أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ قيـل: أمثالًا فـي النِّعَـمِ. وقيل: أزواجًـا أغنياءَ. وقيـل: أصنافَ اليهـودِ والنَّصارى والمُشـركين.

وقيل: ﴿أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾: هم الرِّجالُ معهم نساؤُهم، فيكونُ بمنزلةِ: أعطَينا اثنَين اثنَين منهم ذكرًا وأُنثى(٢).

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ إنْ لـم يُؤمِنوا.

وقيل: لا تحزَنْ لِمَا أنعمتُ عليهم دونَك.

وقيل: لا تحزَنْ عليهم لِمَا يصيرونَ إليه بكُفرِهم.

﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ جَناحا الرَّجلِ: جانباه؛ أي: تواضَعْ لهم وارفُقْ بهم؛ ليُحبُّوك ويُجالسوك ولا ينفَضُّوا من حولِك.

---

(١) ذكره بهذا اللفظ عن أنس الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٥١٧). ورواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ١١٥) و«غريب الحديث» (٢/ ٢٧٤) عن يحيى بن أبي كثير بلفظ: مر رسول الله ﷺ على إبل لحي يقال لهم بنو الملوح، أو بنو المصطلق، قد عَبِست في أبوالها من السمن، قال: فتقنع بثوبه ثم قرأ هذه الآية ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [طه: ١٣١]. وهو مرسل.
قال أبو عبيد: قوله: «عَبِسَت فى أبوالها من السِّمن» يعني: أن تجفّ أبوالها وأبعارها على أفخاذها، وذلك إنّما يكون من كثرة الشّحم، فذلك العَبَس.
وعزاه في «الدر المنثور» (٥/ ٩٧) لأبي عبيد وابن المنذر عن يحيى بن أبي كثير، لكن فيه: «عنست» بالنون، وله وجه أيضاً، قال الأزهري في «تهذيب اللغة» (٢/ ٦١): «العَنْس: النّاقة الصُّلْبة، وقال اللَّيْث: تسمَّى عَنْساً إذا تمَّت سِنُّها واشتدَّت قُوَّتُها ووَفَر عظامُها وأعضاؤها». قلت: لكن كلام أبي عبيد يدل أنها بالباء، والقول ما قالت حذام.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٩٤)، واستغربه.

(٨٩) ـ ﴿وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾.

﴿وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ﴾: المُنـذِرُ، وقيـل: ذو الإنـذارِ ﴿ٱلْمُبِينُ﴾: أُبيِّنُ الرُّشـدَ مـنَ الغيِّ.

***

(٩٠) ـ ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾.

﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾؛ أي: أنا أُنذِرُكم[١] عذابًا كما أنزَلْنا على المُقتَسِمين.

وقيل: أنزَلْنا عليك الكتابَ لتُنذِرَ به كما أنزَلْنا على المُقتَسِمين.

وقيل: آتيناكَ سبعًا مـنَ المثاني والقرآنَ العظيمَ كما أنزَلْنا على المُقتَسِمين، وقولُه: ﴿لَا تَمُدَّنَّ﴾ اعتراضٌ.

و﴿ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ من القِسْمةِ، وقيل: منَ القَسَمِ. وفي ﴿ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ أقوالٌ:

ابنُ عبَّاسٍ: هـم اليهودُ والنَّصارى؛ آمنوا ببعضِ القرآنِ وهو ما وافقَ كتابَهم، وكفروا ببعضٍ وهو ما خالفَ[٢].

عكرمةُ: هو قولُهم: «هذه السُّورةُ لي، وهذه السُّورةُ لك» استِهزاءً[٣].

مجاهدٌ: هو إيمانُهم ببعضِ كتُبِهم وكفرُهم ببعضٍ، قال: وكلُّ كتبِ الله قرآنٌ[٤].

---

(١) في (و): «أعدكم».

(٢) رواه البخاري (٣٩٤٥) عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما، قال: هم أهلُ الكتابِ، جَزَّؤوه أجزاءً فآمَنوا ببعضِه وكفروا ببعضِه، يعني قولَ اللهِ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾. ورواه (٤٧٠٥) بلفظ: ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ قال: آمَنوا ببعضٍ وكفروا ببعضٍ، اليهودُ والنصارى.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٣١) بلفظ: «كانوا يستهزئون، يقول هذا: لي سورة البقرة، ويقول هذا: لي سورة آل عمران»، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣٥٢).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٣١) ولفظه: «هم اليهود والنصارى، قسموا كتابهم ففرقوه وجعلوه أعضاء»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٩٤) واستغربه.

مُقاتلٌ والفرّاءُ: هم قـومٌ اقتَسَموا طرقَ مكَّةَ وعقابَها، وقعدوا عليها وجعلوا يردُّونَ النَّاسَ عن الإيمانِ بمحمَّدٍ عليه السَّلامُ، فقال بعضُهم: ساحرٌ، وبعضُهم: كاهنٌ، وبعضُهم: شاعرٌ(١).

قتادةُ: قسموا القولَ في القرآنِ، فقالوا: سِحرٌ وكهانةٌ وشعرٌ وأساطيرُ الأوَّلين(٢).

الأخفشُ: هم قومٌ تواطَؤُوا وتقاسَمُوا لا يُؤمِنون بمحمَّدٍ عليه السَّلامُ، ويُعادُونه وأصحابَه أبدًا(٣).

ابنُ زيدٍ: هم الذين تقاسَمُوا لصالحٍ وأرادوا تبييتَه، من قولِه: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ [النمل: ٤٨] الآيتَين(٤).

***

(٩١) ـ ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾: واحدُها (عِضَةٌ) محذوفُ اللّامِ، فذهبَ بعضُهم إلى أنَّه من العُضوِ، تقولُ: عَضَّيْتُ الشَّيءَ: جعلتُه عُضوًا عُضوًا؛ أي: عَضَّوا القرآنَ وجزَّؤُوه أجزاءً.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّه منَ العَضِيهة، وهي الكذبُ والسِّحرُ، والعاضِهةُ: السَّاحِرةُ، وجُمِعَ جمعَ السَّلامةِ خبرًا كما جُمِعَ: سِنُونَ وقِلونَ(٥).

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٤٣٨)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٩١، ٩٢).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤٦١)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٥١).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٧٣)، والقرطبي في «تفسيره» (١٠/ ٥٨).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٣٢)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٥/ ٥٢١)، وعنه نقل المصنف، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٩٤)، وعدَّه من العجائب.

(٥) في (ن): «مئون»، وكلاهما صواب، وقد ذكر سيبويه: سنون وقلون وثبون ومئون. انظر: «الكتاب» =

(٩٢ ـ ٩٣) ـ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أقسمَ الله سُبحانَه بذاتِه ورُبوبيَّتِه ومُلكِه ليسألَنَّ يومَ القيامةِ واحدًا واحدًا من هؤلاءِ المُقتَسِمين عمَّا قالوه في رسولِ الله عليه السَّلامُ وفي القرآنِ. وقيل: في كتُبِ الله.

وقيل: عامٌّ في جميعِ الكفَّارِ، فيسألُهم عن عبادتِهم الأوثانَ[1] وتركِ إجابتِهم المُرسَلين.

***

(٩٤) ـ ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ الزَّجَّاجُ: من الصَّديعُ وهو الصُّبحُ، قال:

كأنَّ بياضَ غُرَّتِه صَديعُ[2]

أي: أبِنْ وأظهِرْ.

= (٣/ ٥٩٨). والقلون جمع: القُلَةِ، وهي الخشبة الصغيرةُ التي تُنْصَبُ وهي قَدْرُ ذراع، ويجوز في القاف الضم والكسر. انظر: «الصحاح» (٦/ ٢٤٦٧) و«اللسان» مادة: (ق ل ا) (١٥/ ١٩٩).

(١) في (ن): «الأصنام».

(٢) البيت لعمرو بن معد يكرب. انظر: «ديوانه» (ص: ١٣٣)، و«الأغاني» للأصفهاني (١٥/ ١٤٨)، و«لسان العرب» مادة: (ص د ع) (٨/ ١٩٥)، و«معاهد التنصيص» للعباسي (٢/ ٢٣٦)، و«خزانة الأدب» للبغدادي (٨/ ١٨٦)، وهو بلا نسبة في «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٨٦)، و«أمالي ابن الشجري» (٢/ ٥٥٨)، وصدره:

سباها الصمة الجشميُّ غصباً

مجاهدٌ: اجهَرْ به في الصَّلاةِ(١).

وما زالَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ مُستَخفيًا حتّى نزلَتْ: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾(٢).

وقيل: أصلُه إعلانُ الحقِّ، وقيل: منَ الفصلِ؛ أي: احكُمْ وافصِلْ(٣).

ابنُ بحرٍ: جدِّدْ لهم القولَ في الدُّعاءِ إلى الإيمانِ مُبشِّرًا لهم بالجنّةِ(٤).

ابنُ عيسى: منَ الفَرْقِ؛ أي: افرُقْ بما تُؤمَرُ(٥).

النَّقَّاشُ: فرِّقِ القولَ فيهم مُجتَمِعين وفُرادَى(٦).

أبو عُبيدةَ عن رُؤبةَ قال: ما في القرآنِ أغربُ من قولِه: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾(٧).

وفي قولِه: ﴿بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ قولانِ:

أحدُهما: تُؤمَرُ به، فحُذِفَ الجارُّ ثمَّ حُذِفَ الضَّميرُ.

والثاني: أنَّ (ما) للمصدرِ؛ أي: اصدَعْ بالأمرِ.

﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾؛ أي: اصبِرْ على أذاهُم(٨).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٤٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٧٤).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٥/ ٥٢٨).

(٣) في (ن): «واقض».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٩٥)، واستغربه. وفيه: «جرد» مكان: «جدد».

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٧٤)، وفيه: «افرق بين الحق والباطل».

(٦) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٧٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٩٥)، وعدَّه من العجائب.

(٧) وهذا القول أيضاً ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٧٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٩٥)، وعدَّه من العجائب.

(٨) في (ن) زيادة: «وحذر» من (ن).

ابنُ عبّاسٍ(١): هذا منَ المنسوخِ(٢).

وقيل: لا تلتَفِتْ إلى ما يقولونَ.

ابنُ بحرٍ: الإعراضُ: تركُ الالتفاتِ، قال: وهو هاهنا استِهانةٌ كما تقولُ: لا تلتفِتْ إليه ولا تخفْهُ(٣).

***

(٩٥) - ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾.

﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ جمهورُ المُفسِّرين على أنَّها نزلت في خمسةٍ -وقيل: سبعةٍ- من قريشٍ كانوا يُبالغون في إيذاءِ رسولِ الله عليه السَّلامُ والاستهزاءِ به، فأهلَكَهم الله جميعًا، فمنَ الخمسةِ:

الوليدُ بنُ المُغيرةِ: مرَّ برجلٍ من خزاعةَ يَرِيشُ نَبْلًا له فوطِئَ سهمًا من سهامِه فانكسرَ وطارَتْ منه شظيّةٌ، فأصابَتْ منه عرقَ النَّسا فجعلَ يقولُ: قتَلَني ربُّ محمَّدٍ، حتَّى ماتَ.

ومنهم **العاصُ بنُ وائلٍ السَّهميُّ**: وكان أهلُ مكّةَ مُطِروا ليلًا فقالَ لابنِه: أرحِلْ لي بعيري حتَّى أطوفَ في شعابِ مكّةَ، فخرجَ مُتنزِّهًا، فأناخَ بعيرَه بشِعبٍ من تلك

---

(١) في (ن): «ابن عيسى».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٤٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٧٤)، وانظر: «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص: ٥٣٩).

(٣) ذكر الماوردي أن الأمر بالإعراض في الآية مع وجوب الإنكار دالٌّ على أن المراد الإعراض عن السفهاء استهانة بهم -وأنه وإن كان خطاباً للنبي ﷺ- فهو تأديب لجميع الخلق. انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٢٨٨).

الشِّعابِ، فلمّا وضعَ قدَمَه على الأرضِ ضرَبَتْه حيّةٌ في رجلِه فانتفَخَتْ حتَّى صارَتْ مثلَ عنُقِ البعيرِ، فجعَلَ يقولُ: قتَلَني ربُّ محمَّدٍ، فماتَ مكانَه.

ومنهم **الحارثُ بنُ قيسٍ**: أكلَ سمكًا مَليحًا فأصابَه عُطاشٌ شديدٌ، فجعَلَ يشربُ ولا يَرْوَى وكلَّما تنفَّسَ قال: قتلَني ربُّ محمَّدٍ، حتَّى انفتَقَ بطنُه فماتَ مكانَه[1].

ومنهم **الأسودُ بنُ المُطَّلبِ**: خرجَ لتلقِّي ابنِه زَمعةَ قادِمًا منَ الشّامِ، فقعدَ في أصلِ شجرةٍ، فأتاه جبريلُ عليه السَّلامُ فجعَلَ يضربُ رأسَه بالشَّجرةِ وهو يقولُ: يا غُلاماه أدرِكْني، فقال الغلامُ: ما أرى أحدًا يضرِبُ رأسَكَ وإنَّما أنتَ تضرِبُه، ولا يزالُ يضرِبُ رأسَه حتّى ماتَ، ووافقَ قدومَ ابنِه زمعةَ منَ الشّامِ.

ومنهم **الأسودُ بنُ عبدِ يغوثَ**: ذهبَ إلى ماءٍ لبني كنانةَ يُحذِّرُهم النَّبيَّ عليه السَّلامُ ويضمنُ لهم الضَّماناتِ على اغتيالِـهم إيّاه، فأصابَتْه سَمومٌ، فاسودَّ حتَّى صارَ كأنّه حبشيٌّ، فأتى أهلَه فلم يعرِفُوه وأغلَقُوا البابَ في وجهِه، فصارَ يطوفُ في شعابِ مكّةَ ويقولُ: قتلَني ربُّ محمدٍ، حتّى ماتَ، فذلك قولُه: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾[2].

الحسنُ: المُرادُ به كلُّ مُشركي العربِ[3].

* * *

(١) «مكانه»: من (ن).

(٢) روى نحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤٦٥)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٩٨٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٧٧٣١)، والضياء المقدسي في «المختارة» (١٠/ ٩٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٤٦ ـ ١٥١) عن ابن الزبير، وسعيد بن جبير، ومقسم، وقتادة وغيرهم. وانظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٤٠٩ ـ ٤١٠).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٩٦)، واستغربه.

(٩٦) - ﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾ عاقبةَ أمرِهم يومَ القيامةِ.

* * *

(٩٧) - ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾.

﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾؛ أي: يقولونَ على الله منَ الشُّركاءِ والصّاحبةِ والولدِ، ويقولون فيك من النِّسبةِ إلى السِّحرِ والشِّعرِ وغيرِ ذلك.

* * *

(٩٨) - ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾.

﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ ﴾: فالجأ إلى التَّسبيحِ والتَّنزيهِ، وقُلْ: سبحانَ الله وبحمدِه.

وقيل: فصَلِّ، وفي الخبرِ: أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ كان إذا حزَبه أمرٌ فزِعَ إلى الصَّلاةِ(١).

﴿وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾: منَ المُصلِّين، وقيل: منَ المُتواضِعين.

* * *

(٩٩) - ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾.

﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ جمهورُ المُفسِّرين على أنَّ اليقينَ الموتُ، والمعنى: اعبُدْ ربَّك دائمًا.

وسُمِّيَ الموتُ يقينًا؛ لأنَّه مُتيقَّنٌ به مُتَّفقٌ على لحاقِه كلَّ حيٍّ مخلوقٍ.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣٢٩٩)، وأبو داود (١٣١٩) عن حذيفة رضي الله عنه، ولفظه: «كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر، صلى».

ابنُ بحرٍ: ﴿ٱلْيَقِينُ﴾: النَّصرُ على الكافرين(١).

ورُوِيَ عن أبي مسلمٍ الخَوْلانيِّ قال: قال رسولُ الله عليه السَّلامُ: «ما أُوحِيَ إليَّ أن اجمَعِ المالَ وكُنْ منَ التّاجرين، ولكِنْ أنْ سبِّحْ بحمدِ ربِّك وكُنْ منَ السَّاجدين، واعبُدْ ربَّك حتَّى يأتيَكَ اليقينُ»(٢).

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٩٧)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٩٧)، وعدَّه من العجائب، والحديث رواه عبد الله بن الإمام أحمد في «الزهد» (٢٣١٦)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٥٢٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٣١) عن أبي مسلم الخولاني مرسلًا.

ورواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي» (٨٥٣)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٤) من طريق أبي مسلم الخولاني عن جبير بن نفير، وهو مرسل أيضاً.

ورواه الجرجاني في «تاريخ جرجان» (ص: ٣٤٢)، وابن مردويه في «التفسير» كما في «تخريج أحاديث الإحياء» للعراقي (ص: ٥٠٥) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وفي سنده لين كما قال العراقي.

سُورَةُ النَّحلِ

سُورَةُ النَّحلِ

مئةٌ وثمانٍ وعشرونَ آيةً[1].

ويُروَى: (سورةُ النِّعَمِ)[2].

مكِّيَّةٌ إلّا قولَه: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ﴾ [النحل: ١٢٦] الآيات، فإنَّها نزلَتْ بينَ مكّةَ والمدينةِ عندَ مُنصَرَفِ رسولِ الله عليه السَّلامُ من أُحدٍ[3].

قتادةُ بإسنادِ النَّحَّاسِ: مدَنيَّةٌ[4].

ابنُ عبَّاسٍ وقتادةُ: أوَّلُها إلى قولِه تعالى: ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ﴾ [النحل: ٩٥] نزلَتْ بمكَّةَ، والباقي بالمدينةِ[5].

---

(١) «مئة وثمان وعشرون آية» من (ن).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٩٥) عن قتادة.

(٣) رواه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٤١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) ذكر النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٤٢) عن قتادة أن قوله تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًا﴾ نزل والخمر يومئذ حلال، ثم أنزل الله بعدُ تحريمها في سورة المائدة. وهذا يدلُّ على ما ذهب إليه المصنف. وفي «درج الدرر» للجرجاني (٢/ ١٨١): و«روى همام ومعمر عن قتادة أنها مدنية».

(٥) ذكره عنهما الجرجاني في «درج الدرر» (٣/ ١٨١)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٧٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيم

(١) ـ ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾.

﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن[١] ابنِ عبّاسٍ رضيَ الله عنهما: لمَّا أنزَلَ الله: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ [القمر: ١] قال الكفّارُ بعضُهم لبعضٍ: إنَّ هذا يزعُمُ أنَّ القيامةَ قد قرُبَتْ، فأمسِكُوا عن بعضِ ما كنتم تعملون حتَّى ننظُرَ ما هو كائنٌ، فلمَّا رأوا أنَّه لا ينزلُ شيءٌ قالوا: ما نرى شيئًا، فأنزلَ الله: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ﴾ الآية [الأنبياء: ١] فأشفَقُوا وانتَظَروا قربَ السّاعةِ، فلمَّا امتدَّتِ الأيّامُ قالوا: يا محمَّدُ ما نرى شيئًا ممَّا تُخوِّفُنا به، فأنزلَ اللهُ سبحانَه: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ فوثَبَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ ورفعَ النّاسُ رؤوسَهم، فنزلَتْ: ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾ فاطمأنُّوا، فلمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ قالَ رسولُ الله عليه السَّلامُ: «بُعِثْتُ أنا والسّاعةُ كهاتَين ـ وأشارَ بأُصبُعَيه ـ إنْ كادَتْ لتَسْبِقُني»[٢].

و(الأمرُ) على هذا: يومُ القيامةِ، واستُعمِلَ لفظُ الماضي للمُستقبلِ تحقيقًا.

وقيل: لأنَّ ما هو آتٍ قطعًا فهو كما أتى.

---

(١) في (ن): «قال».

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٤٤٧)، والثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ١١)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٧٨)، والجرجاني في «درج الدرر» (٢/ ١٨١)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٧)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٥٤٩)، والقرطبي في «تفسيره» (١٢/ ٢٦٨)، جميعهم عن ابن عباس رضي الله عنهما ولم يذكر أحد له سنداً.
وقوله ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين» رواه البخاري (٦٥٠٣)، ومسلم (٢٩٥٠) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، وروي عن عدد من الصحابة.
وقوله ﷺ: «إن كادت لتسبقني» رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٨٧٧٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ١٢٦) عن أبي جحيفة رضي الله عنه، ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٢٩٤٧) عن بريدة رضي الله عنه، وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٣٤٨): «وسنده حسن».

وقيل: معناه: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ وعدًا ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾ وُقوعًا.

وقيل: معناه: يأتي، ومثلُه: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ﴾ [الأعراف: ٤٨].

وقيل: الأمرُ هاهنا: العذابُ بالسَّيفِ، وهذا جوابٌ للنَّضرِ بنِ الحارثِ حيثُ استعجَلَ بالعذابِ.

وقيل: (الأمرُ) هاهنا: مصدرُ (أمَرَ)، والمُرادُ به: فرائضُه وأحكامُه.

الزَّجَّاجُ: هو ما وعدَهُم الله على كُفرِهم[1].

وقيل: المُرادُ به: بعضُ أشراطِ السّاعةِ.

وقيل: الأمرُ هاهنا: ما وعَدَ الله نبيَّه منَ النَّصرِ.

والاستِعجالُ: طلَبُ التَّعجيلِ، والتَّعجيلُ: إحضارُ الشَّيءِ قبل وقتِه.

﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ﴾: تنزيهًا له وتعاليًا ﴿عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ التَّاءُ على الخطابِ، والياءُ على الغَيبة[2].

* * *

(٢) - ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾.

﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ﴾ ابنُ عبَّاسٍ: ﴿بِٱلرُّوحِ﴾: بالوحي[3].

وقيل: هي النُّبوَّةُ. وقيل: هو القرآنُ؛ لِـمَا فيهما من حياةِ الدِّينِ وحياةِ النُّفوسِ بالإرشادِ إلى أمرِ الله.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٨٩).

(٢) قرأ حمزة والكسائي: ﴿تشركون﴾ بالتاء، والباقون بالياء. انظر: «التيسير» (ص: ١٢١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٦٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٧٦).

وقيل: الرُّوحُ: هم حفظةٌ على الملائكةِ لا تراهُم الملائكةُ، كما أنَّ الملائكةَ حفَظةٌ علينا لا نراهُم.

مجاهدٌ: اسمُ ملَكٍ(١).

وقيل: هي الرُّوحُ تحيَى بها الأجسامُ.

أبو عُبيدةَ: ﴿بِٱلرُّوحِ﴾: مع الرُّوحِ، وهو جبريلُ عليه السَّلامُ(٢).

قولُه تعالى: ﴿أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ تقديرُه: أنذِرُوا المشركين العذابَ وبشِّروا المؤمنين؛ لأَنَّه لا إلهَ إلّا أنا.

وقيل: أنذِرُوا أهلَ الكفرِ والمعاصي بأنَّه لا إلهَ إلّا أنا؛ أي: مُرْهُم بالتَّوحيدِ.

والأوَّلُ أوجَهُ؛ لأنَّ قولَه: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ ممَّا يُبشَّرُ به.

وقيل: ﴿أَنذِرُوٓاْ﴾: أعلِمُوا، من قولِهم: نَذِرَ به؛ أي: عَلِمَ.

﴿فَٱتَّقُونِ﴾: فخافُوني.

***

(٣) ـ ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ﴾ لا بالباطلِ.

وقيل: معنى ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾: لتعبُدوني.

﴿تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾: تنزَّهَ عن أن يكونَ له شريكٌ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٦٢) بلفظ: «لا ينزل ملك إلا ومعه روح»، وفي رواية ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٧٦): «إنه لا ينزل ملك إلا ومعه روح كالحفيظ عليه، لا يتكلم ولا يراه ملك ولا شيء مما خلق الله».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ١٣)، والواحدي في «البسيط» (١٣/ ١٠). وفي «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٣٦٨): «روح القدس: جبريل عليه السَّلامُ».

(٤) - ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾؛ أي: نوعَ الإنسانِ ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾: مَنِيٍّ.

﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ قيل: هذا مدحٌ له؛ أي: قويٌّ على مُنازعةِ الخصومِ يُبيِّنُ الحقَّ منَ الباطلِ.

وقيل: هو ذمٌّ؛ أي: يُجادِلُ أولياءَ الله ويُنكِرُ الحقَّ.

وذكرَ الكلبيُّ أنَّها نزلَتْ في أُبيِّ بنِ خلَفٍ، أخذَ عظمًا باليًا ففتَّتَه فقالَ: مَن يُحيي العظامَ وهي رَميمٌ[1]؟

* * *

(٥) - ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ﴾: هي الإبلُ والبقرُ والغنَمُ ﴿فِيهَا دِفْءٌ﴾: ما يُدفِئُ فيَقِي البردَ منَ الأكسِيةِ والقُطُفِ وغيرِها.

وقيل: هو الملابسُ تمنعُ البردَ والحرَّ، واقتصرَ على ذكرِ أحدِ الضِّدَّين؛ كقولِه تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١].

وقيل: هو[2] البيوتُ المُتَّخَذةُ من أوبارِها وأشعارِها.

الكلبيُّ: دِفءُ أولادِها[3].

---

(١) ذكره عن الكلبي الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٧٩). وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢٦٦)، والثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ١٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٧٨) بلا نسبة.

(٢) في (و): «هي».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٧٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٥٥٠). وفي «مقاييس اللغة» لابن فارس (٢/ ٢٨٧) مادة: (د ف أ): «قال الأموي: الدفء عند العرب: نتاج الإبل وألبانها والانتفاع بها، وهو قوله جل ثناؤه: ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ﴾».

وقولُه: ﴿لَكُمۡ﴾ يجوزُ أن يتعلَّقَ بـ﴿خَلَقَهَا﴾، ويجوزُ أن يتعلَّقَ بما بعدَه؛ أي: ﴿لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ﴾ وهذا أظهرُ؛ لقولِه تعالى: ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَمَنَٰفِعُ﴾؛ أي: نسلُها ودرُّها وظهورُها.

﴿وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ﴾؛ أي: ومنها ما تأكلُون، وقيل: ومن لُحومِها تأكلُون.

* * *

(٦) ـ ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ﴾.

﴿وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ﴾: زينةٌ وحُسنُ منظرٍ؛ لأنَّ الإنسانَ يُعجَبُ به ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾: تردُّونَها من مَراعيها إلى مُراحِها بالعشيِّ ﴿وَحِينَ تَسۡرَحُونَ﴾: تُخرِجُونها بالغداةِ إلى مسارِحِها.

قتادةُ: أعجَبُ ما تكونُ الأنعامُ إذا راحَتْ عظامًا ضُروعُها طِوالًا أسنِمَتُها(١).

والسَّرْحُ: خروجُ الماشيةِ إلى المرعى بالغداةِ.

والإراحةُ: رُجوعُها منَ المَرعى عشِيًّا.

* * *

(٧) ـ ﴿وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾.

﴿وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ﴾: أمتعةَ السَّفرِ، وقيل: أحمالَكُم(٢).

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤٧٠)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٦٩).

(٢) في (و): «أعمالكم».

الجرجانيُّ[(١)]: أبدانكم، قال[(٢)]: ومنه: الثَّقَلانِ، للجنِّ والإنسِ، ومنه قولُه تعالى: ﴿أخرجت ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢] يعني: أبدانَ بني آدمَ[(٣)].

﴿إِلَىٰ بَلَدٍ﴾: هي المدينةُ. عكرمةُ: مكَّةُ[(٤)]. وقيل: مصرُ. وقيل: هو على العمومِ.

﴿لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾ القراءةُ بالكسرِ، وهو المشقَّةُ، والشِّقُّ: أحدُ نصفَي الشَّيءِ.

وقرأ يزيدُ: ﴿بشَقِّ الأنفس﴾ بالفتح[(٥)]، قيل: هما لُغتانِ، وقيل: الفتحُ مصدرُ شقَقْتُ الشَّيءَ بنصفَين، والكسرُ بمعنى: المشقَّةِ.

وذهبَ بعضُهم إلى أنَّ معناه: لم تكونوا بالِغيه إلّا بنصفِ النَّفْسِ لذهابِ نصفِها بالتَّعبِ؛ أي: بنصفِ قوى أنفُسِكُم[(٦)].

ومعنى: ﴿لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ﴾ لا تسيرونَ إليه إلّا بمشقَّةٍ شديدةٍ، فكيفَ كنتم تقدرون على نقلِ أمتعتِكُم؟!

وقيل إلا بشق الأنفس لولاها، فحُذِفَ: لولاها؛ لأنَّ الحالَ تدلُّ عليه[(٧)].

﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ومن رأفتِه خلَقَ لكم ما خلَقَ.

---

(١) كتب تحت هذه الكلمة في (ط): «صاحب النظم»، وليس المراد الإمام عبد القاهر الجرجاني، والعبارة غير موجودة في «درج الدرر».

(٢) «قال»: من (ن).

(٣) ذكر نحوه ابن فارس في «مقاييس اللغة» (١/ ٣٨٢)، ومكي في «الهداية» (٦/ ٣٩٥٣) بلا نسبة.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٧٠)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ١٥).

(٥) انظر: «النشر» (٢/ ٣٠٢). ويزيد: هو ابن القعقاع أبو جعفر أحد القراء العشرة.

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٩٩)، واستغربه.

(٧) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٨٠) بلفظ: «أنكم لولاها ما بلغتموه إلا بشق الأنفس»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٥٩٩)، وعدَّه من العجائب.

(٨) ـ ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ ﴾ هي عطفٌ على قولِه تعالى: ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ﴾.

﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾؛ أي: لتركبُوها ولتزَّيَّنوا بها، فحُذِفَ اللّامُ لأنَّ الأولى تدلُّ عليها.

وقيل: وجعَلَها زينةً.

قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: ولحمُ الخيلِ حرامٌ؛ لأنَّها للرُّكوبِ والزِّينةِ(١).

قال جابرٌ رضي الله عنهما: لحمُه حلالٌ، وقال: كنَّا نأكلُ لحمَ الخيلِ على عهدِ رسولِ الله عليه السَّلامُ(٢).

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٤٣٢٠)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٧٤)، ولفظ الطبري: «أنه سئل عن لحوم الخيل، فكرهها وتلا هذه الآية: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا ﴾». وذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٦/ ٤٧٨)، ثم عقبه بقوله: «وتمام هذا: أن الله ذكر الأنعام وما ذُكر من النِّعم والانتفاعِ بها، وبالغ في ذكرها؛ لأنه قال: ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ وقال: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ الآية، وقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ ﴾... فذكَر جميع ما يُنتفع به من أنواع المنافع ذكرًا شافيًا مبالغاً غير مَكْفي، فدل ما ذُكَر في الخيل من الركوب، وكذلك في البغال والحمير؛ على أنه ليس فيها منفعة أخرى سوى ما ذكر وهو الركوب؛ إذ خرج الذكر لها على المبالغة والاستقصاء؛ ليس على الاكتفاء، ولو كان هنالك منفعة أخرى لذكَر على ما ذكَر في غيره». والله أعلم.

(٢) رواه ابن المبارك في «مسنده» (١٨٢)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٨٧٣٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٤٣٢١)، والنسائي (٤٣٣٠)، وابن ماجه (٣١٩٧). وإسناده صحيح.

ويشهد له ما رواه البخاري (٥٥٢٠)، ومسلم (١٩٤١)، عن جابر: «نهى النبي ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر، ورخص في لحوم الخيل».

وروى أبو داود (٣٨٠٨) عن عمرو بن دينار، أخبرني رجل، عن جابر بن عبد الله، قال: نهى رسول الله ﷺ يوم خيبر عن أن نأكل لحوم الحمر، وأمرنا أن نأكل لحوم الخيل، قال عمرو: =

﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ بعد هذه الأشياءِ، فإنَّ خَلْقَ الله في البرِّ والبحرِ والهواءِ أكثرُ من أن يُعَدَّ ويُحصى، ورُوِيَ عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قال: «إنَّ الله تعالى خلقَ أرضًا بيضاءَ مثلَ الدُّنيا ثلاثينَ مرّةً محشوَّةً خَلْقًا من خَلْقِ الله، لا يعلمون أنَّ الله يُعصَى طرفةَ عينٍ واحدةٍ»، قالوا: يا رسولَ الله، أمِن ولدِ آدمَ؟ قال: «ما يعلمون أنَّ الله خلَقَ آدمَ» قالوا: فأينَ إبليسُ منهم؟ قال: «ما يعلَمون أنَّ الله خلَقَ إبليسَ»، ثمَّ قرأ رسولُ الله عليه السَّلامُ: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

مقاتلٌ: إنَّ عن يمينِ العرشِ نهرًا من نورٍ مثلَ السَّماواتِ السَّبعِ والأرضين السَّبعِ والبحارِ السَّبعِ يدخلُه جبريلُ عليه السَّلامُ كلَّ سحَرٍ، فيغتسلُ فيزدادُ نورًا إلى نورِه، وجمالًا إلى جمالِه، وعِظَمًا إلى عِظَمِه، ثمَّ ينفضُ فيُخرِجُ الله من كلِّ قطرةٍ تقعُ من ريشِه كذا وكذا ألفَ ملكٍ، يدخلُ منهم كلَّ يومٍ سبعون ألفَ ملكٍ البيتَ المعمورَ، وسبعون ألفًا الكعبةَ لا يعودون إليه إلى أن تقومَ السّاعةُ[2].

= فأخبرت هذا الخبر أبا الشعثاء، فقال: قد كان الحكم الغفاري فينا يقول هذا، وأبى ذلك البحرُ. يريد: ابن عباس.

وإسناده صحيح، والرجل المبهم هو محمد بن علي الباقر كما جاء بيانه في الحديث رقم (٣٧٨٨) عند أبي داود.

وذكر مسلم في «مقدمة صحيحه» (١/ ٣٢): عن جابر قال: «أطعمنا رسول الله ﷺ لحوم الخيل، ونهانا عن لحوم الحمر».

(١) ذكره المطهر بن طاهر المقدسي في «البدء والتاريخ» (٢/ ٧٣)، والسمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢٦٧)، والماوردي في «تفسيره» (٣/ ١٨١) دون سند ولا راو. قال المقدسي: والله أعلم بصحة الرواية.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٢٤)، والواحدي في «البسيط» (١٣/ ٢١) من طريق مقاتل عن الضحاك، وذكره الواحدي أيضاً من طريق عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما. وكلاهما من الأخبار التالفة التي لا يحتج بها، والذي صح منها هو في حديث المعراج المعروف كما رواه =

قال الشَّيخُ الإمامُ رحمَه الله: ويحتمِلُ[١] أنَّ السُّكوتَ عن تفسيرِ ما يقولُ الله عزَّ وجلَّ فيه: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أولى.

* * *

(٩) ـ ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ بيانُ طريقِ الحقِّ لكم وتبيينُه، والقَصدُ: الطَّريقُ المُستقيمُ.

﴿وَمِنْهَا﴾: منَ السَّبيلِ ﴿جَآئِرٌ﴾ عنِ الاستقامةِ مُعوَجٌّ.

مجاهدٌ: طريقُ الحقِّ على الله[٢].

ابنُ بحرٍ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ كقولِه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤][٣].

المُبرِّدُ: وعلى الله قَبولُ قصدِ الإسلامِ والرِّضا به.

﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ قيل: مِلَلُ الكفرِ، وقيل: أهلُ الأهواءِ والبِدَعِ.

وقيل: وعلى الله قَصدُ الحقِّ والحكمُ بينَ عبادِه، وفي مصحفِ عبدِ الله: (ومنكُم جائِرٌ)[٤].

= البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤): «فرفع لي البيت المعمور، فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه».

(١) «الإمام رحمه الله: ويحتمل»: من (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٧٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٧٨). وهو تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾.

(٣) ذكر المصنف نحوه في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ بلا نسبة.

(٤) ذكرها النحاس في «معاني القرآن» (٤/ ٥٨)، والثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٢٥). ورواها الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٧٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٧٨) عن قتادة عن ابن مسعود وذكر أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ٥١٠) أن قراءة عليٍّ: (فمنكم جائر).

﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ إلى قَصدِ السَّبيلِ، وقيل: لوَفَّقكم، وقيل: لأوصَلَكُم إلى الجنّةِ بغيرِ استحقاقٍ.

***

(١٠) - ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: منَ السَّحابِ، وقيل: من جانبِ السَّماءِ، وقيل: من سماءِ الملائكةِ إلى السَّحابِ ثمَّ إلى الأرضِ ﴿مَآءً﴾: مطرًا ﴿لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ﴾؛ أي: ماءٌ مشروبٌ ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ يُريدُ: ما يُنبِتُ المَرعى، وكلُّ ما يَنْبُتُ على الأرضِ فهو شجرٌ، وأنشدَ الزَّجّاجُ:

نعلِفُها اللَّحمَ إذا عزَّ الشَّجرْ
والخيلُ في إطعامِها اللَّحمَ ضررْ[١]

يُريدُ بالشَّجرِ: النَّباتَ.

وقيل: تقديرُه: لكم منه شرابٌ ومنه شربُ شجرٍ[٢].

﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾: ترعَونَ إبلَكُم، ومَواشيكم[٣].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٩٢)، والرجز للنمر بن تولب، كما في «ديوانه» (ص: ٧٧، ٧٨)، و«الحيوان» (٧/ ٨٤)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٢٩٩).

وروايـة الديوان: «نطعمها» بدل «نعلفها»، و«عَسَرْ» بدل «ضرر»، وفيه تقديم وتأخير في ترتيب الرجز. قال الأصمعي: يريد: نطعمها اللَّبَنَ، فسمى اللَّبَنَ لَحماً لِأَنَّها تَسْمَنُ على اللَّبن. انظر: «تهذيب اللغة» (٥/ ٦٩).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٠١)، واستغربه.

(٣) في (و): «إبلكم وشرب مواشيكم».

والسَّومُ: من السُّومةِ، وهي العلامةُ؛ لأنَّها تُؤثِّرُ في الأرضِ برعيِها علاماتٍ، وقد سبقَ.

***

(١١) - ﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.

﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ ﴾: الحبوبَ ﴿وَٱلزَّيۡتُونَ ﴾واحدُها[1]: زيتونةٌ ﴿وَٱلنَّخِيلَ ﴾: جمعُ نخلٍ كعبيدٍ ﴿وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: الفواكهِ، وحملُ كلِّ شجرةٍ ثمرتُها.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾: ينظُرونَ في حقائقِ الأشياءِ.

***

(١٢) - ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾: جعلَهما مُتعاقِبَين لتنتفِعُوا بهما، ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾: هيَّأهما لمنافعِ الخلقِ، ولولاهما ما كانَ نهارٌ ولا حيوانٌ ولا معايشُ، ﴿والنّجومَ مسخّراتٍ﴾ إنَّما أعادَ ذِكرَ المُسخَّرات لأنَّ المعنى: مُسخَّرةً لله، سخَّرَها لكم، ومَن رفعَها جعلَها استئنافًا[2].

---

(١) في (و): «جمع».

(٢) قرأ ابن عامر: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ والنُّجومُ مُسخَّراتٌ﴾ كلها بالرفع. وروى حفص عن عاصم مثل قراءة ابن عامر في ﴿والنُّجُومُ مُسَخَّراتٌ﴾ وحدهَا ونصب الباقي. وقرأ الباقون بنصب ذلك كله. انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٠)، و«التيسير» (ص: ١٣٧).

قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٠١): «من نصب عطفها على الأول، وأعاد المسخرات لأن المعنى: مسخرةً لله سخرها لكم، فهي نصب على الحال، ومن رفع الكل، جعل الواو للحال».

﴿بِأَمْرِهِۦٓ﴾: بصُنعِه وتقديرِه.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ لأنَّ بالعقلِ يُهتَدَى إلى دلائلِها، وجمعَ الآياتِ لتقدُّمِ المُسخَّراتِ، وكذلك الثَّانيةُ[1].

***

(١٣) ـ ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ﴾.

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ﴾؛ أي: خلقَه لكم، والذَّرْءُ: إظهارُ الشَّيءِ بإيجادِه، تقولُ: ذرأه يذرَؤُه ذَرْءًا، ومِلْحٌ ذَرْآنِيٌّ: ظاهرُ البياضِ.

﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓ﴾: أصنافُه، وقيل: ﴿أَلۡوَٰنُهُۥٓ﴾ منَ البياضِ والسَّوادِ.

وقيل: يُريدُ: الحيوانَ والجمادَ، فإنَّها كلَّها مُنتفَعٌ بها في الأطعمةِ والأشربةِ والأدويةِ والأمتعةِ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ﴾: يتَّعِظُون.

***

(١٤) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا﴾ يُريدُ به أنواعَ صيدِ السَّمكِ، ﴿وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا﴾: هي اللَّآلئُ تُنظَمُ فتصيرُ ملبوسًا.

---

(١) في حاشية (ط): «أراد بالثانية قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ﴾ ثم جمع فقال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ﴾ [النحل: ٧٩].

وقيل: اللُّؤلؤُ والمرجانُ.

﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ﴾: السُّفنَ ﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾: في البحرِ جوارِيَ.

والمَخْرُ: شقُّ الماء من يمينٍ وشمالٍ، وهي ماخرةٌ، والجمعُ: مواخِرُ.

وقيل: المَخْرُ: استدبارُ الرِّيحِ، ومنه قولُه: «استَمْخِرُوا الرِّيحَ، وأعِدُّوا النُّبَلَ»(١) يعني: عندَ البولِ.

وقيل: المَخرُ: صوتُ هُبوبِ الرِّيحِ إذا اشتدَّ الهبوبُ.

وقيل: المَخرُ: قطعُ الشَّيءِ والدُّخولُ فيه.

مقاتلٌ: ﴿مَوَاخِرَ﴾: مُقبِلةً ومُدبرةً بريحٍ واحدةٍ.

---

(١) رواه الخطابي في «غريب الحديث» (٢/ ٥٥٩) عن سُراقةَ أنه قال لقومه: إذا أَتَى أحدكم الغائطَ فلْيُكْرِمْ قِبلةَ الله ولا يَسْتَدْبِرْها ولْيَتَّقِ مجالسَ اللعن: الطريقَ والظلَّ، واستَمْخِرُوا الريح، واسْتَشِبُّوا على سُوقكم، وأَعِدُّوا النُّبَلَ.

وذكر له الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥١٩٨) قصة عن سراقة بن مالك بن جعشم: أنه كان إذا جاء من عند رسول الله ﷺ حدث قومه وعلمهم، فقال له رجل يوماً ـ وهو كأنه يلعب ـ: ما بقي لسراقة إلا أن يعلمكم كيف التغوط، فقال سراقة: «إذا ذهبتم إلى الغائط فاتقوا المجالس على الظل والطريق، خذوا النبل، واستنشبوا على سوقكم، واستجمروا وتراً». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٠٤): «إسناده حسن».

وسأل عنه ابن أبي حاتم أباه كما في «العلل» (١/ ٥٠٩) وساقه بسنده إلى سراقة بن مالك رضي الله عنه، فقال: «إنما يروونه موقوفاً، وأسنده عبد الرزاق بأخرة».

وروى أبو عبيد في «غريب الحديث» (١/ ٤١٨) عن واصل مولى أبي عيينة قال: كان يقال: «إذا أراد أحدكم البول، فليتمخر الريح»، وروى (١/ ٢١٠) بسنده عن الشعبي عمن سمع النبي ﷺ: «اتَّقوا الملاعن وأعدُّوا النُّبل». ومعنى «اسْتمخروا الريحَ»: اجعلوا الريحَ وَراءَ ظهوركم. والنُّبَل: حجارة الاستنجاء.

الحسَنُ: مواقِرَ(١).

الفرَّاءُ والأخفشُ: تشقُّ الماءَ بجُؤْجُئِها(٢).

وقيل: صوائِخَ(٣).

وقيل: مُعترِضةً.

﴿وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِۦ﴾: من سَعةِ رزقِه في التِّجارةِ والقصدِ إلى البلادِ الشَّاسعةِ.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾؛ أي: تشكُرونَ الله على ما أنعمَ به عليكم.

* * *

(١٥) ـ ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ الإلقاءُ عند بعضِ النَّحويِّين: من اللُّقْيَة؛ لأنَّ معنى الإلقاءِ: جَعلُ الشَّيءِ مماسًّا لغيرِه.

والرَّواسي: الثَّوابتُ، والمَيدُ: المَيلُ.

والمعنى: خلقَ الله في الأرضِ جبالًا كراهةَ أن تميدَ وتضطربَ بكم.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٨٦). والمواقر: ذوات الأحمال الثقيلة. انظر: «اللسان» مادة: (و ق ر).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٦٨)، وفيه: «ومخرها: خرقُها للماء إذا مرت فيه، واحدها: ماخرة». وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٣٠) عن عكرمة والفراء والأخفش بلفظ: «شواقّ تشقُّ الماء بجناحيها».

وذكره التوحيدي في «البصائر والذخائر» (٧/ ١٦٨) عن اليزيدي قال: «مخرت السفينة إذا شقّت الماء بجؤجؤها، والمواخر هي الشواقّ». والجؤجؤ من الطائر والسفينة: صدرهما، والجمع: الجآجي.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٣٠) عن أبي عبيدة.

وعند الكوفيِّين: لأنْ لا تميدَ بكم(١).

قال وهبٌ: لمَّا خلَقَ الله الأرضَ جعلَتْ تمورُ، فقالتِ الملائكةُ: إنَّ هذه غيرُ مُقِرَّةٍ أحدًا على ظهرِها، فأصبحَتْ قد أُرسِيَتْ بالجبالِ لـم تدرِ الملائكةُ ممَّ خُلِقَتِ الجبالُ(٢).

﴿وَأَنْهَٰرًا﴾؛ أي: وجعَلَ فيها الأنهارَ، جمعُ نَـهَرٍ.

﴿وَسُبُلًا﴾: طرُقًا ﴿لعلّكم تهتدون﴾ لمقاصدِكم، وقيل: لتهتَدوا إلى توحيدِ ربِّكم.

***

(١٦) ـ ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾.

﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾ ابنُ عيسى: العلامةُ: صورةٌ يُعلَمُ بها المعنى من خطٍّ أو لفظٍ أو إشارةٍ أو هيئةٍ(٣)، والمُرادُ بها هاهنا: معالِـمُ الطَّريقِ.

وقيـل: هـي الجبـالُ، وانتِصابُهـا علـى هـذا القـولِ بالعطـفِ علـى موضـعِ ﴿أَن تَمِيدَ﴾، وتقديـرُ الـكلامِ: ألقى رواسـيَ لئلَّا تميـدَ، ولتكونَ علامـاتٍ لطُرُقِكم بالنَّهارِ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٢٧)، و«إيضاح الوقف والابتداء» للأنباري (٢/ ٦٦٩).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٣١). ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤٧٩)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٩٠) عن الحسن. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٨٩) عن قيس بن عباد، وروي نحوه مرفوعًا رواه الترمذي (٣٣٦٩) بلفظ: «لما خلق الله الأرض جعلت تميد، فخلق الجبال، فقال بها عليها فاستقرت، فعجبت الملائكة من شدة الجبال...»، وقال الترمذي: «هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه».

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٣/ ٣٥) بلا نسبة، وذكره أبو حيان منسوباً لابن عيسى في «البحر المحيط» (٦/ ٥١٤).

وقيل: هي النُّجومُ[١].

﴿وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾؛ أي: في اللَّيلِ، ومَن جعلَ العلاماتِ النُّجومَ فكأنَّه قال: وبها هم يهتَدون، فصرَّحَ.

والنَّجمُ: اسمُ الجنسِ، والمُرادُ به الجميعُ.

وقيل: المُرادُ به هاهنا الجَدْيُ، وهو السَّابعُ من بناتِ النَّعشِ الصُّغرى، والفرقَدانِ الأوَّلانِ منها، وليس بالجَدْيِ الذي هو المنزلُ، وبعضُهم يُصغِّرُ هذا فيقولُ: جُدَيٌّ، فإنَّ ابنَ عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: سألتُ رسولَ الله عليه السَّلامُ عن قولِه تعالى: ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ قال: «هو الجَدْيُ يا ابنَ عبّاسٍ، عليه قبلتُكم، وبه تهتَدون في برِّكم وبحرِكم»[٢].

ورُوِيَ أيضًا: الجَدْيُ والفرقدانِ[٣].

قال قتادةُ: إنَّما خلقَ الله النُّجومَ لثلاثةِ أشياءَ: زينةً للسَّماءِ، ومَعالِـمَ للطُّرُقِ[٤]، ورُجوماً[٥] للشَّياطين، فمَن قالَ غير هذا فقد قال رأيَه، وتكلَّفَ ما لا علمَ له به[٦].

* * *

(١٧) - ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ﴾ وهو الله سبحانَه، وقد سبق ذكرُ بعضِ ما خلق الله في السُّورةِ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٠٢)، واستغربه.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٨٣)، والديلمي في «الفردوس» (٢٦٤٧).

(٣) كذا فسره الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٩٨).

(٤) في (و) و(ن): «زينة السماء، ومعالم الطرق»، وما في (ط) أقرب إلى مصادر التخريج.

(٥) في (ن): «رجوم».

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٩٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩١٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٠٣)، واستغربه.

﴿كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ وهو الصَّنمُ؛ فإنَّه جمادٌ مَواتٌ، وعبَّرَ عنه بـ(مَن) ازدواجًا للكلامِ وبناءً على زعمِ الكفَّارِ.

وقيل: معناه: أنَّ الحيَّ المميِّزَ الذي ليس بخالقٍ ليس كالَّذي هو خالقٌ، فكيف الجمادُ؟!

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فتعرِفُوا فسادَ ما أنتم عليه.

* * *

(١٨) ـ ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ المُرادُ بها: النِّعمُ، والمُضافُ قد يأتي للجنسِ(١).

﴿لَا تُحْصُوهَا﴾: لا يُمكِنُكم عدُّها لكثرتِها.

وقيل: ﴿لَا تُحْصُوهَا﴾: لا تُطيقوا أداءَ شُكرِها.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ﴾ لمَن قصَّرَ في شُكرِها ﴿رَّحِيمٌ﴾.

* * *

(١٩) ـ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾؛ أي: لا يخفى عليه شكرُ الشَّاكرِ وكفرُ الكافرِ.

* * *

(٢٠) ـ ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا﴾ لأنَّها مواتٌ عَجزةٌ ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ لأنَّها من جنسِ الأرضِ.

---

(١) لأن إضافة النكرة إلى المعرفة تفيد العموم إذا كانت اسم جنس. انظر: «كتاب الشعر» لأبي علي الفارسي (ص: ٤٨٤).

(٢١) ـ ﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾.

﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ﴾؛ أي: هي مَواتٌ ليس فيها أرواحٌ، وقولُه تعالى: ﴿غَيْرُ أَحْيَآءٍ ﴾ تأكيدٌ لنفيِ مجازٍ يُستعملُ، وهو أنَّ الحيَّ قد يُسمَّى ميّتًا نحوَ قولِه: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠]؛ أي: في حكمِ الأمواتِ(١).

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: لا يعلَمُ الكافرون متى يُبعَثون.

والثّاني: لا تعلَمُ الأصنامُ متى تُبعَثُ.

* * *

(٢٢) ـ ﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾.

﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ الخطابُ عامٌّ، والمعنى: معبودُكم المستحِقُّ للعبادةِ معبودٌ واحدٌ، وهو الله عزَّ وجلَّ.

﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ﴾ هم الكفّارُ ﴿قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ ﴾ لتوحيدِ الله غيرُ عارفةٍ به ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الإيمانِ بمحمَّدٍ واتِّباعِه.

* * *

(٢٣) ـ ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾.

﴿ لَا جَرَمَ ﴾: حقًّا ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾ محلُّه رفعٌ بالمصدرِ، وعند الزَّجّاجِ: ﴿لَا﴾ للرَّدِّ و﴿جَرَمَ﴾ فِعلٌ(٢).

---

(١) ذكر المصنف نحوه في «غرائب التفسير» (١/ ٦٠٣)، ونحوه قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، وقوله: ﴿طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ [الأنعام: ٣٨].

(٢) أي: حَقَّ أن الله يعلم ووَجَب. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٩٤).

(٢٤) ـ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم ﴾: لهؤلاءِ الكفّارِ: ﴿مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ﴾: ما الذي أنزلَه الله على محمَّدٍ؟ ﴿قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾؛ أي: ما دوَّنَتْه الأوائلُ في كتُبِهم، ومثلُه: ﴿قالوا أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا﴾ الآية [الفرقان: ٥].

قال الزَّجَّاجُ: (ما) مُبتدأةٌ، و(ذا) في معنى: الذي.

قال: و﴿أَسَٰطِيرُ﴾ مرفوعةٌ على الجوابِ؛ كأنَّهم قالوا: [الذي] أنزلَ أساطيرُ[١]؛ أي: الذي تَذكُرونَ أنتم أنَّه مُنزَّلٌ أساطيرُ الأوَّلينَ؛ أي: أكاذيبُ الأوَّلين.

قال الشَّيخُ رحمَه الله: ويحتمِلُ وجهًا آخرَ، وهو أنَّهم أعرَضُوا عن الجوابِ إنكارًا للإنزالِ، وقالوا: هو أساطيرُ الأوَّلين، بخلافِ قولِ المُؤمنين فإنَّهم قالوا: في الجوابِ: ﴿خَيْرًا ﴾؛ أي: أنزلَ خيرًا، كما في الآيةِ بعدَها[٢].

***

(٢٥) ـ ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾.

﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ ﴾ اللّامُ لامُ العاقبةِ؛ أي: مآلُ فعلِهم هذا العذابُ.

قال الشَّيخُ رحمه الله: ويحتمِلُ أنَّه لامُ الأمرِ، ومثلُه في المعنى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾ [العنكبوت: ١٣].

وقولُه تعالى: ﴿أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً ﴾؛ أي: آثامَهم تامَّةً لا ينقُصُ شيءٌ منها بالتَّوبةِ والحسناتِ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٩٤)، وما بين معكوفتين منه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٠٤)، واستغربه.

﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ لأنَّهم تسبَّبوا إلى ضلالتِهم، فللمُضِلِّين مثلُ وزرِ الضّالِّين من غيرِ أن ينقصَ من أوزارِهم[١] شيءٌ.

وقيل: للضَّالِّين مثلُ وزرِ المُضلِّين لطاعتِهم، حكاه أقضى القُضاةِ[٢].

قولُه تعالى: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: بتقليدٍ من غيرِ استدلالٍ.

وقيل: بغيرِ علمٍ بما تحمَّلُوه من أوزارِ الضّالِّين.

﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾: ﴿سَاءَ﴾ يجري مَجرى (بئسَ)[٣]، و﴿مَا يَزِرُونَ﴾ محلُّه رفعٌ؛ لأنَّه فاعلُ ﴿سَاءَ﴾، والمذمومُ محذوفٌ دلَّ عليه ما قبلَه.

* * *

(٢٦) - ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ﴾ جمهورُ المُفسِّرين على أنَّ المُرادَ به نُمْرُودُ بنُ كنعانَ حين رامَ صُعودَ السَّماءِ بفراخِ النُّسورِ، فعجزَ عن ذلك على ما سبقَ آخرَ سورةِ (إبراهيم)، بنى الصَّرحَ ببابلَ ورامَ منه الصُّعودَ إلى السَّماءِ ينظرُ إلى إلهِ إبراهيمَ.

قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كان طولُ الصَّرحِ في السَّماءِ خمسةَ آلافِ ذراعٍ[٤].

---

(١) في (ن): «وزرهم».

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٣/ ١٨٤).

(٣) فهو في هذا السياق فعل جامد الإنشاء والذم. انظر: «المقتضب» للمبرد (٢/ ١٥٠)، و«المفصل» للزمخشري (ص: ٣٦٢).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٣٧).

مقاتلٌ وكعبٌ: كان طولُه فرسخَين، فهبَّتْ ريحٌ وألقَتْ رأسَ الصَّرْحِ في البحرِ، فخرَّ عليهم[١] الباقي، وائْتَفَكتْ بيوتُهم، فأحدَثَ نُمْرُودُ، وتبَلْبَلَتْ ألسُنُ النَّاسِ يومئذٍ منَ الفزعِ، فتكلَّموا بثلاثةٍ وسبعين لسانًا، ولذلك سُمِّي بابلَ، وإنَّما كان لسانُ النّاسِ قبلَ ذلك بالسُّريانيّةِ، وبلاهُ الله في نفسِه ببعوضةٍ دخلَتْ دماغَه وكبِرَتْ فيه، فمكَثَ في ذلك أربعَ مئة سنةٍ، تُضرَبُ رأسُه بالمطارقِ[٢].

وذهبَ بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّ المُرادَ[٣] به بُخْتَنَصَّرُ.

وذهبَ ابنُ بحرٍ والزَّجَّاجُ: إلى أنَّ هذا مَثَلٌ؛ جُعِلَتْ أعمالُهم التي عملوها بمنزلةِ الباني بناءً يسقطُ عليه، فمَضرَّةُ عملِهم كمضرَّةِ بناء الباني إذا سقَطَ عليه[٤].

قولُه تعالى: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾: قلَعَه من أصلِه، وأتاه بأنْ أزالَه.

والبنيانُ: مصدرُ بنَيتُ، والقواعدُ: جمعُ قاعدةٍ.

المُبرِّدُ: قصدَ لإهلاكِه منَ الأساسِ، وقيلَ: منَ الأساطينِ[٥].

---

(١) في (و): ﴿وألقي عليهم﴾.

(٢) ذكره عنهما الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٣٧)، وانظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٤٦٥)، وهذا من خرافات الإسرائيليات. وقال أبو العلاء المعري في «اللامع العزيزي» (ص: ١٠٠٤): «وأصحاب الكتب القديمة كاليهود ومن اتبعهم يذكرون أن قوماً اجتمعوا لبناء صرح يبلغون به إلى السماء، فأصبحوا وقد تبلبلت ألسنتهم؛ أي: افترقت، وكانوا قبل ذلك يتكلمون بلسان واحد، وأن سبب اختلاف الألسن هو هذا الحديث والمعقول يشهد بأنه كذب، و(بابل) ليست في (لفظة البلبلة)».

(٣) في (ن): «إلى أنه أراد».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٩٥).

(٥) جمع: أسطوانه، وهي العمود، وهي على وزن أفعوالة، وقد ذكر عن الفراء أن هذه الكلمة لا نظير لها في كلام العرب. انظر: «تهذيب اللغة» مادة: (س ط ن) (١٢/ ٢٣٧).

﴿فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ﴾: أعلى البيوتِ ﴿مِن فَوۡقِهِمۡ﴾؛ أي: كانوا تحتَها، وقيل: أتاهم العذابُ منَ السَّماءِ، ﴿وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾؛ أي: من مأمَنِهم.

* * *

(٢٧) ـ ﴿ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُخۡزِيهِمۡ وَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ إِنَّ ٱلۡخِزۡيَ ٱلۡيَوۡمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

﴿ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُخۡزِيهِمۡ﴾: يُهينُهم ويفضَحُهم على رؤوسِ الخلائقِ ويُعذِّبُهم بأنواعٍ منَ العذابِ سوى ما عُذِّبوا به في الدُّنيا.

﴿وَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تُشَٰٓقُّونَ﴾؛ أي: النَّبيَّ والمُؤمنينَ ﴿فِيهِمۡ﴾؛ أي: تُخالفونَهم، وقيل: تُعادُونَهم، وقيل: تُحارِبون، والأصلُ أن يكونوا في شقٍّ غيرِ شقِّ المؤمنين.

وقرأ نافعٌ بكسرِ النُّونِ[1]، وتقديرُه: تُشاقُّونَني، فحُذِفَ النُّونُ الأولى تخفيفًا، قال:

يسوءُ الفالياتِ إذا فَلَيْني[2]

(١) وقرأ الباقون: ﴿تُشَٰٓقُّونَ﴾ بفتح النون. انظر: «السبعة» (ص: ٣٧١)، و«التيسير» (ص: ١٣٧).

(٢) عجز بيت لعمرو بن معد يكرب، وصدره:

تَـرَاه كالثَّغَـامِ يُعَـلُّ مِسـكاً

انظر: «ديوان عمرو بن معد يكرب» (ص: ١٨٠)، و«الكتاب» (٣/ ٥٢٠)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٩٠)، و«معاني القرآن» للأخفش (١/ ٢٥٤)، و«الحجة» للفارسي (٣/ ٣٣٤) و(٥/ ٤٦).

وقول المؤلف: «فحذف النون الأولى» مخالف لقول أبي علي، حيث قال في قراءة نافع: (فبم تبشرونِ) بكسر النون: «حذف النون الثانية؛ لأنّ التكرير بها وقع، ولم يحذف الأولى التي هي علامة الرفع، وقد حذفوا هذه النون في كلامهم؛ لأنّها زائدة، ولأنّ علامة الضمير الياء دونها». وقد أشار أبو علي لهذا ـ أعني: حذف النون الثانية ـ عند هذه القراءة أيضاً. =

أي: فلينَني، فحُذِفَ تخفيفًا.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ يعني: الملائكةَ. الحسَنُ: المؤمنين[(١)].

﴿إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ﴾: الذِّلَّةَ ﴿وَٱلسُّوٓءَ﴾: العذابَ ﴿عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾.

***

(٢٨) ـ ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾: تقبضُ أرواحَهم بأمرِ الله.

الحسنُ: تتوفَّاهُم إلى النَّارِ؛ أي: تحشُرُهم إليها[(٢)].

والمُتوفِّي هو الله سبحانَه وتعالى، لقولِه تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] وليس بينهما تَنافٍ؛ لأنَّ الملائكةَ يتولَّون ذلك بأمرِ الله، فجازَ إسنادُه إلى الله لأنَّه بأمرِه وقدرتِه، وجاز إضافتُه إلى الملائكةِ لكونِهم مُباشِرين لذلك.

وقيل: أسبابُ التَّوفِّي بالملائكةِ، وإتمامُ التَّوفِّي بالله سبحانَه.

﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾؛ أي: وهم قد ظلَموا أنفُسَهم.

عكرمةُ: نزلَتْ في قومٍ أسلَمُوا بمكَّةَ ولـم يُهاجِروا، فأخرَجَهم قُريشٌ إلى بدرٍ

= وكذا في البيت اتفقوا على أن الحذف للنون الثانية، ذكر ذلك الأخفش وأبو علي وقال ابن السيرافي في «شرح أبيات سيبويه» (٢/ ٢٦٥): «الشاهد فيه أنه حذف إحدى النونين، والمحذوفة التي مع الياء، والأولى لا يجوز حذفها؛ لأنها ضمير الفاعلات، والفاعل لا يجوز حذفه».

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢٧١)، والثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٣٨)، والواحدي في «البسيط» (١٣/ ٤٩)، جميعهم بلا نسبة.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٤٨٦).

كرهًا فقُتِلوا(١). ومعنى ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾: في مُقامِهم بمكّةَ وتركِهم الهجرةَ.

﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ﴾: الصُّلحَ.

الأخفشُ: الاستسلامَ(٢).

مُقاتلٌ: الخضوعُ(٣).

والمعنى: انقادوا له حين عايَنوا الموتَ قد نزَلَ بهم.

وقيل: معناه: لـمَّا عايَنُوا وزالَ شكُّهم أظهَروا الإيمانَ والإسلامَ، وهو إلقاءُ السَّلَمَ والخروجُ منَ العداوةِ.

﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ﴾؛ أي: يقولون للملائكةِ: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ﴾؛ أي: من كُفرٍ ومعصيةٍ، وقيل: معناه: ﴿مِن سُوٓءٍ﴾ في مُعتَقَدِنا؛ لأنَّا لو علِمْنا الكفرَ سوءًا ما اختَرْناه، والقيامةُ لا نكذبُ فيها.

﴿بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: فتُجيبُهم الملائكةُ: بلى كنتُم كافرين، والله يعلَمُ كُفرَكُم ومعاصِيَكُم.

* * *

(٢٩) - ﴿فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

﴿فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ قيل: درَكاتِها، وقيل: أصنافَها، كما يُقالُ: فلانٌ ينظرُ في بابٍ منَ العلمِ؛ أي: صِنْفٍ.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٤٠)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٠٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٣٧). ورواه بنحوه البخاري (٧٠٨٥) من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، لكن في نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧].

(٢) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ١٨٠).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٤٦٦).

وقيلَ: هذا عامٌّ لأصنافِ الكافرين كقولِه تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤].

وقيلَ: المُرادُ به عذابُ القبرِ، فقد جاء في الخبرِ: «القبرُ روضةٌ من رياضِ الجنّةِ، أو حُفرةٌ من حُفَرِ النّارِ»(١).

وقيل: يُخاطَبونَ به عند البعثِ.

﴿خَٰلِدِينَ﴾؛ أي: ناوين الخلودَ(٢) ومُقدِّرين ﴿فِيهَا﴾: في جهنَّمَ. وقيل: في الأبوابِ؛ فيمَن جعلَها الدَّركاتِ وألوانَ العذابِ.

﴿فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾: المُتعظِّمين من اتِّباعِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ جهنَّمُ(٣) وأبوابُها.

* * *

(٣٠ ـ ٣١) ـ ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ يعني: المؤمنين من أهلِ مكّةَ.

﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾ على محمَّدٍ ﴿قَالُوا۟ خَيْرًا﴾؛ أي: أنزَلَ خيرًا، وهو القرآنُ الجامعُ لجميعِ الخيراتِ.

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٦٠) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وقال: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه».

(٢) في (ط): «الخلد»، ولكن كتب تحتها: «الخلود».

(٣) (جهنم) مخصوص بالذم، فهي مبتدأ مؤخر أو خبر لمبتدأ محذوف.

وقيل: ﴿خَيْرًا﴾: ثوابًا لمَن آمنَ باللهِ.

ولو قُرِئَ: (خيرٌ) بالرَّفعِ على تقديرِ: الذي أنزَلَه خيرٌ؛ لكانَ له وجهٌ[١]، ولكنْ لمَّا كان الرَّفعُ يحتملُ وجهَين على ما ذكرتُ صارَ إلى الوجهِ الذي لا يحتمِلُ إلّا وجهًا واحدًا.

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: آمنوا وعملوا الصَّالحاتِ، وقيل: قالوا: لا إلهَ إلّا اللهُ ﴿حَسَنَةٌ﴾: ثوابٌ مُضاعَفٌ. وقيل: أمنٌ وغنيمةٌ وأهلٌ ومالٌ. وقيل: هو بدلٌ من (خير)[٢]. وقيل: استئنافٌ.

﴿وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ﴾: النَّشأةُ الآخرةُ، وقيل: الحياةُ الآخرةُ ﴿خَيْرٌ﴾ منَ الدّارِ الدُّنيا، وقيل: الجنّةُ خيرٌ منَ النّارِ.

﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ الدّارُ الآخرةُ.

وقيل: ولنعمَ دارُ المتَّقين الدُّنيا يتزوَّدون فيها للأُخرَى.

وقيل: ولنعمَ دارُ المتَّقين ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾.

وقيل: هي جنّاتُ عدنٍ.

وقيل: رفعٌ بالابتداءِ ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ خبرُه.

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾؛ أي: منابعُها من تحتِ أشجارِها، وقد سبقَ.

﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ﴾: يشتَهون ﴿كَذَٰلِكَ﴾: مثلَ هذا الجزاءِ ـ وهو الجنّةُ ـ ﴿يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

* * *

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٩)، وللأخفش (١/ ٦٠).

(٢) أي: قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾ وما بعده بدلٌ من ﴿خَيْرًا﴾ حكايةً لقول الذين اتَّقوا؛ أي: قالوا هذا القولَ، فقدَّم عليه تسميتَه خيراً ثمَّ حكاه. انظر: «الكشاف» (٢/ ٦٠٣).

(٣٢) - ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾: مُؤمنين.

ابنُ عيسى: صالحين بأعمالِـهم الحسنةِ.

وقيل: ﴿طَيِّبِينَ﴾: فرِحين ببشارةِ الملائكةِ إيَّاهُم بالجنَّةِ[1].

وقيل: طيَّبَ الله أنفُسَهم بنظافةِ الإيمانِ وطهارةِ الإسلامِ.

مجاهدٌ: هم طيِّبون إذا ناموا أحياءً، وإذا ماتوا قدَّرَ اللهُ لهم ذلك[2].

﴿يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾؛ أي: تقولُ الملائكةُ.

والسَّلامُ: تبشيرٌ بالجنَّةِ. وقيل: إعلامٌ بالموتِ.

﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ قيل: معناه: أبشِروا بالجنَّةِ، وقيل: يُقالُ لهم في الآخرةِ: ادخلوا الجنَّةَ.

﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: بسببِ عملِكم، وقيل: بدلَ عملِكم.

* * *

(٣٣) - ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾؛ أي: ما ينتظِرُ الكفَّارُ الذين تقدَّمَ ذِكرُهم؟ والمعنى: يلحقُهم لا محالةَ لحوقَ المنتظَرِ وإنْ لم يكونوا مُنتظِرين.

---

(١) في (و): «الجنة».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢١٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٨٢).

﴿إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يُريدُ: لقبضِ أرواحِهم ﴿أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَ﴾ يعني: يومَ القيامةِ.

الزَّجَّاجُ: ﴿أَمۡرُ رَبِّكَ﴾: عذابُه الذي أوعَدَهُم وتأخَّرَ عنهم(١).

وقيل: تأتيهم الملائكةُ بما وعدَهم منَ العذابِ يومَ القيامةِ، ويأتي أمرُ ربِّك بذلك، فيكونُ ﴿أَوۡ﴾ بمعنى (الواو) على هذا القولِ.

﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ استَبْطَؤوا العذابَ كاستِبطاءِ هؤلاءِ. وقيل: انتظروا انتظارَ هؤلاءِ. وقيل: كفَرُوا كفرَ هؤلاءِ.

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ بكفرِهم ومعصيتِهم.

***

(٣٤) ـ ﴿فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾.

﴿فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ﴾؛ أي: جزاءُ أعمالِهم السَّيِّئةِ، وفيه تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: فأصابَهم سيِّئاتُ ما كسَبُوا وما ظلَمَهُم الله.

﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾: وأحاطَ بهم جزاءُ استهزائِهم.

والحَيْقُ: الإحاطةُ بالشَّيءِ، لا يُستعملُ إلّا في الشَّرِّ(٢).

***

(٣٥) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ﴾؛ أي: ما أشركْنا

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٩٦).

(٢) في (و): «للشر». وقد ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٤/ ٤٢٧)، ونسبه للضحاك.

بعبادةِ الأوثانِ ﴿نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ﴾ يعني: السّائبةَ والوصيلةَ وغيرَها. وللمُفسِّرين في هذا قولانِ:

أحدُهما: مذهبُ السُّنَّةِ والجماعةِ: وهو أنَّهم قالوا هذا الكلامَ استهزاءً[1]، ولو قالوه اعتقادًا لكان إيمانًا.

والثّاني: أنَّهم فعلوا خلافَ ما شاءَ الله تعالى[2]، وليس هذا المذهبَ.

﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾؛ أي: كذَّبوا الرُّسلَ وحرَّموا الحلالَ وقالوا مثلَ قولِهم استهزاءً.

﴿فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ (البلاغُ) بمعنى: الإبلاغِ، كالطّاعةِ والجابة والطّاقةِ[3].

وقيل: (البلاغُ) مصدرُ بلَغَ بُلوغًا وبلاغًا، وإذا بلَّغَ الرَّسولُ فالإيمانُ به واجبٌ.

والبلاغُ يأتي بمعنى: البُلغةِ، وهو الاجتِزاءُ في الوصولِ إلى الشَّيءِ.

***

(٣٦) ـ ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا﴾ قيل: هذا عامٌّ في كلِّ الأممِ؛ لأنَّ مَن بلغَتْه دعوةُ نبيٍّ وخبرُ شرعِه فقد بلَّغَه النَّبيُّ.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٥٠١).

(٢) وهذا هو مذهب المعتزلة. انظر: «الكشاف» للزمخشري (٢/ ٦٠٤).

(٣) الطاقة: اسم من الإطاقة، كالطاعة من الإطاعة، والجابة من الإجابة، وهي توضع موضع المصدر. انظر: «البسيط» للواحدي (٤/ ٥٤٠).

يُريدُ: كما بُعِثْتَ إلى أمَّتِكَ. وقيل: أرادَ بها: الأممَ المُهلَكَةَ.

﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾؛ أي: بأنْ وحِّدوه ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾: الشَّيطانَ وكلَّ ما يُعبَدُ من دونِ الله، مُشتقٌّ منَ الطُّغيانِ؛ أي: تباعَدوا من إغوائِه.

﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ﴾: وفَّقَهم للإيمانِ، وهم المؤمنون.

﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ بالقضاءِ السّابقِ، فحادَ عن قصدِ السَّبيلِ.

وقيل: حقَّتْ عليهم: وجَبَتْ(١).

فالضَّلالُ هاهنا: العذابُ. وقيل: الضَّلالُ عن طريقِ الرَّحمةِ.

﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ خطابٌ لأمّةِ محمَّدٍ عليه السَّلامُ ﴿فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ قومِ عادٍ وثمودَ(٢) وغيرِهم.

وقيل: معنى ﴿سيروا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: اقرؤوا القرآنَ فتعرَّفُوا كيفَ حالُ عاقبتِهم.

***

(٣٧) - ﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾.

﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ﴾: إن تطلُبْ هُداهُم أشدَّ الطَّلَبِ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّ﴾؛ أي: مَن أضلَّه الله بخُذلانِه لا يُوفِّقُه لهدايتِه.

وقيل: ﴿لَا يَهۡدِي﴾؛ أي: لا يهتَدي(٣).

---

(١) في (ن): «وقيل: حقت: وجب عليه العذاب».

(٢) في (ن) زيادة: «وصالح».

(٣) فهو على هذا لازم، و﴿مَن﴾ فاعله، وضمير الفاعل في ﴿يُضِلُّ﴾ لله تعالى، والعائد محذوف؛ أي: من يضله. انظر: «روح المعاني» (١٤/ ١٠٨).

وهذا القول ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٠٥)، واستغربه.

وقُرِئَ: ﴿لا يُهْدَى﴾(١)؛ أي: مَن يُضِلُّه لا يُهدَى؛ أي: لا يهديه أحدٌ؛ كقولِه تعالى: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ﴾ [الأعراف: ١٨٦].

﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: مَن ينصرُهم من عذابِ الله ويمنعُهم عنه.

* * *

(٣٨) - ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ في سببِ النُّزولِ: قال الرَّبيعُ بنُ أنسٍ عن أبي العاليةِ: كانَ لرجلٍ على رجلٍ من المُشركين دَينٌ، فأتاه يتَقاضاه، فكان فيما يتكلَّمُ به: والذي أرجوه بعدَ الموتِ، فقال المشركُ: وإنَّك لَتزعمُ أنَّك تُبعَثُ بعد الموتِ؟ فأقسَمَ بالله لا يَبعثُ الله مَن يموتُ، فأنزَلَ الله هذه الآيةَ(٢).

أي: حلَفُوا بأغلَظِ الأيمانِ، وهو ما ليس فوقَه مزيدٌ.

وقيل: جَهْدُ اليمينِ: ما ليس باللَّغوِ.

﴿لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾: لا يُحيي الله أحدًا بعدَ موتِه.

قالَ قتادةُ: ذُكِرَ لنا أنَّ رجلًا قال لابنِ عبَّاسٍ: إنَّ ناسًا منَ العراقِ يزعُمون أنَّ عليًّا مبعوثٌ قبل يومِ القيامةِ، ويتأوَّلون هذه الآيَةَ، فقال ابنُ عبّاسٍ: كذَبَ ابنُ الإماءِ،

---

(١) قرأ الكوفيون: ﴿لَا يَهْدِى﴾ بفتح الياء وكسر الدال، والباقون بضم الياء وفتح الدال. انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٢)، و«التيسير» (ص: ١٣٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٢٠)، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٧٩)، وعنه نقل المصنف.

إنَّ هذه الآيةَ عامّةٌ للنّاسِ، ولو كان عليٌّ مبعوثًا قبلَ يومِ القيامةِ ما أنكَحْنا نساءَه، ولا قسَمْنا ميراثَه[٣].

﴿بَلَىٰ﴾ إثباتٌ لِـمَا نفَوه؛ أي: لَيبعَثنَّ، وقيل: قلْ[٤] يا محمَّدُ: ﴿بَلَىٰ﴾.

﴿وَعْدًا﴾؛ أي: وعَدَ ذلك وَعْدًا ﴿عَلَيْهِ﴾ قيل: منه، وقيل: عليه إنجازُه ﴿حَقًّا﴾ وصفٌ للوعدِ. والوعدُ الحقُّ: ما قُرِنَ بالإنجازِ.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّه وعدٌ لا يأتي عليه خُلْفٌ.

ورَوَى الثَّعلبيُّ في «تفسيرِه» أنَّ في الخبرِ: «إنَّ الله تعالى يقولُ: كذَّبَني ابنُ آدمَ ولـم يكُنْ له أن يُكذِّبَني، وشتَمَني ابنُ آدمَ ولـم ينبغِ له أن يشتُمَني، فأمَّا تكذيبُه إيّاي فحَلِفُه أنّي لا أبعثُ الخلقَ، وأمّا شتمُه[٥] إيّاي فقولُه: اتَّخذَ الله ولدًا، وأنا الواحدُ الصَّمدُ، لـم ألِدْ ولـم أُولَدْ، ولم يكُنْ لي كفُوًا أحدٌ»[٦].

***

(٣٩) - ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ﴾.

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ﴾ بلى بعثَهم ليَظهرَ لمُنكِري البعثِ والمُقسِمين[٧] صحَّةُ ما اختلَفُوا فيه، وليعلَمُوا كونَهم كاذِبين.

---

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤٨٤)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢١٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٠٥٠).

(٤) في (و): «ليبعثن وقل».

(٥) في (و): «سبه».

(٦) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٦/ ٤٤)، والحديث رواه البخاري (٤٩٧٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه البخاري أيضاً بنحوه (٤٤٨٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٧) في (ن): «المقتسمين»، والمثبت من (و) و(ط).

وقيل: اللَّامُ متَّصلٌ بقولِه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ﴾.

ثمَّ ذكرَ سُهولةَ البعثِ عليه فقالَ:

(٤٠) - ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ هذا عبارةٌ عنِ التَّكوينِ، وقد سبقَ بيانُه في (البقرةِ).

***

(٤١) - ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْأٓخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ الآية، في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلَتْ في أصحابِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ بمكَّةَ: بلالٍ وصُهَيبٍ وخبَّابٍ وعمَّارٍ وعابسٍ وأبي جندلِ بنِ سُهَيلٍ[١]، أخذَهم المشركون بمكَّةَ فعذَّبوهم وآذَوهم، فبوَّأهم الله المدينةَ بعد ذلك[٢].

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾: فارَقُوا أوطانَهم ﴿فِي ٱللَّهِ﴾: في ذاتِ الله وابتغاءَ دينِه ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾؛ أي: ظلَمَهم قُرَيشٌ وعذَّبوهم[٣] ليرتدُّوا عنِ الإيمانِ.

---

(١) في النسخ الخطية: «وأبي جندل وسهيل»، والمثبت من مصدري التخريج.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٤٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٧٩).
ورواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٢٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٨٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما دون تسميتهم فقال: «والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا قال: إنهم قوم من أهل مكة، هاجروا إلى رسول الله ﷺ بعد ظلمهم، ظلمهم المشركون».
وروى عبد الرزاق في «مصنفه» (١٤٨٦)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٢٥) عن عن داود بن أبي هند، قال: «نزلت في أبي جندل بن سهيل».

(٣) في (ن): «وعذبهم».

﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: لنهيِّئَنَّ لهم مسكنًا يرضونَه، والجمهورُ على أنَّها المدينةُ.

مجاهدٌ: لنرزُقنَّهم رزقًا هنيئًا(١).

ورُوِيَ أنَّ عمرَ رضي الله عنه كان إذا أعطى الرَّجُلَ منَ المُهاجرين عطاءَه قال له: خُذْ بارَكَ الله لك فيه، هذا ما وعدَكَ الله في الدُّنيا، وما ذُخِرَ لك في الآخرةِ أفضلُ، ثمَّ تلا هذه الآيةَ(٢).

الزَّجَّاجُ: هو أنَّهم صاروا مع النَّبيِّ عليه السَّلامُ إلى الإسلامِ، وإلى أنْ سمِعُوا ثناءَ الله عليهم(٣).

وقيل: أسكنَهم المدينةَ، ورزقَهم الغنيمةَ.

وقيل: هي النُّصرةُ على العدوِّ.

وقيل: هي لسانُ الصِّدقِ.

وقيل: هي ما استولَوا عليه منَ الفُتوحِ.

﴿وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ جوابُ (لو) محذوفٌ.

* * *

(٤٢) ـ ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ على أذى الكفَّارِ ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: فوَّضُوا الأمرَ إلى ربِّهم ورضُوا بما ينالُهم في دينِ الله.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٢٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٨٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٢٤)، وذكره النحاس في «معاني القرآن» (٤/ ٦٧)، والثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٤٦).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٠٠).

(٤٣) - ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ في سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلَتْ في مُشركي مكَّةَ، أنكَرُوا نُبوَّةَ محمَّدٍ عليه السَّلامُ وقالوا: اللهُ أعظَمُ من أن يكونَ رسولُه بشرًا، فهلّا بعَثَ إلينا ملَكًا[1]، فهذا جوابٌ لهم.

ثمَّ قالَ: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ﴾: أصحابَ التَّوراةِ والإنجيلِ والزَّبورِ.

وقيل: العلماءَ بأخبارِ مَن سلَفَ.

ابنُ زيدٍ: ﴿أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ﴾: أهلَ القرآنِ[2].

﴿إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

* * *

(٤٤) - ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: بالمُعجِزاتِ. وقيل: بالحلالِ والحرامِ ﴿وَٱلزُّبُرِ﴾: الكتُبِ.

وفي الباءِ قولانِ:

أحدُهما: أنَّه مُتَّصلٌ بقولِه: ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾؛ أي: وما أرسلنا من قبلِكَ بالبيِّناتِ والزُّبرِ إلّا رجالًا، وفيه ضَعفٌ؛ لحيلولةِ الاستثناءِ بينهما[3].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٢٨)، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٧٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٢٨)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ١٠٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٨٩).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٠٦)، واستغربه، وانظر: «إعراب القرآن» للباقولي (٢/ ٧٢٣)، و«التبيان» للعكبري (٢/ ٧٩٦).

فذهبَ بعضُ النُّحاةِ إلى أنَّ ﴿إِلَّا﴾ هاهنا وصفٌ كـ(غير)، كما في قولِه تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [الأنبياء: ٢٢][1].

والثَّاني: أنَّه متَّصلٌ بمحذوفٍ تقديرُه: إلّا رجالًا أُرسِلُوا بالبيِّناتِ والزُّبرِ، فيكونُ وصفًا للرِّجالِ، والمعنى: إن كنتم لا تعلمون فإنَّهم يُعلِمُونكم أنَّ الله لم يبعَثْ إلى أمّةٍ إلّا آدميًّا رجلًا.

وقال القُرطيُّ: قال رسولُ الله عليه السَّلامُ: «لا يحلُّ للعالمِ إلّا أن يبذُلَ علمَه، ولا يحلُّ للجاهلِ إلّا أن يتعلَّمَ» ثمَّ تلا: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣][2].

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾: القرآنَ. وقيل: العلمَ.

﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ بلسانِ العربِ ﴿مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ منَ الأحكامِ والمواعظِ ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيعلَمُوا أنَّه كلامُ الله.

* * *

(٤٥) ـ ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: احتالوا لهلاكِ الأنبياءِ.

وقيل: ظلَموا أصحابَ رسولِ الله عليه السَّلامُ وراموُا صدَّهُم عن دينِهم.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٠٦)، وعدَّه من العجائب.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٥٣١) بلفظ: «لا يحل لعالم أن يسكت على علمه، ولا لجاهل أن يسكت على جهله، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الآية، وقال عز وجل: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾». وذكر نحوه الزمخشري في «الكشاف» (١/ ٤٥١).

﴿أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ كما فُعِلَ بقومِ لوطٍ. وقيل: كما فُعِلَ بنُمْرُوْدَ. وقيل: يَغُوروا في الأرضِ فيَهلِكوا.

﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بغتةً من غيرِ سابقةٍ ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ﴾: مجيئِهم وذهابِهم في ديارِهم وأسفارِهم ﴿فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ جنودَ الله. تقولُ: أعجزَه: وجدَه عاجزًا، وأعجزَه: جعلَه عاجزًا[١].

***

(٤٦) ـ ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾.

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ﴾: يُهلِكَهم ويُعذِّبَهم ﴿عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾: مُطاوِعُ: خوَّفتُه. تقولُ: خوَّفتُه فتخوَّفَ، والمعنى: على تخوُّفِ كلِّ قومٍ بأخذِ قومٍ قبلَه، فكلُّ قومٍ مأخوذٍ مُتخوِّفٌ.

وقيل: على تنقُّصٍ. قال سعيدُ بنُ المسيِّبِ: بينا عمرُ بنُ الخطّابِ رضيَ الله عنه على المنبرِ فقالَ: يا أيُّها النّاسُ، ما تقولون في قولِ الله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾؟ فسكتَ النّاسُ، فقام شيخٌ فقال: يا أميرَ المؤمنين، هذه لُغتُنا بني هُذَيلٍ، التَّخوُّفُ: التَّنقُّصُ، قال عمرُ: فهل تعرفُ العربُ ذلك في أشعارِها؟ قال: نعم، قال شاعرُنا أبو كبيرٍ الهذليُّ يصِفُ ناقةً:

تخـوَّفَ السَّـيرُ منهـا تـامكًا قَـرِدًا كما تخـوَّفَ عُـودَ النَّبعـةِ السَّـفَنُ[٢]

---

(١) انظر: «الكليات» للكفوي (ص: ١٤٩).

(٢) في هامش (ن): «التامك: السنام، والقَرِد: القراد، والسَّفَن: ما ينحت به العود؛ أي: أثَّر الرحلُ في سنامها وتَنقَّصَ منها كما ينقص السَّفَن من العود».

ونسب البيت لأبي كبير الهذلي في «تفسير الثعلبي» (٦/ ١٩)، و«البسيط» للواحدي (١/ ٤٠١)، و«إيجاز البيان عن معاني القرآن» لأبي القاسم النيسابوري في (٢/ ٤٨٢)، و«تفسير القرطبي» (١٢/ ٢٣٢)، و«تفسير البيضاوي» (٣/ ٢٢٨)، وأبو كبير: عامر بن الحُلَيس، شاعر هذلي مذكور =

فقال عمرُ: عليكم بديوانِكم لا تضِلُّوا، قالوا: وما ديوانُنا؟ قال: شعرُ الجاهليّةِ، فإنَّ فيه تفسيرَ كتابِكم ومعانيَ كلامِكم[1].

وقيل: ﴿عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ بالعللِ والأمراضِ والآفاتِ.

ابنُ بحرٍ[2]: ﴿عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾: ضدُّ البغتةِ؛ أي: على[3] حدوثِ حالاتٍ يُخافُ منها كالرِّياحِ والزَّلازلِ والصَّواعقِ، ولهذا ختمَ بقولِه: ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ لأنَّ في ذلك مُهلةً وامتدادَ وقتٍ، فيُمكِنُ فيها التَّلافي.

***

= في «ديوان الهذليين» (٢/ ٨٨)، ولم أقف على البيت ثمة، لكن قال الشهاب الخفاجي في «حاشيته على البيضاوي» (٥/ ٣٣٤): «والبيت من قصيدة له مذكورة في شعر هذيل».

ونُسب لابن مقبل كما في «ديوان ابن مقبل» (ص: ٢٨٣)، و«القلب والإبدال» لابن السكيت (ص: ٩)، و«تهذيب اللغة» للأزهري (٧/ ٢٤٢)، و«البسيط» للواحدي (١٣/ ٧١).

ونسب لزهير كما في «الكشاف» للزمخشري (٢/ ٦٠٨).

ونسب لذي الرمة في «الصحاح» للجوهري مادة: (خ و ف) و(س ف ن)، وهو في ملحق «ديوانه» (٣/ ١٩١٧).

وقال الزبيدي في «تاج العروس» مادة: (س ف ن): «أورده أبو عدنان في كتاب «النبل» لابن المزاحم الثمالي، وقال: لم أجده في شعر ذي الرمة، وقال غيره: هو لعبد الله بن عجلان النهدي».

(١) ذكره عن سعيد بن المسيب الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٥٠ ـ ٥١)، والواحدي في «البسيط» (١/ ٤٠١)، وقال القسطلاني في «إرشاد الساري» (٧/ ١٩٦): «إسناد فيه مجهول».

وقد رواه بنحوه دون الشعر الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٣٦) من طريق رجل عن عمر.

(٢) ذكر قوله أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ٥٣٥).

(٣) في (ن): «أبي علي».

(٤٨) ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَـٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾؛ أي: قد رأيتُم، فما بالُكم لا تتفكَّرون فتعلمونَ أنَّ عبادةَ خالقِها واجبةٌ عليكم؟ و﴿مِن﴾ للتَّبيينِ.

﴿يَتَفَيَّؤُا۟﴾: يرجعُ من موضِعٍ إلى موضِعٍ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: يتميَّلُ(١).

تقولُ: فاءَ الظِّلُّ وتفيَّأَ بمعنًى(٢).

والظِّلُّ: ما غابَ عن مُسامَتةِ(٣) الشَّمسِ فلم يُصِبْه شُعاعُها.

﴿ظِلَـٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾: عن يمينِ الشَّيءِ، جعَلَ وجهَ الشَّيءِ ما يُواجِهُ الشَّمسَ؛ لأنَّه ينتقلُ الظِّلُّ منَ اليمينِ إلى جانبٍ آخرَ.

وذهبَ كثيرٌ منَ المُفسِّرين إلى أنَّ ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾: أوَّلُ النَّهارِ، ﴿وَٱلشَّمَآئِلِ﴾(٤): آخرُ النَّهارِ.

ابنُ عيسى: يتقلَّصُ بالغداةِ عن يمينِ الجبلِ، ويتقلَّصُ بالعشيِّ من جهةِ الشِّمالِ.

﴿سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾ قتادةُ: ظِلُّ كلِّ شيءٍ سجودُه.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٤٠)، وذكره الواحدي في «البسيط» (١٣/ ٧٥)، ثم قال: «وهو معنى وليس بتفسير...» وانظر باقي كلامه ثمة.

(٢) ذكر سيبويه أن صيغة (تَفَعَّل) تفيد الأخذ من الشيء الأول فالأول، وذكر أنها تفيد الدخول في الشيء، والتثبت، وغير ذلك. انظر: «الكتاب» (٤/ ٧١ ـ ٧٣).

(٣) تحتها في (ن): «طريقه».

(٤) في (ن): «وعن الشمائل».

مجاهدٌ: إذا زالتِ الشَّمسُ سجَدَ كلُّ شيءٍ[١].

وقيل: أرادَ بالظِّلالِ الأشخاصَ.

ابنُ جرير: سجود الظِّلالُ: مَيلانُها ودَوَرانُها[٢].

ابنُ عيسى: السُّجودُ بالعبادةِ وبالدُّعاءِ إلى العبادةِ، وكلُّ شيءٍ منَ المخلوقاتِ يسجدُ بالدُّعاءِ إلى العبادةِ، وخصَّ الظِّلَّ بالذِّكرِ لأنَّه سريعُ التَّغيُّرِ، والتَّغيُّرُ يقتَضي مُغيِّرًا غيَّره ومُدبِّرًا دبَّره[٣].

الحسنُ: أمّا ظلُّك فيسجدُ لله، وأمّا أنت فلا تسجدُ له، فبئسَ والله ما صنَعْتَ[٤].

وفي توحيدِ ﴿ٱلْيَمِينِ﴾ وجمعِ ﴿الشَّمائل﴾ أقوالٌ:

أحدُها: أنَّ الابتداءَ عن اليمينِ ثمَّ ينقصُ حالًا بعد حالٍ عن الشَّمائلِ، ولهذا جُمِعَ.

والثّاني: أنَّه بمعنى: الأيمانِ، وجمعُ (الشَّمائلِ) يدلُّ عليها.

والثّالثُ: لمَّا كانَ لفظُ ﴿مَا﴾ مُوحَّدًا ومعناه جمعًا، حُمِلَ (اليمينُ) على اللَّفظِ، وحُمِلَ (الشَّمائلُ) على المعنى، ولهذا أيضًا جمعَ الظِّلالَ ووحَّدَ الضَّميرَ[٥].

ويحتمِلُ أنَّ المُرادَ بالشَّمائلِ: الشِّمالُ والقُدَّامُ والخَلْفُ؛ لأنَّ الظِّلَّ يفيءُ منَ الجهاتِ كلِّها، فبدأ باليمينِ لأنَّ ابتداءَ التَّفيُّؤ منها، أو تيمُّنًا بذكرِها، ثمَّ جمعَ الباقي

---

(١) رواهما الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٤٠ ـ ٢٤١).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٢٤٢).

(٣) ذكر العبارة الأخيرة «وخصَّ الظلَّ...» أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ٥٤٠) بلا نسبة.

(٤) ذكره أبو علي الفارسي في «الحجة» (٥/ ٧٠)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٩١).

(٥) ذكر المصنف الأقوال الثلاثة في «غرائب التفسير» (١/ ٦٠٦)، واستغرب هذا الثالث.

على لفظِ الشِّمالِ لِمَا بينَ اليمينِ والشِّمالِ منَ التَّضادِّ، وتنزَّلَ القُدَّامُ والخَلْفُ منزلةَ الشِّمالِ لِمَا بينَهما وبينَ اليمينِ منَ الخلافِ(١).

﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾: صاغِرون، يُريدُ: سجودَ اضطِرارٍ لا اختيارٍ.

* * *

(٤٩) ـ ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ﴾ بعضُها بالاختيارِ وبعضُها بالاضطرارِ؛ كقولِه(٢) تعالى: ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣].

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ خصَّهم بالذِّكرِ رَفعًا لمنزلتِهم، ولأنَّهم لا يُذنِبون.

﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ لأنَّ سُجودَهم طَوْعًا.

وقيل: طبعًا، وفي هذا القولِ نظرٌ(٣).

* * *

(٥٠) ـ ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾؛ أي: يخافونَ عذابَ ربِّهم من فوقِهم.

وقيل: يخافونَ اللهَ أن يُنزِلَ عليهم عذابًا من فوقِهم.

وليس بحالٍ من ﴿رَبَّهُم﴾ تعالى اللهُ عن ذلك(٤).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٠٦)، واستغربه.

(٢) في (و): «لقوله».

(٣) ذكره المصنف في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد: ١٥]، وانظر: «غرائب التفسير» (١/ ٥٦٥).

(٤) علوُّه على خلقه ـ سبحانه وتعالى ـ ورد في آيات كثيرة، تارةً بالتَّمدُّحِ بأسمائه: العلي، والأعلى، والمتعالي، وذي المعارج، وتارة بالخبر عن ذلك في آياتٍ عديدة، كقوله هنا: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن =

والملائكةُ موصوفونَ بالخوفِ؛ لأنَّهم قادِرون على العصيانِ وإن كانوا لا يعصونَ الله ما أمرَهم.

﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ منَ الطَّاعةِ وغيرِها.

***

(٥١) - ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾.

﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾؛ أي: لا تعبُدوا إلهين اثنين.

وقيل: لا تعتقِدوا المعبودَ اثنين.

وقيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: لا تتَّخِذوا اثنَين إلهين؛ لأنَّ كلَّ ما له ثانٍ فليس بإلهٍ؛ لأنَّ الإلهَ هو الذي لا ثانيَ له[1].

﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾؛ أي: اللهُ واحدٌ لا ثانيَ له ﴿فَإِيَّايَ﴾؛ أي: فأنا ذلك الإلهُ الواحدُ ﴿فَارْهَبُونِ﴾: فخافوني.

***

(٥٢) - ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾.

﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خلقًا ومُلْكًا ﴿وَلَهُ الدِّينُ﴾: الطَّاعةُ والإخلاصُ فيها ﴿وَاصِبًا﴾: لازِمًا.

= فَوْقِهِمْ﴾، وقوله: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨]، وقوله: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥]، وقوله: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]، وقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وهذه المسألة تبحث في كتب العقائد.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٠٧)، واستغربه.

وقيل: دائمًا، وعبادةُ غيرِه تضمحِلُّ سريعًا.

وقيل: ﴿وَاصِبًا﴾: شاقًّا، تقولُ: وَصَبَ الدِّينُ يَصِبُ وُصوبًا ووَصَبًا، ووَصِبَ في الألَـمِ يَوْصَبُ وَصَبًا، فهو وَصِبٌ.

ابنُ بحرٍ: هو منَ الوَصَبِ، وهو الوجعُ الثَّابتُ[١]؛ أي: له الطّاعةُ لازمةً لخلقِه.

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ﴾.

***

(٥٣) - ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾.

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ﴾: عافيةٍ وغِنًى وخِصْبٍ ﴿فَمِنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: فمِنَ الله ذلك، والمبتدأُ إذا كان موصولًا بفعلٍ أو ظرفٍ حسُنَ دخولُ الفاءِ في خبرِه[٢].

﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ﴾: المرَضُ والفقرُ والجدبُ ﴿فَإِلَيْهِ﴾: إلى الله ﴿تَجْـَٔرُونَ﴾: ترفعُونَ أصواتَكُم بالدُّعاءِ، وأصلُه من جُؤارِ البقرِ: وهو صوتُه إذا رفعَه لألَـمٍ يلحقُه.

***

(٥٤) - ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.

﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ﴾ النّازِلَ بكم ﴿عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم﴾ وهم الكفّارُ ﴿بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ في عبادةِ الله[٣] الأصنامَ.

***

(٥٥) - ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ اللامُ لامُ العاقبةِ؛ أي: جعلوا عاقبةَ النِّعمِ الكفرَ بدلَ

---

(١) في (و): «أي: الثابت».

(٢) ذكر ذلك أبو علي الفارسي في «الإيضاح العضدي» (ص: ٥٥).

(٣) اسم الجلالة: «الله» ليس في (ن).

الشُّكرِ، ثمَّ أوعدَهم أغلَظَ الوعيدِ قال: ﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾ لا تُمنعون عن ذلك الآنَ ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ إذا وافَيتُم الميعادَ.

***

(٥٦) ـ ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: يعتقِدون ويحكُمون لِـمَا يعلمونَ، (ما) للأصنامِ، والفعلُ للكفّارِ، والعائدُ محذوفٌ، وتقديرُه عندَ بعضِهم: أنَّه ينفعُ ويضرُّ، وعند بعضِهم: لا يعرِفُونها ولو عرَفُوها لَـمَا اتَّخذوها آلهةً.

صاحبُ «النَّظمِ»: العلمُ هاهنا لازمٌ، والفعلُ للأصنامِ، والواوُ هو العائد؛ أي: لِـما ليس يعلَمون لأنَّها أمواتٌ[١].

ابنُ المِهْرَبْزُدِ[٢]: ﴿لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ الفعلُ للكفّارِ، والمعنى: لجهلِهم، وهذا صحيحٌ لكنَّ الكلامَ يبقى بعده غيرَ تامٍّ، فإنَّ تقديرَ ما ذهبَ إليه: ويجعلون لأجلِ جهلِهم نصيبًا، فيحتاجُ الكلامُ إلى إضمارِ الأصنامِ[٣].

وقولُه: ﴿نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ هو ما جعلوا لأصنامِهم من حُروثِهم وأنعامِهم.

﴿تَاللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾: تكذِبون، فتعلمون أنَّكم مُستحِقُّون العذابَ.

***

---

(١) في (و): «أموات» وقول صاحب النظم ذكره الواحدي في «البسيط» (١٣/ ٨٩).

(٢) محمد بن علي بن محمد بن الحسين بن مهربزد أبو مسلم الأصبهاني المعتزلي، كان عارفاً بالتفسير والنحو والأدب، غالياً في مذهب الاعتزال، صنف التفسير في عشرين مجلداً، هو آخر من حدث بأصبهان عن أبي بكر بن المقرئ. توفي سنة (٤٥٩ هـ). انظر: «تاريخ إربل» (٢/ ٦٣٣)، و«تاريخ الإسلام» للذهبي (١٠/ ١١٥)، و«طبقات المفسرين» للسيوطي (ص: ٩٩).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٠٧)، وعدَّه من العجائب.

(٥٧) ـ ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ﴾ هم بنو خُزاعةَ وبنو كنانةَ قالوا: الملائكةُ بناتُ الله ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ يعني: البنينَ. ومحلُّه رفعٌ بالابتداءِ والخبرِ(١).

وقيل: نصبٌ، وأنكرَه الزَّجَّاجُ في جماعةٍ(٢).

ووجهُ ذلك أن يُقالَ: مَن نصبَ فتقديرُه: ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾؛ أي: إذا اشتهَوا أن يكونَ لهم أولادٌ تمنَّوا الذُّكرانَ وكرِهوا الإناثَ.

***

(٥٨) ـ ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم﴾ البشارةُ هاهنا مُستعارةٌ، وقد سبقَ.

﴿بِٱلْأُنثَىٰ﴾: ببنتٍ ﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ﴾: دامَ النَّهارَ كلَّه ﴿مُسْوَدًّا﴾ السَّوادُ كنايةٌ عن العُبوسِ والكراهةِ مـمَّا أُخبِرَ به، وعن تغيُّرِ اللَّونِ منَ الحزنِ والاغتمامِ(٣).

وقيل: أسودَ اللَّونِ، والأوَّلُ أظهَرُ.

﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾: حزينٌ ممتلئٌ غيظًا، فعيلٌ بمعنى: فاعلٍ، وقيل: بمعنى مفعولٍ كقولِه: ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨]، وقد سبقَ(٤).

***

---

(١) أي: ولهم البنون. قاله المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٠٧).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٠٦)، وانظر تعليله للمنع ثمة. وهذا القول ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٠٧)، واستغربه.

(٣) في (ن): «والاهتمام».

(٤) «وقد سبق»: من (ن).

(٥٩) ـ ﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾: يَبْعدُ عنهم ﴿مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ﴾ مُقدِّرًا في نفسِه ﴿أَيُمْسِكُهُۥ﴾: أيترُكُها، وذكَّرَ الكنايةَ لأنَّها تعودُ إلى لفظِ ﴿مَا﴾.

﴿عَلَىٰ هُونٍ﴾: هوانٍ. وقيل: على مشقَّةٍ. وقيل: على قلَّةٍ.

صاحبُ «النَّظمِ»: ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ﴾، والكظمُ: سترُ المكروهِ في القلبِ[1].

وقولُه: ﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِ﴾: أم يئِدُه وينبِذُه.

وقيل: يُخفيه على النّاسِ حتَّى لا يعرِفوه، حكاه الماورديُّ[2].

﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ من قولِهم: لله البناتُ ولهم ما يشتَهون.

* * *

(٦٠) ـ ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾ قيل: ﴿مَثَلُ﴾ بمعنى: الصِّفةِ ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: الصِّفةُ العُليا.

وقيل: تمَّ الكلامُ على قولِه: ﴿مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾[3] ثمَّ قالَ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[4]: الأفضَلُ والأحسَنُ، وهو التَّنزيهُ عمَّا لا يليقُ به.

---

(١) أي: جعل صاحب «النظم»: ﴿أَيُمْسِكُهُۥ﴾ متصلًا بـ﴿كَظِيمٌ﴾. وهذا القول ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٠٨)، واستغربه.

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٣/ ١٩٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٠٨)، واستغربه.

(٣) انظر: «الملتقى في الوقف والابتدا» لأبي عمرو الداني (ص: ١١٨).

(٤) بعدها في (ن): «في السموات والأرض».

الزَّجّاجُ: ﴿ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾: قولُ: لا إلهَ إلّا اللهُ[١].

وقيل: الصِّفةُ التي وَصَفَ بها هؤلاءِ الجهَّالُ ربَّهم هم أولى بها منَ اللهِ، ولله الصِّفةُ العُليا، وهو أنَّه لـم يلِدْ ولـم يُولَدْ، ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

***

(٦١) - ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾.

﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم﴾؛ أي: لو يُعاقِبُهم بكُفرِهم ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ﴾: على الأرضِ، كنايةٌ عن غيرِ مذكورٍ[٢]، وجاز لأنَّ الدَّوابَّ لا تكونُ إلّا في الأرضِ.

وفي الدّابّةِ قولانِ:

أحدُهما: أنَّها عامّةٌ في بني آدمَ وغيرِهم ممَّا يَدِبُّ.

والثّاني: أنَّ المُرادَ بها هاهنا البهيمةُ.

وفي المعنى ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدُها: لو عجَّلَ عقوبةَ كفَّارِ بني آدمَ ما تركَ على الأرضِ ما يَدبُّ عليها.

والثّاني: معنى ﴿مِن دَآبَّةٖ﴾: من ظالمٍ.

والثّالثُ: لو أهلَكَ الآباءَ بكفرِهم لـم تكُنِ الأبناءُ.

﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ قيل: هو وقتُ العذابِ، وقيل: حينُ الموتِ، وقيل: إلى يومِ القيامةِ.

﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾؛ أي: فإذا أتى أحدُ هذه الأوقاتِ هلكوا البتَّةَ من غيرِ تقديمٍ ولا تأخيرٍ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٠٧).

(٢) أي: عاد الضمير إلى (الأرض) مع أنها لم تذكر سابقاً.

(٦٢) - ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾؛ أي: ما يكرَهُونَه لأنفُسِهم، وهو البناتُ.

﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ﴾؛ أي: ويقولون الكذبَ، و﴿الْكَذِبَ﴾ مفعولٌ به، وأضافَ الوصفَ إلى اللِّسانِ لأنَّ القولَ به يكونُ.

﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ﴾: بدلٌ منَ ﴿الْكَذِبَ﴾، و﴿الْحُسْنَىٰ﴾: البنونَ، وقيل: الجنَّةُ، على تقديرِ: إنْ كانَ البعثُ حقًّا.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾ الزَّجَّاجُ: ﴿لَا﴾ ردٌّ لكلامِهم، ومعنى: ﴿جَرَمَ﴾: كَسَبَ؛ أي: كَسَبَ فِعْلُهم ﴿أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾[١].

قُطرُبٌ: ﴿جَرَمَ﴾ بمعنى: وجَبَ، فيكونُ ﴿أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾ في محلِّ رفعٍ[٢]، وقيل: حقَّتْ لهم النّارُ.

وقيل: معناه: فليس بجُرمٍ، وهذا فعلُهم وقولُهم أن يُعذَّبوا بالنّارِ.

﴿وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ عطفٌ على ﴿أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾؛ أي: أُعجِلُوا إلى النّارِ فهم فيها فرَطٌ لمَن تقدَّمَهم. والفارِطُ: المُتقدِّمُ، من هذا.

وقيل: معناه: متروكون منسيُّون.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٠٧).

(٢) وعلى القول الذي قبله في محل نصب، والفاعل مضمر وهو (فعلُهم) كما تقدم. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٠٧)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٢٥٣)، و«غرائب التفسير» (١/ ٦٠٨)، وقد تقدم كلام المصنف على معناها في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ [هود: ٢٢].

وقُرِئَ: ﴿مُفْرِطون﴾ بالكسرِ والتَّخفيفِ، و﴿مُفَرِّطون﴾ بالكسرِ والتَّشديدِ[1].

قيل: هما بمعنًى.

«الحجَّة»: أفرَطَ كأقطَفَ وأجرَبَ؛ أي: صاروا ذَوي فَرَطٍ إلى النّارِ وسبْقٍ إليها[2].

وقيل: أفرَطُوا في أعمالِهم؛ أي: أسرَفُوا في الآثامِ على أنفُسِهم.

***

(٦٣) ـ ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾؛ أي: أرسَلْنا رسلًا إلى مَن تقدَّمَكَ من الأممِ ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾؛ أي: فكفروا بالمُرسلين وقبِلوا غرورَ الشَّيطانِ وخيَّلَ إليهم أنَّ ما هم عليه خيرٌ ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ﴾؛ أي: فإبليسُ يتولَّى أمورَهم.

و﴿ٱلْيَوْمَ﴾ يريدُ: يومَ القيامةِ؛ أي: لا وليَّ لهم سواه.

وقيل: في الدُّنيا؛ أي: هو وليُّهم وهم أولياؤُه، والله عدوُّه وعدوُّهم.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في القيامةِ.

***

(٦٤) ـ ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ﴾ يا محمَّدُ ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآنَ ﴿إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾: للنّاسِ ﴿ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾؛ أي: تُبيِّنَ لهم الحقَّ منَ الباطلِ.

---

(١) هذه قراءة أبي جعفر من العشرة، والتي قبلها قراءة نافع، وقرأ الباقون بفتح الراء والتخفيف. انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٦)، و«التيسير» (ص: ١٣٨)، و«النشر» (٢/ ٣٠٤).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٥/ ٧٣).

﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ عطفٌ على موضعِ اللّامِ؛ لأنَّه مفعولٌ له.

***

(٦٥) - ﴿وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾.

﴿وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾: مِنَ السَّحابِ، وقيل: من جانبِ السَّماءِ. وقيل: من سماءِ[1] الملائكةِ إلى السَّحابِ ثمَّ إلى الأرضِ.

﴿مَاءً﴾: مطرًا ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ﴾؛ أي: أنبتَ فيها من كلِّ[2] أنواعِ النَّباتِ ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: يبَسِها، وذلك موتُها وحياتُها.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾: لمَن أصغَى إلى كلامِ الله ووعظِه ولم يُعانِدْ.

***

(٦٦) - ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ﴾.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾: دلالةً وعلامةً يُعبرُ بها منَ الجهلِ إلى العلمِ.

﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ ذهبَ بالأنعامِ إلى النَّعَمِ؛ لأنَّ الألفَ واللّامَ للجنسِ، فسواءٌ دخلَ الواحدَ أو[3] الجمعَ[4].

---

(١) «سماء» ليست في (و).

(٢) «كل»: ليست في (ن).

(٣) في (و) و(ن): «و» بدل «أو».

(٤) انظر: «معاني القرآن» (١/ ١٣٠)، و«غرائب التفسير» (١/ ٦٠٩)، وفيه: ذهب جماعة إلى أن ﴿الْأَنْعَامِ﴾ محمولة على معنى النَّعم؛ لأن الألف واللام إذا دخل الآحاد ألحقه بالجمع كقوله: «والله لا أتزوج المرأة»، فإنه يحنث بالواحدة والجمع، وإذا دخل الجمعَ ألحقه بالواحد كقوله: «والله لا =

أبو عبيدةَ: الهاء تعودُ إلى البعضِ؛ لأنَّ لبعضِها لبنًا دونَ الجميعِ، وهو الأُنثى(١).

﴿مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا﴾؛ أي: الأنعامُ تُعلَفُ الحشيشَ والخضرَ، فجعلَ الله بعضَه دمًا وبعضَه فَرْثًا، ويُحيلُ بعضَ الدَّمِ الأحمرِ لبنًا أبيضَ ﴿خَالِصٗا﴾: صافيًا من نَتْنِه ولونِه، حلوًا دَسِمًا.

وقيل: إذا استقرَّ العلفُ في بطنِ الدّابَّةِ طبخَتْه فاستحالَ أعلاهُ دمًا وأوسطُه لبنًا وأسفلُه فَرْثًا، فيُجري الكبدُ الدَّمَ إلى العِرْقِ، واللَّبنَ إلى الضَّرعِ، ويبقى الفَرْثُ ثمَّ ينحدرُ، وفي ذلك عبرةٌ لمَن اعتبرَ.

﴿سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾: يسوغُ في حلقِ مَن تناوَلَه.

ابنُ جريرٍ: لم يَغَصَّ أحدٌ باللَّبنِ قطُّ(٢).

وقيل: ﴿سَآئِغٗا﴾: حلالًا.

وقيل: لا تَعَافُه النَّفسُ وإن خرَجَ من بينِ الدَّمِ والفَرْثِ.

* * *

= أتزوج النساء»، فإنه يحنث بالواحدة، ولو قال: «لا أتزوج نساء»، فإنه يحنث بدون الثلاث»، كذا عبارة المطبوع من الغرائب، وظهر كلام المصنف أن في المسألتين فرقاً وينبغي أن تكون العبارة: «فإنه لا يحنث بدون الثلاث» وانظر: «المحيط البرهاني» لابن مازة الحنفي (٤/ ٢٣٨)، و«تبيين الحقائق» للزيلعي (١/ ٢٢١)، و«تحفة المحتاج» للهيتمي (١٠/ ٣٤).

(١) انظر: «مجاز القرآن» لأ (١/ ٣٦٢)، وفيه: «والعرب قد تظهر الشيء ثم تخبر عن بعض ما هو بسببه وإن لم يظهروه». وذكر قبله وجهين حيث قال: «﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾ يذكَّر ويؤنث، وقال آخرون: المعنى على النعم؛ لأن النعم؛ يذكر ويؤنث...».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٢٧٤).

(٦٧) - ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ﴾ تقديرُه: ومن ثمراتِ النَّخيلِ والأعنابِ آياتٌ؛ بالرَّفعِ على الابتداءِ، أو: آياتٍ؛ بالنَّصبِ عطفاً[1] على اسمِ (إنَّ).

وعند الكوفيِّين: ما ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ﴾، وعندَ البصريِّين: شيءٌ ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ﴾[2].

وفي تذكيرِ الضَّميرِ أقوالٌ:

أحدُها: أنَّه يعودُ إلى (ما).

والثَّاني: إلى (شيءٍ) على ما سبقَ.

وقيل: إلى ذلك. وقيل: إلى الثَّمرِ كالنَّعَمِ[3]. ويحتمِلُ أن يعودَ إلى البعضِ كما قالَ أبو عبيدةَ في النَّعمِ، واستحسَنَه النُّحاةُ.

﴿سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ فيه أقوالٌ:

ابنُ عبَّاسٍ والحسَنُ في جماعةٍ: السَّكَرُ: الخمرُ، والرِّزقُ الحسَنُ: التَّمرُ والزَّيتُ والدِّبْسُ والخلُّ، والآيةُ سابقةٌ على تحريمِ الخمرِ[4].

---

(١) في (و): «بالعطف».

(٢) وتفصيل القولين: أن قوله: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ الضمير فيه على مذهب الكوفيين يعود إلى مضمر، وذلك المضمر موصول، وهذه الجملة صلة على تقدير: ما تتخذون منه، وقال البصريون: لا يجوز حذف الموصول وإقامة الصِّلَةِ مقامه، أما حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه فكثير، كقوله: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤]؛ أي: أحدٌ. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٦٠٩).

(٣) في (و): «وقيل: إلى النعم». والمراد أن الضمير عاد إلى لفظ (الثمر) وهو مذكر؛ لأنه بمعنى الثمرات.

(٤) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٨٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٨٨) عن ابن =

وعن أبي عبيدٍ(١): السَّكَرُ: الخلُّ، والرِّزقُ الحسَنُ: ما هو خيرٌ منَ الخلِّ(٢).

الحسَنُ: ما كان منَ العنبِ فهو خمرٌ، وما كان منَ التَّمرِ فهو سَكَرٌ(٣).

الشَّعبيُّ وأبو رَزِينٍ وابنُ جريرٍ(٤): السَّكَرُ: ما يحلُّ شُربُه كالنَّبيذِ والخلِّ(٥).

عامرٌ: السَّكَرُ: ما شرِبْتَ، والرِّزقُ الحسَنُ: ما أكلْتَ(٦).

وقيل: السَّكَرُ: الطُّعمُ، قال:

جعلْـتَ أعـراضَ الكـرامِ سَـكَرا(٧)

= عباس رضي الله عنهما. وروى الطبري معناه في «تفسيره» (١٤/ ٢٧٩) عن الحسن، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٧١ ـ ٧٢) رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن الحسن وجماعة عدهم.

(١) في (و): «عبيدة».

(٢) روى نحو هذا القول ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٨٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «السكر: الخل والنبيذ وما أشبهه، والرزق الحسن: الثمر والزبيب وما أشبهه».

(٣) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٧٠٥٤) عن ابن المسيب عن النبي ﷺ مرسلًا، ورواه ابن حبان في «الثقات» (٦/ ٨٧) من قول عمر رضي الله عنه، وروى الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٧٩) عن الحسن قال: «السكر: ما حرَّم الله منه، والرزق الحسن ما أحلَّ الله منه».

(٤) «وابن جرير» من (ن).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤) عن الشعبي، ورجَّحه. أما أبو رزين فروى عنه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٧٨) قوله: «﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ نزل هذا وهم يشربون الخمر، فكان هذا قبل أن ينزل تحريم الخمر».

(٦) عامر هو الشعبي، والأثر عنه ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٧٢)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٨٤) بلفظ: «السكر: النبيذ، والرزق الحسن: التمر الذي كان يؤكل».

(٧) هكذا ورد في المصادر بلا تتمة، وهو بلفظ المؤلف في «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٠٩)، و«تهذيب اللغة» (١٠/ ٣٥)، و«الكشاف» (٢/ ٦١٧)، و«اللسان» مادة: (س ك ر). وجاء في «مجاز =

الأصمُّ: السَّكَرُ: كلُّ ما حرَّمَه الله من ثمرِها، والرِّزقُ الحسَنُ: ما أحلَّه الله[١].

ابنُ بحرٍ: السَّكَرُ: المُسكِرُ، قال: فأضافَ الله تعالى إلى نفسِه[٢] سقيَ اللَّبنِ، وأضافَ إلى العبادِ اتِّخاذَ السَّكَرِ، وهو ادِّخارُهم لذلك حتَّى يصيرَ سَكرًا.

وقيل: السَّكَرُ: ما سدَّ الجوعَ، مُشتقٌّ من قولِهم: سَكَرْتُ النَّهرَ: إذا سدَدْتَه.

وقيل: هو إنكارٌ منَ الله عزَّ وجلَّ عليهم، وتقديرُه: أتتَّخِذُونَ منه سَكرًا ورزَقكُم الله رِزقًا حسنًا؟!

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ هذا تحريضٌ من الله للعاقلِ ليتأمَّلَ في الآياتِ.

* * *

(٦٨) - ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾.

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ قيل: ألهمَها، وهو إلقاءُ الله في رُوعِ الحيوانِ.

وقيل: هو إيجادُه على تلك الحالةِ؛ لأنَّ الله جعَلَ في طِباعِها اتِّخاذَ البيوتِ والأكلَ من الثَّمراتِ وغيرَ ذلك، وفيها أُعجوبةٌ لمن تأمَّلَ.

والنَّحلُ: زَنابيرُ العسلِ، واحدُها: نحلةٌ، وقيل: ذُبابُ العسلِ.

= القرآن» (١/ ٣٦٣)، و«تفسير الطبري» (١٤/ ٢٨٤)، و«تفسير الثعلبي» (١٦/ ٧٤)، برواية:

جعلت عيب الأكرمين سكرا

ونسبه أبو عبيدة لجندل، ولعله جندل بن المثنى الطهوي الذي له ترجمة في «سمط اللآلي» (ص: ٦٤٤).

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٧٩) عن الحسن.

(٢) في (ن): «فأضاف إلى نفسه سبحانه».

﴿أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾؛ أي: في الجبالِ(١)، ويحتملُ أنَّه للتَّبعيضِ؛ لأنَّ ذلك وُجِدَ في بعضِ الجبالِ، وسمَّاها بيوتًا تشبيهًا ببيوتِ الإنسانِ، وقيل: لأنَّها مبنيَّةٌ على حُسنِ الصَّنعةِ وصحّةِ القِسمةِ(٢).

﴿وَمِنَ ٱلشَّجَرِ﴾ في الغِياضِ والجبالِ والصَّحاري.

﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ ابنُ زيدٍ: الكرومُ(٣).

غيرُه: ﴿يَعْرِشُونَ﴾: يبنُونَ، يُريدُ: منازلَ النّاسِ.

***

(٦٩) ـ ﴿ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾؛ أي: منَ الثِّمارِ والأنوارِ(٤)؛ حُلوِها ومرِّها.

وقيل: أعجَبُ ما يكونُ العسلُ(٥) إذا كان من أنوارٍ مختلفةِ الطِّباعِ والطُّعومِ.

﴿فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ﴾: امضي فيما سخَّرَكِ الله له ﴿ذُلُلًا﴾: جمعُ ذَلولٍ، وهي حالٌ من السُّبلِ.

مجاهدٌ: لا يتوعَّرُ عليها مكانٌ سلكَتْه(٦).

---

(١) فـ(مِن) على هذا بمعنى: في، وهو مذهب الكوفيين، وإليه مال عامة متأخري النحاة. انظر: «شرح الأشموني على الألفية» (٢/ ٧٢).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦١٠)، واستغربه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٨٧)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٧٤).

(٤) الأنوار: جمع النَّوْر، وهو زهر النبت. انظر: «جمهرة اللغة» (٢/ ٨٠٧).

(٥) في (و) و(ن): «في العسلِ».

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٨٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٩٠).

غيرُه: ﴿ذُلُلًا﴾[١]: حالٌ منَ النَّحلِ؛ أي: مُطيعةً لله سبحانَه.

﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾: هو العسلُ تُلقيه مِن فيها.

ورُوِيَ عن الحسَنِ أنَّه قال: لبابُ البُرِّ بلُعابِ النَّحلِ بخالصِ السَّمنِ ما عابَه مسلمٌ[٢]؛ فجعلَه لُعابًا كالرِّيقِ الدّائمِ الذي يخرجُ من فمِ ابنِ آدمَ.

وقيل: يخرجُ من فيها، وسُمِّي الفمُ بطنًا لأنَّه في حكمِ البطنِ، ولأنَّه ممَّا يَبطُنُ ولا يظهرُ.

وقيل: تُلقيه من أسفلِها، ورُوِيَ عن عليٍّ رضي الله عنه أنَّه قال: أمَّا العسلُ فونيمُ الذُّبابِ[٣].

وقيل: إنَّها تحملُ الطَّلَّ الواقعَ على الشَّجرِ فتضعُه من فيها في كورِها فيصيرُ عسلًا.

وقيل: العسلُ أنوارٌ مختلفةٌ تحملُها النَّحلُ إلى كورِها وتضعُ بعضَها على بعضٍ، فيستحيلُ على الأيّامِ شَهْدًا عسلًا، وهذا ضعيفٌ[٤]؛ لأنَّ الله تعالى قال: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا﴾ إلّا أن يُؤوَّلَ البطنُ.

---

(١) في (و): «ذلك».

(٢) رواه الطبري في «تاريخه» (١١/ ٦٣٩)، والدينوري في «المجالسة» (١٧٣٧)، وذكره الجاحظ في «البيان والتبيين» (١/ ٣٩)، والثعلبي في «تفسيره» (١١/ ٤٧٠). وفي قصته: أن الحسن سمع رجلاً ـ وعند الطبري أنه ابنه ـ يعيب الفالوذج؛ فقال: «لباب البر...».

(٣) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٣/ ٤٠٦)، ولفظه: «وورد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال في تحقير الدنيا: أشرف لباس ابن آدم فيها لعاب دودة، وأشرف شرابه رجيع نحلة». وونيم الذباب: سلحه. انظر: «الصحاح» مادة: (و ن م).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦١١)، واستغربه.

﴿مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ﴾ أبيضُ وأحمرُ وأصفرُ، وذُكِرَ أنَّ الأبيضَ منَ العسلِ يُلقيه الشَّبابُ منَ النَّحلِ، والأصفرَ يُلقيه الكُهولُ منها، والأحمرَ يُلقيه الشِّيبُ منها.

﴿فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِ﴾ جمهورُ المُفسِّرين على أنَّ الضَّميرَ يعودُ إلى العسلِ، ونُكِّرَ ﴿شِفَآءٞ﴾ لبعضِ الأدواءِ، ولا يجبُ من قولِه تعالى: ﴿فِيهِ شِفَآءٞ﴾ أن يُشفَى به كلُّ عليلٍ.

ورَوى قتادةُ: أنَّ رجلًا جاءَ إلى رسولِ الله عليه السَّلامُ، فذكرَ أنَّ أخاه يشتكي بطنَه فقالَ عليه السَّلامُ: «اذهَبْ فاسقِه عسلًا»، فرجعَ وقالَ: سقيتُه فلم يَزُلْ ما به، فقال عليه السَّلامُ: «اذهَبْ فاسقِه عسلًا، فقد صدَقَ الله وكذَبَ بطنُ أخيك» فسقاه ثانيًا فكأنَّما أُنشِطَ من عقالٍ[(١)].

ورُوِيَ عنه عليه السَّلامُ: «لو كانَ شيءٌ يُنجي منَ الموتِ لكانَ السَّنا[(٢)] والسَّنُّوتُ»[(٣)]؛ السَّنُّوتُ: العسلُ[(٤)].

---

(١) رواه البخاري (٥٦٨٤)، ومسلم (٢٢١٧)، من طريق قتادة عن أبي المتوكل عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) كتب تحته في (ط): «المكي»، والسنا: نبات يتداوى به، وأجور السنا المكي أو الحجازي. انظر: «المقصور والممدود» لابن ولاد (ص: ٦٢)، وللغالي (ص: ١٠٤)، و«شرح الكتاب» للسيرافي (٤/ ١٣٧).

(٣) رواه ابن ماجه (٣٤٥٧)، والحاكم في «المستدرك» (٧٤٤٢) عن أبي أُبيٍّ بن أم حرام رضي الله عنه، ولفظه: «عليكم بالسنا والسنوت؛ فإن فيهما شفاء من كل داء، إلا السام»، قيل: يا رسول الله، وما السام؟ قال: «الموت». وإسناده ضعيف جدًا، عمرو بن بكر السَّكسكي متروك، وذهل الحاكم فصحح إسناده، فتعقبه الذهبي بقوله: «عمرو اتهمه ابن حبان».

وله شاهد من حديث أنس بن مالك عند النسائي في «الكبرى» (٧٥٣٣)، ولفظه: «ثلاثٌ فيهنَّ شفاءٌ مِن كلِّ داءٍ إلَّا السَّامَ: السَّنَا والسَّنُّوتُ» ـ قال محمدٌ (هو ابن عمارة أحد رجاله): ونَسِيتُ الثالثةَ ـ قالوا: يا رسولَ الله، هذا السَّنَا قد عرَفْناه، فما السَّنُّوتُ؟ قال: «لو شاء الله لَعَرَّفَكُموه» ومحمَّد بن عمارة وثقه ابن معين، وقال أبو حاتم: صالح ليس بذاك القوي، وقد تفرد بهذا الحديث عن أنس.

(٤) انظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة (١/ ٣٥٨)، و«المنتخب» لكراع النمل (ص: ٣٨٠)، و«جامع الأصول» (٧/ ٥٢٤).

وقال بعضُهم: الضَّميرُ يعودُ إلى القرآن؛ أي: في القرآنِ شفاءٌ للنّاسِ[١].

وقيل: إليهما[٢]؛ لقولِه عليه السَّلامُ: «عليكم بالشِّفاءَين: العسلِ والقرآنِ»[٣].

وقيل: الضَّميرُ يعودُ إلى ما بيَّنَ اللهُ منَ الدَّلائلِ والاعتبارِ في النَّحلِ، فيكونُ الشِّفاءُ لداءِ الجهلِ، يُقوِّيه قولُه تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٤].

***

(٧٠) ـ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾: يقبضُ أرواحَكم من أبدانِكم؛ طِفلًا رضيعًا أو صبيانًا أو شُبَّانًا[٥] أو كُهولًا أو شيوخًا.

﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ﴾ الرَّدُّ: الإعادةُ إلى حالٍ تقدَّمَتْ ﴿إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ يعني: الهرَمَ الذي ينقُصُ فيه عقلُه وقوَّتُه. ورُذالُ كلِّ شيءٍ: ما يُنفَى ويُطرَحُ، ضدُّ: الخِيارِ.

ابنُ زيدٍ: ﴿أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾: الخرَفُ. قتادةُ: تسعونَ سنةً[٦].

وعن عليٍّ رضي الله عنه: خمسٌ وسبعونَ سنةً[٧].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦١١)، واستغربه.

(٢) ذكر المصنف هذا القول في «غرائب التفسير» (١/ ٦١١) وعده من العجائب.

(٣) رواه ابن ماجه (٣٤٥٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً، ورواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص ٥٧ و٣٨٤)، والحاكم في «المستدرك» (٧٤٣٦)، عن ابن مسعود موقوفاً، وهو الصواب.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦١١)، واستغربه.

(٥) في (ن): «شبابًا».

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٧٨).

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٩٢)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٧٩).

وقيل: ثمانون سنةً، حكاه أقضى القُضاةِ وقُطربُ[1].

قيل: ﴿أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾: أنقصُه وأوضَعُه.

﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ يجوزُ في اللّامِ أن تكونَ لامَ (كي)، فيصيرُ المعنى: كيلا يعلَمَ بعدَ علمٍ شيئًا فيكونَ عبرةً للمُعتبِرِ، وليَعلمَ أنَّه كما هو قادرٌ على نقلِه منَ العلمِ إلى الجهلِ قادرٌ على إماتتِه وإحيائِه.

ويجوزُ أن تكونَ لامَ العاقبةِ؛ أي: يصيرُ إلى حالِ الطُّفولةِ بنسيانِ ما كان يعلمُ.

وقيل: لئلّا يعمَلَ بعد علمِه شيئًا؛ أي: يَفْتُرَ على العملِ بالعلمِ؛ لأنَّ تأثيرَ الكِبَرِ في العملِ أكثرُ منه في العلمِ، حكاه الماوَرديُّ[2].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾.

***

(٧١) - ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.

﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ﴾ يُريدُ بالتَّفضيلِ هاهنا: زيادةَ المالِ ﴿فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟﴾ في الرِّزقِ؛ يعني: المالِكِين ﴿بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ﴾: بمُعطي رزقِهم؛ يُريدُ: ما زادَ على رزقِ عبيدِهم، استعملَ لفظَ الرَّدِّ موضعَ الإعطاءِ ﴿عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ﴾ منَ العبيدِ والإماءِ.

﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: أنَّه حالٌ، والمعنى: إنَّكم لا تُشرِكُونَ عبيدَكم في أموالِكم، والله سبحانَه أحقُّ أن لا يُشرِكَ في الإلهيَّةِ الأصنامَ.

---

(١) حكاه الماوردي عن قطرب. انظر: «النكت والعيون» (٣/ ٢٠٠).

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٣/ ٢٠٠).

والثّاني: استئنافٌ؛ أي: إنَّهم سواءٌ في أنّي رزَقْتُ الجميعَ، وأنَّه لا يُمكِنُ أحدٌ أن يرزقَ عبدَه إلّا بِرزقي إيّاه، هذا لفظُ ابنِ عيسى[١].

ويحتملُ وجهَين آخرَين:

أحدُهما: أنَّ قولَه: ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ جملةٌ واقعةٌ موقعَ جوابِ النَّفي، وتقديرُه: فما الذين فُضِّلوا برادِّي رزقِهم على ما ملكت أيمانُهم فيَستووا مع عبيدِهم في الرِّزقِ.

والثّاني: على إضمارِ[٢] ألفِ الاستفهامِ، وتقديرُه: أَفَهُم فيه سواءٌ؟

وقولُه تعالى: ﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ حيثُ يتَّخِذون معه شُركاءَ؛ استفهامٌ بمعنى الإنكارِ.

وفي سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلَتْ في وفدِ نجرانَ حيثُ قالوا في عيسى عليه السَّلامُ ما قالوا[٣].

***

(٧٢) - ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ يُريدُ: حوّاءَ خُلِقَتْ من آدمَ عليه السَّلامُ، وقيل: من جِنسِكم؛ لتأنَسُوا بها أُنسَ الشَّبيهِ بالشَّبيهِ المُوافِقِ.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾: اختلَفُوا في الحفَدةِ:

---

(١) ذكر بعضه المنتجب في «الفريد في إعراب القرآن المجيد» (٤/ ١٣٥) بلا نسبة.

(٢) في (ن): «والثاني إضمار».

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢٨٢) بلا نسبة، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٨١)، والواحدي في «البسيط» (١٣/ ١٣٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

فقيل: هم الخدَمُ، والحَفْدُ: الإسراعُ في الخدمةِ، والحافِدُ: الخادِمُ، والحفَدةُ جمعُه كالسَّفرَةِ.

ونصبُه بـ ﴿جَعَلَ﴾؛ أي: وجعلَ لكم حفدةً.

وقيل: هم أولادُ الأولادِ.

وقيل: هم أزواجُ البناتِ، وهم الأَخْتانُ.

وقيل: البناتُ؛ لأنَّهنَّ يخدمنَ في البيوتِ أتمَّ خدمةٍ.

وقيل: أولادُ المرأةِ من زوجٍ قبلَه.

وقيل: هم البنونَ؛ أي: يأنسُ بهم في الصِّغرِ ويخدمونَه في الكِبَرِ.

﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: منَ الحلالِ، وقيل: منَ اللّذيذِ كاللَّبنِ والعسلِ والثِّمارِ، وقيل: هو ما يأتيك عفوًا.

﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ وهم الأصنامُ ﴿وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ حيثُ أضافوا النِّعمَ إلى الأصنامِ، ولا يُضيفونَها إلى المُنعِمِ بها عليهم.

ابنُ جريرٍ: يُصدِّقونَ أولياءَ الشَّيطانِ فيما يُحرِّمونَه منَ البَحيرةِ وأخَواتها[1].

الحسنُ: آمنوا بالشَّيطانِ وكفروا بمحمَّدٍ عليه السَّلامُ وكذَّبوه[2].

* * *

(٧٣) ـ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا﴾ يُريدُ أنَّ

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٣٠٤).

(٢) لم أجده عن الحسن، وقد ذكر نحوه الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٦/ ٥٣٩) بلا نسبة، روى نحوه ابن المنذر عن ابن جريج، كما في «الدر المنثور» (٥/ ١٤٩).

الصَّنمَ جمادٌ لا يملكُ رِزقَ شيءٍ، فالرِّزقُ مصدرٌ، والشَّيءُ مفعولُ المصدرِ[١]، وقيل: بدلٌ منَ الرِّزقِ[٢].

وأرادَ ﴿مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: المطرَ ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: النَّباتَ.

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾؛ أي: ليس لها الآنَ مَلَكةٌ، ولا في استطاعتِهم أن يملكوا أبدًا.

ووحَّدَ ﴿يَمْلِكُ﴾ على لفظِ ﴿مَا﴾، وجَمعَ: ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾ على المعنى قياسًا على (مَن).

* * *

(٧٤) ـ ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ الزَّجَّاجُ: لا تجعلوا لله مِثلًا، فإنَّه واحدٌ لا مِثْلَ له[٣]؛ أي: لا تجعلوا له الشُّركاءَ.

وقيل: لا تقيسوه على شيءٍ من خلقِه، ولا أفعالَه على أفعالِكم[٤].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ وإنَّما تُضرَبُ الأمثالُ لمَن لا يعلمُ.

---

(١) كما تقول: «هو يخدم من لا يستطيع إعطاءه درهماً»، وإلى هذا ذهب الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ١١٠)، في «غريب القرآن» (ص: ٢٤٧)، وأبو علي في «الحجة» (٢/ ٤٣١)، ونسبه الأصبهاني في «إعراب القرآن» (ص: ١٩٣) للكوفيين وبعض البصريين.

(٢) هو قول الأخفش كما في «معاني القرآن» (٢/ ٤١٧)، ونسبه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٠٦) لبعض البصريين.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢١٤).

(٤) في (و): «ولا أفعالكم على أفعاله».

(٧٥) ـ ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدًا مَّمۡلُوكًا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرًّا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدًا مَّمۡلُوكًا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنًا﴾ فيه قولانِ:

أحدُهما: أنَّه مَثَلٌ ضربَه الله لنفسِه ولمَن عُبِدَ دونَه أو معَه؛ لأنَّه عاجزٌ مُدبَّرٌ مملوكٌ لا يقدرُ على نفعٍ ولا ضرٍّ، والله واسعٌ رازقٌ جوادٌ مقتدِرٌ.

والثّاني: أنَّه الكافرُ لا يعملُ بطاعةِ الله؛ أي: كأنَّه لا يقدرُ على ما يُنفِقُه في طاعةِ الله ﴿وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ﴾ منَ المؤمنين مالًا حلالًا ﴿فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ﴾؛ أي: يتصدَّقُ منه ﴿سِرًّا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَ﴾؛ أي: في الطّاعةِ.

الزَّجّاجُ: بيَّنَ الله أنَّ المُتساويَين في الخَلْقِ إذا كانَ أحدُهما مُقتَدرًا على الإنفاقِ والآخرُ عاجزًا لا يقدرُ أن يُنفِقَ لا يستويانِ، فكيف بينَ الحجارةِ التي هي مَواتٌ وبين الله الذي هو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، وهو رازقُ جميعَ خلقِه(٥)؟!

ومعنى قولِه تعالى: ﴿عَبۡدًا مَّمۡلُوكًا﴾ يُريدُ: أيَّ عبدٍ كانَ.

وعن عطاءٍ: أنَّه أبو جهلِ بنُ هشامٍ، ﴿وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ﴾: أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه(٦).

قولُه تعالى: ﴿مِنَّا رِزۡقًا حَسَنًا﴾: ملَّكناه مالًا حلالًا ﴿فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرًّا

---

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢١٤)، وعبارته: «أي: هل يستوي القادر التام التمييز والعاجز الذي لا يحس ولا يأتي بخير، فكيف يسوون بين الله وبين الأحجار».

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٨٨)، والواحدي في «البسيط» (١٣/ ١٤٣)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤٧٢).

وَجَهْرًا﴾؛ أي: دائمًا ﴿هَلْ يَسْتَوُۥنَ﴾ ولفظُ الجمعِ يدلُّ على أنَّ المُرادَ بالعبدِ العمومُ(١)؛ أي: لا يستوي القَبيلانِ.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: قل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

وقيل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على الكمالِ لا لِمَا يعبُدونَه ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيجعلون الحمدَ والعبادةَ لغيرِ الله.

وقيل: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لأنَّهم لا يتفكَّرون في الأدلَّةِ فيعرفون أنَّ الحمدَ والعبادةَ لله.

***

(٧٦) - ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾؛ أي: أخرسُ وُلِدَ أصمَّ فهو لا يفهَمُ(٢) شيئًا.

وقيل: هو الكافرُ لا ينطقُ بالخيرِ(٣).

وقيل: هو المسلوبُ الفؤادِ الذي لا يَعقلُ شيئًا.

﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾: وَبالٌ وثِقلٌ على سيِّده ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ﴾؛ أي: يبعثُه سيِّدُه ﴿لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ وهذا وَصفٌ يجمعُ جميعَ الفضائلِ، فلا جوابَ إلَّا أن يُقالَ: لا.

---

(١) وفي هذا ردٌّ لقول عطاء الذي تقدَّم.

(٢) في (و): «لا يقدر».

(٣) في (ن): «بخير».

﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ﴾: على منهاجٍ واضحٍ من دينِه ودُنياه.

وجمهورُ المُفسِّرين على أنَّ هذا أيضًا مَثَلٌ ضربَه الله تعالى لنفسِه وللأصنامِ التي تُعبَدُ معه.

وفي سببِ النُّزولِ: أنَّها نزلت في عثمانَ بنِ عفَّانَ ومولاه أَسِيدِ[1] بنِ أبي العِيْصِ[2].

وقيلَ: في عثمانَ وصاحبَين له؛ أحدُهما مؤمنٌ يأمرُ بالخيرِ ويحثُّه عليه، والآخرُ ينهاه عن الإنفاقِ في سبيلِ الله[3].

***

(٧٧) ـ ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ مقاتلٌ: سببُ نزولِها: أنَّ كفَّارَ قُريشٍ سألوا رسولَ الله عليه السَّلامُ عن السَّاعةِ[4].

---

(١) في (و) و(ط): «السيد»، وما أثبت من (ن) هو الصواب. انظر: «الإكمال» لابن ماكولا (١/ ٥٨ و١١٨)، و«تبصرة المنتبه» لابن حجر (١/ ٤٤).

(٢) رواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٧٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣١٢)، والضياء المقدسي في «المختارة» (١٥٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما دون تسمية مولى عثمان رضي الله عنه. ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٠٣٩)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٩٧١) عن ابن عباس رضي الله عنهما، بلفظ: «هو عثمان بن عفان».

(٣) روى الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣١٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية قال: «هو عثمان بن عفان، والأبكم الذي أينما يوجه لا يأت بخير، ذاك مولى عثمان بن عفان، كان عثمان ينفق عليه ويكفله ويكفيه المئونة، وكان الآخر يكره الإسلام ويأباه وينهاه عن الصدقة والمعروف، فنزلت فيهما».

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٤٧٩).

قيل: تقديرُه: ولله علمُ غيبِ السَّماواتِ والأرضِ.

وقيل: ولله غيبُ ملكِ السَّماواتِ والأرضِ، والغيبُ هاهنا: ما لا يُدرَكُ بالحسِّ ولا يُفهَمُ بالعقلِ.

وقيل: ﴿غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ما في قولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤].

المُفضَّلُ: لله ما غابَ عن الخلقِ؛ أي: في قبضتِه لا يعزُبُ عنه[١].

ابنُ بحرٍ: ﴿غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: ما اشتمَلَتا عليه ودخلَ فيهما فهو غيبٌ؛ أي: مُغيَّبٌ، من قولِه: ﴿غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ﴾ [يوسف: ١٠] أي: داخلَ الجبِّ.

﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ﴾ في قُربِ كونها وسرعةِ قيامِها.

والسّاعةُ: اسمٌ لوقتِ النُّشورِ.

الزَّجَّاجُ: اسمٌ لإماتةِ الخلقِ وإحيائِهم[٢].

والأوَّلُ أظهَرُ، وسُمِّيَ ساعةً لأنَّه جزءٌ من يومِ القيامةِ، وأجزاءُ الزَّمانِ تُسمَّى ساعاتٍ[٣].

﴿إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ﴾: كرجعِ طرفٍ.

وقيل: مسافةُ ما يلمحُه البصرُ، حكاه الماوَرديُّ[٤].

---

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ٥٧٢).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢١٤).

(٣) ذكر نحوه الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٠٥).

(٤) لم أجده بهذا اللفظ في «النكت والعيون»، والذي فيه (٣/ ٢٠٥): ﴿إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُ﴾ لأنه بمنزلة قوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾.

وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦١٤)، وعدَّه من العجائب.

والأوَّلُ الوجهُ؛ لأنَّ المُرادَ بلمحِ البصرِ: السُّرعةُ والسُّهولةُ، وضُرِبَ المثَلُ به إذ لا يُعرَفُ زمانٌ أقلُّ منه.

﴿أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ﴾: (أو) بمعنى: بل، وقيل: بمعنى الواو، وقيل: للشَّكِّ في حقِّ المُخاطَبِ، ويحتمِلُ[1] تصحيحُ قولِه: ﴿أَقۡرَبُۚ﴾؛ لأنَّ اللَّمحَ فعلانِ؛ وضعُ الجَفْنِ ورفعُه، وقيامُ السَّاعةِ فعلٌ واحدٌ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

***

(٧٨) ـ ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾.

﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ﴾ بالولادةِ، وأمَّهاتٌ: جمعُ أمٍّ، زِيدَ فيها الهاءُ فرقًا بين أمَّهاتِ النّاسِ وأمّاتِ[2] البهائمِ[3]، وقد جاء في الواحدةِ أُمَّهةٌ، قال:

أمَّهَتي خِنْدفُ والْياسُ أبي[4]

---

(١) كتب تحتها في (ط): «ويمكن»، ومعنى العبارة أن المصنف يميل إلى أن المراد أنَّ قيام الساعة أقرب من لمح البصر، وأن (أو) بمعنى (بل). انظر: «التصاريف» ليحيى بن سلام (ص: ٢٥٨)، و«حروف المعاني والصفات» للزجاجي (ص: ١٣)، وذهب ابن قتيبة إلى أنها بمعنى الواو في «مشكل القرآن» (ص: ٢٩٠)، وذهب النحاس في «معاني القرآن» (٤/ ٩٥) إلى أنها حق المخاطب، وانظر: «شرح الكتاب» للسيرافي (٣/ ٤٣٠)، و«الكشاف» (٢/ ٦٢٣).

(٢) في (ن): «أمهات».

(٣) انظر: «المقتضب» للمبرد (٣/ ١٦٩)، و«تهذيب اللغة» (٦/ ٢٥١)، و«رسائل في اللغة» لابن السيد البطليوسي (ص: ٢٧٠).

(٤) ينسب الرجز لقصي بن كلاب، وقبله:

إني لدى الحرب رَخِيٌّ لَبَبِي

=

﴿لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ﴾؛ أي: جُهَّالًا غيرَ عالِمين مع توفُّرِ أداةِ العلمِ منَ السَّمعِ والبصرِ والفؤادِ.

وقيل: تمَّ الكلامُ على قوله: ﴿شَيۡـٔٗا﴾، ثمَّ استأنفَ فقالَ: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ﴾؛ أي: جعلَها بحيثُ تنتفِعون بها.

﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ الإخراجَ. وقيل: تشكُرونَ الجَعْلَ، وهو الخلقُ.

* * *

(٧٩) - ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾.

﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ﴾: جمعُ طائرٍ ﴿مُسَخَّرَٰتٖ﴾ لأمرِ الله، وقيل: مُذلَّلاتٍ ﴿فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾: فتح ما بينَ السَّماءِ والأرضِ.

قتادةُ: ﴿جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾: كبِدِ السَّماءِ[1].

الزَّجَّاجُ: ﴿جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾: الهواءِ البعيدِ منَ الأرضِ[2].

الفرَّاءُ: ﴿جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾: هو السَّماءُ[3].

= عنـد تناديهـم بهـالٍ وهَبِـي
مُعتـزِم الضربـة عـالٍ نسـبي
أُمَّهتـي خِنْـدِفُ واليـاسُ أبـي

انظر: «معجم ديوان الأدب» (٤/ ١٧٥)، و«الصحاح» (٦/ ٢٢٢٥)، و«شرح ديوان المتنبي» للمعري (ص: ٢٤٣)، و«شرح التسهيل» (١/ ٩٩).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣١٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٩٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦١٥)، واستغربه.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢١٤).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦١٥)، واستغربه.

﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ في الهواءِ عن السُّقوطِ بلا مِساكٍ ولا عِمادٍ ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

الكلبيُّ: ما يُمسِكُهنَّ عن إرسالِ الحجارةِ عليكم إلَّا اللهُ.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: جمعَ آياتٍ؛ لقولِه[1]: ﴿مُسَخَّرَٰتٍ﴾، وقد سبقَ في السُّورةِ[2].

* * *

(٨٠) - ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾: موضِعًا تسكُنون فيه عن تردُّدِكم وذهابِكُم ومجيئِكُم.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا﴾: البيتُ: عامٌّ يقعُ على ما يُتَّخَذُ منَ الطِّينِ والخشبِ والآجُرِّ والصُّوفِ والشَّعرِ، وأرادَ بـ﴿جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ ما يُتَّخَذُ منَ الأدَمِ.

الحسَنُ: هي المُتَّخَذةُ منَ النّابتِ على الجلودِ، وهي الوَبَرُ والصُّوفُ والشَّعرُ[3].

﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾: تجِدونَها خفيفةً، ويخِفُّ عليكم حملُها ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾: في السَّفرِ ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾: ثباتِكم في منازِلكم ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا﴾: الضَّائنةِ ﴿وَأَوْبَارِهَا﴾: الإبلِ ﴿وَأَشْعَارِهَآ﴾: الماعزِ ﴿أَثَٰثًا﴾: متاعَ البيتِ، واحدُها: أثاثةٌ.

---

(١) في (ن): «كقوله»، وهو تحريف.

(٢) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ﴾ [النحل: ١٢]، والمراد أن لفظ (آيات) جاء مجموعاً لمناسبة لفظ (مسخرات).

(٣) لم أقف عليه عن الحسن. وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٣/ ٤١٢) عن أبي عبيد، وذكره البيضاوي في «تفسيره» (٣/ ٢٣٦)، بلا نسبة.

ابنُ جريرٍ: الأثاثُ: اجتماعُ بعضِ المتاعِ إلى بعضٍ حتى يكثُرَ، كالشَّعرِ الأثيثِ[١].

ابنُ عبّاسٍ: الأثاثُ: المالُ والزِّينةُ[٢].

المُؤرِّجُ: الثِّيابُ بلغةِ قُريشٍ[٣].

وقيل: الأثاثُ: ما يُلبَسُ ويُفترَشُ كالأكسيةِ وما يُشبِهُها.

﴿وَمَتَاعًا﴾ المُفضَّلُ: ما يتَّجِرونَ به. غيرُه: ما يُنتفَعُ به.

﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ مدَّةٍ منَ الزَّمانِ لصلابتِها.

وقيل: إلى فَنائِها؛ لأنَّها سريعةُ الفسادِ قليلةُ البقاءِ.

وقيل: إلى حينِ المماتِ.

***

(٨١) ـ ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا﴾: ما تستظِلُّون به منَ الشَّجرِ والجبلِ والأبنيةِ وغيرِها، ولولا ظلُّ هذه الأشياءِ لم يكُنْ للحيوانِ في الأرضِ قرارٌ.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾: جمعُ كِنٍّ، وهو ما سترَكَ من كهفٍ وغارٍ.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٣١٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣١٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٩٥) ولم يذكرا الزينة.

(٣) ورواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣١٩) عن حميد بن عبد الرحمن، وذكره مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٤٨٠).

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ﴾: كلُّ ما يُلبَسُ من ثوبٍ أو دِرعٍ فهو سِرْبالٌ.

وقيل: القميصُ خاصَّةً(٤).

﴿تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾: تصونُكم منَ الحرِّ إذا ضَحِيتُم(٥)، وخُصَّ الحرُّ بالذِّكرِ ـ وهي تقي البردَ أيضًا ـ اكتفاءً بأحدِ الضِّدَّين، ولأنَّه خاطبَ العربَ وهم يستريحونَ إلى البردِ، ولأنَّ التَّخصيصَ بالذِّكرِ لا يدلُّ على نَفيِ ما عداه(٦).

﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾: تقي أبدانَكم في الحربِ من سلاحِ العدوِّ. يُريدُ: الدِّرعَ وما يجري مَجراها.

﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: كما أتمَّ هذه النِّعمَ التي تقدَّمَتْ يُتِمُّ ما تحتاجون إليه ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾: تَنقادُونَ له بالطَّاعةِ. وقيل: ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾؛ أي: تؤمنون.

وقُرِئَ في الشَّواذِّ: (تَسْلَمون)(٧)؛ أي: منَ الحرِّ والحربِ(٨).

* * *

(٨٢) ـ ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾: أعرَضُوا عنِ الإسلامِ ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾: الإبلاغُ؛ كالطَّاعةِ مِن أطاعَ.

---

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦١٥)، واستغربه.

(٥) يقال: ضَحِي وضَحِيَ؛ أي: أصابته الشمس. انظر: «تاج العروس» مادة: (ض ح و) (٣٨/ ٤٥٧).

(٦) انظر: «معاني القرآن» (٢/ ١١٢).

(٧) نسبت لابن عباس رضي الله عنهما. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٧٧)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ٧٧).

(٨) في (ن): «والبرد».

(٨٣) - ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ يعني: المُشركينَ يعرفونَ أنَّ الله خالقُهم ورازِقُهم وهو المُنعِمُ عليهم ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾: ولا يُؤدُّونَ حقَّها.

السُّدِّيُّ والزَّجَّاجُ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾: أمرَ محمَّدٍ عليه السَّلامُ ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ بتكذيبِهم إيَّاه[١].

مجاهدٌ: يُقِرُّون بنِعَمِ الله ثمَّ يُنكِرونها بإسنادِها إلى غيرِ الله، نحوَ أن يقولَ: أصبتُه بجَلادَتي، وورِثْتُه من فلانٍ، ووَهَبَ لي فلانٌ[٢].

وقيل: ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ بإضافتِها إلى شفاعةِ الأصنامِ.

﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ الجمهورُ على أنَّ المُرادَ بالأكثرِ الجميعُ، وقيل: لأنَّ فيهم الصَّبيَّ والمَؤْوفَ[٣]، وقيل: عزَلَ البعضَ احتقارًا له أن يذكُرَه.

* * *

(٨٤) - ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ﴾: نَحشُرُ ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ يعني: نبيَّهم يشهَدُ على أمَّتِه بما فعلوا.

---

(١) رواه عن السدي الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٢٥)، وانظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢١٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٢٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٩٦)، وهو في «تفسير مجاهد» (ص: ٤٢٤)، ولفظه عندهم: «هي المساكن والأنعام وما يرزقون منها، والسرابيل من الحديد والثياب، تعرف هذا كفار قريش ثم تنكره بأن تقول: هذا كان لآبائنا فورَّثونا إياه».

(٣) في (و): «الأحمق»، وكتب تحتها في (ط): «أي: الأحمق»، والمؤوف: الذي أصابته آفة. انظر: «الغريب المصنف» لأبي عبيد (٢/ ٤٦٣)، و«معجم ديوان الأدب» للفارابي (٤/ ١٩٩).

وقيل: مِن كلِّ جيلٍ في كلِّ زمانٍ شهيدًا على أهلِ زمانِه بما كانوا يفعلون.

﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الاعتذارِ، وقيل: لا يُسمَعُ عُذرُهم، ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: ولا يُطلَبُ منهم أن يرجعوا إلى ما يُرضي الله، والعُتبى: الرِّضا[1].

* * *

(٨٥) - ﴿وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ﴾: جهنَّمَ ونيرانَها، ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾؛ أي: العذابُ، ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: يُؤخَّرون ويُمهَلون.

* * *

(٨٦) - ﴿وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

﴿وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ﴾: أوثانَهم التي عبدُوها، ﴿قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِن دُونِكَ﴾ لأنَّ الله يبعثُها حين يُورِدُهم النّارَ فيعرِفُونها ويقولون هذه المقالةَ.

﴿فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾؛ أي: أجابُوهم بالتَّكذيبِ؛ لأنَّها كانت جمادًا ما تعرِفُ مَن عبدَها.

وقيل: هذا في عُزَيرٍ وعيسى ومَن عُبِدَ منَ الملائكةِ، لمَّا رأَوهُم في الجنّةِ وهم في النّارِ قالوا هذه المقالةَ، فأجابُوهم بأنَّكم كاذِبون في قولِكم: إنَّا دعوناكُم إلى عبادَتِنا والإشراكِ بالله.

* * *

(١) انظر: «جمهرة اللغة» مادة: (ع ت ب) (١/ ٢٥٥).

(٨٧) ـ ﴿ وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾.

﴿ وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ﴾: أسلَمَ الكفَّارُ يومَ البعثِ حين لا ينفعُ.

وقيل: أسلَموا لأمرِه أنفسَهم.

وقيل: استسلَمُوا بالذُّلِّ لحكمِ الله.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾: ضاعَ سعيُهم وخابَ أملُهم من شفاعةِ آلهتِهم.

***

(٨٨) ـ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴾؛ أي: بسببِ صدِّهم ومنعِهم النَّاسَ عن الإيمانِ، وقيل: عن الجهادِ ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ ﴾؛ أي: عذابًا بكُفرِهم وعذابًا بصدِّهم وإفسادِهم.

***

(٨٩) ـ ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾.

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم ﴾ يعني: نبيَّهم يَشهدُ عليهم ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾: من بني آدمَ. وقيل: من قومِهم.

﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ يعني: أمَّتَك ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ قيل: حالٌ، وقيل: استئنافٌ، وهذا أظهرُ.

﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ تأتُـونَ وتـذَرُونَ[١] ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ للجميعِ ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ خاصّـةً.

* * *

(٩٠) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ بالتَّسويَةِ والإنصافِ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: بشهادةِ أنْ لا إلهَ إلَّا الله[٢].

﴿وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾: نفعٍ لا ضررَ فيه.

ابنُ عبَّاسٍ: أداءُ الفرائضِ[٣].

ابنُ جريرٍ: الصَّبرُ على أوامرِه ونواهيه[٤].

وقيل: العدلُ: الإنصافُ، والإحسانُ: التَّفضُّلُ.

وقيل: الإحسانُ هاهنا: العفوُ.

الحسَنُ: العدلُ والإحسانُ: الفرضُ والنَّافلةُ[٥].

﴿وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: إعطاءِ القرابةِ ما يَحتاجُ إليه، يُريدُ: صِلةَ الرَّحمِ.

---

(١) في (ن): «يأتون ويذرون».

(٢) ذكره الرازي بلا نسبة في «تفسيره» (١٠/ ١٤٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٩٩).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٣٣٥).

(٥) لم أقف عليه عن الحسن. وذكره مكي بن أبي طالب في «تفسيره» (٦/ ٤٠٧١)، والزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٦٢٩)، والقرطبي في «تفسيره» (١٠/ ١٦٥) بلا نسبة.

﴿وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ الزِّنى وكلِّ ذنبٍ له حدٌّ.

وقيل: الفحشاءُ: كلُّ قبيحٍ من قولٍ وفعلٍ. وقيل: البُخلُ.

﴿وَٱلۡمُنكَرِ﴾: ما لا يُعرَفُ في شريعةٍ من شرائعِ الأنبياءِ.

وقيل: ما تُنكِرُه العقولُ.

وقيل: ما يكرَهُ الإنسانُ ظُهورَه منه للنَّاسِ.

﴿وَٱلۡبَغۡيِ﴾ ابنُ عبَّاسٍ: الكِبْرُ والظُّلمُ(١).

وقيل: تجاوُزُ الحقِّ إلى الباطلِ.

ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: هذه الآيةُ أجمَعُ آيةٍ في القرآنِ للخيرِ والشَّرِّ(٢).

مسروقٌ: أجمعُ آيةٍ في القرآنِ لحلالٍ وحرامٍ(٣).

﴿يَعِظُكُمۡ﴾: يُحذِّرُكم وينهاكُم عن هذا كلِّه ﴿لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ ما أُمِرْتُم به وهو ثلاثٌ(٤)، ونُهيتُم عنه وهو ثلاثٌ(٥)، فاتَّعِظُوا.

وذكرَ المُفسِّرونَ أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ قرأ على الوليدِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ﴾ إلى آخرِ الآيةِ فقالَ(٦) له: يا ابنَ أخي، أعِدْ، فأعادَ عليه السَّلامُ، فقال: إنَّ له والله لحلاوةً، وإنَّ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٣٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٩٩).

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٦٠٠٢)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٣٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٦٥٨)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٨٨) وصححه.

(٣) هي إحدى الروايات عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في الخبر السابق، كما رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٤٨٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٦٦١).

(٤) العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى.

(٥) الفحشاء والمنكر والبغي.

(٦) في (و) و(ن): «قال»، والتصويب من (ط).

له لطلاوةً، وإنَّ أعلاه لمُثمِرٌ، وإنَّ أسفَلَه لمُغدِقٌ، وما هو بقولِ البشرِ[1].

* * *

(٩١) ـ ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾.

﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ ﴾: أَتِمُّوا ما ضمِنْتُم من أحكامِ الدِّينِ. وقيل: النُّذورُ. وقيل: كلُّ عهدٍ في طاعةِ الله. وقيل: هو الإيمانُ.

﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾: لا تحنَثُوا في أيمانِكم المُؤكَّدةِ بذكرِ الله ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾؛ أي: قلتُم عند الحَلِفِ: اللهُ راعٍ عليَّ كفيلٌ أن أفعَلَ كذا.

وقيل: ﴿كَفِيلًا﴾: شاهدًا وقيِّمًا.

وقيل: يكفلُ لكم بالجنَّةِ إذا وفَيتُم.

وقيل: ﴿عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ بالوفاءِ.

وفي سببِ نزولِه قولانِ:

---

(١) رواه السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢٨٨) عن عكرمة مرسلًا، وكذا رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣٨٣) دون تعيين الآية.

ورواه دون تعيين المسموع أيضاً الحاكم في «المستدرك» (٣٨٧٢) وصححه، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ١٩٨)، وفي «الشعب» (١٣٤)، من طريق عبد الرزاق عن معمر عن أيوب السختياني عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما. وجود إسناده العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٢٢٣).

قال البيهقي: «هكذا حدثناه موصولاً، ورواه حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة مرسلاً وذكر الآية التي قرأها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾».

أحدُهما: نزلَتْ في الذين بايَعُوا رسولَ الله عليه السَّلامُ، أمَرَهم بالوفاءِ به. مُجاهدٌ وقتادةُ: نزلَتْ في حِلْفِ أهلِ الجاهليّةِ[١]. والأكثرُ على أنَّه عامٌّ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾.

* * *

(٩٢) ـ ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾.

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا﴾ هذا مثلٌ لناقِضي العهدِ، فقال بعضُهم: ضرَبَ الله هذا المثَلَ، وقال بعضُهم: أرادَ أيّةَ امرأةٍ صنعَتْ هذا، وقيل: هي رَيْطةُ بنتُ عَمرٍو، وكانتِ امرأةً خرقاءَ حمقاءَ من قُريشٍ تُلقَّبُ بـ جَعْر، وقيل: جعرَ[٢]، كانت قد اتَّخذت مغْزَلًا[٣] بقَدْرِ ذراعٍ، وصِنَّارةً مثلَ الأُصبعِ، وفَلْكةً كبيرةً على قَدْرِها، وكانت تغزلُ منَ الصُّوفِ والشَّعرِ والوبرِ، وتأمرُ جواريها بذلك، فكُنَّ يغزِلْنَ منَ الغدِ إلى نصفِ النَّهارِ، فإذا انتصَفَ النَّهارُ أمرَتْ جواريَها بنَقْضِ جميعِ ما غزَلْنَ، فكان هذا دأبُها[٤].

الغَزْلُ: المصدرُ، والغَزْلُ: الاسمُ[٥].

---

(١) ذكر القولين الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ١١١).

(٢) في (ن): «بجعفر، وقيل: جعراء»، وفي (و): «بجعد وقيل بجعر»، والمثبت من (ط).

(٣) في (و): «غزلاً».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ١١٢)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ٣٩ ـ ٤٠) عن الكلبي ومقاتل. وانظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٤٨٤).

(٥) أي: اسم الشيء المغزول. انظر: «الصحاح» مادة: (غ ز ل) (٥/ ١٧٨١).

﴿مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ﴾ يجوزُ أن يتعلَّقَ بقولِه: ﴿نَقَضَتۡ..مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ﴾، ويجوزُ أن يتعلَّقَ بالغَزْلِ.

والقوَّةُ: الطّاقةُ الواحدةُ؛ أي: بعد أن جعلَتْها قوًى وطاقاتٍ.

المُبرِّدُ: من بعد قوَّةِ إحكامٍ وإبرامٍ.

وقيل: من بعدِ شدَّةِ فَتْلٍ.

﴿أَنكَٰثٗا﴾: جمعُ نِكْثٍ، وهو ما نُكِثَ ونُقِضَ بعد الغَزْلِ والفَتْلِ.

﴿تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ﴾: خيانةً ومكرًا. الزَّجّاجُ: غِشًّا وغِلًّا[1].

وقيل: ﴿دَخَلَۢا﴾: دغلًا وغَدْرًا.

والدَّخَلُ: كلُّ أمرٍ لم يكُنْ صحيحًا.

ابنُ بحرٍ: الدَّخَلُ: الشَّيءُ الدّاخلُ في الشَّيءِ لم يكُنْ منه[2]، تقولُ: دخَلَ يدخُلُ فهو دَخَلٌ، ومِثْلُه: سَقَطَ يسقُطُ فهو سَقَطٌ.

﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍ﴾؛ أي: لا تغدُروا بقومٍ لقلَّتِهم وكثرتِكُم وقد وَثِقُوا بكم.

مجاهدٌ: كانوا يُحالفون الحلفاءَ، فإذا وجدوا أكثرَ وأعزَّ حالَفوا الذين هم أكثرُ وأعزُّ، فنُهوا عن ذلك[3].

ومعنى ﴿أَن تَكُونَ﴾: بأن تكونَ، ولأنْ تكونَ ﴿أَرۡبَىٰ﴾: أزيدَ[4] عددًا.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢١٧).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦١٦) واستغربه، وذكره السمين الحلبي في «الدر المصون» (٧/ ٢٨١) بلا نسبة.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٤٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٠٠).

(٤) في (و): «وأزيد».

﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ﴾: يختبرُكم بالوفاءِ بالعهدِ، وقيل: بالأمرِ، وقيل: بالعزِّ والذُّلِّ والغِنى والفقرِ، وقيل: بالعهدِ، وقيل: بالكثرةِ، وقيل: بالقِلَّةِ، والمُرادُ: القُلُّ والكُثْرُ[(١)].

﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ إذا جازاكُم على أعمالِكم بالثَّوابِ والعقابِ.

* * *

(٩٣) ـ ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً﴾: ملَّةً ﴿وَٰحِدَةً﴾: على دينِ الإسلامِ، ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ بالخذلانِ والتَّوفيقِ، ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ثمَّ يُجازيكُم جزاءَكُم، المُطيعُ منكم بطاعتِه والعاصي بمعصيتِه.

وقيل: لتُسألُنَّ سؤالَ: لِمَ عمِلتُم؟ فيكونُ تبكيتًا.

* * *

(٩٤) ـ ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾ للدَّخَلِ؛ لتتوصَّلوا بها إلى قطعِ أموالِ المسلمين.

﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾: فتصيرَ فاسقًا بعد الصَّلاحِ. وزليلُ[(٢)] القدمِ: عبارةٌ عن

(١) القُلُّ: القلة والفقر، والكُثْرُ: الكثير. انظر: «تاج العروس» مادة: (ك ث ر) (١٤/ ١٧).

(٢) في (ن): «وزائل»، والذليلُ مصدر مثل الزلل. انظر: «الصحاح» مادة (ز ل ل)، و«تاج العروس» =

السُّقوطِ عن الصِّراطِ السَّويِّ؛ لأنَّ مَن ثبَتَ قدمُه كان مُؤمنًا مرضيًّا، ومَن زلَّتْ كان هالكًا.

﴿وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ﴾: العذابَ ﴿بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: بصدِّكم النَّاسَ عن الإيمانِ بالله ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: دائمٌ لا ينقطعُ.

***

(٩٥) ـ ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾؛ أي: لا تُبدِّلوا عهدَ الله وتأخُذوا ذا ثمنٍ، وقد سبقَ بيانُه.

﴿إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾؛ أي: الثَّوابُ المُدَّخرُ عندَه خيرٌ لكم ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

***

(٩٦) ـ ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ﴾: ينقَضي ويفْنَى، ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾: لا يزولُ ولا يفْنَى.

﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: ولنجزيَنَّ الصّابرَ على المكروهِ أحسنَ الجزاءِ وأفضلَ الثَّوابِ.

***

= مادة: (ز ل ل) (٢٩/ ١٢٩).

(٩٧) ـ ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ قيَّدَ بالإيمانِ لأنَّ أعمالَ الكفَّارِ غيرُ مُعتدٍّ بها.

﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ في الدُّنيا بأن نُوسِّعَ عليه الرِّزقَ الحلالَ، ونُيسِّرَه لصالحِ الأعمالِ، ونُصفِّي حياتَه منَ الهمومِ والآفاتِ.

وقيل: حياةً في الجنَّةِ.

الحسَنُ: الحياةُ الطَّيِّبةُ: القناعةُ[١].

﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾؛ أي: نُجازي على الطَّاعةِ. وقيل: نُضاعِفُ الجزاءَ.

***

(٩٨) ـ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾.

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾؛ أي: إذا أرَدْتَ قراءتَه، وقيل: إذا كنتَ قارئًا ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾، وقيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ تقديرُه: فإذا استعذْتَ بالله فاقرأ القرآنَ[٢].

ويُروَى عن سليمٍ عن حمزةَ: أنَّه كان يتعوَّذُ بعد القراءةِ أخذًا بظاهرِ اللَّفظِ[٣]، وتلك روايةٌ مرغوبٌ عنها.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (١٥٨٧)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٥٢).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦١٦)، واستغربه، وذكره السمين الحلبي في «الدر المصون» (٧/ ٢٨١) بلا نسبة.

(٣) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (١/ ١١٠) عن حمزة فيما ذكره ابن قلوقا عنه. وهي ليست الرواية =

ومعنى: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾: سَلْه أن يُعيذَكَ من وَساوسِ[1] إبليسَ ومكائِدِه.

والشيطانُ: هو إبليسُ، والرجيمُ: المطرودُ الملعونُ.

وقيل: الرَّجيمُ بالشُّهُبِ.

= المعتمدة عن حمزة قال ابن الجزري في «النشر» (١/ ٢٥٥): «أما رواية ابن قلوقا عن حمزة فهي منقطعة في الكامل لا يصح إسنادها». وابن قلوقا هو عبد الرحمن بن قلوقا ـ ويقال: أقلوقا ـ الكوفي راو معروف ضابط، أخذ القراءة عرضاً عن حمزة، وعرض أيضاً على سليم عن حمزة. انظر: «طبقات القراء» لابن الجزري (١/ ٣٧٦).

وسليم هو ابن عيسى بن سليم بن عامر، أبو عيسى، ويقال: أبو محمد الحنفي مولاهم الكوفي المقرئ ضابط محرر حاذق، ولد سنة ثلاثين ومئة، وعرض القرآن على حمزة، وهو أخص أصحابه وأضبطهم وأقومهم بحرف حمزة وهو الذي خلفه في القيام بالقراءة. انظر: «طبقات القراء» لابن الجزري (١/ ٣١٨).

وهذا القول ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦١٦)، وعدَّه من العجائب.

والقول بالاستعاذة بعد القراءة رواه الشافعي في «مسنده» (ص: ٣٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: «عن صالح بن أبي صالح: أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه وهو يؤم الناس رافعاً صوته: ربنا إنا نعوذ بك من الشيطان الرجيم في المكتوبة وإذا فرغ من أم القرآن».

وحكي عن أبي هريرة رضي الله عنه ومالك وداود. كما في «تفسير الثعلبي» (١٦/ ١١٩)، و«البسيط» للواحدي (١٣/ ١٩٢)، ونقله النووي في «المجموع» (٣/ ٣٢٥) عن أبي هريرة وابن سيرين والنخعي.

ونقله الجصاص في «أحكام القرآن» (٥/ ١٢)، والمازري في «شرح التلقين» (١/ ٥٧٤) عن الإمام مالك وخصه في الصلاة بعد أم الكتاب.

وأنكر ابن العربي نسبة هذا القول إلى مالك في «تفسيره» (٣/ ١٥٩) فقال: «ومن أغرب ما وجدناه قول مالك في المجموعة في تفسير هذه الآية: ﴿فإذا قرأت القرآن﴾ الآية قال: ذلك بعد قراءة أم القرآن لمن قرأ في الصلاة، وهذا قول لم يرد به أثر، ولا يعضده نظر...».

(١) في (و): «وسواس».

وقيل: (فعيلٌ) بمعنى: فاعلٍ؛ أي: يرجُمُ بني آدمَ ويرميهم بالسَّيِّئاتِ والغوائلِ.

والاستعاذةُ نَدْبٌ واستحبابٌ[١]، وليست بفرضٍ[٢].

* * *

(٩٩) - ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾.

﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ ﴾: لإبليس ﴿سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

سُلطانُه: إِغواؤُه، والمؤمنُ المُتوكِّلُ لا يَقبلُ منه وساوِسَه.

وقيل: سُلطانُه: حُجَّتُه، من قولِه: ﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

* * *

(١٠٠) - ﴿ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾.

﴿ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ ﴾: يُحبُّونه ويتَّبعونَ وساوِسَه ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ ﴾: بالله ﴿مُشْرِكُونَ ﴾، وقيل: تعودُ إلى إبليسَ؛ أي: بسببِه هم مُشركون.

* * *

(١٠١) - ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ﴾: إذا نسَخْنا آيةً وأنزَلْنا مكانَها أُخرى.

---

(١) في (و): «واستحسان».

(٢) هذا مذهب عامة الفقهاء، وذهب عطاء إلى وجوبها لكل قراءة في الصلاة وغيرها، وذهب ابن سيرين إلى وجوبها ولو مرة في العمر، وقد ذهب الظاهرية إلى أنها فرض على كل مصل إذا قرأ، وما لك رحمه الله لا يرى الاستعاذة إلا في النافلة. انظر: «المحلى» لابن حزم (٢/ ٢٧٨) و«تفسير الرازي» (١/ ٦٧)، و«المغني» لابن قدامة (١/ ٣٤٣).

نزلَتْ حينَ قال المشركون: إنَّ محمَّدًا يَسخرُ بأصحابِه؛ يأمرُهم اليومَ بأمرٍ وينهاهُم عنه غدًا، ويأتيهم بما هو أهونُ عليهم، وما هو إلّا مُفترٍ يتقوَّلُه من تلقاءِ نفسِه، فأنزَلَ الله هذه الآيَةَ والتي بعدَها(١).

ابنُ بحرٍ: ﴿ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾: شريعةً تقدَّمتْ بشريعةٍ مُستأنَفةٍ(٢).

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ ناسِخًا ومنسوخًا؛ لأنَّه المُدبِّرُ المُتعبِّدُ عبادَه بما هو خيرٌ لهم.

﴿قَالُوٓاْ﴾ يعني: الكفَّارُ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ﴾ يا محمَّدُ ﴿مُفۡتَرٍۭ﴾ تَقولُه من تلقاءِ نفسِك، وهذا جوابُ ﴿إذا﴾، ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ اعتراضٌ، ويحتمِلُ أن يكونَ حالًا.

﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ وجهَ المصلحةِ والصَّوابِ فيه.

***

(١٠٢) ـ ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾.

﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ﴾: جبريلُ عليه السَّلامُ ﴿مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ لإظهارِ الحقِّ وإبطالِ الكفرِ ﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ على الإيمانِ ﴿وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾ بأنَّهم من أهلِ الجنَّةِ.

***

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٥)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٨٠)، و«زاد المسير» (٢/ ٥٨٣).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢١٤).

(١٠٣) ـ ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ في سببِ النُّزولِ: عن عبدِ الله بنِ مسلمٍ قال: كان غلامانِ نصرانيّانِ؛ اسمُ أحدِهما يسارٌ، والآخرُ جبرٌ، وكانا يصنَعانِ السُّيوفَ بمكّةَ ويقرأانِ كتبًا لهم بلسانِهم، وكانَ رسولُ الله عليه السَّلامُ يمرُّ بهما ويسمعُ قراءتَهما، فكان المُشركون يقولون: يتعلَّمُ منهما، فأنزلَ الله عزَّ وجلَّ، فأكذَبَهم[1]، وقالَ: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾[2].

وقال طلحةُ بنُ عَمرٍو: بلغَني أنَّ خديجةَ كانت تختلفُ إلى جبرٍ، وكانت قُريشٌ تقولُ: إنَّ عبدَ[3] الحضرميِّ يُعلِّمُ خديجةَ، وخديجةُ تُعلِّمُ محمَّدًا[4].

وقيل: ﴿بَشَرٌ﴾: أبو ميسرةَ النَّصرانيُّ[5].

ابنُ عبّاسٍ: كان رسولُ الله عليه السَّلامُ يُعلِّمُ قَينًا بمكَّةَ اسمُه بلعامُ، وكان

---

(١) في (و) و(ن): «فأكذبهم الله».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٦٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٨١).

(٣) في (و) و(ن): «عبداً»، والمثبت من (ط)، وهو الصواب.

(٤) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢٩٢)، والثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ١٢٨)، والواحدي في «البسيط» (١٣/ ١٩٨).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ١٣٠) عن السدي وسماه هكذا: أبو ميسرة، ورواه عنه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٠٣) ولفظه: «كان رسول الله ﷺ إذا آذاه أهل مكة دخل على عبد لبني الحضرمي يقال له: أبو يسر، كان نصرانياً وكان قد قرأ التوراة والإنجيل، فساءله وحدثه. فلما رآه المشركون يدخل عليه قالوا: يعلمه أبو اليسر. قال الله: هذا لسان عربي مبين ولسان أبي اليسر عجمي».

نصرانيًّا، فرآه المُشركونَ يدخلُ على النَّبيِّ عليه السَّلامُ ويخرُجُ من عندِه فقالوا: إنَّما يُعلِّمُه بلعامُ(١).

عكرمةُ وقتادةُ: كانَ النَّبيُّ عليه السَّلامُ يُقرِئُ غلامًا لبني المُغيرةِ يقال له: يعيشُ، وكان يقرأ الكتبَ، فقال قريش(٢): إنَّما يُعلِّمُه يعيشُ(٣).

قال الفرَّاءُ: قال المُشركون: إنَّما يُعلِّمُه عائشٌ، مملوكٌ كانَ لحُوَيطبِ بنِ عبدِ العُزَّى، وكان قد أسلَمَ فحسُنَ إسلامُه(٤).

وقال سعيدٌ: إنَّه كان غلامًا أعجميًّا لامرأةٍ(٥) بمكَّةَ يقالُ له: أبو فُكَيهةَ(٦).

وذكر غيرُه أنَّ أبا فُكَيهةَ هو يسارٌ(٧).

الضَّحّاكُ: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ﴾ سلمانُ الفارسيُّ(٨).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٦٥).

(٢) في (و): «يقالُ له: يعيشُ، وكانَ يكتبُ، فقالوا».

(٣) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٦٥-٣٦٦)، ذكر السيوطي في «مفحمات القرآن» (ص: ٦٤) أن الحافظ ابن حجر ضبطه بياء تحتية وحاء وسين مهملتين، بينهما نون مشدَّدة (يُحَنَّس).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١١٣).

(٥) في (ن): «كان غلامٌ أعجميٌّ».

(٦) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٥٨٥).

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٤٨٧)، و«البسيط» للواحدي (١٣/ ٢٠٠)، و«تفسير السمعاني» (٣/ ٢٠٢)، و«تفسير البغوي» (٥/ ٤٤)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ٨٧).

(٨) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٦٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٠٣)، وقال الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ١٣٠): «وهذا قول غير مرضي؛ لأن سلمان رضي الله عنه إنما أتى النبي ﷺ في المدينة، وهذه الآية مكية».

﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾: يُميلـون إليـه(١)، وقيـل: يعتَرِضـون بـه ﴿أَعْجَمِىٌّ﴾: دَخيـلٌ في العـربِ؛ أي: بلغـةِ العجمِ ﴿وَهَٰذَا﴾ يعنـي: القرآنَ ﴿لِسَانٌ عَرَبِىٌّ﴾: بلغـةِ العـربِ ﴿مُّبِينٌ﴾: يُعـرَفُ معنـاه من لفظِه بأدنـى تأمُّلٍ.

والمعنى: أنتم أفصحُ العربِ وأبلغُهم وأقدرُهم على الكلامِ نظمًا ونثرًا، وقد عجَزْتُم وعجَزَ جميعُ العربِ عنه، فكيفَ تنسُبُونَه إلى أعجميٍّ أَلْكَنَ؟!

***

(١٠٤) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعني: القرآنَ، وأنَّه من عندِ الله ﴿لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ﴾: لا يُوفِّقُهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلِـمٌ دائمٌ.

***

(١٠٥) ـ ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ جوابٌ لهم حين قالوا: إنَّما أنتَ مُفترٍ ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ ابنُ بحرٍ: أعلَمَ أنَّهم هم أهلُ تلكَ الصِّفةِ دونَ رسولِ الله عليه السَّلامُ، فردَّ عليهم بالوصفِ دونَ النَّصِّ أوَّلًا، ثمَّ ردَّ نصًّا فقالَ: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾.

***

(١) ذكر الطبري هذا المعنى على قراءة (يَلحدون) بفتح الياء، وهي قراءة حمزة والكسائي. انظر: «السبعة» (ص: ٢٩٨)، و«التيسير» (ص: ١٣٨)، وانظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٦٩).

(١٠٦) - ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾.

﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ ﴾ في سببِ النُّزولِ: قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: نزلَتْ في عمَّارِ بنِ ياسرٍ، وذلك أنَّ المُشركين أخذوه وأباه ياسرًا وأمَّه سُميَّةَ وصُهَيبًا وبلالًا وخبَّابًا وسالِـمًا فعذَّبوهم، فأمَّا سُميّةُ فإنَّها رُبطَتْ بين بعيرَين، ووُجِئَ قُبُلُها بحربةٍ، وقيل لها: إنَّكِ أسلَمْتِ لأجلِ الرِّجالِ، فقُتِلَتْ وقُتِلَ زوجُها ياسرٌ، وهما أوَّلُ قتيلٍ في الإسلامِ، وأمَّا عمارٌ فإنَّه أعطاهم ما أرادوا بلسانِه مُكرَهًا، وأُخبِرَ رسولُ الله عليه السَّلامُ بأنَّ عمّارًا كفَرَ، فقالَ: «كلَّا، إنَّ عمّارًا مُلِئَ إيمانًا من قَرنِه إلى قدَمِه، واختلَطَ الإيمانُ بلحمِه ودمِه»، فأتى عمّارٌ رسولَ الله عليه السَّلامُ وهو يبكي، فجعَلَ رسولُ الله عليه السَّلامُ يمسحُ عينَيه وقال: «إنْ عادُوا لك فعُدْ لهم بما قُلتَ»، فأنزَلَ الله هذه الآيةَ[1].

---

(١) ذكره بهذا السياق الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ١٣٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٨١)، ورواه مختصرًا الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٧٣). وانظر: «الطبقات الكبرى» (٣/ ١٨٨، ١٨٩).
وقول النبي ﷺ: «إنّ عمّارًا ملئ إيمانًا من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه» روى نحوه ابن أبي شيبة في «الإيمان» (٩١)، والإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٦٠٠) عن عمرو بن شرحبيل، ورواه النسائي (٥٠٠٧) عن عمرو بن شرحبيل عن رجل من أصحاب النبي ﷺ.
ورواه ابن أبي شيبة في «الإيمان» (٩٢)، وابن ماجه (١٤٧) عن علي رضي الله عنه، بلفظ: «إن عمارًا مليء إيمانًا إلى مُشاشه».
وروى يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٩٢)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١٥٠٩)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٧٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٠٤) عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر فعذَّبوه حتى باراهم في بعض ما أرادوا، فشكا ذلك إلى النبيّ ﷺ، فقال النبيُّ ﷺ: «كَيْفَ تَجدُ قَلْبَكَ؟» قال: مطمئنًا بالإيمان. قال النبيُّ ﷺ: «فإنْ عادُوا فَعُدْ». قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٢/ ٣١٢): وهو مرسل ورجاله ثقات. =

وقال مجاهدٌ: نزلَتْ في ناسٍ من أهلِ مكّةَ آمَنُوا، وكتَبَ إليهم المسلمون بالمدينةِ أنْ هاجِرُوا؛ لأنّا لا نراكُم منّا حتّى تُهاجِروا إلينا، فخرَجُوا يُريدونَ المدينةَ، فأدرَكَتْهم قريشٌ في الطَّريقِ وفتَنُوهم مُكرَهين، ففيهم نزلَتْ هذه الآيةُ[١].

قولُه تعالى: ﴿مَن كَفَرَ﴾: الزَّجَّاجُ: ﴿مَن﴾ رفعٌ على البدلِ من ﴿ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ ومُفسِّرٌ له، ولا يجوزُ أن يرتفعَ بالابتداءِ؛ لأنَّه لا خبرَ له[٢].

وأجازَ بعضُهم أن يكونَ رفعًا بالابتداءِ، وقولُه تعالى: ﴿مَّن شَرَحَ﴾ بدلٌ عنه، ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ خبرٌ عنهما[٣].

وقولُه تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾؛ أي: على التَّلفُّظِ بكلمةِ الكفرِ ﴿وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾؛ أي: قابلُ الإيمانِ[٤] وساكنٌ إليه.

﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾؛ أي: قبِلَه على اختيارٍ وانشراحِ صدرٍ[٥].

﴿صَدْرًا﴾: نصبٌ على التَّمييزِ؛ أي: شرَحَ صدرَه، فصُرِفَ الفعلَ إلى المُضافِ إليه، فانتَصَبَ على التَّمييزِ[٦].

= ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٣٦٢) عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه، وصححه، وقال الحافظ: «وهو مرسل أيضاً، وأخرج الطبري [في «تفسيره» (١٤/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤)] من طريق عطية العوفي عن ابن عباس نحوه مطولاً، وفي سنده ضعف».

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٧٨)، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٨٢).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢١٩).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦١٦)، وعدَّه من العجائب.

(٤) في (و): «بالإيمان».

(٥) في (و): «صدره».

(٦) هو تمييز منقول عن مفعول، وقد ذهب إلى جوازه أكثر المتأخرين، وأنكره أبو علي الشلوبين والأبذي وابن أبي الربيع. انظر: «التوطئة» للشلوبين (ص: ٣١٤ ـ ٣١٥)، و«ارتشاف الضرب» لأبي حيان (٤/ ١٦٢٣).

﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

* * *

(١٠٧) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الغضبُ والعـذابُ ﴿بِأَنَّهُمُ﴾: بسبـبِ أَنَّهم، وبدلَ أَنَّهم ﴿ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ﴾؛ أي: آثَروها عليها ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

* * *

(١٠٨) ـ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: ختمَ ﴿وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾؛ أي: خذلَـهم ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ عن آياتِ الله؛ لتركِهم التَّأمُّلَ فيها.

* * *

(١٠٩) ـ ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

﴿لَا جَرَمَ﴾: مَن جعلَه اسمًا فهو مفتوحٌ، ومَن جعلَه فعلًا جعَلَ ﴿لَا﴾ ردًّا، وقد سبقَ[١] ﴿أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

* * *

(١) الأول مذهب الكسائي والفراء والكوفيين، والثاني مذهب البصريين، ونص عليه سيبويه والمبرد وابن السراج وأبي علي الفارسي، وفيها لغات ذكرها المصنف في تفسير مثيلة هذه الآية في سورة (هود). انظر: «الكتاب» (٣/ ١٣٨)، و«المقتضب» (٢/ ٢٥١)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٨)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٦٥)، و«أمالي ابن الحاجب» (١/ ٢٣٤).

(١١٠) - ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَـٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟﴾ في سببِ النُّزولِ: قالَ قتادةُ: ذُكِرَ لنا أنَّه لمَّا أنزَلَ الله أنَّ أهلَ مكَّةَ لا يُقبلُ منهم إسلامٌ حتَّى يُهاجِروا، وكتبَ بها أهلُ المدينةِ إلى أصحابِهم، فخرَجُوا فأدركَتْهُم قريشٌ ففتنُوهم مُكرَهين، ومنهم مَن قُتِلَ ومنهم مَن نجا، فأنزَلَ الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟﴾[1]؛ أي: عُذِّبوا وأُوذوا حتَّى تلفَّظوا بما يُرضِيْهم ﴿ثُمَّ جَـٰهَدُوا۟﴾ مع النَّبيِّ عليه السَّلامُ ﴿وَصَبَرُوٓا۟﴾ على الدِّينِ والجهادِ ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾: بعدِ الفتنةِ التي أصابَتْهم، وقيل: المُجاهدةِ، وقيل: الهجرةِ ﴿لَغَفُورٌ﴾: يغفرُ ما تلفَّظُوا به منَ الكُفرِ تقيَّةً ﴿رَّحِيمٌ﴾: يرحمُهم.

ومَن قرأ: ﴿فتَنوا﴾[2] فتقديرُه: فتَنُوا أنفُسَهم.

ولـمّا طالَ الكلامُ أعادَ ﴿إِنَّ﴾ واسمَها.

***

(١١١) - ﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَـٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ﴾ يعني: يومَ القيامةِ ﴿تُجَـٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾: لا يُهِمُّه[3] إلَّا نفسُه، يحاجُّ الملكَ حالةَ المُحاسبةِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٧٨).

(٢) بفتح الفاء والتاء قراءة ابن عامر، والباقون بضم الفاء وكسر التاء. انظر: «السبعة» (١/ ٣٧٦)، و«التيسير» (ص: ١٣٨).

(٣) في (و) و(ن): «يهمها». والصواب ما في (ط)؛ لأن المصنف أعاد الضمير على معنى النفس، وهو الإنسان.

والمُجادلةُ: التَّشدُّدُ في الخصومةِ.

﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾: تُعطَى جزاءَ عملِها وافيًا ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: لا يُنقَصون ممَّا يستحِقُّه[1] شيئًا.

❋ ❋ ❋

(١١٢) ـ ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً﴾ ابنُ عبَّاسٍ في جماعةٍ: هي مكَّةُ[2].

ورُوِيَ عن حفصةَ زوجِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّها قالت عند قتلِ عثمانَ رضيَ الله عنه: إنَّها القريةُ والذي نفسي بيدِه ـ تعني: أنَّ المدينةَ هي القريةُ التي ضرَبَ الله المثَلَ بها ـ وسترَون ما يحِلُّ بأهلِها[3].

وعن الحسنِ[4]: هي بلدةٌ عظيمةٌ قديمةٌ آمنةٌ، كفرَ أهلُها فعذَّبهم الله أوَّلًا بالجوعِ والخوفِ ثمَّ استأصَلَهم، فضرَبَ تلك البلدةَ مثلًا لأهلِ مكَّةَ، كانت آمنةً ممَّا ابتُليَ غيرُهم به من الحربِ[5] والقتلِ والسَّبْيِ، وهم من ذلك آمِنون[6].

---

(١) أي: «يستحقه عملها»، كما في هامش (ط).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٨٣) عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد.

(٣) رواه ابن جرير في «تفسيره» (١٤/ ٣٨٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٠٥).

(٤) في (و): «الحسين رضي الله عنه».

(٥) في (و): «الخوف».

(٦) ذكر نحوه ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٥٨٩) عن الحسن.

وفي «النكت والعيون» (٣/ ٢١٨) ذكر ثلاثة أقوال: مكة، والمدينة، والثالث: «أنه مثل مضروب بأي قرية كانت على هذه الصفة من سائر القرى».

﴿كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾: قارَّةً بأهلِها لا يحتاجُونَ إلى الانتقالِ للانتجاعِ كما يَحتاجُ إليه سائرُ العربِ.

﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا﴾: أقواتُها، وقيل: موادُّها ﴿رَغَدًا﴾: كثيرًا واسعًا بلا عَناءٍ ﴿مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾: من نواحيها وفِجاجِها، وقيل: من ثلاثِ سُبُلٍ: اليَمَنِ والشّامِ والحبشةِ، ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾: بما أنعمَ اللهُ عليهم، وقيل: بمحمَّدٍ والقرآنِ والإسلامِ.

وأنعُمٌ: جمعُ نعمةٍ، كشِدَّةٍ وأشُدٍّ، وقيل: جمعُ نعماءَ، كبأساءَ وأبؤُسٍ، وقيل: جمعُ نُعْمٍ، كطُعْمٍ وأطْعُمٍ.

﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ وذلك أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ دَعا على قُريشٍ حين أفرَطُوا في أذاه، فقال: «اللَّهمَّ اشدُدْ وطأتكَ عليهم، واجعَلْ لهم سنينَ كسِنِيْ يوسفَ»[1]، فقطعَ اللهُ عنهم التِّجاراتِ والأمطارَ، وقُحِطوا سبعَ سنينَ مُتواليةً حتَّى أكلوا العِلْهِزَ والجِيَفَ[2]، وأوقعَ خوفَ النَّبيِّ عليه السَّلامُ والمؤمنين في قلوبِهم.

واستعارَ الذَّوقَ لكلِّ ما يُلِذُّ أو[3] يُؤلِمُ[4].

---

(١) رواه البخاري (٨٠٤)، ومسلم (٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه النَّسائي في «الكبرى» (١١٢٨٩) في تفسير سورة المؤمنين من حديث ابن عباس قال: جاء أبو سفيان إلى النَّبي ﷺ فقال: يا محمد، أَنْشدك الله والرحم فقد أكلنا العلهز؛ يعني: الوبر والدَّم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦].

العلهز: طعام كانوا يتخذونه من الدم ووبر البعير في سني المجاعة، وقد تقدم في رواية النسائي انظر: «الصحاح» (٣/ ٨٨٧).

(٣) في (و): «ويؤلم».

(٤) ذكر ضياء الدين بن الأثير في «المثل السائر» (٢/ ٩١) أن في الآية ثلاث استعارات بُني بعضها على =

(١١٣) ـ ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ ﴾ يعني: محمَّدًا عليه السَّلامُ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ قال المُفسِّرون: إنَّه القتلُ بالسَّيفِ يومَ بدرٍ، وقيل: الجدْبُ الشَّديدُ. ثمَّ خاطبَ المؤمنين فقال:

* * *

(١١٤) ـ ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾.

﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾: منَ الغنائمِ ﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ حكى الفقيهُ أبو اللَّيثِ رحمَه الله في «تفسيرِه»: أنَّ أهلَ مكَّةَ بَعثُوا إلى النَّبيِّ عليه السَّلامُ فقالوا: إنْ عادَيْتَ الرِّجالَ فما بالُ الصِّبيانِ والنِّساءِ؟ فأذِنَ رسولُ الله عليه السَّلامُ في حملِ الطَّعامِ إليهم ولم يقطَعْ عنهم[1]، فقالَ الله تعالى: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾؛ يعني: خُزاعةَ وثقيفًا؛ أي: ما أحلَّ اللهُ لكم ﴿وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾.

* * *

= بعض؛ استعارة القرية لأهلها، واستعارة الذوق للباس، واستعارة اللباس للجوع والخوف، وبين هذه الاستعارات تناسب لا يخفى. ولفظ الذوق أبلغ في الإحساس وأدخل في الإيلام، أما لفظ اللباس فدل على أن الألم يشملهم ويغطيهم ويحيط بهم كما يغطي اللباس الجسم. انظر: «الطراز» ليحيى بن حمزة الطالبي (١/ ١٢٣).

(١) انظر: «تفسير السمرقندي» (٢/ ٢٩٥).

(١١٥) - ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ سبقَ تفسيرُه في (البقرة).

* * *

(١١٦) - ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ﴾؛ أي: لوصفِ ألسنتِكُم الكذبَ ﴿هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ كما قالوا في البَحيرةِ، وكما قالوا[1] ﴿مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ...﴾.

﴿لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ قيل: هي لامُ العاقبةِ، وقيل: هي لامُ (كي)؛ لأنَّهم قالوا: اللهُ أمرَنا بهذا ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾.

* * *

(١١٧) - ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾؛ أي: هو متاعٌ قليلٌ لا بقاءَ له؛ لأنَّ عمرَ الدُّنيا قصيرٌ، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يُريدُ: في الآخرةِ.

* * *

(١١٨) - ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ يُريدُ: ما تقدَّمَ من قولِه: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ

(١) «ما» سقطت من (و) و(ن).

هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦]، وقولُه تعالى: ﴿مِن قَبْلُ﴾ يتعلَّقُ بـ﴿قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾، وقيل: بـ﴿حَرَّمْنَا﴾، والأوَّلُ أظهرُ.

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ بالتَّحريمِ ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ فحرَّمْنا عليهم عقوبةً لهم على معاصيهم.

* * *

(١١٩) ـ ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾: جهالةِ غَلَبةِ الشَّهوةِ والشَّبابِ.

الفرَّاءُ: كلُّ مَن عمِلَ سوءًا فهو جاهلٌ[١].

ابنُ عيسى: عمِلوه بداعي الجهلِ.

﴿ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾: من بعدِ التَّوبةِ وبعدِ الجهالةِ ﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

* * *

(١٢٠) ـ ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾؛ أي: مُعلِّمًا للخيرِ يأتمُّ به أهلُ الدُّنيا.

مجاهدٌ: كان مُؤمنًا وحدَه والنَّاسُ كلُّهم كفَّارٌ[٢].

وقيل: كان يقومُ مَقامَ أمَّةٍ[٣].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١١٤).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٠٦)، وذكره النحاس في «معاني القرآن» (٤/ ١١١).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦١٧)، واستغربه.

المُؤرِّجُ: الأمَّةُ: الإمامُ يُقتَدَى به؛ في لغة قريشٍ.

وعن شهرِ بنِ حَوْشَبٍ: لم تبقَ الأرضُ إلَّا وفيها أربعةَ عشرَ يدفعُ الله بهم عن أهلِ الأرضِ، وتُخرِجُ بركتَها، إلّا زمنَ إبراهيمَ عليه السَّلامُ؛ فإنَّه كانَ وحدَه[(١)].

وقيل: سُمِّي أمَّةً؛ لأنَّه انفردَ بالتَّوحيدِ في دهرِه، كما قال عليه السَّلامُ في قسِّ بنِ ساعدةَ: «يُحشَرُ يومَ القيامةِ أمَّةً»[(٢)].

﴿قَانِتًا لِّلَّهِ﴾: هو المُطيعُ الدّائمُ على الطَّاعةِ، وقد سبقَ.

﴿حَنِيفًا﴾: مائلًا عن الأديانِ، وقيل: مُستقيمًا، وقيل: حاجًّا، وقيل: مُختَتِنًا، وقد سبقَ.

وقد ذكرَ المُفسِّرون أنَّ ابنَ مسعودٍ قرأ[(٣)]: (إنَّ مُعاذًا كانَ أمَّةً قانتًا) فقيل: غلطتَ، إنَّما هو إبراهيمُ، فأعادَها ثلاثًا، ثمَّ قال: إنَّا معاشرَ أصحابِ رسولِ الله ﷺ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٩٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ١٥٤).

(٢) رواه أبو سعيد النقاش في «فنون العجائب» (٢٨) و(٢٩)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٥٥)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ١٠٥ـ١١٣)، في خبر طويل عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال البيهقي: «وقد روي من وجه آخر عن الحسن البصري منقطعاً، وروي مختصراً من حديث سعد بن أبي وقاص وأبي هريرة، وإذا روي حديث من أوجه ـ وإن كان بعضها ضعيفاً ـ دل على أن للحديث أصلاً، والله أعلم».
وروي نحوه في شأن زيد بن عمرو بن نفيل، رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٦٤٨)، عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، قال: كان رسول الله ﷺ بمكة هو وزيد بن حارثة، فمر بهما زيد بن عمرو بن نفيل، فدعواه إلى سفرة لهما، فقال: يا ابن أخي، إني لا آكل مما ذبح على النصب، قال: فما رئي النبي ﷺ بعد ذلك أكل شيئاً مما ذبح على النصب. قال: قلت: يا رسول الله، إن أبي كان كما قد رأيت وبلغك، ولو أدركك لآمن بك واتبعك، فاستغفر له؟ قال: «نعم، فأستغفر له، فإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده». وفي إسناده ضعف.

(٣) في مصادر التخريج: «قال» أي: قالها تمثُّلاً بالآية، وليست بقراءة، والله أعلم.

كُنَّا نُشبِّهُه بإبراهيمَ عليه السَّلامُ، ثمَّ قال: أتدري ما الأمّةُ وما القانتُ؟ قلنا: الله أعلَمُ، فقالَ: الأمَّةُ: الذي يُعلِّمُ الخيرَ، والقانتُ: المُطيعُ لله، وكذلك كان معاذُ بنُ جبلٍ مُعلِّمًا للخيرِ مُطيعًا لله، حكاه الثَّعلبيُّ وغيرُه[١].

﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ كما زَعمُوا، وحُذِفَ النُّونُ تشبيهًا بحروفِ المدِّ واللِّينِ[٢].

***

(١٢١) ـ ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾؛ أي: لنِعَمِه، وقعَ الجمعُ القليلُ موقعَ الجمعِ الكثيرِ[٣].

﴿ٱجْتَبَىٰهُ﴾: اختارَه لنُبوَّتِه ﴿وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وهو الإسلامُ، لا كما زعمَ اليهودُ والنَّصارى.

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٦/ ١٥٣)، ورواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ٢٦٥)، وأبو زرعة في «تاريخه» (ص: ٦٤٨)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٩٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩٩٤٤) و(٩٩٤٧)، والحاكم في «المستدرك» (٥١٨٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٤٩): «رواه الطبراني بأسانيد ورجال بعضها رجال الصحيح».
وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦١٧)، وعدَّه من العجائب.

(٢) هذا التعليل هو ظاهر مذهب سيبويه، ولذلك لا يجوز عنده حذف النون إذا وليها ساكن، وهو حذف على خلاف الأصل عنده، وقد ذكر المبرد أنها حذفت استخفافاً، أما ابن السراج فذكر أن هذه النون حذفت لكثرة الاستعمال، وأن هذه النون شبهت بالنون الزائدة ونون الإعراب التي تحذف في بعض المواضع، وقد وافق أبو علي سيبويه، ووافق الرماني ابن السراج. انظر: «الكتاب» (٤/ ١٨٤)، و«المقتضب» (٣/ ١٦٧)، و«الأصول» (٣/ ٣٤٣)، و«التعليقة» لأبي علي (٥/ ١١٧)، و«شرح الكتاب» للرماني (ص: ٢٨٨).

(٣) ذكر سيبويه أن مجمع القلة (أبنية أدنى العدد) أربعة أبنية هي: أَفْعُل وأفْعال وأفْعِلَة وفِعْلَة وأن هذه الأبنية للقلة في الأصل، لكن ربما جاءت للكثرة. انظر: «الكتاب» (٣/ ٤٩٠).

(١٢٢) ـ ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾.

﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾: لسانَ الصِّدقِ والثَّناءَ الجميلِ.

قتادةُ: هي أنْ جعلَه بحيثُ كلُّ المِلَلِ ينتسِبُونَ إليه[1].

الحسَنُ: النُّبوّةَ[2].

سعيدُ بنُ جُبيرٍ: الولدَ الطَّيِّبَ[3].

﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ منَ الأنبياءِ.

***

(١٢٣) ـ ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾.

﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾؛ أي: بعدَ إبراهيمَ بالزَّمنِ الطَّويلِ أمرناكَ باتِّباعِ طريقتِه في عبادةِ ربِّه؛ ليعلمَ أهلُ الأديانِ أنَّ الذي يدعو إليه محمَّدٌ النّاسَ دينُ إبراهيمَ عليهما السَّلامُ.

***

(١٢٤) ـ ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾.

﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾: هم اليهودُ، وإنَّما عدَّاه بـ﴿عَلَى﴾ لأنَّ اليومَ صارَ عليهم ـ لا لهم ـ بارتكابِهم المعاصيَ فيه.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٤٤)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٩٨).

(٢) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٣/ ٢١٩).

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٧/ ٥١٦) عن الكلبي، وذكر النحاس في «معاني القرآن» (٥/ ٢٢٠) عن سعيد بن جبير أنه وافق عكرمة بأن أهل الملل كلها تدعيه، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ١٥٥) بلا نسبة، وحكاه ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٥٩٢) عن الثعلبي.

وقيل: معناه: حرَّمَ الكسبَ عليهم؛ أي: العمَلَ فيه.

الحسَنُ: جعَلَ السَّبتَ لعنةً عليهم بأنْ جعَلَ منهم القردةَ[١].

وقيل: أوحينا إليهم تعظيمَه.

ومعنى: ﴿ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾؛ أي: حلَّلَه قومٌ منَ اليهودِ وحرَّمَه قومٌ.

ابنُ عبَّاسٍ: إنَّ الله تعالى قال: ذَرُوا الأعمالَ في يومِ الجمعةِ وتفرَّغُوا فيه لعبادتي، فقالوا: نُريدُ السَّبتَ؛ لأنَّ اللهَ فرَغَ فيه من خلقِ السَّماواتِ والأرضِ، فهو أولى بالرّاحةِ، وقال بعضُهم: نُحِبُّ أن يكونَ يومَ الأحدِ؛ لأنَّ فيه بدأ الله الخلقَ، فألزَمَهم السَّبتَ، وشدَّدَ التَّكليفَ فيه؛ لمُخالفتِهم أمرَه[٢].

ورَوَى أبو هريرةَ رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ قال: «كتَبَ الله الجمعةَ على مَن كانَ قبلَنا فاختلَفُوا فيها، وإنَّ اللهَ هدانا لها، فالنّاسُ لنا فيها تبعٌ؛ فلليهودِ غدٌ، وللنَّصارى بعدَ غدٍ»[٣].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾.

***

(١٢٥) ـ ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾.

﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾؛ أي: ادعُ يا محمَّدُ أمَّتَك ومَن بُعثتَ إليه إلى الإسلامِ ﴿بِٱلۡحِكۡمَةِ﴾: النُّبوَّةِ ﴿وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ﴾: القرآنِ.

---

(١) نقله ابن حيان في «البحر المحيط» (٦/ ٦١٢).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٣/ ٢٢٩) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٥١) عن الكلبي.

(٣) رواه البخاري (٨٧٦)، ومسلم (٨٥٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ابنُ جريرٍ: ﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾ بالقرآنِ، ﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ العِبَرِ المعدودةِ في هذه السُّورةِ(١).

وقيل: الحكمةُ والموعظةُ: القرآنُ.

ابنُ عيسى: الحكمةُ: المعرفةُ بمراتبِ الأفعالِ، والموعظةُ الحسنةُ: أن تختلطَ الرَّغبةُ بالرَّهبةِ، والإنذارُ بالبشارةِ(٢).

﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ الزَّجَّاجُ: أي: جادِلْهم غيرَ فظٍّ ولا غليظِ القلبِ في ذلك، بل أَلِنْ لهم جانبَكَ(٣).

مجاهدٌ: أعرِضْ عن أذاهُم إيّاكَ(٤).

وقيل: على قَدْرِ ما يَحتمِلون، رَوَى أُبيٌّ رضي الله عنه عنِ النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قالَ: «أُمِرْنا معاشرَ الأنبياءِ أن نُكلِّمَ النّاسَ على قدرِ عقولِهم»(٥).

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٤٠٠).

(٢) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٦/ ٦١٣).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٢٣).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٤٠١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٠٧).

(٥) لم أقف عليه عن أبي رضي الله عنه. وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٢٠) من حديث نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما.

ورواه خيثمة بن سليمان في «حديثه» (ص: ٧٥) عن سعيد بن المسيب مرسلًا، وقال الزركشي في «التذكرة» (ص: ١٠٧): «رواه صاحب مسند الفردوس من جهة أبي معشر عن رجل سماه عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعًا، وفي إسناده ضعيف ومجهول».

وله شواهد موقوفة:

منها: ما رواه البخاري (١٢٧) عن علي رضي الله عنه قال: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟». =

والجِدالُ: فتلُ[1] الخصمِ عن مذهبِه بطريقِ الحِجَاجِ[2].

وذهبَ بعضُ المُفسِّرين إلى أنَّه منسوخٌ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾؛ أي: ثمَّ إنْ لم يقبَلُوا رُشدَهُم بعدَ اللُّطفِ فأنفُسَهم يضرُّونَ.

***

(١٢٦) - ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾.

في سببِ النُّزولِ: عن ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله عليه السَّلامُ يومَ قُتِلَ حمزةُ ومُثِّلَ به: «لَئِنْ ظَفِرْتُ بقُريشٍ لأُمثِّلَنَّ بسبعين رجلًا منهم»، فأنزَلَ الله هذه الآياتِ، فقال رسولُ الله ﷺ: «بل نصبرُ يا ربّ»[3].

= ومنها: ما رواه مسلم في مقدمة «صحيحه» (١/ ١١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة».

(١) في (ن): «نقل».

(٢) تقدم توهين المصنف للجدال بنحو هذا في تفسيره قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا﴾، وقد ذكره قبل ذلك ابن فورك في «تفسيره» (١/ ٣٩٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٦٩).

(٣) رواه البزار في «مسنده» (٩٥٣٠)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٤٤٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٩٣٧)، والحاكم في «المستدرك» (٤٨٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وصححه الحاكم، وتعقبه الذهبي بقوله: «صالح المري واه».

ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٠٥١)، والدارقطني في «سننه» (٤٢٠٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. قال الدارقطني: «فيه عبد العزيز بن عمران ضعيف». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٢٠): «رواه الطبراني، وفيه أحمد بن أيوب بن راشد وهو ضعيف». =

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾: جازَيتُم المُسيءَ على إساءتِه ﴿فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾ أمرٌ أن يكونَ الجزاءُ على الذَّنبِ مثلَه، لا كما كانت العربُ تفعلُه وجرَى على لفظِه عليه السَّلامُ.

وهذا فيمَن جعلَ السُّورةَ مكِّيَّةً إلّا هذه الآياتِ، ومَن جعلَ السُّورةَ كلَّها مكِّيَّةً حملَ معناها على ما يشبهُ هذه الآيةَ من قولِه تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ﴾ [النساء: ٦٣]، و﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢]، ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]؛ أي: الصَّفحُ عن الشَّيءِ ما لم يُؤدِّ إلى ضررٍ أحمدُ عندَ الله والمُؤمنين.

* * *

(١٢٧) - ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾.

﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾: لا تجزَعْ على ما أصابَكَ، وقولُه: ﴿إِلَّا بِٱللَّهِ﴾: بمَعونتِه، وقيل: إلّا لله.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ فهم شهداءُ عندَ الله يُرزَقُونَ فرِحينَ ﴿وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ منَ القتلِ والمُثلةِ.

ومَن قالَ: كلُّها مكِّيَّةٌ، فالمعنى: ﴿وَٱصْبِرْ﴾ على أذى المُشركين ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾: بتوفيقه ومعونتِه، ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ في تكذيبِهم إيّاك وإفراطِهم في أذاكَ، ولا يضيقُ صدرُك بمكرِهم في إبطالِ دينِ الله.

* * *

= ورواه الدارقطني (٤٢٠٩) من طريق آخر من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: «لم يروه غير إسماعيل بن عياش وهو مضطرب الحديث عن غير الشاميين».

(١٢٨) ـ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ ما حُرِّمَ عليهم ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ فيما رزقَهم الله.

ومعنى: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾: ناصِرُهم ومُعينُهم في الدُّنيا والعُقبَى.

* * *

سُورَةُ الإِسْرَاءِ

سُورَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ

مِئَةٌ وَإِحدَى عَشَرَ آيةً[1]، مكِّيَّةٌ عند الجميعِ.

قتادةُ: مكِّيَّةٌ إلَّا ثمانِ آياتٍ من قولِه: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ [الإسراء: ٧٣] إلى آخرِ ثمانِ آياتٍ[2]، وفيها: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: ٨٠] نزلت بين مكَّة والمدينةِ[3].

---

(١) «مئة وإحدى عشر آية»: ليست في (و). وفيها قول آخر: مئة وعشر آيات، واختلافهم في آية ﴿لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ عدَّها الكوفي ولم يعدَّها الباقون. انظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٧٧).

(٢) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٧)، لكن روي عن قتادة خلافه، فقد روى الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٤) من طريق سعيد عن قتادة: ذكر لنا أن قريشاً خلوا برسول الله ﷺ ذات ليلة إلى الصبح يكلمونه ويفخمونه ويسوّدونه ويقاربونه، وكان في قولهم أن قالوا: إنك تأتي بشيء لا يأتي به أحد من الناس، وأنت سيدنا وابن سيدنا، فما زالوا يكلِّمونه حتى كاد أن يقارفهم، ثم منعه الله وعصمه من ذلك، فقال: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾.

وروى عبد الرزاق في «تفسيره» (١٥٩٧) نحوه عن معمر عن قتادة.

وفي هذه القصة دلالة على أنَّ الآيات مكية في قول قتادة.

وقد صح استثناء آخر من مكيتها، وهو قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ الآية؛ لما أخرج البخاري (١٢٥)، ومسلم (٢٧٩٤) عن ابن مسعود: أنها نزلت بالمدينة في جواب سؤال اليهود عن الروح.

(٣) ذكره الجرجاني في «درج الدرر» (٢/ ٦٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولعله يشير لما رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٩٤٨)، والترمذي (٣١٣٩) ـ وقال: حسن صحيح ـ عن ابن عباس قال: كان رسولُ الله ﷺ، بمكةَ، ثُم أُمر بالهجرة، وأُنزل عليه: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي =

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) ـ ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ﴾ ﴿سُبْحَٰنَ﴾ مصدرٌ كالغُفْران، وليس من لفظه فعلٌ، وقيل: هو الاسمُ من سَبَّح، والتَّسبيحُ مصدرُه[١]، ونصبُ ﴿سُبْحَٰنَ﴾ على المصدرِ، ولم يُستعملْ إلَّا منصوباً، وأكثرُ مجيئه مضافاً، وقد جاءَ منوَّناً كقولِ أُميَّةَ:

سُبْحَانَهُ ثُمَّ سُبْحَاناً نَعُوذُ بِهِ[٢] ... وَقَبْلَنَا سَبَّحَ الْجُودِيُّ وَالجُمُدُ[٣]

وجاءَ غيرَ مضافٍ ولا منوَّنٍ، قال:

= مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾. والظاهر من الخبر أنها نزلت قبل خروجه؛ أي: في مكة. كما أن هذا الحديث في إسناده ضعف، فيه قابوس ـ وهو ابن أبي ظبيان الجنبي الكوفي ـ وهو ضعيف يكتب حديثه ولا يحتج به، وباقي رجاله ثقات، كما ذكر محققو «المسند».

(١) في (و): «مصدر».

(٢) في (و): «ثُمَّ سُبْحَانه نَعُوذُ بِهِ»، وفي (ن) و(ط): «ثم سبحاناً نقول له». والمثبت موافق لما في المصادر، لكن جاء في بعضها: «يعود له» بدل: «نعوذ به»، وهي رواية له كما ذكر البغدادي في «خزانة الأدب» (٤/ ٤٢).

(٣) نسب لأمية في «الكتاب» (١/ ٣٢٦)، ونسبه أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ٢٩٠) لزيد بن عمرو بن نفيل، وفي «الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٥١) لزيد بن عمرو بن نفيل أو ورقة بن نوفل.
وقال البغدادي في «الخزانة» (٣/ ٣٨٩): «وهذا البيت من أبيات لورقة بن نَوْفَل قَالها لكفار مَكَّة حين رآهم يعذبون بلالًا على إسلامه» فذكرها، ثم قال بعد ذلك: «وقد وقع بيت الشاهد في كتاب سيبويه غير معزوٍّ إلى واحد، واختلف شرَّاح شواهده؛ فأكثرهم قال: إنها لأمية بن أبي الصَّلْت، وقال بعضهم: إنها لزيد بن عَمْرو بن نفَيْل. والصواب ما قدمْناه». والجوديُّ والجمد جبلان كما ذكر البغدادي في «خزانة الأدب» (٧/ ٢٤٢).

أَقُـولُ لَمَّـا جَـاءَنِـي فَـخْـرُهُ سُبْحَانَ مِـنْ عَلْقَمَـةَ الفَاخِـرِ[١]

جعله عَلَماً، وفيه الألفُ والنُّونُ فلم يَنْصرِفْ.

وفي معناه أقوالٌ، وقد سبقَ[٢] أحدُها: تنزيهٌ وتبرئةٌ.

وكيعٌ: إنزاهُ اللهِ من السُّوءِ[٣].

مجاهدٌ: إنكافُ اللهِ[٤].

ابن عبَّاسٍ: تعجُّبٌ[٥].

الحسنُ: كلمةٌ اتَّخذها اللهُ لنفسه[٦].

---

(١) البيت للأعشى. انظر: «ديوانه» (ص: ٩٤)، و«الكتاب» (١/ ٣٢٤)، وعلقمة هو ابن علاثة، والبيت في هجائه، وقد تقدم.

(٢) في قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾.

(٣) لم أجده عن وكيع، وروي مرفوعاً، رواه البزار في «مسنده» (٣٠٨٢ ـ كشف الأستار)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٢٨)، من طريق موسى بن طلحة عن أبيه طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

ورواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٢٨) و(١٤/ ٤١٢) من طريق موسى بن طلحة عن النبي ﷺ مرسلاً، والمرفوع ضعيف الإسناد، وقد أورده الدارقطني في «العلل» (٤/ ٢٠٨) موصولاً ومرسلاً، وقال: «المرسل أصح».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٤١٢). ومعنى أنكفته: نزهته عما يستنكف منه. انظر: «عمدة الحفاظ» للسمين الحلبي (٤/ ٢٢٢).

(٥) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٦٨) بلفظ: «سبحان: عجب».

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٢٣) عن علي رضي الله عنه، ولفظ الطبري: «كلمة رضيها الله لنفسه».

﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ السُّرَى والإسراءُ: الذَّهابُ في اللَّيلِ، وقُرئ ﴿فَأَسْرِ﴾ [هود: ٨١] بالوجهين[١]، وتَعَدَّى بالباءِ، وعبدُه: محمَّدٌ عليه السلام[٢].

﴿لَيْلًا﴾ قيَّده بذكر اللَّيلِ ـ والإسراءُ لا يكونُ إلَّا باللَّيلِ ـ تأكيداً، كما تقولُ: أخذَ[٣] بيده، وقالَ بلسانه.

وقيل: المرادُ بقوله: ﴿لَيْلًا﴾؛ أي: في بعضِ اللَّيلِ لا في كلِّه، على تقليل الوقت[٤].

وقيل: أرادَ: أوَّلَ اللَّيل.

وقيل: قوله: ﴿لَيْلًا﴾ يدلُّ على جوفِ اللَّيلِ؛ أي: لم يكنْ إدلاجاً[٥] ولا ادِّلاجاً[٦].

وقيل: لقطعِ مَجازٍ يُستعملُ له السُّرى[٧]، تقولُ: سَرَى الشَّيءُ في الشَّيءِ: إذا جرى فيه برفقٍ وخفاءٍ.

﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ فيه قولان:

أحدُهما: أنَّ المسجدَ الحرامَ اسمٌ لجميعِ بلدِ مكَّة، وكان النَّبيُّ عليه السَّلام

---

(١) قرأ بهمزة الوصل نافع وابن كثير، والباقون بهمزة القطع. انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٨)، و«التيسير» (ص: ١٣٦).

(٢) ووصف النبي ﷺ بالعبودية في هذا المقام وصف تشريف. انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٧/ ٨)، و«التفسير الكبير» للرازي (١/ ٢١٤)، و«الاعتصام» للشاطبي (٣/ ٣١٠).

(٣) في (ن): «أخذه».

(٤) «على تقليل الوقت» ليست في (و).

(٥) تحتها في (ن): «أول الليل» شرح.

(٦) تحتها في (ن): «آخر الليل» شرح.

(٧) أي: نفياً للمجاز الذي يستعمل له السُّرى. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٦٢٠).

تلك اللَّيلة في بيتِ أمِّ هانئٍ بنتِ أبي طالبٍ، قالت أمُّ هانئٍ: ما أُسري برسولِ اللهِ عليه السَّلام إلَّا من بيتي، وكان في بيتي نائماً تلك اللَّيلة، فصلَّى العشاءَ الآخرةَ، ثمَّ نامَ ونمنا، فلمَّا كان قُبَيل[1] الفجرِ هبَّنا هو[2]، فلمَّا صلَّى الصُّبحَ وصلَّينا معه قالَ: «يا أمَّ هانئٍ، لقد صلَّيتُ معكم العشاءَ الآخرةَ كما رأيتِ بهذا الوادي، ثمَّ جئتُ بيتَ المقدسِ فصلَّيتُ فيه، ثمَّ صلَّيتُ صلاةَ الغداةِ الآن معكم كما ترينَ[3]»[4].

والثَّاني: أنَّه الكعبةُ، فإنَّ أنساً روى عن النَّبيِّ عليه السَّلام أنَّه قال: «بينا أنا عند البيتِ بين النَّائمِ واليقظانِ إذ سمعتُ قائلاً يقولُ: قمْ يا محمَّدُ، فجلستُ فلم أرَ شيئاً، فعدتُ لمضجعي حتَّى جاءني[5] الثَّانيةَ، فأخذَ بعَضُدِي وأخرجني إلى بابِ المسجدِ»[6].

---

(١) في (و): «قبل».

(٢) قوله: «هبنا هو» كذا في النسخ الخطية، وفي المصادر: «أهبنا رسول الله ﷺ»، و(هبَّ) يأتي لازماً كما هو مشهور ويأتي متعدياً أيضاً كما استعمله المصنف. انظر: «تاج العروس» مادة: (هـ ب ب) (٤/ ٣٧٢).

(٣) في (و): «ترون».

(٤) رواه الطبري في «التفسير» (١٤/ ٤١٤)، من طريق ابن إسحاق عن الكلبي عن أبي صالح عن أم هانئ رضي الله عنها، وهو في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٤٠٢) عن ابن إسحاق قال: بلغني... فذكره.

ورواه الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ١٧٩) من طريق محمد بن مروان عن الكلبي به.

والكلبي متروك، ومحمد بن مروان هو السدي الصغير كذاب، كما أن في متنه نكارة نبه عليها الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٨/ ١٣٧)، وهي: أنه صلى العشاء الآخرة والصبح معهم، وإنما فُرضت الصلاة ليلة المعراج، وكذا نومه الليلة في بيت أم هانئ، وإنما نام في المسجد.

(٥) في (ن): «جاء».

(٦) لم أجده هكذا من حديث أنس رضي الله عنه، وأقرب شيء إليه وجدته هو ما رواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٣٩٧)، ومن طريقه الطبري في «التفسير» (١٤/ ٤١٥)، =

قولُه تعالى: ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ وهو بيتُ المقدسِ بإجماعٍ من المفسِّرين، وقالوا: بناه سليمانُ بن داودَ عليهما السَّلام.

وقيل: بينه وبين الكعبةِ أربعونَ عاماً[(١)].

ووَصَفَه بالأقصى كأنَّه قال: من المسجدِ الأدنَى منهم إلى المسجدِ الأقصى منهم؛ أي: من العربِ، أو من أهلِ مكَّةَ، أو من النَّبيِّ وأصحابه، وقيل: الأقصى من المسجدِ الحرامِ.

﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ بالمياهِ والأشجارِ.

وقيل: معناه: جعلنا فيه السَّعةَ في الرِّزقِ والرُّخصَ في السِّعرِ، فلا يحتاجُ إلى جلبِ المِيْرِ[(٢)].

= عن الحسن بن أبي الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أنا نائم في الحجر جاءني جبريل فهمزني بقدمه فجلست فلم أر شيئاً فعدت لمضجعي فجاءني الثانية فهمزني بقدمه فجلست فلم أر شيئاً فعدت لمضجعي فجاءني الثالثة فهمزني بقدمه فجلست فأخذ بعضدي فقمت معه فخرج بي إلى باب المسجد...» ثم ذكر قصة البراق. وإسناده ضعيف لإرساله.

أما حديث أنس رضي الله عنه فرواه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤) من حديث أنس عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه بلفظ: «بَيْنَا أنا عند البيت بينَ النَّائم واليقظان إذْ سمعت قائلًا يقول: أحدُ الثَّلاثة بين الرَّجُلَين، فَأُتِيتُ فانْطُلِقَ بي فأُتِيتُ بطَسْتٍ من ذهبٍ فيها من ماء زمزمَ...» ثم ذكر قصة شق صدره وغسله بماء زمزم ثم قصة البراق.

وفي رواية عند البخاري (٣٨٨٧) من حديث أنس عن مالك بن صعصعة أيضاً: «بينما أنا في الحطيم ـ وربما قال: في الحِجْرِ ـ مضطَجِعًا إذ أَتاني آتٍ...». قال في «الفتح» (٧/ ٢٠٤): المراد بالحطيم هنا الحجر.

(١) في (ن): «وقيل: بني بعد الكعبة بأربعين عاماً».

وهذا القول رواه البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (٥٢٠)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) المِيرُ: جمع المِيْرَة، وهي: جلب الطعام للقوم، وقيل: اسم للطعام الذي يحمل من بلد إلى بلد. =

وقيل: ﴿بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾ بأنْ صيَّرناه موضعاً للعباداتِ ومسكناً للأنبياءِ عليهم السَّلام، وأرادَ بقوله: ﴿حَوۡلَهُۥ﴾ الشَّامَ. وقيل: تقديره: ما حوله.

﴿لِنُرِيَهُۥ﴾ يعني: محمَّداً عليه السَّلام ﴿مِنۡ ءَايَٰتِنَآ﴾ الدَّالَّةِ على توحيدِ اللهِ وصدقِ نبوَّته برؤيته السَّماواتِ وما فيها من العجائبِ والآياتِ، ومشاهدتِه بيتَ المقدسِ ومقاماتِ الأنبياءِ ومواضعَ العباداتِ.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لدعائه ﴿ٱلۡبَصِيرُ﴾ بأعماله.

وقيل: سمعَ مقالةَ الكفَّارِ وأبصرَ مطالبتَهم بالآياتِ.

وقيل: يسمعُ ما يقولون في الإسراءِ ويُبصرُ ما يعملون.

ويحتمِلُ: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ أسمعَ النَّبيَّ[١] كلامَه، ﴿ٱلۡبَصِيرُ﴾ المُبصِرُ؛ أبصرَه الآياتِ وأرشدَه.

واختلفوا في المعراجِ:

فذهبت عائشةُ رضي الله عنها إلى أنَّه أسرى بروحه ولم يُسرَ بجسمه وما فُقِد[٢] جسمُه[٣].

= انظر: «العين» مادة: (م ي ر) (٨/ ٢٩٥)، و«إسفار الفصيح» (١/ ٥١٠).

(١) «النبي»: ليست في (و).

(٢) في (و): «وما صعد».

(٣) رواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٤٠٠) قال: حدثني بعضُ آل أبي بكر عن عائشة أمِّ المؤمنين أنها كانت تقول: «ما فُقِدَ جسد رسول الله...».، ومن طريق ابن إسحاق رواه الطبري في «التفسير» (١٤/ ٤٤٥). وهو منقطع كما ترى، وقد اعترض بما سيأتي في التعليق الآتي.

وذهبَ معاويةُ إلى أنَّ ذلك كان رؤيا من اللهِ صادقةً(١)، وأنكره الحسنُ(٢).

وذهبَ جماعةٌ من المفسِّرين إلى أنَّه أُسري بجسده وروحه إلى بيتِ المقدسِ ثمَّ رجعَ من ليلته إلى مكَّةَ(٣).

وذهبَ الجمهورُ إلى أنَّه أُسري بجسده وروحه إلى بيتِ المقدسِ ثمَّ إلى السَّماواتِ حتَّى انتهى إلى سدرةِ المنتهى على ما يأتي في سورةِ «النَّجمِ» إن شاءَ اللهُ تعالى، وهذا مذهبُ السُّنَّةِ والجماعةِ(٤)، وعليه يدلُّ ظاهرُ القرآنِ، ووردَ في

---

(١) رواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٤٠٠)، ومن طريقه الطبري في «التفسير» (١٤/ ٤٤٥)، وفي «تهذيب الآثار» (٧٣٢)، وجاء في هذه المصادر عن ابن إسحاق أنه قال: حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أن معاوية بن أبي سفيان كان إذا سئل عن مسرى رسول الله ﷺ قال: «كانت رؤيا من الله صادقة». وهذا الخبر فيه انقطاع؛ فإن يعقوب وإن كان ثقة إلا أنه لم يدرك معاوية. انظر: «سبل الهدى والرشاد» (٣/ ٦٩).

وقال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ٤٣٥): «واعتُرِض قول عائشة بأنها كانت صغيرة لم تشاهد ولا حدَّثت عن النبي عليه السلام، وأما معاوية فكان كافراً في ذلك الوقت غيرَ مشاهد للحال صغيراً، ولم يحدث عن النبي ﷺ». وقد تمسَّك المعتزلة بهذا، ومنعوا كون الإسراء في اليقظة. انظر: «البحر المحيط» للزركشي (٥/ ٢٢٥).

(٢) لم أجد الإنكار، لكن روي القولان عن الحسن، فقد قال ابن إسحاق عقب خبر معاوية وعائشة: فلم ينكَر ذلك من قولهما؛ لقول الحسن: إن هذه الآية نزلت في ذلك: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾. انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٤٠٠)، و«تفسير الطبري» (١٤/ ٤٤٦). لكن قال القاضي عياض في مبحث الإسراء والمعراج من «الشفا» (١/ ١٨٧): «والمشهور عن الحسن خلافه».

(٣) وهؤلاء يثبتون الإسراء دون المعراج؛ لأن الإسراء ثبت بالقرآن الكريم، أما المعراج فلا، ومنهم من استدلَّ عليه بأول سورة (النجم)، ومنهم من استدلَّ عليه بقوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩] وانظر: «فتح القدير» لابن الهمام (١/ ٣٥٠).

(٤) وهو إثبات الإسراء والمعراج بالروح والجسد. انظر: «مقالات الإسلاميين» (ص: ٢٢٩)، و«الإبانة» للأشعري (ص: ٣١)، و«فتح الباري» لابن حجر (٧/ ٩٦). (٧/ ١٩٦ ـ ٢٠٣)، و«عمدة القاري» للعيني (١٧ / ١٩).

صحَّته ما لا يُحصى من الأخبارِ، ولو كانت رؤيا ما أنكره قريش، وما ارتدَّت جماعةٌ ممَّن كانوا أسلموا حين سمعوا منه هذا الكلامَ؛ لأنَّ الرُّؤيا لا يُنكَرُ منها مثلُ ذلك وما هو أبعدُ منها.

ثمَّ ذهبَ جماعةٌ إلى أنَّ هذه اللَّيلة ليلةُ المعراجِ، وهو قولُ ابن مسعودٍ رضي الله عنه، وذهبَ جماعةٌ(١) إلى أنَّ ليلةَ المعراجِ ليلةٌ أخرى سوى هذه اللَّيلةِ(٢).

***

(٢) ـ ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴾.

﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾: التَّوراةَ ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى﴾ يعني: التَّوراةَ، وقيل: موسى ﴿لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴾ قُرئ بالياءِ والتَّاء(٣)، والياءُ للغيبةِ؛ أي: لِأَنْ لا يتَّخذوا، ويجوزُ أن يكون (لا) نهياً فتكونُ (أن) المفسِّرةَ.

والتَّاءُ للخطابِ، فيجوزُ أن يكون القولُ مُضمَراً، ويجوزُ أن يكونَ من تلوينِ الخطابِ.

ويجوزُ أن يكونَ خطاباً(٤) لذرِّيَّة نوحٍ عليه السَّلام، فيكون(٥) منصوباً على النِّداءِ.

وقيل: تقديره: لا تتَّخذوا ذرِّيَّة مَن حملنا مع نوحٍ وكيلاً، فيكونُ (الوكيلُ) المفعولَ

---

(١) في (ن): «بعضهم».

(٢) انظر: «درج الدرر» للجرجاني (٣/ ١٠٨٦)، و«فتح الباري» لابن حجر (١/ ٤٥٩ ـ ٤٦٠).

(٣) قرأ بالياء أبو عمرو، والباقون بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٨)، و«التيسير» (ص: ١٣٩).

(٤) في (و): «الخطاب».

(٥) أي: لفظ ﴿ذُرِّيَّةَ﴾.

الثَّاني، و(فَعيلٌ) قد يقعُ موقعَ الجمعِ كقوله تعالى: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

وقيل: ﴿ذُرِّيَّةَ﴾ بدلٌ من (الوكيلِ).

والمعنى: لا تتَّخذوا من دوني إلهاً.

مجاهدٌ: شريكاً[١].

ابنُ جريرٍ: حفيظاً لكم سواي[٢].

وقيل: الوكيلُ: هو المعتمَدُ عليه المرجوعُ إليه الموثوقُ به، وهذه صفةُ الذي لا إلهَ غيرُه.

الزَّجَّاجُ: أي: لا تتوكَّلوا على غيري ولا تتَّخذوا غيري ربًّا[٣].

***

(٣) ـ ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾.

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ أجناسُ النَّاسِ ـ عربِهم وعَجَمِهم ـ من ذرِّيَّة مَن حُمِلَ مع نوحٍ في السَّفينةِ.

وقيل: عنَى بذلك سامَ بنَ نوحٍ؛ لأنَّ بني إسرائيلَ من ولدِه، ولأنَّ الصَّحيحَ أنَّ مَن كان معه غيرَ أولاده ماتوا حين هبطوا من السَّفينةِ[٤]، والنَّاسُ بعد نوحٍ من ولدِ نوحٍ كما كانوا من ولدِ آدمَ.

---

(١) رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ١١٤)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٤٥٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٠٩)، وهو في «تفسير مجاهد» (ص: ٤٢٨).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٤٥٠).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٢٦).

(٤) حديث موت من كان على السفينة مع نوح سوى أولاده رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٥٨) من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً. وقاله مقاتل في «تفسيره» =

﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾ كنايةٌ عن نوحٍ عليه السَّلامُ، وكان لا يلبسُ جديداً إلَّا حمدَ اللهَ عند لباسِه، وقيل: كان يحمدُ على طعامِه؛ أي: كونوا يا أولاده مثلَه.

وقيل: المرادُ به موسى عليه السَّلام.

* * *

(٤) ـ ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا﴾.

﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: أوحينا إليهم وأَعْلَمْناهم وأخبرناهم وعهدنا إليهم ﴿فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾: في التَّوراةِ، وقيل: في اللَّوحِ المحفوظِ، قضى اللهُ عليهم في سابقِ علمه ﴿لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ﴾: لتَعْصُنَّ اللهَ عصياناً بعد عصيانٍ ﴿وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا﴾ لتَسْتكْبِرُنَّ عن طاعةِ اللهِ، من قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [القصص: ٤].

وقيل: العُلوُّ: الظُّلمُ، وقيل: القهرُ، وكانوا يقتلون النَّاسَ ظلماً[١] ويَغْلِبون على أموالهم قهراً، ويُخرِبون الدِّيار بغياً، ويقتلون النَّبيِّين، وفيمَن قتلوا من الأنبياءِ زكريَّا، وقيل: شَعْياءَ[٢].

= (٣/ ٦١٠)، وجويبر متروك، والضحاك لم يسمع من ابن عباس، ومقاتل متروك أيضاً.

لكن روي ما يؤيد هذا، فقد روى الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥٦١) من طريق عليّ عن ابن عباس في قوله: ﴿وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ﴾ [الصافات: ٧٧] يقول: لم يبق إلا ذرية نوح.

وهذا منقطع، فعليٌّ ـ وهو ابن أبي طلحة ـ لم يسمع من ابن عباس ولم يره، وروايته عنه صحينة، لكن ذكر النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٧٣) استحسان الإمام أحمد بن حنبل لها.

وروى الطبري أيضًا في الآية نفسها عن قتادة قال: «فالناس كلهم من ذرية نوح»، ومثل قول قتادة ذكر النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٢٨٨) عن سعيد بن المسيب.

(١) في (ن): «قهراً».

(٢) في (ن) زيادة: «ويحيى»، وشعياء قبل زكريا ويحيى وعيسى، وهو الذي بشَّر بعيسى ومحمد عليهم السلام فيما ذكر إنما إسحاق. انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٤٥٩، ٤٦٣).

(٥) ـ ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ﴾.

﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا ﴾ الوعدُ بمعنى: الموعدِ، والموعدُ: الوقتُ؛ أي: وقتُ أُولى المرَّتين، كقوله: ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾ [الأنبياء: ٩٧].

وقيل: الوعدُ بمعنى: الموعودِ؛ أي: موعودُ أُولاهما.

وقيل: الوعدُ بمعنى الوعيدِ؛ أي: عقوبةُ أُولاهما.

وقيل: فإذا جاءَ ما وَعَدْنا على المعصيةِ الأُولى.

﴿بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾؛ أي: خلَّيناهم وسلَّطنا عليكم.

وقيل: هيَّجنا وأثَرْنا.

واختلفوا في الذين بعثهم اللهُ عليهم:

فقال ابنُ عبَّاسٍ وقتادةُ: هو جالوتُ إلى أن قتله داودُ.

سعيدُ بنُ المسيَّبِ: هو بختنصَّر.

سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: هو سنحاريبُ.

الحسنُ: هم العمالقةُ(١).

وقيل: كانوا قوماً مؤمنين بعثهم اللهُ وأمرهم بغزوِ بني إسرائيلَ، واستدلُّوا على إيمانهم بقوله: ﴿عِبَادٗا لَّنَآ﴾؛ لأنَّ اللهَ تعالى لم يُضِفْهم إلى نفسه إلَّا بعد أن كانوا مؤمنين(٢)، ومعنى: ﴿أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾: الأشدَّاءُ الأقوياءُ الأنجادُ ذوي العُدَّةِ والعَدِ والغَلَبةِ.

---

(١) ذكر هذه الأخبار جميعاً الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٢٩)، ورواها عدا قول الحسن الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٤٧١ ـ ٤٧٥).

(٢) وهذا القول عدَّه المؤلف من الغريب في «غرائب التفسير» (١/ ٦٢١).

﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾: تردَّدوا فيها للغارةِ.

الزَّجَّاج: طافوا ينظرون هل بقيَ أحدٌ لم يقتلوه، والجَوْسُ: طلبُ الشَّيء باستقصاءٍ[1]. وكذلك الحَوْسُ[2].

الأصمعيُّ: جاسوا: وَطِئوا[3]، وقيل: عاثُوا.

والخِلالُ: انفراجُ ما بين الشَّيئين أو أكثرَ لضربٍ من الوَهْنِ.

أي: قُتلوا في الأزقَّةِ والطُّرقِ.

﴿وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا﴾؛ أي: كان الجوسُ وعداً من اللهِ مفعولاً لا محالةَ.

وقيل: ما وَعَدْنا من أنَّهم يُفسدون مرَّتين وعداً كائناً.

* * *

(٦) ـ ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا﴾.

﴿ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ﴾ لمَّا تابوا وأصلحوا ما أفسدوا، أعانَهم اللهُ، وكرُّوا على الذين قَتَلوا منهم، فاستنقذوا مَن بقي من الأسرى، واسترجَعوا أموالَهم.

وقيل: ألقَى اللهُ في قلبِ الملِكِ حتَّى أطلقَ أسراهم من غيرِ قتالٍ.

ابنُ عبَّاسٍ: هو غلبةُ طالوتَ وقتْلُ داودَ جالوتَ[4].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٢٨).

(٢) انظر: «غريب الحديث» للقاسم بن سلام (٤/ ٢٩٥). وبمعنى جاسوا وحاسوا أيضاً: وآسوا وهاسوا فيما ذكر السجستاني في «غريب القرآن» (ص: ١٧٥).

(٣) ذكر القالي عن الأصمعي أنه قال: تركت فلاناً يجوس بيني فلان ويحوسهم؛ إذا كان يدوسهم وذكر الهروي عن الأزهري أن (جاسوا) بمعنى: وطئوا. انظر: «الأمالي» للقالي (٢/ ٧٨)، و«تهذيب اللغة» للأزهري (١١/ ٩٦)، و«الغريبين» للهروي (١/ ٣٨٤).

(٤) ورد ذلك في خبر ابن عباس المتقدم في تفسير قوله تعالى: ﴿بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾، =

﴿وَأَمْدَدْنَـٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾: أعنَّاكم بالمالِ وكثرةِ الأولادِ؛ فإنَّ القوَّةَ فيهما، والإمدادُ: الإعانةُ.

﴿وَجَعَلْنَـٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ أكثر من الأعداء أعدَاداً وأنصاراً، والنَّفيرُ: النَّفْرُ[1]، وهو مَن ينفرُ معك.

الزَّجَّاج: يجوزُ أن يكون نَفِيرٌ جمعَ: نَفْرٍ، ككَلْبٍ وكَلِيبٍ وعَبْدٍ وعَبِيدٍ[2]. وهم المُجْتَمَعونَ[3] للمصيرِ إلى الأعداءِ.

***

(٧) - ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾.

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾؛ أي: قلنا لهم وأوحينا إليهم: إنَّكم مجزيُّون على الإحسانِ والإساءةِ.

قوله: ﴿فَلَهَا﴾؛ أي: عليها، وجاءَ باللَّامِ ازدواجاً[4].

= ذكر ذلك الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٤٧٦). وانظر: «النكت والعيون» (٣/ ٢٢٩).

(١) ضبطت في (ط) بتحريك الفاء، والنَّفر: هم رهط الإنسان وجماعته، وهو اسم جمع يقع على جماعة دون العشرة من الرجال خاصة، ويقال للناس كلهم: نَفَرٌ أيضاً. وضبطت في (و) بسكون الفاء، وهو الأنسب للمعنى الذي ذكره المصنف. انظر: «تاج العروس» (١٤/ ٢٦٧).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٢٨).

(٣) في (ر) و(ن): «المجمعون».

(٤) وقد ذكر المصنف هذا مراراً، وربّما سماه مزاوجة، وقد تقدم بيانه في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾، وقد نقل أبو حيان في «البحر» (١٧/ ١٥) كلام الكرماني هذا، وربّما سُمِّي تقابلاً، كما في «البسيط» للواحدي (١٣/ ٢٦١)، وهذا المذهب يختلف عن قول قطرب الذي نقله الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ١٤٤).بأن ﴿فَلَهَا﴾ بمعنى: فعليها، وأنكره النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٢٦٦)؛ لأنه مبني على جواز الجر، وقد تقدم الكلام فيه.

وقيل: معناه: فإليها.

وقيل: فلها الجزاءُ والعقابُ.

الحسينُ بنُ الفضلِ: فلها ربٌّ يغفرُ الإساءةَ، حكاه الثَّعلبيُّ وغيره[١].

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي: المرَّةِ الثَّانيةِ والعقوبةِ الثَّانية على ما سبقَ، وهو أنَّهم أفسدوا في الأرضِ ثانياً حتَّى قتلوا يحيى بنَ زكريَّا، فبعثَ اللهُ عليهم طَطوسَ الرُّوميَّ حتَّى خربَ بيتَ المقدسِ وحرقَ التَّوراةَ، وقيل: هو بختنصَّر.

﴿لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ جوابُ مُضمرٍ؛ أي: بَعَثْناهم ليَسُوءوا، وقيل: جاؤوا، ﴿لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ﴾: ليفعلوا[٢] ما تكرهون، والتَّقديرُ: أصحابُ الوجوهِ.

ومَن قرأَ: ﴿لِيَسُوءَ﴾ ففاعلُه يجوزُ أن يكون الوعدَ أو البعثَ أو اللهَ تعالى، ويُقوِّيه قراءةُ مَن قرأَ بالنُّونِ[٣]، وهو اللهُ سبحانه لا غيرَ.

﴿وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ﴾ بيتَ المقدسِ ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ﴾ ليُخرِّبوا فيهلكوا، والتِّبرُ: كلُّ جوهرٍ من النُّحاس والذَّهب[٤] قبلَ أن يُستعملَ.

﴿مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا﴾: ما أتوا عليه وغَلَبوا، وقيل: وَطِئوا واستَوْلَوا عليه، وقيل: في حالِ علوِّهم، وقيل: ﴿مَا﴾ للمصدرِ التي يُسمِّيها بعضُ الأدباءِ: المدَّة[٥].

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٦/ ٢٨٧). وذكره أيضاً السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٠٢) دون عزو.

(٢) في (ن): «لتفعلوا»، ولم تنقط في (و).

(٣) هذه قراءة الكسائي، والتي قبلها قراءة ابن عامر وشعبة وحمزة، والباقون: ﴿لِيَسُـُٔواْ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٨)، و«التيسير» (ص: ١٣٩).

(٤) في (و): «من نحاس».

(٥) في (و): «للمدة». وقد ذكر المصنف هذا القول في «غرائب التفسير» (١/ ٦٢٢)، واستغربه، وعدَّ الذي قبله من العجائب.

(٨) ـ ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾؛ أي: وهذا أيضاً ممَّا أخبرَ أنَّه في كتابكم، والمعنى: لعلَّ ربَّكم أن يرحمكم إن تبتُم؛ يريدُ: بعد الثَّانيةِ، فتابوا فكشفَ اللهُ عنهم العذابَ وأعادَ إليهم الإحسانَ وبعثَ فيهم الأنبياءَ.

﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ قتادةُ: عَادُوا إلى الكفرِ بمحمَّدٍ عليه السَّلامُ، فعادَ اللهُ عليهم بالجزيةِ، فهم أذلَّاء إلى يومِ القيامةِ[١].

﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ الحسنُ: هو الذي يُفرَش ويُبسَط[٢]؛ أي: جعلنا جهنَّمَ لهم مِهاداً.

والجمهورُ على أنَّه الحبسُ[٣]؛ أي: جعلنا جهنَّم سجناً للكفَّارِ يُحصرون فيها ويُحبسون، فَعِيل بمعنى: مَفْعُولٍ.

* * *

(٩) ـ ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ أي: الطَّريقةِ أو الحالةِ أو الدِّيانةِ التي هي أقومُ وأتمُّ استواءً وأسدُّ من سائرِ السُّبلِ، وهي شهادةُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٥٣٨)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٠٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٠٨). وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٢٢)، واستغربه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٠٧ ـ ٥٠٨) عن ابن عباس وأبي عمران ومجاهد وقتادة وابن زيد.

الزَّجَّاجُ: أقومُ الحالاتِ[(١)].

﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ يعني: الجنَّة.

* * *

(١٠ ـ ١١) ـ ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾.

﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ﴾؛ أي: وبأنَّ الَّذينَ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾ من الإعتادِ، وقيل: أعددنا، قُلبت تاءً[(٢)].

﴿عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ يعني: النَّارَ.

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾؛ أي: قد يدعو الإنسانُ عند الغضبِ والضَّجرِ على نفسه وأولاده وأعزَّته من غيرِ أن يُحبَّ استجابته.

﴿ دُعَآءَهُۥ﴾؛ أي: دعاءً مثلَ دعائه ﴿بِٱلْخَيْرِ﴾؛ أي: كما يدعو بالخيرِ ويُحبُّ إجابته، ومثلُه: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ﴾ الآية [يونس: ١١].

وذُكر في بعضِ التَّفاسيرِ في سببِ نزولِ الآية: أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلام دفعَ إلى سودةَ بنتِ زمعةَ أسيراً فرحمته لأنينِه وأَرْخَتْ كتافَه فهربَ، فدعا عليها رسولُ اللهِ عليه السَّلامُ بقطعِ اليدِ، ثمَّ ندمَ فقال: «اللَّهمَّ إنَّما أنا بشرٌ، فمَن دعوتُ عليه فاجعلْ دُعائي رحمةً له» فأنزلَ اللهُ: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾[(٣)]؛

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٢٩).

(٢) القول الأول قول البصريين، والثاني قول الكوفيين، وذهب إليه ابن عيسى، كما ذكر المصنف في تفسير قوله تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٨].

(٣) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ٢٢٩)، والثعلبي في «تفسيره» (دار إحياء التراث العربي) =

أي: يدعو بما لو أُجيبَ لَشقَّ عليه وساءه إذا زالَ غضبُه.

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا﴾؛ أي: إلى أمرِ الدُّنيا. والعجلةُ: طلبُ الشَّيءِ قبلَ وقته، والسُّرعةُ: عملُ الشَّيءِ في أوَّلِ وقته[١].

وقيل: المرادُ بالعَجولِ: آدمُ عليه السَّلام؛ لأنَّه حين نفخَ اللهُ فيه الرُّوحَ نظرَ إلى بدنه يُخلقُ وبقيت رِجلاه، فرامَ النُّهوضَ قبل وصولِ الرُّوحِ إلى قدمه، فصارت العجلةُ في ولده، قاله ابنُ عبَّاسٍ[٢].

وعن سلمانَ رضي الله عنه قال: لمَّا خلقَ اللهُ آدمَ عليه السَّلام بدأَ بأعلاه قبل أسفلِه فجعلَ آدمُ ينظرُ فلمَّا كانَ بعد العصرِ قال: يا ربِّ عجِّلْ قبل اللَّيلِ، فذلك قولُه: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا﴾[٣].

وقال الحسنُ: ﴿كَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا﴾ أي: من عَجَلٍ، وهو الضَّعفُ؛ يعني: النُّطفةَ[٤].

= (٦/ ٨٧)، ولم أجده مسنداً.

وقد روى الواقدي في «المغازي» (٢/ ٥٥٤) من رواية ذكوان عن عائشة: أن النبي ﷺ دخل عليها بأسير، وقال لها: «احتفظي به». قالت: فلهوتُ مع امرأة فخرج ولم أشعر، فدخل يسأل عنه فقلتُ: والله ما أدري، فقال: «قطع الله يدك»، فذكر نحوَ ما تقدم. ورواه بنحو هذا من طريق ذكوان عن عائشة أيضاً البيهقيُّ في «السنن الكبرى» (٩/ ٨٩)، والزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ٢٦٠). وليس في قصة عائشة رضي الله عنها ذكر النزول.

(١) انظر: «معجم الفروق اللغوية» (ص: ٢٧٦).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٤٨٦)، والرؤية فيه عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وقد ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٣٢) عن إبراهيم والضحاك.

(٣) رواهما الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥١٤)، وجعل المؤلف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٢٢) قول ابن عباس من الغرائب، وقول سلمان من العجائب.

(٤) ذكره عن الحسن الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٧/ ٣٤٤) بلفظ: ﴿عجولًا﴾؛ أي: ضعيفاً».

وقيل: ﴿عَجُولًا﴾ ضجوراً لا يصبرُ على سرَّاءَ ولا ضرَّاءَ.

ابنُ بحرٍ: هذا الدُّعاءُ من مثلِ ما قاله الكافرون: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ الآية [الأنفال: ٣٢]، وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ [الحج: ٤٧].

* * *

(١٢) - ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾؛ أي: خَلَقهما آيتَين على وحدانيَّته سبحانه وعِلمه وقُدرته، و(آيتان) نصب على الحالِ، وليس (جعلَ) هاهنا بمعنى: صيَّرَ؛ لأنَّ ذلك يقتضي حالةً تقدَّمت نُقِل الشَّيءُ عنها إلى حالةٍ أخرى، ولا الذي بمعنى: سمَّى وحكمَ[١].

﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ رضي اللهُ عنهما: جعلَ اللهُ نورَ الشَّمسِ سبعين جزءاً، ونورَ القمرِ سبعين جزءاً، فمحا من نورِ القمرِ تسعةً وستِّين جزءاً فجعلها مع نورِ الشَّمسِ، فالشَّمسُ على مئةٍ وتسعةٍ وثلاثين جزءاً والقمرُ على جزءٍ واحدٍ[٢].

وذكرَ المفسِّرون أنَّ ابنَ الكوَّاءِ سألَ عَليًّا رضي الله عنه على اللَّطخةِ التي في القمرِ فقالَ: ذلك آيةُ اللَّيلِ مُحيت[٣].

---

(١) (جعل) عند المصنف هنا بمعنى: خلق، وهو معنى يذهب إليه كثيراً، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾، و(جعل) إن كان بمعنى: حيّر، تعدّى مفعولين: وكذلك إن كان بمعنى: سمّى، أما إن كان بمعنى: خلق، فيتعدَّى إلى مفعول واحد. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٥٦ - ١٥٧).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٢٩٤)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ٨١)، ولم أجده مسنداً.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥١٥)، وبنحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٧٠).

قتادةُ: محوُ آيةِ اللَّيلِ: السَّوادُ الذي فيه(١).

ابنُ جريرٍ: أي: من نِعَمه عليكم مخالفتُه بين علامةِ اللَّيلِ وعلامةِ النَّهارِ، بإظلامه علامةَ اللَّيلِ وإضاءتِه علامةَ النَّهارِ(٢).

ابنُ كثيرٍ: الآيتان: ظلمةُ اللَّيلِ وضوءُ النَّهارِ(٣). وتقديرها: وجعلنا الليل والنهار ذوَي آيتين، ثمَّ فصَّل فقال: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾.

أو نجعل تقديرها: وجعلنا الليل والنهار آيتين: وجعلنا الشمس والقمر فيهما آيتين، ثم قال: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾؛ أي: القمر، وأضافها إلى الليل لكونها فيه.

ومعنى ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾؛ أي: لم نجعلْ للقمرِ نوراً؛ لأنَّ القمرَ شعاعُ الشَّمسِ انعكسَ عن جِرْمِ القمر إلى ما يُقابله من الأرضِ، وأرادَ بالمحوِ: نقصانَ ضوءِ القمرِ، وقيل: لأنَّه يَطْلُعُ صغيراً ثمَّ يَنْمِي ثمَّ يَنْقُصُ حتَّى يَستَتِرَ.

﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ فيها ثلاثةُ أقوالٍ:

المبصرةُ: المضيئةُ.

والثَّاني: وجَعَلْنا النَّهارَ مُبصِراً؛ أي: أصحابَه بُصراءَ؛ كقولهم: أجبنَ الرَّجلُ: إذا كان أهلُه جبناءَ، وأضعفَ: إذا كان دوابُّه ضعفاءَ(٤).

---

(١) لم أجده هكذا، وفي «تفسير يحيى بن سلام» (١/ ١٢٠): «﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ قال قتادةُ: وهو السواد الذي في القمر»، وهذا راجع إلى ما روي عن عليٍّ رضي الله عنه، وقد جعل الماوردي قول علي وقتادة واحداً. انظر: «النكت والعيون» (٣/ ٢٣٢).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٥١٥).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥١٧) عن عبد الله بن كثير بلفظ: «ظُلْمةُ الليل وسدفةُ النهار».

(٤) في (ن): «ضعافاً».

والثَّالثُ: من قولهم: بَصُرَ فهو بصيرٌ، وأبصرَه اللهُ عزَّ وجلَّ: صيَّرَه بصيراً؛ أي: جعلَ النَّهارَ بحيثُ يُبصِرُ النَّاسَ[1]؛ لأنَّ بالضَّوءِ يُبصِرُ النَّاسُ الأشياءَ.

ابنُ عيسى: معنى: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾؛ أي: جعلناها لا يُبصَر بها المَرئيَّاتُ؛ كما لا يُبصَر ما مُحي من الكتابِ، قال: وهذا من البلاغةِ الحسنةِ جدًّا[2].

﴿لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ لتبتغوا في النَّهارِ؛ لـ[3]تطلبوا المعاشَ، ﴿وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ بالقمرِ.

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ أي: بيَّنَّا في القرآنِ كلَّ ما تحتاجون إليه.

محمَّد بنُ كعبٍ: شمسٌ بالنَّهارِ وشمسٌ باللَّيلِ، فمُحِيت شمسُ اللَّيلِ[4].

ابنُ عبَّاسٍ رضي اللهُ عنهما: كانَ في الزَّمنِ الأوَّلِ لا يُعرف اللَّيلُ من النَّهارِ، فبعثَ اللهُ جبريلَ فمسحَ جناحَه [بالقمر] فذهبَ ضوءُه، فبقيَ علامةُ جناحه، وهو السَّوادُ الذي في القمرِ[5].

***

(١٣) ـ ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾.

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ قتادةُ عن جابرٍ رضي الله عنه عن النَّبيِّ عليه

---

(١) كذا ضبط في (ط) و(و)، وهو بلا ضبط في (ن)، والمعنى عند ضبطه بالضمِّ أظهر.

(٢) ذكره أبو حيان في «البحر» (٧/ ٢٠).

(٣) في (و): «وتطلبوا».

(٤) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٧/ ٢٣٢٠)، و«بحر العلوم» للسمرقندي (٢/ ٣٠٣).

(٥) رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه بسند واهٍ، كما قال السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٢٤٧)، وذكره أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٠٣) وما بين معكوفتين منه وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٢٩٦)، وذكره السمعاني في «تفسيره» (٣/ ٢٤) عن قتادة وابن عباس وجماعة من المفسرين.

السَّلامُ أنَّه قال: «لا عدوى ولا طِيَرةَ ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾»(١).

ابنُ عبَّاسٍ: طائرُه: عملُه وما قُدِرَ عليه، فهو مُلازِمُه حُكماً(٢).

وقيل: جُزاء عمله.

أبو عبيدةَ: حظُّه الذي قُضي له(٣). من قولهم: طارَ سهمُه: إذا ظهرَ نصيبُه.

السُّدِّيُّ: طائرُه: كتابُه(٤).

ابنُ بحرٍ: دليلُه، ولكلِّ إنسانٍ دليلٌ من نفسه يُرشدُه.

مجاهدٌ: ورقةٌ فيها مكتوبٌ: شقيٌّ، أو: سعيدٌ(٥).

الضَّحَّاك: أجَلُه ورزقُه وما يُصيبُه من المصائبِ(٦).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥١٩) ورجاله ثقات إلا أن قتادة لم يسمع من جابر شيئاً.
ورواه مسلم (٢٢٢٢) من طريق أبي الزبير عن جابر، وفيه بدل الآية: «ولا غُول».
وله دون ذكر الآية أيضاً شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رواه البخاري (٥٧٠٧)، ومسلم (٢٢٢٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥١٩) بلفظ: «عمله وما قدر عليه، فهو ملازمه أينما كان، فزائل معه أينما زال».

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٣٧٢) واقتصر على لفظ: «حظَّه».

(٤) رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٢٥٠) بلفظ: «الكافر يُخرج له يوم القيامة كتاب فيقُول: رب إنَّك قد قضيت أنَّك لست بظلام للعبيد فاجعَلْني أحاسب نفسي، فيُقال له: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾».
ورواه بلفظ المؤلف ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٧٦٦) من قول أنس رضي الله عنه.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٢٠).

(٦) رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٢٥٠) من طريق جويبر عن الضَّحَّاك في قوله: ﴿طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ قال: قال عبد الله رضي الله عنه: الشَّقاء والسعادة والرزق والأجل.
وذكر مثله النحاس في «معاني القرآن» (٤/ ١٣٠) من قول الضحاك.

وأصلُ هذا: أنَّ العربَ كانت تزجرُ بالسَّانحِ والبارحِ[١] من الطَّيرِ والظَّبي والأَرْوَى[٢] والثَّعلبِ وغيرِها، فزعموا أنَّها تدلُّ على الخيرِ والشَّرِّ، وسمَّوا ذلك: الطِّيَرة.

وهو مصدرٌ على وزنِ (الخِيَرَة)، ولا ثالثَ لهما.

ابنُ عيسى: طائرُه: عملُه من خيرِه وشرِّه كالطَّائرِ الذي يجيء من ذاتِ اليمينِ فيُتبرَّك به، والطَّائرُ الذي يجيءُ من ذاتِ الشِّمالِ فيُتشاءمُ به، وإضافتُه إلى العُنقِ للملازمةِ، وخصَّ العُنُق لأنَّه موضعُ القلادةِ والغُلِّ والسِّمةِ.

﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا﴾؛ أي: مكتوباً ﴿يَلْقَىٰهُ﴾ بعينه، ويقرؤه بلسانه.

وقُرئ: ﴿يُلَقَّاهُ﴾[٣]؛ أي: يُلْقيهِ اللهُ أو الحفظةُ.

﴿مَنشُورًا﴾: غيرَ مطويٍّ؛ ليُمْكِنَه قراءتُه، وذلك أنَّ ابنَ آدمَ إذا ماتَ طُويت صحيفته[٤] التي فيها عملُه، فإذا كان يومُ القيامةِ نُشر كتابه ورُفعَ إليه منشُوراً.

والأحسنُ أن يُنصبَ: ﴿كِتَٰبًا﴾ على الحالِ على تقديرِ: ونُخرجُ طائرَه كتاباً؛ ليُحمل عليه قراءةُ أبي جعفرٍ: ﴿ويُخْرَجُ﴾ وقراءةُ يعقوبَ: ﴿ويَخْرُجُ﴾[٥].

---

(١) السانح: ما ولاك ميامنه من طائر أو غيره، بأن يمر من مياسرك إلى ميامنك. والبارح: ما ولاك مياسره بأن يمر من ميامنك إلى مياسرك. وقد تقدم الكلام عليه في تفسير قوله تعالى: ﴿يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾. وسيأتي عند قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [النمل: ٤٧].

(٢) الأروى: جمع كثرة أو اسم جمع للأرويّة، وهي الأنثى من الوعول، وهي تسكن الجبال والوعور. انظر: «لسان العرب» (١٤/ ٣٥١).

(٣) قرأ بها ابن عامر. انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٨)، و«التيسير» (ص: ١٣٩).

(٤) في (و): «صفحته».

(٥) قرأ أبو جعفرٍ بالياء وضمِّها وفتحِ الراء، وقرأ يعقوبُ بالياء وفتحِها وضمِّ الراء، وقرأ الباقون بالنون =

(١٤) ـ ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾.

﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ﴾؛ أي: ونقولُ له: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ﴾؛ أي: كتابَ أعمالكَ.

قتادةُ: سيقرأُ يومئذٍ مَن لم يكنْ قارئاً.

﴿كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾؛ أي: كفى نفسُك، والباءُ زائدةٌ، والحسيبُ: المحاسِب.

الحسنُ: شاهداً[١]. وقيل: حاكماً. وقيل: حفيظاً.

الحسنُ: قد عدلَ ـ والله ـ عليكَ مَن جعلكَ حسيبَ نفسك[٢].

ويحتمِلُ أنَّ التَّقديرَ: اقرأْ كتابَك عليك، كفى بنفسكَ اليومَ حسيباً[٣].

***

(١٥) ـ ﴿مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾.

﴿مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ إلى الرَّشادِ ﴿فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦ﴾: فإنَّ ثوابَ اهتدائه له.

= وضمِّها وكسر الراء. انظر: «النشر» (٢/ ٣٠٦).

(١) لم أجده عن الحسن إلا في «غرائب التفسير» (١/ ٦٢٣)، وهو قول لبعض المفسرين منهم يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ١٢٢) وأبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٠٤)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٣٣) أحد قولين في الآية.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٥٣)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٢٣ ـ ٥٢٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٢٤)، واستغربه.

(٣) في (و) و(ن): «اقرأ كتابك كفى عليك...»، وفي (ط) و«غرائب التفسير» (١/ ٦٢٤): «ومن الغريب: يحتمل أن ﴿عَلَيۡكَ﴾ متصل بقوله: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾؛ أي: اقرأ عليك كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً»، وهو المراد بعبارة المصنف هنا.

﴿وَمَن ضَلَّ﴾ عن الرَّشادِ ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾؛ أي: فعليها وبالُ الضَّلالِ.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾: لا تحملُ الوازِرةُ المتثاقلةُ بالذُّنوبِ ذنبَ نفسٍ أخرى، والمعنى: لا يُؤخذ أحدٌ بذنبِ غيره، وقيل: معناه: ليسَ لأحدٍ أن يعملَ ذنباً لأنَّ غيره عملَه، وشبَّه حَمْل معصيةِ الله المؤدِّيةِ إلى النَّارِ بالوِزرِ، وهو الحمْلُ الثَّقيلُ.

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ قتادةُ: عذابَ الآخرةِ[1]، مقاتلٌ: عذابَ الاستئصالِ في الدُّنيا[2] ﴿حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ يبيِّنُ التَّوحيدَ والشَّرعَ، وقيل: يبيِّنُ الشَّرعَ وحده؛ فإنَّ العقلَ كافٍ لبيانِ التَّوحيدِ[3].

***

(١٦) ـ ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾.

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً﴾ يريدُ: في الدُّنيا. وقيلَ: وإذا أهلكنا، والإرادةُ صلةٌ. وقيل: تقديره: وإذا أَمَرنا مُترَفيها ففسقوا أردنا أنْ نهلكَهم.

قوله تعالى: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أكثرنا، تقول: أمرتُ الشَّيءَ وآمَرْتُه بالمدِّ والقصرِ: أكثرتُه، ومنه: مُهرَةٌ مَأمُورةٌ[4].

---

(١) انظر: «النكت والعيون» (٣/ ٢٣٤).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٢٥)، وعنه الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٣٤).

(٣) هذا مذهب المعتزلة، والأول مذهب الأشاعرة وأهل السنة، أما الماتريدية فذهبوا إلى أن البعض يكفيه العقل لمعرفة التوحيد، والبعض يحتاج إلى الشرع والسمع. انظر: «مقالات الإسلاميين» (ص: ٥٩)، و«التوحيد» للماتريدي (ص: ١٨٥ و٣٧٣)، و«تأويلات أهل السنة» (٤/ ٥٠٨) و(٩/ ٣٦)، و«الكشاف» (٢/ ٦٥٣)، و«التفسير الكبير» للرازي (٢٠/ ٣١٢).

(٤) صاحب هذا القول هو أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ٣٧٢)، وروي عن بعض السلف، فقد رواه =

والثَّاني: أَمَرْنا مُتَرفيها بالطَّاعةِ ففسقوا(١).

والثَّالثُ: أَمَّرتُه وأَمَرتُه بالتَّشديدِ والتَّخفيفِ: جعلتُه أَمِيراً، ومنه قولهم: هو أميرٌ غيرُ مأمورٍ؛ أي: لم يُؤمِّره أحدٌ.

والمُتْرَفُ: الذي أبطرته النِّعمةُ وسعةُ الغذاءِ حتَّى تعدَّى طورَه وطفا، والتُّرْفةُ: النِّعمةُ، وغلامٌ مُترَفٌ: ناعمُ البدنِ، حكاه الأزهريُّ(٢).

﴿فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾: تمرَّدوا في كفرهم.

﴿فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ﴾: ظهرَ صدقُ خبرِ اللهِ عنهم أنَّهم لا يؤمنون.

وقيل: وجبَ عليها ما وعدَ على الفسقِ بقولٍ سابقٍ لا يقعُ فيه خُلفٌ.

﴿فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا﴾: أهلكنا النَّاسَ وخربنا الدِّيارَ، تقولُ: دَمَرَ يَدْمُرُ دماراً: إذا هلكَ، ودمَّرَ: أهلكَ.

* * *

(١٧) ـ ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا﴾.

﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖ﴾؛ أي: أهلكنا أُمماً كثيرةً، والقرنُ: أهلُ كلِّ

= عبد الرزاق في «تفسيره» (١٥٤٥) عن قتادة، وفي «تفسير القرآن من الجامع» لابن وهب (٤٦) عن مجاهد، وروي في «تفسير مجاهد» (ص: ٤٣٠) عن الحسن، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٣٠ ـ ٥٣٢) عن ابن عباس وعكرمة وقتادة والحسن وابن زيد لكن على قراءة (آمرنا) بالمد، وهي قراءة يعقوب من العشرة. انظر: «النشر» (٢/ ٣٠٦).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٢٧) عن ابن عباس بإسناد فيه انقطاع، وعن سعيد بن جبير.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (١٤/ ١٩٣)، وكلمة (مترف) ضبطت في (ن) بتشديد الراء، وفي (ط) و() بتخفيفها، وفي هامش (ط) ضبطت بالتشديد، ولكن شطب عليها.

عصرٍ، ويقعُ على الزَّمانِ؛ فقيلَ: مئةٌ وعشرون سنةً، وعن النَّبيِّ عليه السَّلامُ: «مئةُ سنةٍ»[١]، وقيل: أربعون سنةً.

﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ هذه كلمةُ تهديدٍ ووعيدٍ؛ أي: اللهُ يعلمُ ويرى ما يكونُ منهم، فيُجازيهم عليه ما يستحقُّون.

* * *

(١٨) - ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ ﴿كَانَ﴾ هاهنا صلةٌ عند بعضهم[٢]، ويحتملُ أنَّ التَّقديرَ: مَن يكنْ يريدُ العاجلةَ[٣]، و﴿ٱلْعَاجِلَةَ﴾: الدُّنيا؛ لتقدُّمها على الآخرةِ.

﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾؛ أي: مَن آثرَ الدُّنيا على العقبى وكذَّبَ بها نُعطي ما نشاءُ منها مَن يشاءُ منهم على ما يُوجبه التَّدبيرُ، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ﴾ في الآخرةِ ﴿يَصْلَىٰهَا﴾ يدخلها ﴿مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾: مطروداً مُبعَداً.

وقيل: الآيةُ نزلت في المنافقين، كانوا يغزُون مع المسلمين وغرضُهم أن يغنَموا لا يقصدون بذلكَ الثَّوابَ ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ﴾ على قدْرِ استحقاقهم بسهامِهم من الغنيمةِ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ﴾ لكفرِه ونفاقِه.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٣٤) من طريق محمد بن القاسم، عن عبد الله بن بسر المازني قال: وضع النَّبيُّ ﷺ يده على رأسي وقال: «سَيَعِيشُ هذا الغُلام قَرْناً» قلت: كم القرن؟ قال: «مئةُ سنةٍ». ثم روى عقبه عن محمد بن القاسم، قال: «ما زلنا نعدُّ له حتى تمَّت مئة سنة، ثم مات».

(٢) هذا قول الفراء. انظر: «معاني القرآن» (٢/ ٦)، و«البسيط» للواحدي (١١/ ٣٦٦)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٦/ ١٣٣).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٢٤)، واستغربه.

(١٩ ـ ٢٠) ـ ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾.

﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾: عَمِلَ بطاعةِ الله ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ يريدُ دينَ الإسلام ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم﴾: عملُهم ﴿مَّشْكُورًا﴾: مجزيًّا عليه جزاءً حسناً.

وقيل: ﴿مَّشْكُورًا﴾: مقبولاً، وقيل: محفوظاً لهم حتَّى يُدخلهم اللهُ الجنَّةَ.

﴿كُلًّا﴾؛ أي: الفريقَين ﴿نُّمِدُّ﴾: نُعطي مرَّةً بعد أخرى، وشيئاً بعد شيءٍ، ﴿هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ بدلٌ من قوله: ﴿كُلًّا﴾، ﴿مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾ متَّصلٌ بـ﴿نُّمِدُّ﴾.

﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾؛ أي: لا يُحظرُ الرِّزقُ في الدُّنيا على أحدٍ؛ مؤمناً كان أو كافراً، وإنَّما الآخرةُ[1] هي دارُ الجزاءِ.

***

(٢١) ـ ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ في سعةِ الرِّزق وضيقِه[2]، والنَّاسُ في ذلك متفاوتون.

﴿وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾؛ أي: التَّفاوتُ هناك أكبرُ وأعظمُ؛ لأنَّ التَّفاوتَ فيها من وجهَين:

أحدهما: بالجنَّةِ والنَّارِ.

والثَّاني: بالدَّرجاتِ في الجنَّةِ والدَّركاتِ في النَّارِ، فقد رُوي عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ:

---

(١) في (و): «الأخرى».

(٢) «وضيقه»: ليس في (ن).

«إِنَّ بين أعلى أهلِ الجنَّةِ وأسفلهم درجةً كالنَّجمِ يُرى في مشارقِ الأرضِ ومغاربها»[١].

وذهبَ ابنُ جريرٍ في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ إلى أمرِ الدُّنيا؛ أي: بعضُهم آثرَ الآخرةَ فوفَّقناه للرَّشادِ، وبعضُهم آثرَ الدُّنيا فخذَلناه[٢].

* * *

(٢٢) - ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾.

﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ الخطابُ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ والمرادُ به أُمَّته.

ويجوزُ أن يكون التَّقديرُ: قلْ يا محمَّدُ: يا أيُّها الإنسانُ، لا تجعلْ مع اللهِ إلهاً آخرَ ﴿فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا﴾ يذمُّكَ اللهُ والملائكةُ والمؤمنون ﴿مَّخْذُولًا﴾ يخذلكَ اللهُ ولا ينصرك.

وقيل: معنى ﴿فَتَقْعُدَ﴾: فتعجزَ، تقولُ: فلانٌ قاعدٌ عن الشَّيءِ؛ أي: عاجزٌ عنه، ضدُّ قوله: ساعٍ في الخيرِ.

* * *

(٢٣) - ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾.

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ الجمهورُ على أنَّ معنى ﴿قَضَىٰ﴾ هاهنا: أمَرَ، وزادَ بعضهم: أمَرَ أمراً قاطعاً، وقيل: ألزمَ، وقيل: عَهِدَ.

وقرأَ ابنُ مسعودٍ وابنُ عبَّاسٍ وابنُ جُبيرٍ: (وَوَصَّى)، ورُوي عن ابنِ عبَّاسٍ والضَّحَّاكِ أنَّهما قالا: كان في المصحفِ: (وَوَصَّى رَبُّكَ) فالتزقت الواوُ بالصَّادِ[٣]،

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٤٠) من طريق قتادة عن النبي ﷺ مرسلًا.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٥٤٠).

(٣) انظر: «معاني القرآن للفراء» (٢/ ١٢٠)، و«تفسير الطبري» (١٤/ ٥٤٣)، و«المختصر في شواذ =

وهذه القراءةُ في جملةِ الشَّواذِّ مقبولةٌ عند القرَّاءِ، والحكايةُ مردودةٌ[(١)].

﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ وأَمَرَ بالوالدَين إحساناً، وقيل: وقَضَى بالوالدَين إحساناً، ويحتمِلُ: وأَحْسِنوا بالوالدَين إحساناً، ولا يتعلَّقُ الباءُ بالمصدرِ[(٢)].

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ أصلُ (إِمَّا): (إِنْ ما)؛ (إِنْ) للشَّرطِ، و(ما) للتَّوكيدِ، وأكثرُ ما يقعُ الفعلُ بعده يقعُ مع نونِ التَّأكيدِ.

ومعنى ﴿أُفٍّ﴾ عند سيبويه: نتناً ودَفْراً[(٣)].

أبو عبيدةَ: ﴿أُفٍّ﴾: ما غَلُظَ من الكلامِ[(٤)].

مجاهدٌ: إذا أَحْدَثا فلا تَضْجَرْ ولا تقلْ: ﴿أُفٍّ﴾ مستقذِراً، فقد وَلِيا ذلك منك في صِغَرِك ولم يَضجرا[(٥)].

= القراءات» (ص: ٧٩). وهذه الرواية عن ابن عباس والضحاك ذكرها المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٢٤)، وعدَّها من العجائب، والقراءة مروية عن ابن مسعود، وذكر أنها كذلك في مصحفه كما في «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٢٧) وتفسير عبد الرزاق (٢/ ٢٩٥). ونسبت القراءة لعلي وأُبيٍّ أيضاً كما في «تفسير الثعلبي» (١٦/ ٣٠٩).

(١) نقل ابن عطية تضعيف هذه الحكاية عن أبي حاتم. انظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ٤٤٧).

(٢) يعني: تتعلق الباء في (بالوالدين) بفعل محذوف، ولا يجوز أن تَتعلَّق الباء بالإحسان؛ لأنَّ المصدر لا يتقدَّم عليه صِلَتُه. قاله الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٦٥٧)، وانظر: «الخصائص» لابن جني (٢/ ٤٩١)، و«التذييل التكميل» لأبي حيان (١١/ ٧٦).
وقال المؤلف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٢٤): «الباء متصل بـ(أَمَر) أو بـ(قَضَى) أو (أَحْسِنوا)، ولا يجوز أن يتعلق بقوله: ﴿إِحْسَـٰنًا﴾؛ لأن معمول المصدر لا يتقدم عليه».

(٣) انظر: «الكتاب» (١/ ٣٥٤). ودَفَرَ: أنتنَ. انظر: «كتاب الأفعال» لابن الحداد (٣/ ٣٢٧).

(٤) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٣٧٤).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٤٥).

والمعنى: بالغْ في إلطافهما إذا بلغَ أحدُهما أو كلاهما حالَ الخرفِ.

وفي ﴿أُفٍّ﴾ لغاتٌ؛ الكسرُ مع التَّنوين وبغيرِ التَّنوين، وكذلكَ الفتحُ والضَّمُّ(١).

والتَّنوينُ للتَّنكيرِ، وحذفُه للتَّعريفِ(٢)، وهي من الكلماتِ التي سُمِّيت الأفعالُ بها، ومعناها: الكرهُ والضَّجرُ، ومثله في الخبرِ: سرْعَان ووشْكَان(٣)، ومحلُّها من الإعرابِ محلُّ جملةٍ؛ لأنَّها قائمةٌ مقامَ جملةٍ فعليَّةٍ(٤).

﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ ابنُ عيسى: النَّهرُ: زجرٌ بإغلاظٍ وصياحٍ.

المبرِّد: لا تَصِحْ في وجوههما، يقالُ: نهرَه وانتهرَه: إذا زجرَه.

---

(١) فهذه ست لغات قرئ بها جميعاً كما قال الزمخشري في «الكشاف» عند هذه الآية: «والمتواتر منها ثلاث: قرأ نافع وحفص بالتنوين وكسر الفاء، وابن كثير وابن عامر بفتح الفاء من غير تنوين، وباقي السبعة بكسرها من غير تنوين». انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٩)، و«التيسير» (ص: ١٣٩).
وانظر الباقي مع من قرأ به في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٩)، و«المحتسب» (٢/ ١٨).
وفي الكلمة لغات جمة؛ فقد نقل أبو حيان في «البحر» (١٤/ ٥٠) عن الزناتي في «الحلل»: أن في (أف) لغات تقارب الأربعين، ثم سردها أبو حيان كاملة مع الضبط، أما صاحب «التاج» فقد أوصلها للخمسين.

(٢) انظر: «أوضح المسالك» لابن هشام (٤/ ٨٧).

(٣) مثلثي الأول من سَرُعَ ووَشُكَ، وهما بمعنى. انظر: «القاموس» مادة: (س ر ع) و(و ش ك).
وقوله: «في الخبر» يعني: في غير الأمر والنهي، ومثال اسم الفعل في الأمر: صه، وهلم، ودونك، ونحوها، وهي الأصل في أسماء الأفعال، فقد قال ابن جني في «الخصائص» (٣/ ٣٩): وقد جاءت هذه التسمية للفعل في الخبر، وإنما بابها الأمر والنهي من قبل أنهما لا يكونان إلا بالفعل... ثم ذكر من أمثلة الخبر هذه الثلاثة: أف وسرعان ووشكان.

(٤) ذكر الأشموني أن الصحيح أن أسماء الأفعال لا محل لها من الإعراب. انظر: «شرح الأشموني» (١/ ٤٣)، وهذا الخلاف مبني على أن أسماء الأفعال نائبة عن الأفعال أو عن مصادرها، فعلى الأول لا محل لها من الإعراب، وهو قول الجمهور. انظر: «المقاصد الشافية» للشاطبي (٥/ ٤٩٥).

وقيل: هو إقصاءٌ وطردٌ، من قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠].

﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ كلُّ شيءٍ حوى محاسنَ النَّوعِ الذي هو منه وخلا من مساوئه فهو كريمٌ.

الزَّجَّاج: قولاً سهلاً سَلِساً لا شراسةَ فيه[١].

المُبرِّد: قولاً حسناً[٢].

وقيل: ليِّناً رقيقاً.

عمرُ بنُ الخطَّابِ رضي الله عنه: لا تَمْتنِعْ من شيءٍ يريدانه[٣].

***

(٢٤) ـ ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾.

﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾: لا ترفَّعْ عليهما استكباراً، مأخوذٌ من علوِّ الطَّائرِ بجناحه؛ أي: أَلِنْ جانبك لهما، وجناحُ الإنسانِ: يداه.

ابن جريرٍ: كُنْ لهما ذليلاً رحمةً منك بهما[٤].

وقيل: معنى ﴿مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾: كُنْ لهما كذلك من جهةِ مُبالَغتِكَ في الرَّحمةِ لهما.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٣٤).

(٢) وهو قول ابن قتيبة والطبري. انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢٦٩)، و«تفسير الطبري» (١٤/ ٥٤٨).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٤٩) من طريق المعتمر بن سليمان، عن عبد الله بن المختار، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قال الطبري: «وهذا الحديث خطأ إنما هو: عن هشام بن عروة عن أبيه، ليس فيه عمر... ثم رواه من طريق ابن علية على وجه الصواب.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٥٥٠).

﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ هـذا خطابٌ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ والمرادُ به أمَّتُه من غيرِ أنْ يكون للنَّبيِّ عليه السَّلامُ فيه اشتراكٌ.

قتادةُ: نسخَ اللهُ تعالى من هذه الآيةِ هذا اللَّفظَ بقوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣][1].

والأوَّلُ أصحُّ؛ لقولـه تعالـى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾، فهـذا لا يصحُّ أنْ يُحملَ علـى النَّبيِّ عليه السَّـلامُ؛ لأنَّه فقَـدَ أبوَيه قبل هـذا الخطابِ بإجماعٍ.

والمعنى: يا ربِّ، تعطَّفْ عليهما بمغفرتكَ ورحمتكَ كما تَعطَّفَا عليَّ في صغري ورحماني وربَّياني صغيراً.

وقيل: معناه: أنعِمْ عليهما بمغفرتكَ نِعمةً كنعمتِهما عليَّ.

وعن النَّبيِّ عليه السَّلامُ: «لِيَعْمَلِ البرُّ ما شاءَ فلن يَرَى النَّارَ أبداً، ولْيَعْمَلِ العاقُّ ما شاءَ فلن يرى الجنَّةَ أبداً»[2].

***

(٢٥) ـ ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُواْ صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾.

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ من الصَّلاحِ والفسادِ والبِرِّ والعقوقِ ﴿إِن تَكُونُواْ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٥٤) عن ابن عباس وعكرمة، وظاهر قول قتادة الذي رواه الطبري قبلهما خلافه، بل هو قريب مما قدمه المؤلف قبل هذا وسيصححه بعده.

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٣١٦) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا. قال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ٩٨): «فيه أحمد بن محمد بن غالب غلام الخليل، وهو كذاب». وذكره السمعاني في «تفسيره» (٣/ ٢٣٢) من قول علي رضي الله عنه.

﴿صَٰلِحِينَ﴾: طائعين للهِ في بِرِّ الوالدَين وتركِ العقوقِ لهما ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ ابنُ عبَّاسٍ: هم المسبِّحون(١).

قتادةُ: المطيعون(٢).

ابنُ المنكدر يرفعُه: «هم الذين يصلُّون بين المغربِ والعشاءِ»(٣).

زيدُ بنُ أرقمَ: خرجَ رسولُ اللهِ عليه السَّلامُ على أهلِ قُباءَ وهم يصلُّون الضُّحى فقال: «صلاةُ الأوَّابين إذا رَمِضَتِ الفِصالُ من الضُّحى»(٤).

وقيل: هم التَّائبون.

مجاهدٌ: الذي يُذنبُ سرًّا ويتوبُ سرًّا(٥).

وذهبَ بعضُ المفسِّرين إلى أنَّ هذا في البادرةِ تَبْدُرُ من الولدِ في حقِّ الوالدَين، ثمَّ يندمُ ويتوبُ(٦).

***

(٢٦) - ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾.

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾؛ أي: منك في النَّسبِ، له حقٌّ في مالِكَ إذا كان عديماً فقيراً.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٥٧) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٥٥٦)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٥٧) بلفظ: «﴿لِلْأَوَّٰبِينَ﴾: للمطيعين المصلين».

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٢٥٩)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٥٨)، وهو مرسل.

(٤) رواه مسلم (٧٤٨)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٧٧٨٥)، والإمام أحمد في «المسند» (١٩٢٦٤)، وليس في رواية مسلم: «من الضحى».

(٥) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (١١٨٢).

(٦) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٥٧) عن سعيد بن جبير وحبيب بن أبي ثابت، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٢٥)، واستغربه.

السُّدِّيُّ: ذا القربى من رسولِ اللهِ عليه السَّلامُ في النَّسبِ، وإليه ذهبَ عليُّ بنُ الحسينِ رضي اللهُ عنهما(١).

﴿وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا﴾: لا تنفقها في معصيةِ اللهِ، وقيل: رِياءً وسُمعةً.

***

(٢٧) ـ ﴿إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾.

﴿إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ لأنَّ مقاصدَهم مقاصدُ الشَّياطين.

الزَّجَّاجُ: المبذِّرُ يُنفقُ مالَه فيما يُسوِّله الشَّيطانُ(٢).

وقيل: قرينُ الشَّيطانِ في النَّارِ، والقَرينانِ يقالُ لهما: أخوان.

﴿وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾: مُبالِغاً في الكفرِ.

***

(٢٨) ـ ﴿وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا﴾.

﴿وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ﴾ كان رسولُ اللهِ عليه السَّلامُ إذا سأله فقراءُ أصحابِه ولم يكنْ عنده ما يُعطيهم أعرضَ عنهم حياءً منهم وسكتَ، فأنزلَ اللهُ: ﴿وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ﴾(٣)

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٦٣) عن السدي، عن أبي الديلم قال: «قال علي بن الحسين عليهما السلام لرجل من أهل الشام: أقرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: أفما قرأت في بني إسرائيل: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ﴾؟ قال: وإنكم لَلْقرابةُ التي أمر الله جل ثناؤه أن يؤتَى حقَّه؟ قال: نعم».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٣٥).

(٣) ذكرته كتب التفسير دون سند. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٣٦)، و«التفسير الوسيط» للواحدي (٣/ ١٠٥)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ٤٥٠)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٧١) عن الضحاك.

تَقْطَعْ عنهم عطاءَكَ ﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾: لطلبِ توسعةِ الرِّزقِ من عنده ﴿تَرْجُوهَا﴾: ترجو الرَّحمةَ، أي: رحمةٍ مرجُوَّة.

﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ الزَّجَّاجُ: قل: يرزقُنا اللهُ وإيَّاكم من فَضْلِه[1].

وقيل: سهلاً ليِّناً، تقولُ: يَسَرْتُ الأمرَ وأيسَرتُه ويسَّرته[2]: ليَّنْتُه.

وقيل: الرَّحمةُ هاهنا: الفيءُ والغنيمةُ.

الفرَّاءُ: عِدْهم عِدَةً جميلةً[3].

وقيل: ﴿مَّيْسُورًا﴾: معروفاً.

المبرِّد: نزلت في مُزَينةَ حين جاؤوا يَستحملونه، فقال: «لا أجدُ ما أحملكم عليه»[4].

ابنُ زيدٍ: إذا أعرضتَ عمَّن سألكَ حَذَراً أن يُنفقَه في معصيةٍ، فمنعتَه ابتغاءَ رحمةٍ له، فقلْ قولاً ميسوراً ليِّناً، حكاه الماورديُّ[5].

***

(٢٩) ـ ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً﴾ في سببِ النُّزولِ: جابرُ بنُ عبدِ اللهِ رضي اللهُ عنهما قالَ: بينا رسولُ اللهِ عليه السَّلامُ قاعدٌ فيما بين أصحابِه[6] أتاه صبيٌّ فقال: يا رسولَ اللهِ،

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٣٥).

(٢) «ويسرّته»: ليس في (ن). وانظر: «كتاب الأفعال» لابن القوطية (ص: ١٦٢).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٢٢).

(٤) رواه سعيد بن منصور وابن المنذر عن عطاء الخراساني كما في «الدر المنثور» (٥/ ٢٧٥).

(٥) انظر: «النكت والعيون» (٣/ ٢٣٩)، وقد رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٧٢).

(٦) في (ط): «الصحابة».

إنَّ أمِّي تستكسيكَ دِرعاً، ولم يكنْ عند رسولِ اللهِ عليه السَّلامُ إلَّا قميصُه، فقال للصَّبيِّ: «من ساعةٍ إلى ساعةٍ يظهرُ، فعدْ وقتاً آخرَ»، فعادَ إلى أمِّه فقالت له أمُّه[1]: قلْ له: إنَّ أمِّي تستكسيك القميصَ الذي عليك، فدخلَ رسولُ اللهِ عليه السَّلامُ داره ونزعَ قميصَه وأعطاه وقعدَ عرياناً، فأذَّنَ بلالٌ للصَّلاةِ وانتظرَ فلم يخرجْ، فشغلَ قلوبَ الصَّحابةِ، فدخلَ عليه بعضهم فرآه عرياناً[2]، فأنزلَ اللهُ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً﴾[3].

﴿إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ هذا مَثَلٌ للإمساكِ عن الإعطاءِ؛ لأنَّ مَن قبضَ يدَه عن الإعطاءِ صار كاليدِ المشدودةِ إلى العنقِ[4].

---

(١) «أمه»: ليست في (و).

(٢) قوله: «فأذَّنَ بلالٌ للصَّلاةِ وانتظرَ فلم يخرجْ، فشغلَ قلوبَ الصَّحابةِ، فدخلَ عليه بعضهم فرآه عرياناً»: ليس في (ن).

(٣) ذكره أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٠٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٩٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٨٧)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ٩٠)، وأبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية، والزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٦٦٢).
قال الحافظ في «تخريج أحاديث الكشاف» (ص: ٩٩): «لم أجده».
وقال الآلوسي في «روح المعاني» (٢٩/ ١٤): «وأنت تعلم أنه يأبى هذا كونُ السورة مكية والآية ليست من المستثنيات، ولعل الخبر لم يثبت، فعن ولي الدين العراقي: أنه لم يجده في شيء من كتب الحديث؛ أي: بهذا اللفظ، وإلا فقد أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال: جاء غلام إلى النبي ﷺ فقال: إن أمي تسألك كذا وكذا فقال: «ما عندنا اليوم شيء»، قال: فتقول لك: اكسني قميصك، فخلع عليه الصلاة والسلام قميصه فدفعه إليه وجلس في البيت حاسراً فنزلت، وأخرج ابن أبي حاتم عن المنهال ابن عمرو نحوه، وليس في شيء منهما حديث أذان بلال وما بعده».

(٤) قال العسكري في «الصناعتين» (ص: ٢٧٥): «حقيقته: لا تكونن ممسكاً، والاستعارة أبلغ؛ لأن الغلَّ مشاهد، والإمساك غير مشاهد، فصور له قبح صورة المغلول؛ ليستدل على قبح الإمساك».

ثمَّ قال: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ فجعلَ بسْطَ اليدِ عبارةً عن الإعطاءِ؛ لأنَّ المعطِي يَبسطُ يدَه نحو المعطَى، والبَسْطُ ضدُّ القبضِ.

﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ يَلومُكَ النَّاسُ، وقيل: مستحِقًّا للملامةِ، وقيل: يلومُك اللهُ.

﴿مَّحْسُورًا﴾ الزَّجَّاجُ: أي: بالغتَ في الحملِ على نفسكَ وحالِك حتَّى تصيرَ بمنزلةِ مَن حُسِرَ، والحَسيرُ: المحسورُ الذي بلغَ الغايةَ في النَّصبِ(١).

قتادةُ: نادماً على ما فَرَطَ منكَ(٢).

وقيل: هو العاجزُ، وقيل: هو الذي ذهبَ مالُه كلُّه.

وسببُ النُّزولِ يدلُّ على أنَّ المعنيَّ بالمحسورِ: المكشوفُ، من حَسَرْتُ عن الدِّرعِ؛ أي: كَشَفْتُ، وهو أصلُ الكلمةِ.

* * *

(٣٠) ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ يُوسعُه كالثَّوبِ المبسوطِ يُصيبُ الجهاتِ ﴿وَيَقْدِرُ﴾: يُضيِّقُ، يريدُ: لمن يشاءُ، فيجعلُه على التَّضايُقِ.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ يعلمُ مصالحَ العبادِ؛ كما قالَ في الأخرى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧].

* * *

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٣٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٧٥).

(٣١) ـ ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾.

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ﴾: مخافةَ الفاقةِ، والمَلَقُ: الخضوعُ، وأَمْلَقَ: حَمَلَه الفقرُ على المَلَقِ.

وقيل: أملقَ: خلا من المالِ، من قولِهم: صفًا ملِقٌ وملَّاقٌ[1]: إذا غسلَه المطرُ.

وذهبَ بعضُ المفسِّرين إلى أنَّ المرادَ بقتلِ الأولادِ: وأدُ البناتِ، وكانت العربُ تفعلُ ذلك مخافةَ العارِ. وزعمَ بعضهم أنَّ اللهَ صاحبُ البناتِ؛ لأنَّ الملائكةَ بناتُه، فإلحاقُهنَّ به أولى[2].

وظاهرُ الآيةِ يدلُّ على أنَّهم كانوا يقتلون الأولادَ مخافةَ الفقرِ، وتقديرُه في هذه السُّورةِ: خشيةَ إملاقٍ بهم ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ وفي الأخرى: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]؛ أي: خشيةَ إملاقٍ بكم، ولهذا أيضاً ذكَّرَ الضَّميرَ.

ومَن ذهبَ إلى الأوَّلِ قال: إنَّما ذكَّرَ ـ وإن كانَ المرادُ به البناتِ ـ حملاً على لفظِ الأولادِ.

﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾: ذنباً عظيماً، والخِطْءُ والخَطَأُ لغتان كمِثْلٍ ومَثَل.

---

(١) قوله: «صفا مَلِق ومَلَّاق» كذا في النسخة الخطية، والذي وقفت عليه في المصادر: أن الصَّفاة الملساء يقال لها: مَلَقة، وجَمعها مَلَقات. والمَلَّاق: المتملِّق، وقال صاحب «اللسان»: ورجلٌ مَلِقٌ ومَلَّاق، وقيل: المَلَّاق الذي لا يَصْدُقُ وُدُّه. والمَلِقُ أَيضاً: الذي يَعِدُك ويُخْلِفك فلا يَفِي ويَتَزَيَّن بما ليس عنده. انظر: «تهذيب اللغة» (٩/ ١٤٩)، و«الصحاح» و«اللسان» مادة: (م ل ق).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٢٦)، واستغربه.

وقيل: الخِطءُ: السَّهو، والخـطأُ: العمدُ، والخِطَاءُ: مصدرُ فاعَلَ، فإِنَّ النُّحاةَ يُنكِرون المدَّ فيه مكسوراً ومفتوحاً[1].

***

(٣٢) ـ ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾.

﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾: وَطْءَ المرأةِ من غيرِ نكاحٍ ولا مِلْكِ يمينٍ ﴿إِنَّهُۥ﴾: إنَّ الزِّنى ﴿كَانَ فَٰحِشَةً ﴾ مُنكَراً من المعاصي، والفاحشةُ: ما اشتدَّ قبحُه[2]، والتَّاءُ للمبالغةِ، ويجوزُ أن يكونَ تقديرها: خلَّةً أو خصلةً فاحشةً، وأفادَ ﴿كَانَ ﴾ أنَّه لم يَزَلْ محرَّماً.

﴿وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾؛ أي: وساءَ السَّبيلُ[3] إلى الجِماعِ سبيلُ الزِّنى.

***

(٣٣) ـ ﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾.

﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ ﴾ يريدُ: المؤمنَ، وكذلك المعاهَدُ والذِّمِّيُّ.

﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾: إلَّا أن يَصيرَ قتلُها حقًّا، وهو القصاصُ والارتدادُ وسائرُ ما يبيحُ

---

(١) أن أصل اللغة فيثبتونه، كما في «المقصور والممدود» للقالي (ص: ٢٨٥ و٢٩١)، وقد ذكره عمر بن خلف في «تذكرة الخاصة على العامة وليس بمنكر، انظر: «تثقيف اللسان» (ص: ١٨٦). وظاهر كلام الزمخشري جوازه، فقد قال في تفسير هذه الآية: يقال: «خَطِئَ خِطْئاً» كأَثِمَ إِثماً، و«خَطَأً» وهو ضدُّ الصواب، اسمٌ من أَخطأ، وقيل: هو والخِطْءُ كالحَذَرِ والحِذْرِ، و«خِطَاءً» بالكسر والمدّ، و«خَطاءً» بالفتح والمدّ، و«خَطْأً» بالفتح والسكون، وانظر: «أبنية الأسماء والأفعال» لابن القطاع (ص: ٣٧١).

(٢) في (و): «فحشه».

(٣) في (و): «سبيلًا».

دمَ المسلمِ ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾ من غيرِ أن يأتيَ ما يبيحُ دمَه ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا﴾: حَكَمْنا ﴿لِوَلِيِّهِۦ﴾ وارِثه، وقيل: وليِّ الدَّمِ ﴿سُلْطَانًا﴾ قتادةُ: هو القَوَدُ[١].

مجاهدٌ: السُّلطانُ: الحجَّةُ على القاتلِ[٢].

والجمهورُ: أنَّ السُّلطانَ هو القَوَدُ أو العفوُ، وقيل: القَوَدُ أو العفوُ أو الدِّيةُ.

﴿فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ﴾ الضَّميرُ فيه يعودُ إلى القاتلِ ابتداءً.

وقيل: إلى الوليِّ، وإسرافُه: أن يقتُلَ غيرَ القاتلِ كما كانت العربُ تفعلُه.

ومَن قرأَ بالتَّاءِ[٣] جازَ أن يكونَ خطاباً للقاتلِ ابتداءً، وجازَ أن يكونَ للوليِّ، وقيل: خطابٌ للنَّبيِّ[٤] عليه السَّلام وخلفائه من بعده.

وقيل: سُلطاناً يَنصرُه ويُنصفه من خصمِه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾.

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٨٤).

(٢) رواه ابن الجعد في «مسنده» (٢٢٢٢) بلفظ: «حجة للذي قتل». وقال السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣١٠): «﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَانًا﴾؛ أي: سبيلاً وحجة عليه، إن شاء قتله، وإن شاء عفا عنه، وإن شاء أخذ الدية؛ يعني: إذا اصطلحا، وقال مجاهد: «كل سلطان في القرآن فهو حجة، وكل ظن في القرآن فهو يقين».

(٣) القراءة في «السبعة» (ص: ٣٨٠)، و«المحرر الوجيز» (٢/ ٤٥٣)، عن حمزة والكسائي وابن عامر، ولم تذكر باقي المصادر ابن عامر. انظر: «حجة القراءات» لابن زنجلة (ص: ٤٠٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٠)، و«الإقناع في القراءات السبع» لابن الباذش (ص: ٣٤٠)، و«المبسوط في القراءات العشر» لأبي بكر النيسابوري (ص: ٢٦٩)، و«النشر» (٢/ ٣٠٧). وقال في «البحر المحيط» (١٤/ ٧٢): في نسخة من «تفسير ابن عطية»: «وابن عامر، وهو وهم».

(٤) في (و): «وجاز خطاب النبي».

(٣٤) - ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾.

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ ﴾؛ أي: لا تتصرَّفوا فيه، وخصَّ اليتيمَ بالذِّكرِ لأنَّ الطَّمعَ في ماله أكثرُ، وأنَّ مالَه إلى الصَّونِ أحوجُ.

﴿إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ بما يحفظُ أصولَه ويثمِّرُ فروعَه، وقيل: هي التِّجارةُ، وقد سبقَ[1].

﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ ثماني عشرةَ سنةً، وقيل: الاحتلامُ مع إيناسِ الرُّشدِ.

﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ﴾: أوامرِ اللهِ ونواهيهِ، وقيل: هو العهدُ في الوصيَّةِ بمالِ اليتيمِ، وقيل: كلُّ عقدٍ بين متعاقدَين.

﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ السُّدِّيُّ: كان مطلوباً.

وقيل: ناقضُ العهدِ كان مسؤولاً عنه.

وقيل: يُسألُ العهدُ لِمَ نُقضتَ؛ كقولِه: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾ [التكوير: ٨][2].

* * *

(٣٥) - ﴿ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾.

﴿ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ ﴾؛ أي: لا تبخسوا في الكيلِ ولا تُطفِّفوا، وكذلك الوزنُ، وهو قولُه: ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ المورِّج: هو الميزانُ بلغة الرُّومِ[3]، الحسنُ: هو

---

(١) في أوائل سورة: (النساء).

(٢) ذكر الأقوال الثلاثة الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٤٢).

(٣) ذهب ابن درستويه إلى أن (القسطاس) عربي صحيح مشتق من (قسط)، وذهب الأكثرون إلى أنه رومي معرب، أما قول المؤرج فذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٢٣)، وانظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٣٠)، و«أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص: ٤٩٦)، و«المهذب» للسيوطي (ص: ١٢٥)، =

القبَّانُ[١]، الزَّجَّاجُ: ميزانُ العدلِ أيَّ ميزانٍ كانَ[٢]، وقيل: هو الشَّاهينُ، وقيل: إقامةُ لسانِ الميزانِ، والكسرُ والضَّمُّ لغتانِ.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الإيفاءُ ﴿خَيْرٌ﴾ أكبرُ بركةً في الدُّنيا ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ مآلاً في العقبى ومرجعاً.

* * *

(٣٦) ـ ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أبو عبيدةَ: لا تتَّبعْ ما لا تعلمُ[٣].

قطربٌ: قَفَوْتُ الرَّجلَ بقَبيحٍ: إذا رميتَه به.

وعن ابنِ الحنفيَّةِ: أنَّه شهادةُ الزُّورِ[٤].

وأصله من القَفا، وقيل: القَفْوُ شبيهٌ بالعَضِيهةِ[٥] والبهتانِ، وقيل: هو نهيٌ عن القذفِ والرَّمي.

الفرَّاءُ: هو مقلوبٌ من القيافةِ[٦]، وهو تتبُّعُ الأثرِ.

= وفيه ستُّ لغات قُسْطاس، وقِسطاس، وقُصطاس، وقُسْتاس، وقُسَّاط، وقِسَّاط. انظر: «الصاحبي في فقه اللغة» لابن فارس (ص: ٤٠).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٩١).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٣٨).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٣٧٩).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٣٠٤١)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٩٤).

(٥) قوله: «بالعضيهة»: هي البهيتة، وهي الإفك والبهتان. انظر: «الصحاح» مادة: (ع ض ه).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٢٤).

﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ﴾؛ أي: كلُّ هذه، فأجراهُ مجرى العقلاءِ.

﴿كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ تُسأَلُ هذه الأعضاءُ عمَّا قاله، الزَّجَّاجُ: يُستشهَدُ بها كما قالَ: ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم﴾ [النور: ٢٤][(١)].

والهاءُ في ﴿عَنۡهُ﴾ يعودُ إلى مصدرِ قوله: ﴿وَلَا تَقۡفُ﴾ وهو القَفْوُ، وقيل: إلى ﴿مَا﴾، وقيل: إلى ﴿كُلُّ﴾، وقيل: إلى الإنسان؛ لأنَّه صاحبُ السَّمعِ والبصرِ والفؤادِ، و﴿مَسۡـُٔولٗا﴾ يجوزُ أن يكونَ لـ﴿كُلُّ﴾، ويجوزُ أن يكونَ للإنسانِ، والمعنى: لا تَستعملْ هذه الأعضاءَ في محرَّمٍ.

وقيل: استعملْها في دلائلِ توحيدِ اللهِ ولا ترضَ بالتَّقليدِ[(٢)].

***

(٣٧) ـ ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا﴾.

﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًا﴾: ذا اختيالٍ وتكبُّرٍ لا ترى فوقكَ مِن مَزيدٍ[(٣)].

﴿إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ﴾: لن تقطعَه، والخَرْقُ: الفلاةُ؛ لانقطاعِ أطرافِها لتباعُدِها.

﴿وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا﴾؛ أي: إنَّك لن تبلغَ ممَّا تريدُ كبيرَ[(٤)] مَبْلَغٍ، كما لا يُمكنكَ أن تبلغَ هذا، فما وجهُ المثابرةِ على ما هذه سبيلُه؟ ذكره ابنُ عيسى[(٥)].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٣٩).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٢٧)، واستغربه.

(٣) في (ن): «لا ترى قومك من يزيد»، وهو تصحيف.

(٤) في (ن): «كثير»، وأشير إلى الوجهين في (ط).

(٥) في (ن) زيادة: «كان معتزلياً». قلت: وهو علي بن عيسى الرماني، وقد تقدمت ترجمته.

ويحتملُ أنَّ المعنى: إنَّك في طُولِك وعرضكَ لا تنالُ درجةَ هذَين الجمادَين ولا جزءاً من درجتهما.

***

(٣٨) - ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾.

﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ قُرِئ: ﴿سيِّئةً﴾ بالتَّنوين[١]، فيكونُ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةً إلى قوله: ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ وما بعده، وذكَّر ﴿مَكْرُوهًا﴾ لأنَّه خبرٌ بعد خبرٍ، أو يكونُ[٢] حالاً مِن الضَّميرِ في ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾.

ومَن قرأَ: ﴿سَيِّئُهُۥ﴾ بالإضافةِ فالوجهُ ما قاله الحسنُ: إنَّ اللهَ ذكرَ أموراً منها حسنٌ ومنها سيِّئٌ، والسَّيِّئُ مِن كلِّ ذلك كان مكروهاً[٣].

***

(٣٩) - ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ما أَمَرَ به ونَهَى عنه ﴿مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾؛ أي: جملةِ الحِكمِ التي أَوْحَى اللهُ إليكَ في القرآنِ من القرآن.

وعن ابنِ عبَّاسٍ رضي اللهُ عنهما: هذه الثَّماني عشرةَ آيةً كانت في ألواحِ موسى عليه السَّلامُ التي كتبَ اللهُ سبحانَه أنزلها على محمَّدٍ عليه السَّلامُ، ابتداؤها: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ وآخِرُها: ﴿مَّدْحُورًا﴾[٤].

---

(١) قرأ بها ابن كثير ونافعٌ وأبو عمرٍو، وقرأ الباقون: ﴿سَيِّئُهُۥ﴾ بالرفع والإضافة. انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٠).

(٢) في (و): «ويكون».

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٣/ ٣٣٧).

(٤) ذكره عن ابن عباس أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٠٦)، والزمخشري في «الكشاف» =

ومعنى قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا﴾ تلومُ نفسكَ ﴿مَّدْحُورًا﴾ مُبعَداً من رحمةِ اللهِ، وقيل: مطروداً، الخطابُ للنَّبيِّ عليه السَّلام والمرادُ به غيرُه[1]، والتَّقديرُ: قلْ للكافرِ.

***

(٤٠) ـ ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾.

﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ استفهامُ إنكارٍ على مَن زعمَ أنَّ الملائكةَ إناثٌ، وأنَّها بناتُ اللهِ؛ أي: خصَّكم وأخلصَ لكم البنينَ ﴿وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا﴾؛ أي: وجعلَ البناتِ مشتركةً بينكم وبينه، فاختصَّكم بالأجَلِّ وجعلَ لنفسِه الأدونَ ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ يعظمُ الإثمُ فيه والعقوبةُ عليه.

***

(٤١) ـ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ كرَّرنا القولَ في هذا القرآنِ من المواعظِ والأخبارِ.

وقيل: غايَرنا القولَ فيه، فتارةً حُجَجاً ودلائلَ، وتارةً عِبراً وأمثالاً، وتارةً قِصصاً وأخباراً.

المبرِّد: بيَّنَّا بكلِّ وجهٍ يَتصرَّفُ فيه القَولُ.

= (٣/ ٦٦٨)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٣٤١) عن الكلبي. والذي رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٣٨) عن ابن عباس هو قوله: «إن التوراة كلها في خمس عشرة آية من بني إسرائيل، ثم تلا: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾». قال الآلوسي في «روح المعاني» (١٤/ ٥١٦): وهذا أعظم مدحاً للقرآن الكريم مما في «الكشاف».

(١) قال ابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» (ص: ١٦٧): «القرآن نزل عليه ـ أي: النبي ﷺ ـ بمذاهب العرب كلهم، وهم قد يخاطبون الرجل بالشيء ويريدون غيره».

﴿لِيَذْكُرُوا﴾؛ أي: ليَذْكُروا الأدلَّةَ فيُؤمنوا به، وقُرئ بالتَّشديدِ[(١)]؛ أي: ليَفهَمُوا.

﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ عن الحقِّ واتِّباعه، وقيل: عن النَّظرِ والاعتبارِ به.

* * *

(٤٢) - ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾.

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ للآيةِ وجهان:

أحدهما: لو كان في الوجودِ آلهةٌ لطلبوا مغالبةَ اللهِ والاستيلاءَ على ذي العرشِ، وهو اللهُ سبحانَه وتعالى، وقيل: (ذو) زيادةٌ؛ أي: لطلبوا الاستيلاءَ على العرشِ، والعرشُ: السَّريرُ العظيمُ، وقيل: المُلْكُ.

والثَّاني: لو كان معه آلهةٌ أخرى لابتغوا إليه الوسيلةَ؛ لأنَّهم عرفوا قُدرته وعجزَهم، وهو قوله: ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧].

* * *

(٤٣) - ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾.

﴿سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾؛ أي: هو منزَّهٌ عن الشَّركةِ في الإلهيَّةِ، وعمَّا ادَّعوا من الباطل[(٢)]، وكان القياسُ: تَعالِياً، لكنْ ردَّه إلى الأصلِ؛ كقوله: ﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧][(٣)].

* * *

---

(١) قرأ حمزة والكسائي بإسكان الذال وضم الكاف مخففًا، والباقون بفتحهما مشددين. انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٠).

(٢) في (و): «من الآلهة».

(٣) فالمصدر جاء على غير لفظ الفعل؛ لأن المعنى واحد. انظر: «الكتاب» (٤/ ٨١)، و«أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص: ٦٣٠).

(٤٤) ـ ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾؛ أي: تُنزِّهُه مِن أنْ يكونَ له ضدٌّ أو ندٌّ أو صاحبةٌ أو ولدٌ.

﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ قيل: وإنْ من شيءٍ من الأحياءِ.

وقيل: عامٌّ حتَّى صريرُ البابِ ورعدُ السَّحابِ.

وقيل: تسبيحُه دلالتُه على وحدانيَّةِ اللهِ.

وقيل: تسبيحُه حملُ غيرِه على التَّسبيحِ إذا تأمَّلَ فيه وتدبَّرَ.

﴿وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ﴾ يريدُ: الكفَّارَ الذين لا ينظرون في الدلالاتِ، وكيف يعرفُ الدَّليلَ مَن لا يتأمَّله؟!

وقيل: لا تفقهون تسبيحَهم؛ لأنَّه بغيرِ لسانِكم.

وقيل: لأنَّها تتكلَّمُ في بعضِ الحالاتِ دون بعضٍ.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا﴾ عن جهلِ العبادِ ﴿غَفُورًا﴾ لذنوبِ المؤمنينَ.

* * *

(٤٥) ـ ﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابًا مَّسۡتُورًا﴾.

﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ له وجهان:

أحدهما: قاله قتادةُ والزَّجَّاجُ في جماعةٍ[1]: أي: إذا قرأتَ القرآنَ يا محمَّدُ ﴿جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾: لا يُقِرُّون ﴿بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾: بالبعثِ والثَّوابِ والعقابِ

(١) رواه عن قتادة الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٠٨)، وانظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٤٣).

﴿حِجَابًا﴾ يحجبُ قلوبَهم عن فهمِ ما تقرأُه عليهم، ويُقوِّيه ما بعده من قوله: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾.

وقولُهُ: ﴿مَّسْتُورًا﴾ قيل: ساتراً، كقوله: ﴿وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ [مريم: ٦١]؛ أي: آتٍ، وقيل: مستوراً عن عيونِ العبادِ، وقيل: مستوراً أن يأتوا بمثله؛ يعني: القرآنَ، المبرِّدُ: يجوزُ أن يكون التَّقديرُ: حجاباً مستوراً به(١)، وقيل: يجوزُ أن يكون حالاً ممَّا تقدَّمَ لا وصفاً للحجابِ(٢).

والثَّاني: أنَّ قوماً من الكفَّارِ كانوا يُؤذون النَّبيَّ عليه السَّلامُ ويمنعونه من الخروجِ إلى الصَّلاةِ، فستره عن الأعينِ الظَّاهرةِ، وكان رسولُ اللهِ عليه السَّلامُ يَستترُ من المشركين بثلاثِ آياتٍ؛ الآيةِ التي في (الكهفِ): ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ [٥٧]، والآيةِ التي في (النَّحلِ): ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [١٠٨]، والآيةِ التي في (الجاثية): ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [٢٣](٣).

***

---

(١) ذكره عن المبرد أبو حيان في «البحر» (٧/ ٥٦)، وذكره السمعاني في «تفسيره» (٣/ ٢٤٥)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ٤٦٠)، بلا نسبة، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٢٨)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٢٨)، وعدَّه من العجائب.

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣١٣) عن الكلبي، ورواه الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٣٥٣) من طريق الكلبي عن رجل من أهل الشام عن كعب، وذكره دون نسبة الرازي في «تفسيره» (٢٠/ ٣٤٩).
ووقع في (ن) و(و): «الفرقان» بدل: «الجاثية»، وهو خطأ ظاهر، والصواب المثبت من (ط) فإن الآية التي في الفرقان هي قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [٤٣]، وإنما المراد آية (الجاثية)؛ لأن فيها ذكر الختم: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾.

(٤٦) ـ ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴾.

﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾: خلقنا ﴿أَكِنَّةً ﴾: جمعُ كِنانٍ، وهو الذي يُكِنُّ الشَّيء ويَستُره ﴿أَن يَفْقَهُوهُ ﴾: كراهةَ أن يفقهوه، وقيل: أن لا يفقهوه ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ ثِقلاً يمنعُ عن الاستماعِ.

﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ ﴾؛ أي: قلتَ: لا إله إلَّا اللهُ ﴿وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ ﴾: رجعوا على أعقابهم ﴿نُفُورًا﴾ من استماعِ التَّوحيدِ، والنُّفورُ مصدرُ نفَرَ: إذا هربَ، ويجوزُ أن يكونَ جمعَ نافرٍ(١).

***

(٤٧) ـ ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾.

﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ ﴾ يُسمِعُه بعضُهم بعضاً ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾: يُصغون إليكَ ليستمعوا القرآنَ ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ مُتناجين(٢) في دارِ النَّدوةِ ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ هذا ما كانوا يتناجون به، وذلك أنَّهم اجتمعوا في دارِ النَّدوةِ، وكان إذا أرادوا مشورةً اجتمعوا هناك، وقالَ بَعضُهم: إنَّ محمَّداً مجنونٌ، وبعضُهم: إنَّه ساحرٌ، وبعضُهم: إنَّه شاعرٌ، وبعضُهم: إنَّه كاهنٌ.

ومعنى: ﴿مَّسْحُورًا ﴾ عند أبي عُبيدةَ: سُحر فزالَ عقلُه وصارَ مجنوناً(٣).

---

(١) وعلى تقدير المصدر يعرب مفعولًا لأجله، أما على الجمع فيعرب حالًا. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٢٧٤).

(٢) في (ط): «متناجون»، ووجه الرفع أن تكون الكلمة بدلًا من النجوى، ووجه النصب أن تكون تفسيراً للجملة الحالية.

(٣) في (و): «مسحوراً». والقول لم أجده عن أبي عبيدة، لكن ذكره الماوردي في «النكت والعيون» =

وقيل: ﴿مَّسْحُورًا﴾: له سَحْرٌ؛ يأكلُ ويشربُ كسائرِ النَّاسِ[١].

وقيل: ﴿مَّسْحُورًا﴾: مخدوعاً، وقيل: مغروراً مكذوباً.

* * *

(٤٨) ـ ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾ بالمجنونِ والكاهنِ والشَّاعرِ والسَّاحرِ والمعلَّمِ والمخدوعِ؛ أي: تَفكَّرْ كيف وصفوكَ بهذه الصِّفاتِ ﴿فَضَلُّوا۟﴾ عن الحقِّ ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ إلى أن يُبيِّنوا للنَّاسِ أنَّكَ كاذبٌ؛ لتناقُضِ كلامِهم.

وقيل: لا يستطيعون سبيلاً إلى الرُّشدِ والهدايةِ.

* * *

(٤٩) ـ ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾.

﴿وَقَالُوٓا۟﴾ يعني: مُنكري البعثِ ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا﴾ استبعَدوا الإحياءَ بعد الموتِ ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾: أنُبعثُ ونُخلقُ خلْقاً جديداً حين صرْنا عظاماً.

= (٤/ ١٣٤) دون نسبة، وليس فيه: «وصار مجنوناً».

(١) وهذا هو قول أبي عبيدة في الآية، فقد قال في «مجاز القرآن» (١/ ٣٨١): ﴿مَّسْحُورًا﴾؛ أي: له سَحْر، وهو أيضاً: مسحَّر، وكذلك كلُّ دابَّة أو طائر أو بشر يأكل فهو مسحور؛ لأن له سَحْراً، والسَّحْر: الرِّئة، قال لبيد:

فإن تسألينا فيم نحن فإننا ... عصافير من هذا الأنام المسحَّر

وقال:

ونُسْحَر بالشراب وبالطَّعام

أي: نغذَّى.

﴿وَرُفَٰتًا﴾: حُطاماً، وكلُّ مدقوقٍ مبالَغٍ في الدَّقِّ رُفاتٌ ومرفوتٌ(١).

الفرَّاءُ: الرُّفاتُ: التُّرابُ(٢).

وقيل: فُتاتاً، وقيل: العظمُ إذا تحطَّمَ فهو رُفاتٌ.

والعاملُ في (إذا) لفظٌ من البعثِ كما ذكرتُ، لا المبعوثُ؛ لأنَّ ما بعد (إنَّ) لا يعملُ فيما قبله(٣).

* * *

(٥٠ ـ ٥١) ـ ﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾.

﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ مجاهدٌ: ما شئتُم فكونوا، فسيُعيدُكم اللهُ كما كنتُم(٤).

الزَّجَّاجُ: أَقَرُّوا بأنَّ اللهَ خالقهم وأنكَروا البعثَ، فقيل لهم: استَشْعِروا أنَّكم لو خُلِقْتُم من الحجارةِ أو الحديدِ لأماتكم ثمَّ أحياكم، ولفظ: ﴿كُونُوا۟﴾ أمرٌ، والمعنى: لو كنتُم كذلك لأماتكم ثمَّ أحياكم؛ لأنَّ مَن قدرَ على خلْقِكم من التُّرابِ والنُّطفةِ قدرَ على خلْقِكم من العظامِ والرُّفاتِ، وهذا أقربُ إلى الإنسانيَّةِ(٥).

---

(١) انظر: «الغريبين» للهروي (١/ ٣٢٤).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٢٥)، وزاد: «لا واحد له، بمنزلة الدُّقَاق والحطام».

(٣) انظر: «شرح الرضي على الكافية» (٤/ ٤٦٤).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦١٨).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٤٤)، والكلام فيه بنحوه.

وقيل: تقديرُه: إذا جازَ أن يُحيلَ الإنسانَ حجارةً أو حديداً ما الذي يمنعُ من الإعادةِ من العظامِ والرُّفاتِ أو ما يكبُر في صدوركم؟

ابنُ عبَّاسٍ وابنُ جُبيرٍ والضَّحَّاكُ: الموت[1]، وهو أكبرُ الأشياءِ في صدورهم؛ أي: لو كنتم الموتَ لأماتكم ثمَّ أحياكم.

الكلبيُّ: البعثُ[2].

مجاهدٌ: هو السَّماءُ والأرضُ والجبالُ[3].

وقيل: عامٌّ؛ أي: أيَّ شيءٍ ممَّا يستكبرون.

الحسنُ: ما أدري ما هو[4].

﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: خلقكم ابتداءً بالإيجادِ ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾: يُحرِّكونها فِعْلَ المُستبعِدِ للشَّيءِ، وقيل: فِعْلَ المستهزِئ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾ استبعاداً له ونفياً.

تقولُ: نغضَ السِّنُّ: تحرَّكَ، وأنغضْتُه: حرَّكتُه.

﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾؛ أي: هو قريبٌ، و﴿عَسَىٰٓ﴾ للوجوبِ، و﴿قَرِيبًا﴾ يجوزُ أن يكون خبرَ (كان)، ويجوزُ أن يكون ظرفاً؛ أي: في زمانٍ قريبٍ[5].

---

(١) رواه عن سعيد بن جبير عبد الرزاق في «تفسيره» (١٥٧٤)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦١٦ ـ ٦١٧) عن ابن عباس وابن عمر وأبي صالح والحسن وسعيد بن جبير والضحاك.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٤٨).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٥٧٥).

(٤) جعله المؤلف من العجيب في «غرائب التفسير» (١/ ٦٢٩)، ولم أجده عند غير المؤلف، وقد روى الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦١٦) وأبو الشيخ في «العظمة» عن الحسن: أنه الموت. واختار الطبري (١٤/ ٦١٨) أنه كلّ ما كبر في صدور بني آدم من خلقه.

(٥) وهذا على اعتبار (كان) تامة.

(٥٢) - ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

ثمَّ بيَّنَ وعيَّنَ فقالَ: ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ ﴾؛ أي: إلى المحاسبةِ، وهو يومُ القيامةِ.

وقيل: يدعوكم من قبورِكم.

وقيل: يدعوكم إسرافيلُ، وهي النَّفخةُ الأخيرةُ.

مقاتلٌ: وذلك أنَّ إسرافيلَ يقومُ على صخرةِ بيتِ المقدسِ يدعو أهلَ القبورِ في قرنٍ، ويقولُ: أيَّتها العظامُ الباليةُ، واللُّحومُ المتفرِّقةُ، والعروقُ المتقطِّعةُ؛ اخْرُجوا من قبورِكم، فيَخرجون من قبورهم(١).

ابنُ عبَّاسٍ رضي اللهُ عنهما: لمعنى الدُّعاءِ وجهان:

أحدهما: النِّداءُ بالخروجِ إلى أرضِ المحشرِ نداءً يسمعُه جميعُ العبادِ.

والثَّاني: الصَّيحةُ التي يسمعونها فتكونُ داعيةً لهم إلى الاجتماعِ إلى أرضِ القيامةِ(٢).

﴿فَتَسْتَجِيبُونَ﴾: فتُجيبون ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ قيل(٣): بأمرِه، وتَقْصِدون نحو(٤) الدَّاعي.

قتادةُ: بمعرفتِه وطاعتِه(٥). وهذا ليس بتفسيرِ اللَّفظِ.

ابنُ جريرٍ: بقُدرتِه ودعائِه إيَّاكم(٦).

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٣٥).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٤٨) لكن لم ينسبه لابن عباس أو غيره.

(٣) في (ن): «وقيل».

(٤) في (و): «إلى».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٢٢).

(٦) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٦٢٢).

وقيل: بحمدِ اللهِ لا بحمدٍ مِنهُم؛ لأنَّه حالُ اضطِرارٍ[١].

الزَّجَّاجُ: الباءُ للحالِ؛ أي: تجيبون حامدين[٢].

وقيل: على ما يقتضي الحمدَ.

﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ﴾: ما لبثتُم ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ أي: يستقصرون مدَّةَ موتهم؛ لأنَّهم لا يشعرون بالمدَّةِ التي مرَّتْ بهم وهم أمواتٌ.

قتادةُ: تحاقَرَتِ الدُّنيَا في أنفُسِهم وقلَّتْ حينَ عايَنُوا يومَ القيامةِ[٣].

وقيلَ: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ في الدُّنيا.

وقيل: بين النَّفختَين يُرَفَّهون من العذابِ، وبينهما أربعون سَنةً، فيرونها لاستراحتِهم قليلاً.

***

(٥٣) ـ ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾.

﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ في سببِ النُّزولِ:

أنَّها نزلَت في عمرَ بنِ الخطَّابِ، وذلك أنَّ رجلاً من العربِ شتمَه، فهمَّ به عمرُ رضي الله عنه، فأمرَه اللهُ بالعفوِ[٤].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٢٩)، واستغربه.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٤٥)، ولفظه: «ومعنى تستجيبون بحمده: تستجيبون مقرين بأنه خالِقكُمْ». وفي عبارته إشارة للحالية في الباء.

(٣) رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ١٤٢)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٢٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٣٤).

(٤) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٥٣٥)، وأبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣١٦)، والثعلبي =

وقيل: نزلت في أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، حكاه الفقيهُ أبو اللَّيثِ رحمه الله في «تفسيره»[(١)].

قالَ الكلبيُّ: كان المشركون يُؤذون أصحابَ رسولِ اللهِ عليه السَّلامُ بالقولِ والفعلِ، فشكَوا ذلك إلى رسولِ اللهِ عليه السَّلامُ، فأنزلَ اللهُ في ذلك: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[(٢)]؛ أي: يردُّوا خيراً على مَن أساءَ القولَ فيهم.

وقيل: هي الشَّهادتان: لا إلهَ إلَّا اللهُ محمَّدٌ رسولُ اللهِ.

وقيل: الأمرُ بالمعروفِ والنَّهيُ عن المنكرِ.

الزَّجَّاجُ: لا يذكروا غيرَهم إلَّا بالمحاسنِ ويكفُّوا عن مساوئِه[(٣)].

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾: يُهيِّجُ بينهم الشَّرَّ ويُفسدُ أحوالَهم، والنَّزغُ: إيقاعُ الشَّرِّ وإفسادُ ذاتِ البَينِ.

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾: ظاهرَ العداوةِ.

* * *

= في «تفسيره» (١٦/ ٣٦١)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٤٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (١/ ٢٨٨).

(١) انظر: «بحر العلوم» للسمرقندي (٢/ ٣١٦).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٣٦١)، والواحدي في «أسباب النزول» (١/ ٢٨٨). وذكره أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣١٥) عن ابن عباس، ولعله مما روي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

(٣) لم أقف عليه.

(٥٤) ـ ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾.

﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ ﴾ بالهدايةِ والتَّوفيقِ ﴿أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ﴾ بالخذلانِ.

وقيل: ﴿إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ ﴾ بالتَّوبةِ، ﴿أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ﴾ بالإقامةِ على المعصيةِ.

وقيل: ﴿إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ ﴾ فيُنَجِّيكم من أعدائِكم، ﴿أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ﴾ فيُسلِّطْهم عليكم.

و﴿أَوْ﴾ للإضرابِ، ولهذا كرَّرَ ﴿إِن﴾[1].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ قيل: كفيلاً، وقيل: وما وكَّلناكَ في منعِهم من الكفرِ باللهِ.

***

(٥٥) ـ ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾.

﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾؛ أي: هو عالمٌ بأهلِ السَّماواتِ وأهلِ الأرضِ، وهو أعلمُ بصلاحِ كلِّ واحدٍ منهم.

وقيل: تقديرُه: أعلمُ بمن في السَّماواتِ والأرضِ من الملائكةِ وغيرِهم[2].

﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ فمنهم مَن كلَّمه اللهُ، ومنهم مَن اتَّخذه خليلاً، ومنهم مَن اصطفاه، وهو محمَّدٌ عليه السَّلام.

---

(١) في هامش (ن): «كأنه يقول لفريقين، يقول [الفريق]: ﴿إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ ولفريق: ﴿أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾، وتكرار ﴿إِن﴾ لذلك؛ لأن أصل (أو) للإضراب كما ذكرت».

(٢) و(أعلم) على هذا القول اسم تفضيل، أما القول الأول فهو صفة مشبهة باسم الفاعل.

﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ وهو مئةٌ وخمسون سورةً ليسَ فيها حكمٌ ولا فرضٌ، إنَّما هو ثناءٌ ووعظٌ.

***

(٥٦) ـ ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾.

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾: ادَّعيتم أنَّها آلهةٌ ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ سوى الله ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ﴾، أي: المدْعُوُّون ﴿كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ﴾ يعني: البؤسَ والشِّدَّةَ والقحطَ الذي ابتُلوا به سبعَ سنين ﴿وَلَا تَحْوِيلًا﴾: تحويلَ ذلك منكم إلى غيرِكم.

وقيل: ﴿وَلَا تَحْوِيلًا﴾ من السَّقمِ إلى الصِّحَّة، والفقرِ إلى الغِنى.

نزلَت في قريش حين شكَتْ[1] إلى رسولِ اللهِ عليه السَّلامُ ما نزلَ بهم من القحطِ[2].

***

(٥٧) ـ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾؛ أي: يدعونَهم آلهةً، وقيل: يعبدُونهم.

ابنُ عبَّاسٍ وابنُ مسعودٍ وابنُ زيدٍ والحسنُ: هم الملائكةُ[3].

قتادةُ في جماعةٍ: هو المسيحُ وعُزيرٌ والشَّمسُ والقمرُ[4].

---

(١) في (ن): «نزلت حين شكت قريش».

(٢) ذكره دون راو ولا سند الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٣٦٣)، وعزاه الواحدي في «البسيط» (١٣/ ٣٦٨) للمفسرين.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٣٠) عن ابن مسعود وابن زيد.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٣١) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وروي عن قتادة أنهم قوم عبدوا الجنَّ، فأسلم الجن. انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٦٢٩).

وقيل: هم خزاعةُ، كانوا يعبدونَ قوماً من الجنِّ، فأسلمَ الجنُّ، وبقيَت خزاعةُ على كفرِهم[١].

﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾: يتضرَّعون إلى اللهِ ويطلبون القُربةَ والزُّلفةَ إليه، والوسيلةُ: الطَّلبةُ.

المبرِّدُ: كلُّ ما قَرَّبَ من شيءٍ فهو وسيلةٌ إليه.

﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾؛ أي: يبتغِي الذي هو أقربُ إلى ما عندَه ـ وقيل: إلى رحمتِه ـ وسيلةً إلى اللهِ، فـ﴿أَيُّهُمْ﴾ بدلٌ من واوِ ﴿يَبْتَغُونَ﴾[٢]، والمعنى: يعبدونَ عبداً يطلبُ ما يُقرِّبُه إلى اللهِ تعالى.

وقيل: ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ بدلٌ من ﴿ٱلْوَسِيلَةَ﴾[٣]؛ أي: أيُّهم أقربُ من اللهِ منزلةً فيتوسَّلُون به إلى اللهِ.

﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾[٤]؛ أي: معبودوكم طالِبُو الزُّلفةِ إلى اللهِ وراجُو رحمتِه وخائِفُو عذابِه.

أبو عليٍّ: هم الأنبياءُ الذين ذُكِروا في الآيةِ الأولى؛ أي: أولئك الذين يدعونَ اللهَ. وقيل: يدعونَ النَّاسَ إلى عبادةِ اللهِ يبتغُون إلى ربِّهم الوسيلةَ.

* * *

(١) رواه مسلم (٣٠٣٠)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٢٧ ـ ٦٢٩)، دون تسمية خزاعة.

(٢) ﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ على هذا الوجه المدعوُّون. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٦٣٠).

(٣) و﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ على هذا الوجه الداعون. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٦٣٠).

(٤) ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ تأخرت إلى ما بعد قوله: «أولئك الذين يدعون الله» في (د) و(ن)

(٥٨) ـ ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا﴾.

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ يعني: عذابَ الاستئصالِ للكفَّارِ في الدُّنيا، ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بالبلايا والشَّدائدِ والقتلِ والجدبِ.

وقيل: ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ في القيامةِ.

وقيل: المهلَكةُ هي الصَّالحةُ بآجالِهم، والمعذَّبةُ هي الطَّالحةُ(١).

﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ﴾: في اللَّوحِ المحفوظِ ﴿مَسْطُورًا﴾: مُثْبَتاً مكتوباً.

* * *

(٥٩) ـ ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾.

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ في سببِ النُّزولِ:

عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قالَ: سألَ أهلُ مكَّةَ النَّبيَّ عليه السَّلام أن يجعلَ لهم الصَّفا ذهباً، وأن ينحِّي عنهم الجبالَ فيزرعون، فقيل له: إن شئتَ أن نستأنيَ بهم لعلَّنا نجتبِي منهم، وإن شئتَ أن نؤتيَهم الذي سألُوا، فإن كفروا أُهلكوا كما أُهلِك مَن قبلهم، قال: «لا بل استأْنِ بهم» فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾(٢)؛ أي: ما مَنَعَنا إرسالَ الآياتِ التي اقترحُوها

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٣١)، واستغربه.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣٣٣)، والنسائي في «الكبرى» (١١٢٢٦)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٣٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣٧٩). وجاء في رواية أحمد والنسائي: «بل أستأني بهم»، وعند الطبري: «بل تستأني بهم»، ولم ترد العبارة في رواية الحاكم. وأيضاً جاء في رواية النسائي: «لعلنا نَنْتج منهم»، وعند الطبري: «لعلنا نجتني منهم»، وفي رواية الحاكم: «لعلنا =

إلَّا علْمُنا أنَّهم يكذِّبون رسولي كما كذَّبَ الأوَّلون رسلَهم فأهلكنَاهم؛ لأنَّ سُنَّتنا مضَت بإهلاكِ مَن كذَّبَ بالآياتِ المقترَحةِ، فيجبُ إهلاكُ قومك، وقد قضيتُ أنْ لا أستأصلَ أُمَّتَك؛ لأنَّ منهم مَن يؤمنُ أو يلدُ مؤمناً، ثمَّ ذكرَ من الأممِ المُهلَكةِ باقتراحِ الآياتِ وتركِ الإيمانِ بها أمَّةَ صالحٍ.

قولُه تعالى: ﴿أَن نُّرْسِلَ بِٱلْأَيَٰتِ﴾ في موضعِ المفعولِ الثَّاني ﴿أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ رفعٌ بالفاعلِ، والباءُ في قولِه: ﴿بِٱلْأَيَٰتِ﴾ زيادةٌ(١)، ويجوزُ أن يكونَ حالاً والمفعولُ محذوفٌ(٢).

﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ﴾ بسؤالِهم واقتراحِهم ﴿مُبْصِرَةً﴾ آيةً بيِّنةً ظاهرةً خرجَت من صخرةٍ صَلْدةٍ حاملاً كما اقترحوا.

وقيل: ﴿مُبْصِرَةً﴾: مُتضمِّنةً لبصائرَ(٣) في الدِّين لمن استبصرَ.

وقيل: ﴿مُبْصِرَةً﴾ يُبصَرُ بها كـ«ليلةٍ نائمةٍ»: يُنامُ فيها، و«يومٍ صائمٍ» يُصامُ فيه(٤).

وقيل: ﴿مُبْصِرَةً﴾: جاعلةً إيَّاهم ذوي بصائر.

﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾ قيل: فكفروا(٥) بعقرِها؛ أي: بسببِ عقرِها.

= نستحيي منهم»، ولم ترد العبارة في رواية أحمد. والحديث إسناده صحيح.

(١) و(الآيات) اسم مجرور لفظاً منصوب محلًا على أنه مفعول به للفعل (نرسل).

(٢) قوله: «ويجوزُ أن يكونَ حالًا والمفعولُ محذوفٌ»؛ أي: الباء في «بالآيات» باء الحال، أي: وما منعنا إرسالَ الرسل ملتبسين بالآيات. أو: وما منعنا إرسال رسولنا ومعه الآيات. انظر: «الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد» للمنتجب الهمذاني (٤/ ٢٠٠)، و«إعراب القرآن» للباقولي (١/ ٢٦٨).

(٣) في (و): «البصائر».

(٤) فهو على سبيل السعة في الكلام، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٣١)، واستغربه. وانظر: «الكتاب» (١/ ١٦٠)، و«المقاصد الشافية» للشاطبي (٣/ ٣٤٥).

(٥) في (و) و(ن): «وكفروا»، والمثبت من (ط)، وهو الأظهر؛ لأن المصنف جعل الفعل (ظلموا) =

وقيل: فظلموا أنفسَهم بعقرِها.

ويحتملُ: فظلموها، والباء زائدةٌ؛ لأنَّ الله حرَّم قتلها فعقرُوها[١].

﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ يريدُ: المعجزاتِ لا المقترَحاتِ.

وقيل: الآياتُ: القرآنُ.

الحسنُ: الموتُ الذَّريعُ[٢].

ابن جريرٍ: العِبَرُ[٣].

﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ للعبادِ؛ ليُؤمنوا أو يتذكَّروا.

* * *

(٦٠) ـ ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا﴾.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾ ابن عبَّاسٍ: أحاطَ علمُه بهم[٤].

الفرَّاءُ في جماعةٍ: ﴿أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾ بأهلِ مكَّةَ، وإنَّها ستُفتحُ لك[٥].

= مضمناً معنى: كفروا؛ لأنه عُدِّي بالباء. وانظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٣٨٤)، و«درج الدرر» للجرجاني (٣/ ١١١٢).

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٣١)، واستغربه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٣٨ ـ ٦٣٩).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٦٣٨).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٣٦٩)، وهو عند السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣١٨) عن الكلبي. فلعله مما رواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٢٦)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٣٦٩) عن الفراء ومقاتل. وقد جاء في (ن) و(و): «وإنَّما ستُفتحُ لك» وهو تحريف.

وقيل: معناه: النَّاسُ في قبضتِه وهو مانِعُكَ منهم، فلا تبالِ بهم وبلِّغْ ما أُرسلتَ به[1].

والحَوطُ: الحفظُ، وتحوَّطه: تعهَّده، وأحاطَ واحتاطَ: أَحْدَقَ، وحوَّط حائطاً.

﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ جمهورُ المفسِّرين على أنَّ هذه الرُّؤيا رؤيا عينٍ، وهي ليلةُ الإسراءِ من مكَّةَ إلى المسجدِ الأقصى إلى سِدرةِ المنتهى إلى حيثُ عَلِمَ الله[2]، وصارتْ فتنةً للنَّاسِ فارتدَّ قومٌ لمَّا سمعوا ذلك وصدَّقه الآخرون ممَّن أسلمَ.

وعن ابنِ عبَّاسٍ أيضاً: أنَّها رُؤيا منامٍ؛ رأى أنَّه يدخلُ مكَّة. ويُقوِّيه قولُه: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ [الفتح: ٢٧].

ومعنى الفتنةِ على هذا القولِ: أنَّه لمَّا رجعَ من الحديبيةِ اشتبَهَ على كثيرٍ منهم وجهُ الأمرِ، حتَّى قالَ أبو بكرٍ رضي الله عنه: أقالَ لكم: تدخلُونها في هذه السَّنةِ؟ قالوا: لا، قالَ: فستدخلونَها من بعدُ لا محالةَ على ما أخبرَ[3].

وعن سعيدِ بن المسيِّبِ: أنَّها رؤيا منامٍ، وهو أنَّه عليه السَّلام رأى قِردةً يَنْزون على منبرِه[4] نزوَ القِردةِ فساءه ذلك، فقال: «هو حظُّهم في الدُّنيا يُعطَوْنه من الدُّنيا

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٤٠) عن قتادة، وبنحوه عن الحسن ومجاهد وعروة بن الزبير.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٤١ ـ ٦٤٥) عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومسروقٍ وأبي مالك وإبراهيم النخعي وقتادة ومجاهدٍ وغيرِهم. وقول ابن عباس عند البخاري (٣٨٨٨) و(٤٧١٦).

(٣) تفسير الآية بقصة الحديبية رواه عن ابن عباس رضي الله عنهما الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٤٥) دون كلام أبي بكر، وهذه قطعة من حديث صلح الحديبية الطويل الذي رواه البخاري (٢٧٣١) عن مروان بن الحكم ومسور بن مخرمة.

(٤) بعدها في (ن): «وينزون عليه».

بإسلامهم»(١)، ومعنى الفتنةِ على هذا: ما كان في ذلك الوقتِ.

وقيل: هو مِن قوله: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ [الأنفال: ٤٣] وهذا أبعدُ الوجوهِ(٢).

﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ وهي عطفٌ على ﴿ٱلرُّءْيَا﴾، وهي عند الجمهورِ شجرةُ الزَّقُّومِ التي ذُكرت في قولِه: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٤]، وذكروا أنَّه(٣) لمَّا نزلت في الزَّقُّوم هذه الآيةُ قال أبو جهلٍ وأكابرُ قريش: ما نعرفُ الزَّقُّوم إلَّا أكلَ التَّمرِ بالزُّبدِ، فجعلوا يأكلون التَّمرَ بالزُّبدِ ويقولون: تَسارَعْنا إلى ما تَوَعَّدَناه محمَّدٌ في النَّار(٤)؛ استهزاءً.

---

(١) رواه أبو القاسم الكعبي البلخي في «قبول الأخبار ومعرفة الرجال» (١/ ٢٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٣٦)، والثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٣٨١)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٥٠٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٧/ ٣٤١)، جميعهم من طريق علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب في قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ قال: رأى ناسًا من بني أمية على المنابر، فساءه ذلك، فقيل له: إنما هي دنيا يعطونها، فسري عنه.

وفي رواية: رأى النبيُّ ﷺ بني أمية على منبره فساءه ذلك، فأُوحيَ إليه: أنما هي دنيا أُعْطُوها، فَقَرَّتْ عينُه. وهي قولُه تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾. وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد.

(٢) وقد عده المصنف من العجائب، وعدَّ الذي قبله عن ابن المسيب من الغريب. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٦٣١ ـ ٦٣٢).

(٣) في (و): «أنها».

(٤) رواه بنحوه عن ابن عباس الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٤٨)، وإسناده ضعيف، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٤٦) دون عزو. وروى الإمام أحمد في «المسند» (٣٥٤٦)، والنسائي في «الكبرى» (١١٤٢٠) بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما: «وقال أبو جهلٍ: أَيُخَوِّفُنا محمد بشجرة الزَّقُّوم؟ هاتوا تَمْرًا وزُبْدًا فتزَقَّموا».

وقد كثر في كتب التفسير نحو هذا الخبر عن ابن عباس وقتادة والسدي وغيرهم في الآيات التي ذكر فيها الزقوم والشجرة.

وعن ابنِ عبَّاسٍ: أَنَّها الكَشُوثُ الذي يلتوي على الشَّجرةِ[١].

وقيل: هم[٢] اليهودُ، وقيل: هي قبيلةٌ من العربِ[٣].

وقيل في ﴿ٱلْمَلْعُونَةَ﴾ أقوالٌ:

أحدها: أَنَّها لمَّا أَشْبَهَ طلعُها رؤوسَ الشَّياطين، والشَّيطانُ ملعونٌ، كانت الشَّجرةُ ملعونةً.

والثَّاني: أي: آكِلُها ملعونٌ، فأجرى اللَّعنةَ عليها.

والثَّالث: سُمِّيت ملعونةً لضررها، والعربُ تُسمِّي كلَّ ضارٍّ ملعوناً.

ومَن حملها على اليهودِ فظاهرٌ، ومَن حملها على القبيلةِ ففيه نظرٌ والله أعلم، والعهدةُ على الرَّاوي في هذه الآيةِ وفي أمثالها.

﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ بالنَّار وما فيها ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ التَّخويفُ ﴿إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾: كفراً ومجاوزةَ حدٍّ في الطُّغيان.

* * *

(٦١) - ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ﴾ سبقَ تفسيرُه، وقوله: ﴿ءَأَسْجُدُ﴾ استفهامُ إنكارٍ ﴿لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾؛ أي: خلقْتَه مـن الطِّينِ، فهو نصبٌ بتعدِّي الفعلِ بعد حذفِ الواسطةِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٥١ - ٦٥٢). و«الكشوث» بالثاء المثلثة: نبت يتعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الأرض. انظر: «الصحاح» مادة: (ك ش ث).

(٢) أي: المراد بالناس.

(٣) وجعله المصنف من العجائب، والذي قبله من الغريب. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٦٣٢).

الزَّجَّاجُ: نصبٌ على الحالِ؛ أي: في حالِ كونه طيناً، وقال الزجَّاجُ أيضاً: هو نصب على التَّمييزِ(١).

* * *

(٦٢) - ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ ﴾؛ أي: كرَّمته عليَّ، والمعنى: فضَّلْته عليَّ بإسجادِ الملائكةِ.

الزَّجَّاج: ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾ في معنى: أخبرني، والكافُ لا موضعَ له من الإعرابِ، والجوابُ محذوفٌ؛ أي: أخبرني عن هذا الذي كرَّمتَ عليَّ لِمَ كرَّمتَ عليَّ وقد خلقتني من نارٍ وخلقتَه من طينٍ، فحُذفَ لأنَّ في الكلامِ دليلاً عليه(٢).

﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾؛ أي: أخَّرتَ إماتتي وتركْتَني حيًّا، ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ أي: أُضلَّنَّهم، اللَّامُ الأُولى لامُ توطئةِ القسمِ، والثَّانيةُ لامُ جوابِ القسمِ، و(أَحْتَنِكَنَّ) عند بعضهم: مِن حَنكْتُ الدَّابَّةَ واحتَنكْتُها: إذا جعلتَ في حنكها الأسفلِ حبلاً تَقودُها به، وعند بعضهم: مِن احتنكَتِ الجرادُ الأرضَ: إذا أكلتْ نباتَها، قال:

أَشْكُو إِلَيْكُمْ سَنَةً قَدْ أَجْحَفَتْ
وَاحْتَنَكَتْ أَمْوَالَنَا وجَلَّفَتْ(٣)

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٤٩).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٤٩). وقد تقدم الكلام على معنى ﴿أرأيت﴾ في تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾ [لأنعام: ٤٠]، وانظر: «غرائب التفسير» (١/ ٣٥٩).

(٣) الرجز في «مجاز القرآن» (١/ ٣٨٤)، و«تفسير الطبري» (١٤/ ٦٥٤)، و«معاني القرآن» للزجاج =

وقيل: هو مِن حَنكتُ الصَّبيَّ واحتنكتُه[١]: إذا جعلتَ في حنكِه حلاوةً[٢].

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ وهم المخلِصون من عبادِ اللهِ.

* * *

(٦٣) ـ ﴿قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا﴾.

﴿قَالَ اذْهَبْ﴾ هذا طردٌ وإبعادٌ وليس فيه مجيءٌ ولا ذهابٌ، وقيل: تباعَدْ عن جملةِ أوليائي بعد أن عصيتَ[٣] ﴿فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ﴾؛ أي: جزاؤهم وجزاؤكَ، وغلَّبَ المخاطبُ على الغائبِ[٤]. ﴿جَزَاءً مَّوْفُورًا﴾ متمَّماً مكمَّلاً، المبرِّد: لا يُعزلُ عنهم من عذابِهم شيءٌ، تقولُ: وَفَرْتُ الشَّيءَ فوفَر، لازمٌ ومتعدٍّ[٥]، قال الشَّاعرُ:

وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ ... يَفِرْهُ ومَن لا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ[٦]

= (٣/ ٢٤٩). وقال الأستاذ محمود شاكر في تعليقه على «تفسير الطبري»: «هذه أبيات ثلاثة من مشطور الرجز، من الأرجوزة السادسة في بقية «ديوان الزفيان السعدي» (عطاء بن أسيد الراجز)، وهي ملحقة بـ«ديوان العجاج» المطبوع في ليبزج سنة (١٩٠٣) (ص: ٦٥)، مع اختلاف في رواية بعضها. ومعنى أجحفت: أضرت بنا، ومعنى جلفت: قشرت، والأبيات شاهد على أن الاحتناك معناه الاستئصال».

(١) قوله: «واحتنكته» ليس في (و). وفي «الصحاح» مادة: (ح ن ك): وحَنَكْتُ الصبيَّ وحنَّكْتُه: إذا مضَغْتَ تمراً أو غيره ثم دَلَكْتَهُ بحَنكِه. والصبيُّ مَحْنوكٌ ومُحَنَّكٌ، ولم أقف على مَن ذكر (احتنك) بمعنى حنّك، والله أعلم.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٣٣)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٣٣)، واستغربه.

(٤) مع أن المخاطب واحد، والغائب جمع، وقد تقدم بيان المصنف أن الغلبة للخطاب في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٩١].

(٥) انظر: «الفائق في غريب الحديث» للزمخشري (٢/ ٣٩٤).

(٦) البيت من معلقة زهير. انظر: «شرح القصائد السبع» لابن الأنباري (ص: ٢٨٧)، و«شرح المعلقات» =

وقيل: (موفورٌ) بمعنى: وافرٍ.

* * *

(٦٤) ـ ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾.

﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ ﴾: أَزْعِجْه، وأصلُ الفزِّ: القطعُ، ومنه تفزَّزَ الثَّوبُ: إذا تَخَرَّقَ(١)، وفزَزْتُه: قطعْتُه.

الزَّجَّاجُ: استَدْعِهم استدعاءً يحملُهم إلى إجابتكَ(٢).

قطربٌ: استخفِفْ(٣)، مِن الخِفَّة.

ابن جريرٍ: استجهل(٤).

﴿بِصَوْتِكَ ﴾ ابن عبَّاسٍ: بدعائكَ إيَّاهم إلى طاعتكَ(٥).

مجاهدٌ: هو الغناءُ واللَّهوُ واللَّعبُ(٦).

ابن جريرٍ: كلُّ صوتٍ دعا إلى الفسادِ فهو من صوتِ الشَّيطانِ(٧).

﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ ﴾: صِحْ عليهم، وأصله: الجَلَبَةُ، وهي شدَّةُ الصَّوتِ.

= للزوزني (ص: ١٩٤)، و«البسيط» للواحدي (١٣/ ٣٨٩).

(١) في (و): «تقطع».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٥٠) ولفظه: «استدعهم استدعاءً تستَخِفُّهم به إلى إجابتك».

(٣) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٣٨٤)، ولفظه: «استخفف واستجهل».

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (١٦/ ٦٥٦) ولفظه: «استخفف واستجهلْ».

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (١٦/ ٦٥٧).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٦٥٧).

(٧) انظر: «تفسير الطبري» (١٦/ ٦٥٨).

والمعنى: أُحثُثْهم عليه[1] بالإغواءِ والدُّعاءِ إلى طاعتكَ والصَّدِّ عن طاعتي بركبانكَ، ﴿وَرَجِلِكَ﴾: مُشاتِك.

قتادةُ: للشَّيطانِ خيلٌ ورَجِلٌ من الجنِّ والإنسِ، وهم الذين يُطيعونه[2].

وقيل: كلُّ راكبٍ وماشٍ في معصيةِ اللهِ فهو من أصحابِ إبليسَ.

الفرَّاءُ: خيلِ المشركين ورجالِهم[3].

الزَّجَّاج: هذا مَثَلٌ، والمعنى: اجمعْ عليهم كلَّ ما تقدرُ عليه من مكائدكَ[4].

أبو عليٍّ: ليس للشَّيطان خيلٌ ولا رجلٌ ولا هو مأمورٌ، إنَّما هو زجرٌ واستخفافٌ به[5]، كما تقولُ لمن تُهدِّده: اذهبْ فاصنعْ ما بدا لكَ، واستَعِنْ بمَن شئتَ[6].

﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ قيل: هو الرِّبا.

وقيل: البَحِيرةُ وأخواتُها.

وقيل: ما ذُبِحَ للأصنامِ.

وقيل: كلُّ مالٍ يُعصَى اللهُ فيه.

﴿وَٱلْأَوْلَـٰدِ﴾ قيل: هم أولادُ الزِّنى.

وقيل: الموءودةُ.

---

(١) في (ن): «عليهم».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٦٥٨ ـ ٦٥٩).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٢٧).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٥٠).

(٥) «به»: ليست في (ط)، ولعله أنسب.

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٣٣)، وعدَّه من العجائب، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٨٠).

وقيل: هو تهويدُهم وتنصيرُهم وتمجيسهم.

وقيل: هو تسميتُهم أولادَهم عبدَ العزَّى وعبدَ اللَّاتِ وعبدَ شمسٍ وعبدَ الحارثِ.

وقيل: أن يستعملوا أولادَهم في معصيةِ اللهِ.

﴿وَعِدْهُمْ﴾؛ أي: عِدْهم بالمواعيدِ الباطلةِ، وقيل: منِّهم.

﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ يغترُّهم[1] به، والغرورُ: تزيينُ الخطأِ بما يُوهم أنَّه صوابٌ.

***

(٦٥) - ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾.

﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾: إنَّ عبادي الذين خلقتُهم لجنَّتي ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ على أن تُضلَّهم أو تحملَهم على ذنبٍ لا يُغفر.

وقيل: لا سبيلَ لك على عبادي سوى وسوستِكَ لهم في الدُّعاءِ إلى المعاصي[2].

ابن جرير: إنَّ عبادي الذين أطاعوني وعصوكَ ليس لك عليهم حجَّةٌ[3].

﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾: حافظاً وناصراً.

***

(٦٦) - ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾.

﴿رَّبُّكُمُ﴾؛ أي: خالقُكم الذي يستحِقُّ العبادةَ ﴿ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى

(١) في (و): «يعتريهم».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٣٤)، واستغربه.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١٦/ ٦٦٦)، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٣٤)، واستغربه.

﴿ٱلۡبَحۡرِ﴾: يُجريه على سَنَنٍ؛ ﴿لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾: لتطلبوا الرِّبحَ في التِّجارةِ، وقيل: لتنالوا ما ليس عندكم ممَّا تفضَّلَ اللهُ بخَلْقه لكم.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ﴾: بالمؤمنين ﴿رَحِيمٗا﴾.

***

(٦٧) - ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾.

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾: عصوفُ الرِّياحِ وخوفُ الغرقِ ﴿ضَلَّ﴾ بطلَ وزالَ، وقيل: غابَ ﴿مَن تَدۡعُونَ﴾ من الآلهةِ ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ لم تدعو في تلك الحالةِ إلَّا الله، وقيل: نسيتم كلَّ معبودٍ لكم وذهبَ عنكم ذكْرُه إلَّا الله.

﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ﴾ من الغرقِ ﴿إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡ﴾ عن الإيمانِ والتَّوحيدِ.

وقيل: ﴿أَعۡرَضۡتُمۡ﴾: اتَّسَعْتُم في كفرانِ[1] النِّعمةِ، قال ذو الرُّمَّة:

عَطَاءُ فَتَى تَمَكَّنَ فِي المَعَالِي[2] ... فَأَعْرَضَ فِي الْمَكَارِمِ واسْتَطَالَا[3]

وقيل: هو العدولُ عن السَّنَن.

﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾: جَحوداً نِعَمَ ربِّه.

---

(١) في (و): «أعرضتم من العرض اتسعتم من كفران».

(٢) في (م): «المعاصي».

(٣) انظر: «ديوان ذي الرمة» (٣/ ١٥٤٩)، و«المنجد» لكراع النمل (ص: ١٢٩)، و«أمالي القالي» (١/ ١٢١)، و«المحكم» (١/ ٣٩٣). ورواية «الديوان»:

تبوَّأ فابْتَنَى وبَنَى أبوه ... فأَعْرَضَ في المكارم واستطالا

وهذا القول ذكره المصنف في: «غرائب التفسير» (١/ ٦٣٤)، واستغربه.

(٦٨) - ﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴾.

﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ ﴾: يدخِلَكم في الأرضِ كما فعلَ بقارونَ، وجانبُ البر: ناحيةٌ من الأرضِ.

وقيل: جانبُ البر: ساحلُ البحرِ.

﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾: حجارةً من السَّماءِ كما فَعَل بقومِ لوطٍ.

وقيل: الحاصبُ: الرِّيحُ التي تأتي بالحصباءِ.

﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴾: مَن يحفظُكم ويخلِّصُكم.

***

(٦٩) - ﴿ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴾.

﴿ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾؛ أي: يُلجئكم إلى ركوبِ البحرِ مرَّةً أخرى. قطربٌ: أَتْرْتُه: جئتُ به تارةً؛ أي: أَعَدْتُه[١].

﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ ﴾ هي التي تَقْصِفُ كلَّ شيءٍ؛ أي: تكْسِره.

﴿فَيُغْرِقَكُم ﴾ اللهُ ﴿بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ بسببِ كفرِكم به ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ﴾: بالإغراقِ، وقيل: بالإرسالِ، وقيل: يعودُ إليهما.

﴿تَبِيعًا﴾ أبو عبيدةَ: مُطالِباً[٢].

(١) انظر: «المجموع المغيث» لأبي موسى المديني (١/ ٢٤٦)، وفيه: «قَولُه تَعالى: ﴿تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ٦٩]؛ أي: مَرَّةً. وأترتُه: فَعلتُه مَرَّةً بعد أُخْرى، وتَاوَرْتُه فهما يَتَتَاوران، إذا فعل هذا مَرَّةً وذاك أخرى». وجعل المؤلف قول قطرب من الغريب. في: «غرائب التفسير» (١/ ٦٣٤).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٣٨٥)، ولفظه: «﴿تَبِيعًا ﴾؛ أي: مَن يتبعنا لكم تبيعة ولا طالباً لنا بها».

الزَّجَّاج: مَن يَتْبَعُنا بإنكارِ ما نزلَ بكم، ولا مَن يَتْبَعُنا ليَصْرِفه عنكم(١).

الفرَّاء: طالباً ثائراً(٢).

ابن عبَّاسٍ: نَصيراً(٣).

وقيل: مَن يَطْلُبُنا بدمائكم.

***

(٧٠) ـ ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾: شرَّفناهم، وقيل: أكثَرْنا لهم الكرامةَ، وقيل: نَسَبْناهم إلى الكَرَمِ.

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كلُّ شيءٍ يتناولُ مأكولَه بفِيه من الأرضِ إلَّا بني آدمَ فإنَّه يرفعُه بيده(٤).

الضَّحَّاك: بالنُّطقِ والتَّمييزِ.

عطاءٌ: بتعديلِ القامةِ وامتدادها.

وعن ابنِ عبَّاسٍ أيضاً: بالعقلِ.

محمَّد بن كعبٍ: بأنْ جعَلْنا محمَّداً عليه السَّلام منهم(٥).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٥٢).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٢٧)، ولفظه: «ثائرًا وطالبًا؛ فـ(تبيع) في معنى: تابع».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٦٧١ ـ ٦٧٢).

(٤) رواه ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه في تفاسيرهم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣١٦)، والبيهقي في «الشعب» (٥٨٤١).

(٥) ذكر هذه الأقوال الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٣٩٢)، والواحدي في «البسيط» (١٣/ ٤٠٢)، =

ابن جريرٍ: بتسليطِهم على غيرهم(١).

وقيل: بحسنِ الصُّورة.

وقيل: الرِّجالُ باللِّحى، والنِّساءُ بالذَّوائبِ.

وقيل: بالخطِّ(٢).

هذا ما ذكره المفسِّرون، وما خصَّ الله بني آدمَ من بين المخلوقاتِ كثيرٌ جدًّا.

﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾؛ أي: في البرِّ على الدَّوابِّ، وفي البحرِ على السُّفنِ، تقول: حملتُه حُملاناً وحَملاً: إذا جعلتَ له ما يركبُه من دابَّةٍ وغيرها، وقد سبقَ في قوله: ﴿مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ٩٢].

﴿وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: المستلَذَّاتِ.

مقاتلٌ: السَّمنُ والزُّبدُ والتَّمرُ والملاذُّ(٣). وقيل: الحلالاتِ. وقيل: كسبُ يده، حكاه أقضى القُضاةِ(٤).

﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ قيل: الاستثناءُ للملائكةِ. وقيل: جبريلَ وميكائيلَ وعزرائيلَ وإسرافيلَ عليهم السَّلام. وقيل: المرادُ بالكثيرِ الكلُّ؛ كقوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٣]؛ أي: كلُّهم.

= والبغوي في «تفسيره» (٥/ ١٠٨)، وقول محمد بن كعب ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٣٥)، واستغربه.

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٦/ ٦٧٢ ـ ٦٧٣).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٣٥)، وعدَّه من العجائب.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٣٩٣)، والواحدي في «البسيط» (١٣/ ٤٠٢)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ١٠٨).

(٤) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٣/ ٢٥٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٣٦)، واستغربه.

ويحتمِلُ: وفضَّلنا[1] كثيراً منهم على مَن خَلَقْنا، على القلبِ، فيكونوا الأنبياءَ والأولياءَ، فإنَّهم فُضِّلوا على الملائكة، واللهُ أعلمُ.

ومعنى ﴿فَضَّلْنَاهُمْ﴾؛ أي: بالغلبةِ والاستيلاءِ.

وقيل: بالثَّواب والجزاءِ يومَ القيامةِ؛ ولهذا ذهبَ بعضُ النُّحاةِ إلى أنَّ قوله: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا﴾ منصوبٌ بقوله: ﴿فَضَّلْنَاهُمْ﴾؛ والتَّقدير: نُفضِّلهم.

والفرقُ بين التَّكريمِ والتَّفضيلِ: أنَّ التَّفضيلَ يستدعي آخرَ مفضولاً بخلافِ التَّكريمِ، وذكرَ المفسِّرون عن زيدِ بنِ أسلمَ قال: قالت الملائكةُ: ربَّنا إنَّك أعطيتَ بني آدمَ الدُّنيا يأكلون فيها ويتنعَّمون، ولم تُعطِنا ذلك فأعطناه في الآخرةِ، فقال: وعزَّتي وجلالي لا أجعلُ ذرِّيَّةَ مَن خلقتُ بيدي كمَن قلتُ له: كن، فكانَ[2].

***

(٧١) - ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾.

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ مجاهدٌ: نبيِّهم[3].

الضَّحَّاكُ وابن زيدٍ: بكتابهم[4].

---

(١) في (ن) و(و): «وفضلناهم»، والمثبت من من (ط) و«غرائب التفسير» (١/ ٦٣٦)، وهو الأنسب بالسياق.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٥٩٢)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥).

وله شاهد رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (٥٢١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٦٨٩) عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة: يا رب، خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون ويركبون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة...» الحديث. ورواه البيهقي في «الشعب» (١٤٩) وقال: في ثبوته نظر.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٦) عن مجاهد وقتادة.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٧ ـ ٨) عن الضحاك ومجاهد، ورواه عن ابن زيد بلفظ: «بكتابهم الذي أنزل عليهم فيه أمر الله ونهيه وفرائضه، والذي عليه يحاسبون».

فعلٌ ثلاثيٌّ كعَمِي وحَوِلَ وعَوِرَ(١)، وما لم يكنْ له فعلٌ ثلاثيٌّ كالحُمرة والبياضِ والسَّواد فلا.

***

(٧٣) ـ ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴾.

﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ ﴾ في سببِ النُّزولِ:

عن ابنِ عبَّاس رضي الله عنهما: أنَّها نزلت في وفدِ ثَقيفَ، أتَوا رسولَ اللهِ عليه السَّلام فقالوا: متِّعْنا باللَّات سنةً وحرِّمْ وادينا كما حرَّمتَ مكَّة، فإنَّا نُحبُّ أن تعرفَ العربُ فضلَنا عليهم، فإن خشيتَ أن تقولَ العربُ: أعطيتَهم ما لم تُعطِنا، فقل: اللهُ أمرني بذلك، وأقبلوا يُلحُّون على النَّبيِّ عليه السَّلامُ، فأمسكَ رسولُ اللهِ عليه السَّلامُ عنهم وقد همَّ أن يُعطيَهم ذلك، فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ(٢).

---

(١) المشهور خلاف هذا، وأن صحة حرف العلة في هذه الأفعال دليل على أن معنى (عور) مثلًا: اعورَّ، وأنه بحكم الزائد على ثلاثة أحرف. انظر: «الإيضاح» لأبي علي (ص: ٩٣)، و«الخصائص» لابن جني (٢/ ٤٤٢).

(٢) ذكره عن ابن عباس بأتم من هذا الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٤٠٨ ـ ٤١٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٨٩)، وقال ابن حجر في «تخريج أحاديث الكشاف» (ص: ١٠٠): «ذكره الثعلبي عن ابن عباس من غير سند». وقال العراقي كما في «روح المعاني» (١٥/ ٣٢): «لم نجده في كتب الحديث».
قلت: رواه ابن شبة في «أخبار المدينة» (٨٨٤) عن الكلبي. وقد روي بعضه بإسناد رواته ثقات، فقد روى الإمام أحمد في «المسند» (١٧٩١٣)، وأبو داود (٣٠٢٦)، من طريق الحسن عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه: أن وَفْدَ ثَقيفٍ لَمَّا قدموا على رسولِ الله ﷺ أنزلَهم المسجدَ ليكون أرقَّ لقلوبهم، فاشترطوا عليه أن لا يُحْشَروا ولا يُعْشَرُوا ولا يُجَبُّوا، فقال رسولُ الله ﷺ: «لكم أن لا تُحشَروا ولا تُعشَروا، ولا خيرَ في دِين ليس فيه ركوعٌ». ورجاله ثقات، إلا أن في سماع الحسن ـ وهو البصري ـ من عثمان بن أبي العاص اختلافاً، ويُثبت سماعه منه ما أورده البخاري في «التاريخ =

وعن سعيدِ بنِ جُبيرٍ: قال المشركون للنَّبيِّ عليه السَّلامُ: لا نكُفُّ عنكَ ولا نمكِّنُكَ من استلامِ الحجرِ إلَّا أن تُلِمَّ بآلهتنا وتمسَّها بيدكَ ولو بطرفِ إصبعكَ، فقال عليه السَّلامُ: «ما عليَّ لو فعلتُ واللهُ يعلمُ إنِّي لكارهٌ» فأنزلَ اللهُ: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ ﴾[1].

قتادةُ: ذُكر لنا أنَّ قريشاً خلَوا برسولِ اللهِ عليه السَّلامُ ذاتَ ليلةٍ إلى الصُّبحِ يُكلِّمونه ويفخِّمونه ويسوِّدونه ويقاربونه، وقالوا: إنَّك تأتي بشيءٍ لا يأتي به أحدٌ من النَّاسِ، أنتَ سيِّدُنا وابنُ سيِّدِنا، فما زالوا به حتَّى كادَ يُقاربُهم في بعض ما يريدون، ثمَّ عصمه الله من ذلك وأنزل هذه الآية[2]: ﴿ وَإِن كَادُواْ ﴾: أرادوا وقاربوا ﴿لَيَفْتِنُونَكَ ﴾: يَصْرِفونكَ ويَسْتنزِلونك ﴿عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾: عن القرآنِ وأوامرِ اللهِ ﴿لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ﴾: غيرَ ما أُوحيَ إليكَ.

وقيل: هو قولُهم: قل: اللهُ أمرني بذلكَ.

﴿وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴾: لو قلتَ ما قالوهُ وفعلتَ ما أرادوه لأحبُّوكَ.

ابن بحرٍ: لأخذوكَ وأنت إليهم محتاجٌ فقيرٌ[3].

***

(٧٤) ـ ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾.

﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ ﴾: عصمناكَ ﴿لَقَدْ كِدتَّ﴾: أَرَدْتَ وهَمَمْتَ ﴿تَرْكَنُ ﴾: تميلُ ﴿إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾: ركوناً قليلاً.

= الكبير» (٦/ ٢١٢) عن الحسن قوله: «كنا ندخل على عثمان بن أبي العاص».

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٣)، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٤٢)، وقال: «وهذا باطل».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٣).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٣٨)، واستغربه.

قطربٌ: احتالوا ليقعَ منه همٌّ، ولم يقعْ منه همٌّ ولا غيرُه.

الحسنُ: همَّ[١]، وهذا الهمُّ ممَّا يتجاوزُ اللهُ عنه.

فظاهرُ الآيةِ يدلُّ على أنَّه عليه السَّلام لم يهمَّ؛ لأنَّ ﴿لَوْلَآ﴾ يدلُّ على امتناعِ الشَّيءِ لوجودِ غيرِه[٢]، والممتنعُ في الآيةِ إرادةُ الرُّكونِ لوجودِ تثبيتِ اللهِ إيَّاه، واللهُ أعلمُ.

وقال صاحبُ «النَّظم» في قوله: ﴿وَإِن كَادُواْ﴾: إنَّه مِن كاد يكيد؛ أي: احتالُوا ليوقعوكَ في الفتنةِ[٣].

الزَّجَّاج: أرادوا منه أن يطردَ سُقَّاطَ النَّاسِ ومَن رائحته كرائحةِ الضَّأنِ؛ أي: لباسهم الصُّوفُ، فهمَّ بذلكَ، فتوعَّده اللهُ على ذلك أشدَّ التَّوعُّدِ[٤].

***

(٧٥) ـ ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾.

﴿إِذًا﴾ قوله: ﴿إِذًا﴾ أي: إنْ وقعَ هذا الرُّكون، وهذا أيضاً يدلُّ على أنَّه لم يقع ﴿لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ عذابَ الدُّنيا والآخرةِ، والضِّعفُ من أسماءِ العذابِ، قاله أبو عبيدةَ[٥].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٣٧)، واستغربه، ثم قال: «والوجه هو الأول».

(٢) انظر: «الأصول» لابن السراج (٢/ ٢١١)، و«حروف المعاني والصفات» للزجاجي (ص: ٣).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٣٧)، واستغربه. وكتاب «النظم» هو «نظم القرآن» لأبي علي الحسن بن يحيى بن نصر الجرجاني، وقد تقدمت الإشارة إليه. انظر: «تاريخ جرجان» (ص: ١٨٧)، و«كشف الظنون» (٢/ ١٤٦٧).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٥٤).

(٥) ذكر السجستاني في «غريب القرآن» (ص: ٣١٥): أن الضعف من أسماء العذاب، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢٢٢) عن مجاهد، وفي «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٣٨٦) «﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ﴾ مختصر، كقولك: ضعف عذاب الحياة وعذاب الممات، فهما عذابان: =

والضِّعف: المِثْلُ، وقيل: المثلان، وقد سبقَ[١].

* * *

(٧٦) ـ ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ في سببِ النُّزول:

ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: حسدَتِ اليهودُ مقامَ النَّبيِّ عليه السَّلام بالمدينةِ، فقالوا: إنَّ الأنبياءَ إنَّما بُعثوا بالشَّامِ، فإن كنتَ نبيًّا فالْحَقْ بها، فإنَّك إن خرجتَ إليها صدَّقناكَ وآمنَّا بكَ، فوقع ذلك في قلبه لِمَا يحبُّ من إسلامهم، فرحل من المدينةِ مرحلةً، فأنزلَ اللهُ هذه الآيةِ[٢].

عبد الرَّحمن بن غَنْمٍ: إنَّ اليهود أتوا النَّبيَّ عليه السَّلام فقالوا: إن كنتَ صادقاً أنَّك نبيٌّ فالحقْ بالشَّامِ، فإنَّ الشَّامَ أرضُ الحشرِ والنَّشرِ وأرضُ الأنبياءِ، فصدَّق ما قالوا وغزا غزوةَ تبوكَ لا يريدُ بذلك إلَّا الشَّامَ، فلمَّا بلغَ تبوكَ أنزلَ اللهُ عليه ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾[٣].

= عذاب الممات به ضوعف عذاب الحياة»، ولا يظهر منه تفسير الضعف بالعذاب.

(١) في تفسير قوله تعالى: ﴿فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾.

(٢) ذكره عن ابن عباس الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٩٠)، ولعله من رواية الكلبي عن أبي صالح عنه؛ فقد أورده الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٤١١) عن الكلبي. والكلبي متروك.

ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٨) من طريق سليمان التيمي عن حضرميٍّ. وحضرمي شيخ بالبصرة، وكان قاصًا، وقال أحمد: لا أعلم يروي عنه غير سليمان التيمي. قاله في «التهذيب».

وذكره مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٥٤٥). ومقاتل متروك.

فهذه الأخبار ليس فيها ما يحتج به، وقد روي لها شاهد لا يفرح به، وهو الحديث الآتي.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٤١)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٥٤)، والثعلبي =

مجاهدٌ وقتادةُ والحسنُ: همَّ أهلُ مكَّـة بإخراجِ النَّبيِّ عليه السَّلام من مكَّة، فأمره اللهُ بالخروجِ، وأنزلَ هذه الآيةَ إخباراً عمَّا همُّوا بـه[1]: ﴿وَإِن كَادُواْ﴾ ﴿إِنْ﴾ مخفَّفةٌ من الثَّقيلةِ، واللَّام للفرقِ، وتقديره: وإنَّ المشركين كادوا يستفزُّونكَ: يُزعجونك ويستخفُّونكَ ﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ من مكَّة أو المدينةِ على ما سبقَ.

ويُروى عن الحسنِ: يستفزُّونكَ: يقتلونكَ[2].

وقيل: ﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾: أرضِ العربِ.

﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خلفَك[3]﴾ بعدكَ، و﴿خِلَٰفَكَ﴾ بمعناه، وقيل: هو مصدرُ خالفَ، والمعنى: بخلافهم إيَّاكَ.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ هو مدَّةُ لَبْثِهم إلى يومِ بدرٍ.

وقيل: إلى قتلِ بني قُريظةَ وجلاءِ بني النَّضير.

* * *

= في «تفسيره» (١٦/ ٤١٢). وقال ابن كثير (٥/ ١٠٠): «وفي هذا الإسناد نظر، والأظهر أن هذا ليس بصحيح؛ فإن النبي ﷺ لم يغز تبوك عن قول اليهود، إنما غزاها امتثالاً لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ [التوبة: ١٢٣]، وقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، وغزاها ليقتص وينتقم ممن قتل أهل مؤتة من أصحابه، والله أعلم».

(١) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٩) عن قتادة.

(٢) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٧/ ٩٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٦١).

(٣) قرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي ﴿خِلَٰفَكَ﴾، وقرأ الباقون (خَلْفَك) بفتح الخاء وإسكان اللام، انظر: «التيسير» (ص: ١٤١).

(٧٧) ـ ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾.

﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ﴾ المبرِّدُ: اسْتَنَّ بهم سُنَّةَ مَن قَبْلَكَ[١]، كقوله: طيَّ المِحْمَلِ[٢]، وتقدير الآية: سُنَّتَنا في أُممِ مَن قد أرسلنا، والدَّليلُ عليه قوله: ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا﴾: ما حكَمْنا بكونِه[٣] ﴿تَحْوِيلًا﴾: تغييراً وتبديلاً.

***

(٧٨) ـ ﴿ أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ الَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾.

﴿ أَقِمِ الصَّلَوٰةَ ﴾: أدمْها واثبُتْ عليها ﴿لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾: بعد دلوكِ الشَّمسِ، ومثلُه: لخمسٍ خلونَ، ولعشرٍ خلتْ؛ أي: بَعْدَهما.

ابن عبَّاسٍ في جماعةٍ: دلوكُ الشَّمسِ: زوالُها، والصَّلاةُ المأمورُ بها: الظُّهر[٤].

الخليلُ: دلوكُ الشَّمسِ: غروبها[٥]، وإليه ذهبَ ابنُ مسعودٍ في جماعةٍ[٦].

---

(١) «قبلك» ليس في (ط).

(٢) هو جزء من بيت لأبي كبير الهذلي استشهد به سيبويه في «الكتاب» (١/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠) والمراد حمل المصدر على فعل دلَّ عليه أول الكلام، وتمام البيت:

ما إن يمسَّ الأرضَ إلّا مَنْكِبٌ ... منه وحرفُ السَّاقِ طيَّ المحْمَلِ

(٣) في (و): «به».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٥ ـ ٢٧) عن ابن عباس وأبي برزة ومجاهد وقتادة والضحاك والحسن.

(٥) انظر: «العين» (٥/ ٣٢٩).

(٦) رواه عن ابن مسعود عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٩٦)، والطبراني في «الكبير» (٩١٢٧ ـ ٩١٣٨)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٢ ـ ٢٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣٨٢). وروي عن ابن عباس أيضاً، رواه ابنُ أبي شيبة في «المصنف» (٦٢٧٤)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٣ ـ ٢٤).

أبو عبيدةَ: دلوكُها: مِن عند زوالها إلى اللَّيلِ[١].

الزَّجَّاج: دلوكُها: زوالُها للظُّهر وميلُها للغروبِ[٢].

ابنُ عيسى: اشتقاقُه من: دلَكْتُ الشَّيءَ؛ لأنَّ النَّاظر إليها يَدْلُكُ عينيه في تبصُّرها ليدفعَ شعاعَها[٣].

قوله: ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾: إلى ظُلمةِ اللَّيلِ.

مجاهدٌ: غَسَقُ اللَّيْلِ: غروبُ الشَّمسِ[٤].

ابن جريرٍ: غَسَقُ اللَّيْلِ: إقبالُه ودنوُّه بظلامه[٥].

ابنُ عيسى: ظهورُ الظَّلامِ، يُقال: غَسَقتِ القَرْحةُ: إذا انفجرَتْ وظهرَ ما فيها، و﴿إِلَىٰ غَسَقِ[٦] ٱلَّيۡلِ﴾ يريدُ: صلاةَ المغربِ والعشاءِ الآخرةِ.

وقيل: غَسَقُ اللَّيْلِ صلاة العصرِ.

﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ﴾ عطفٌ على ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ أي: أقِمِ القرآنَ، وهو صلاةُ الفجرِ.

المبرِّدُ: أقمِ القرآنَ لصلاةِ الفجرِ[٧].

الأخفشُ: نصبٌ على الإغراءِ[٨].

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٣٨٧). وفيه: «إلى أن تغيب».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٥٥).

(٣) ذكر نحوه الرازي بلا نسبة في «تفسيره» (٢١/ ٣٨٣).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣١).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٣٠).

(٦) في (و): «صلاة».

(٧) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٣٨)، وعدَّه من العجائب.

(٨) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٣/ ٢٥٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٣٨)، واستغربه.

﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ تشهدُه ملائكةُ اللَّيلِ وملائكةُ النَّهارِ، وفي الخبرِ: «يشهدُه اللهُ سبحانه ثمَّ ملائكةُ اللَّيلِ والنَّهارِ»[1].

ابن بحرٍ: هذا للتَّرغيبِ في حضورِ المساجدِ لها وشهودِ الجماعة لأجلها.

* * *

(٧٩) ـ ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾.

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ﴾: استَيْقِظْ، هجَدَ: نامَ، وتهجَّد: استيقَظَ، ومثلُه: حنَثَ وتحنَّثَ، والتَّهجُّد: تركُ النَّومِ للصَّلاةِ، فإنْ لم يُصلِّ فليسَ بتهجُّدٍ.

قوله: ﴿بِهِۦ﴾ أي: بالقرآنِ.

﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ فإنَّ اللهَ قد غفرَ لكَ ما تقدَّم من ذنبكَ وما تأخَّرَ.

وقيل: ﴿نَافِلَةً﴾ لا فرضاً، والنَّافلةُ: ما ليس بواجبٍ.

وقيل: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾: غنيمةً لكَ.

ابن عيسى: النَّافلةُ: فعلُ ما فيه الفضيلةُ، وكان في حقِّه فرضاً فنُسخَ[2].

---

(١) رواه الدارمي في «الرد على الجهمية» (٥٩)، وابن أبي شيبة في «العرش» (٨٦)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٤)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٤٦)، والطبراني في «الأوسط» (٨٦٣٥)، والدارقطني في «النزول» (٧٣)، وابن بطة في «الإبانة» (١٦٩)، وأبو طاهر المخلص في «المخلصيات» (٢٣٤)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٧٥٦). جميعهم من طريق زِيادةَ بن محمد، عن محمد بن كعب القُرَظِي، عن فَضَالةَ بن عُبَيْد، عن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ في خبر طويل. قال ابن كثير عند هذه الآية: «تفرد به زيادة بن محمد». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٥٥): «فيه زيادةُ بن محمد الأنصاريُّ، وهو منكرُ الحديث».

(٢) ذهب إلى هذا الإمام الشافعي في «الرسالة» (ص: ١١٣)، وانظر: «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص: ٧٥٣ و٧٥٩).

وقيل: معنى ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾: عطاءً لك خصوصاً.

﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ ﴿عَسَىٰٓ﴾ من اللهِ واجبٌ.

ابن بحرٍ: افعلْ ذلك راجياً من اللهِ أن يُعطيَكَ مقاماً محموداً[(١)].

وتقديرُه[(٢)]: يبعثكَ ربُّك مَبْعثاً، فهو مصدرٌ من غير لفظِ الفعلِ السَّابقِ، وله أمثالٌ، والمعنى: يَبْعثَكَ محموداً غيرَ مذمومٍ.

وقيل: معناه: يُقِيمَكَ ربُّك في مقامٍ محمودٍ.

ويحتمِلُ: يبعثكَ في مقامٍ، فهو نصبٌ على الظَّرفِ.

والمقامُ المحمودُ عند الجمهورِ: مقامُ الشَّفاعةِ يحمدُه فيه الخلقُ.

أبو هريرة رضي الله عنه عن رسولِ اللهِ عليه السَّلامُ ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ قالَ: «الشَّفاعة»[(٣)].

وعن نافعٍ عن ابن عمرَ رضي الله عنهما عن النَّبيِّ عليه السَّلام في قوله: ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ قال: «يُدنيني فيُقعِدُني معهُ على العرشِ»، وفي روايةٍ: «على الكرسيِّ»، وفي روايةٍ: «على السَّرير»[(٤)]، ولفظ: «مع» هاهنا كقوله تعالى: ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾

---

(١) فعلى هذا القول ﴿مَقَامًا﴾ مفعول به لـ﴿يَبْعَثَكَ﴾ لكونه مضمناً معنى يعطيك. انظر: «حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي» (٦/ ٥٥).

(٢) قوله: «وتقديره» كذا في النسختين بالواو، ولعل الأولى العطف بـ(أو) لأنه قول آخر.

(٣) رواه الترمذي (٣١٣٧) وحسنه.

(٤) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٤٤٥) من حديث ابن عمر بالرواية الأولى والثالثة. وفي إسناده محمد بن أحمد بن مهدي، أبو عمارة، قال الدارقطني: ضعيف جدًّا، وقال أيضاً: متروك. وقال الخطيب: في حديثه مناكير وغرائب. انظر ترجمته في «الميزان» (٣/ ٤٥٦).

وبالثانية رواه الثعلبي أيضاً في «تفسيره» (١٦/ ٤٤٩) عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه موقوفاً، =

[الأعراف: ٢٠٦] و﴿عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١]، والمراد به: رفعُ المنزلةِ، واللهُ سبحانه منزَّهٌ عن المكانِ والنُّقلةِ والانتقالِ.

***

(٨٠) ـ ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾.

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ يعني: المدينةَ ﴿وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ يعني: من مكَّةَ، وذلك حين أمرَه بالهجرةِ منها إلى المدينةِ.

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أمتْنِي إماتةَ صدقٍ، وأخرجني بعدَ موتي من قبري يومَ القيامةِ مخرجَ صدقٍ(١).

مجاهدٌ: أَدْخِلْني في النُّبوَّة، وأَخْرِجْني من تبليغِ الرِّسالةِ(٢).

وقيل: أدخلني مكَّةَ عامَ الفتحِ، وأخرجني منها آمناً(٣).

= ولفظه: إذا كان يوم القيامة يؤتى بنبيكم ﷺ، فيقعد بين يدي الرب عز وجل على الكرسي.

قال ابن حجر في «الفتح» (٢/ ٩٥): «قال ابن الجوزي: والأكثر على أن المراد بالمقام المحمود الشفاعة، وقيل: إجلاسه على العرش، وقيل: على الكرسي. وحكَى كلًّا من القولين عن جماعةٍ، وعلى تقدير الصحة لا ينافي الأولَ؛ لاحتمال أن يكون الإجلاس علامةَ الإذن في الشفاعة، ويحتمل أن يكون المراد بالمقام المحمود الشفاعةَ كما هو المشهورُ وأن يكون الإجلاس هي المنزلةَ المعبَّر عنها بالوسيلة أو الفضيلة».

(١) هذه عبارة الطبري التي روى بعدها خبر ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٥٦)، وانظر: «غرائب التفسير» (١/ ٦٣٩).

(٢) روى قول مجاهد وقول ابن عباس الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٦)، وذكرهما الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٣٩)، واستغربه.

وقيل: إلى بدرٍ، وأخرجني منه.

وقيل: أدخلني في الجنَّة، وأخرجني من الدُّنيا.

وقيل: في جميعِ أمورِ دنياه وآخرتِه.

معنى ﴿صِدْقٍ﴾: صلاحٍ، تقول: رجلُ صدقٍ؛ أي: صالحٌ، ورجلُ سوءٍ؛ أي: طالحٌ.

وقيل: ﴿صِدْقٍ﴾: مرضيٌّ.

وقيل: المرادُ صدقُ الظَّنِّ؛ أي: يَصْدُقُ فيه ما يُظَنُّ به من الخيرِ.

﴿وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا﴾ عزًّا وقوَّةً لأُقيمَ به دِينَكَ.

مجاهدٌ: حجَّةً بيِّنةً[1].

الحسنُ: السُّلطان: السَّيف[2].

* * *

(٨١) - ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾.

﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾: الإسلامُ والدِّين ﴿وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ﴾: الكفرُ والشِّرك.

قتادةُ: جاءَ القرآنُ وهلكَ الشَّيطانُ[3].

مجاهدٌ: ﴿ٱلْحَقُّ﴾: الجهادُ و﴿ٱلْبَـٰطِلُ﴾: الشِّركُ[4].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٦).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٦٧) بلفظ: «السلطة على الكافرين بالسيف، وعلى المنافقين بإقامة الحدود».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٢٢)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٦١)، وذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ١٥٨)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٦٧).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٦١)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٤٥٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٦٧)، والواحدي في «البسيط» (١٣/ ٤٥٣) كلُّهم عن ابن جريج.

وقيل: طاعةُ اللهِ ومعصيتُه.

وروى ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ عليه السَّلامُ دخلَ مكَّةَ يومَ الفتحِ وحولَ الكعبةِ ثلاثُ مئةٍ وستُّون صنماً، فجعلَ يَطعنُها بمِخْصَرةٍ في يده ويقول: «جاءَ الحقُّ وزهقَ الباطلُ»[1].

﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ يَبْطُلُ ويزولُ، والحقُّ يبقى ويدومُ، وزهَقَ: بطلَ، وزَهَقَتْ نفسُه: ماتَ.

***

(٨٢) - ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ قيل: شفاءٌ من كلِّ سَقَامٍ لِمَا فيه من البركاتِ، وقيل: من داءِ الضَّلالِ، وقيل: شفاءٌ من داءِ الجهلِ.

﴿وَرَحْمَةٌ﴾: وبيانٌ وبركةٌ وهدًى.

وأفادَ دخولُ ﴿مِنَ﴾ أنَّه نزلَ نجماً نجماً وشيئاً شيئاً، وقيل: للتَّبعيضِ[2]، وقيل: هو زيادةٌ كقوله: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، وقيل: للتَّبيين[3].

﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾: هلاكاً؛ لتكذيبهم إيَّاه فتزدادُ خسارتهم.

---

(١) رواه البخاري (٤٢٨٧)، ومسلم (١٧٨١).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٣٩)، وعدَّه من العجائب، وبيَّن المراد به فقال: «العجيب: ﴿مِنَ﴾ للتبعيض، والمراد به الناسخ دون المنسوخ»، وجعل من الغريب: أن تكون ﴿مِنَ﴾ فيه لابتداء الغاية؛ أي: وننزل ما هو شفاء ورحمة من القرآن لا من غيره. ثم استحسنهما بقوله: «وهذان القولان حسنان».

(٣) في هامش (ط): «إذا جعلت (من) للتبيين فتقديره: وننزل ما هو شفاء ورحمة من القرآن لا من غيره». وهذا كقوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠]. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٦٣٩).

(٨٣) ـ ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا﴾.

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ بالمالِ والصِّحَّة والأمنِ ﴿أَعْرَضَ﴾ يريدُ: الكافرَ، وقيل: عامٌّ، وقيل: نزلت في الوليدِ بنِ المغيرةِ[١]؛ أي: أعرضَ عن ذكْرِ ما كان فيه من السَّقمِ والضَّررِ والفقرِ قبل ذلك.

﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾: بَعُدَ بنفسِه عن القيامِ بحقوقِ نِعَمِ اللهِ، وأعرضَ عن الدُّعاءِ والابتهالِ.

وقيل: ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾: أُعجِب بنفسه؛ لأنَّ المعجَبَ متباعدٌ عن النَّاس.

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾: الخوفُ والفقرُ والمرضُ ﴿كَانَ يَـُٔوسًا﴾: قنوطاً من الرَّوحِ[٢] والفَرَجِ.

* * *

(٨٤) ـ ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾.

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ ابن عبَّاسٍ: طبيعتِه، وقيل: عادتِه، وقيل: على أخلاقه، ابن زيدٍ: على دِينه، قتادةُ: على نيَّتِه[٣]، وقيل: ناحيَته وطريقتِه[٤].

---

(١) ذكره مكي في «الهداية» (٦/ ٤٢٧٦)، وانظر: «البسيط» للواحدي (١٣/ ٤٥٤)، و«الكشاف» للزمخشري (٤/ ٢٠٥).

(٢) الروح بفتح الراء: الراحة والرحمة. انظر: «القاموس» مادة: (ر و ح).

(٣) ذكر هذه الأقوال الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٦٧)، وقول ابن زيد رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٦٦).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٦٦) عن ابن عباس ومجاهد وقتادة دون قوله: «وطريقته». لكن الطبري رحمه الله قدم له بقوله: ﴿عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾: على ناحيته وطريقته. وقال الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ١٣٠): ﴿عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾: ناحيته، وهي الطريقة والجديلة.

والشَّاكلتان: ظاهرُ الطَّفْطَفتَين[1] من أدنى مبلغِ القُصَيْرى[2] من جانبَي البطنِ.

والشَّاكلةُ: الدِّين[3].

وقيل: على قَدْرِ قوَّته وضعفِه وشبابِه وهرمِه.

والكلُّ يعودُ إلى معنى الشَّكلِ وهو الـمِثْلُ.

وقيل: إلى شاكلتِه: إلى[4] ما هو أشكلُ بالصَّوابِ وأَولى بالحقِّ عنده.

وقيل: على عادته التي أَلِفَها.

﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾: أصوبُ طريقاً وأصحُّ مذهباً، فينبغي أن يُقارِبَ الخيرَ ويُجانِبَ الشَّرَّ.

* * *

(٨٥) - ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ في سببِ النُّزولِ:

عن البخاريِّ ومسلمٍ عن ابن عبَّاسٍ: قالت قريش لليهودِ: أعطونا شيئاً نسألُ عنه الرَّجلَ، فقالوا: سلُوه عن الرُّوح، فنزلَت هذه الآيةُ[5].

---

(١) في هامش (ن): «الطفطفة: الخاصرة».

(٢) القُصَيرى: أسفل الأضلاع، أو آخر ضلع في الجنب. انظر: «القاموس» مادة: (ق ص ر).

(٣) قوله: «والشاكلة: الدين» كذا في النسخ، وهو تكرار؛ فقد تقدم من قول ابن زيد.

(٤) في (و): «وإلى».

(٥) ليس هذا الحديث في الصحيحين، لكن رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣٠٩)، والترمذي (٣١٤٠)، والنسائي في «الكبرى» (١١٢٥٢). قال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ من هذا الوجه.

وروى البخاري (٤٧٢١)، ومسلم (٢٧٩٤) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: بينا أنا مع النبي ﷺ في حرث، وهو متكئ على عسيب، إذ مر اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، فقال: =

وقال المفسِّرون: إنَّ اليهودَ اجتمعوا فقالوا لقريش: سلُوا محمَّداً عن الرُّوح، وعن فِتيةٍ فُقدوا في أوَّلِ الزَّمانِ، وعن رجلٍ بلغَ شرقَ الأرضِ وغربَها، فإن أجابَ في ذلك كلِّه فليس بنبيٍّ، وإنْ لم يُجبْ في ذلك كلِّه فليس بنبيٍّ، وإنْ أجابَ عن بعضِ ذلك وأمسكَ عن بعضٍ فهو نبيٌّ، فسألوه عنها فأنزل في شأنِ الفِتيةِ: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ ﴾ [الكهف: ٩]، وأنزلَ في الرَّجلِ: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِ ﴾ [الكهف: ٨٣]، وأنزلَ في الرُّوحِ: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ [الإسراء: ٨٥](١).

واختُلِفَ(٢) في المرادِ بالرُّوحِ المسؤولِ عنها:

قتادةُ: هو جبريلُ عليه السَّلامُ(٣).

وعن(٤) عليٍّ وابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهم: هو ملَكٌ له سبعون ألفَ وجهٍ، لكلِّ وجهٍ سبعون ألفَ لسانٍ، لكلِّ لسانٍ سبعون ألفَ لغةٍ، يُسبِّحُ اللهَ بتلك

= ما رأيكم إليه؟ وقال بعضهم: لا يستقبلكم بشيء تكرهونه، فقالوا: سلوه، فسألوه عن الروح، فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم شيئاً، فعلمت أنه يوحى إليه، فقمت مقامي فلما نزل الوحي، قال: «﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾».

(١) ذكره بهذا اللفظ والسياق الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٤٦٧) دون عزو، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٩٢) وعزاه للمفسرين. ورواه ابن إسحاق في «السير والمغازي» (ص: ٢٠١ ـ ٢٠٢)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٤٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٧٠)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وشيخ ابن إسحاق فيه مبهم لم يسمه. وفيه أن قريشاً هم الذين أرسلوا إلى اليهود يطلبون منهم أسئلة، فأرسلوا إليهم بذلك في خبر طويل.

(٢) في (و): «واختلفوا».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦١٥)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٧٠ ـ ٧١)، وهو في رواية عبد الرزاق عن قتادة والحسن، وذكر عبد الرزاق والطبري عن قتادةَ: «وكان ابن عباس يكتمه».

(٤) «وعن»: ليست في (و).

اللُّغاتِ كلِّها، يخلقُ من كلِّ تسبيحةٍ ملَكٌ يطيرُ مع الملائكةِ إلى يومِ القيامةِ(١).

الحسنُ: عن القرآنِ ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾؛ أي: وحيِ ربِّي، قال: ويدلُّ عليه الآيتان بعدها(٢).

أبو عبيدةَ(٣): خلقٌ كخلقِ بني آدمَ في السَّماءِ كهيئةِ النَّاسِ يأكلون ويشربون وليسوا من النَّاسِ(٤).

مجاهدٌ: الرُّوحُ خلقٌ على صورةِ بني آدمَ، وما ينزلُ ملكٌ من السَّماءِ إلَّا ومعه واحدٌ من الرُّوحِ(٥).

وقيل: هي التي يُحيَى بها الحيوانُ(٦).

---

(١) رواه عن علي رضي الله عنه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٧١)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤٠٨).
وقال ابن كثير (٥/ ١١٥ ـ ١١٦): «وهذا خبر غريب عجيب».
أما ابن عباس فروى قوله الطبري مختصراً بلفظ: «الروح ملك».

(٢) تفسير الروح بالقرآن ذكره عن الحسن الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٦٩)، وزاد: «كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] فيكون معناه: إن القرآن من أمر الله تعالى ووحيه الذي أنزل عليَّ وليس هو مني».

(٣) في (ط): «عبيد».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٠) بلا نسبة، واستغربه.

(٥) رواه بنحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٦٨) (٣٤٦٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٨)، عن مجاهد.
ورواه مجاهد عن ابن عباس، كما في «تفسير مجاهد» (ص: ٦٩٦).
وقد ضعف الرازي أمثال هذه الأخبار التي فيها أنهم على صورة بني آدم في «تفسيره» (٢١/ ٣٩٤) فقال: «ولم أجِدْ في القرآن ولا في الأخبار الصحيحة شيئاً يمكنُ التمسُّك به بهذا القول».

(٦) وعليه جماعة المفسرين كما قال المؤلف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٠).

عليُّ بن عيسى: الرُّوحُ: جسمٌ رقيقٌ هوائيٌّ في كلِّ جزءٍ[1] من الحيوانِ، قال: وكلُّ حيوانٍ فهو روحٌ وبدنٌ[2].

﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ قيل: مِن خَلْقِ ربِّي.

وقيل: من وحي ربِّي.

وقيل: ﴿مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾؛ لأنَّه ممَّا لم يُطلِعْ عليه أحداً[3].

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ قيل: خطابٌ للَّذين سألوه عن الرُّوحِ. وقيل: لليهودِ، وقيل: بل هو عامٌّ في جميعِ الخلقِ.

﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾ من العلمِ، ويحتمِلُ: إلَّا قليلاً منكم، وهم العلماءُ.

وإنَّما لم يُجابوا ليُوافقَ ما في كتابهم.

وقيل: لأنَّ معرفته بالعقلِ دونَ السَّمعِ[4].

وقيل: لأنَّهم سألوه سؤالَ تعنُّتٍ.

وقيل: لأنَّ هذا من كلامِ الفلاسفةِ لا من كلامِ الأنبياءِ[5].

وقيل: قد أجابَهم؛ لأنَّهم قد سألوه: أقديمٌ هو أم مُحدَثٌ؟ فقال: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾؛ أي: من خلقِه، فهو مُحدَثٌ[6].

***

---

(١) في (و): «جسم».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٠)، عدَّه من العجائب.

(٣) في (ن): «أحد».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤١)، واستغربه.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤١)، واستغربه.

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤١)، وعدَّه من العجائب.

(٨٦) ـ ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾.

﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ يعني: القرآنَ، بأنْ نمحوَه عن قلبكَ.

الزَّجَّاج: لو شئنا لمحَوْنا هذا القرآنَ عن قلبكَ ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾: ثمَّ لا تجدُ مَن تَكِلُ إليه ردَّه إليك(١).

وقيل: الوكيلُ هاهنا بمعنى الكفيلِ؛ أي: كفيلاً يضمَنُ لك أن يأتيَك بما أُخذَ منك.

وقيل: مَن يمنعُنا من ذلك، وينصرُكَ، فيحولُ بيننا وبين ما نفعلُه.

* * *

(٨٧) ـ ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴾.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾: لكنْ رحمةً منَّا أدركتْكَ فبقيَ في قلبكَ وفي قلوبِ المؤمنين.

ابن جريرٍ: لكنه لا يشاءُ ذلك رحمةً من ربِّك وتفضُّلاً.

﴿إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴾ حين أرسلكَ نبيًّا وأنزلَ عليك كتاباً(٢).

* * *

(٨٨) ـ ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾.

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾: مُعيناً يعاونُ بعضهم بعضاً عليه.

في سببِ النُّزولِ: أنَّ أحبارَ اليهودِ قالوا: إنْ كنتَ نبيًّا فائتنا بآيةٍ كآيةِ موسى، فإنَّ

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٧٥).

القرآنَ وإن عجزَ عن الإتيانِ بمثله حاضروك، فلعلَّ في الغائبين مَن لا يعجزُ عنه، فأنزلَ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾[١].

الحسنُ: الملائكةُ أيضاً منويُّون في الآيةِ؛ لأنَّهم لا يقدرون أيضاً على الإتيانِ بمثلِ القرآنِ[٢].

ويحتمِلُ أنَّه إنَّما اقتصرَ على ذكْرِ الإنسِ والجنِّ لأنَّه عليه السَّلام كان مبعوثاً إلى الثَّقَلين دون الملائكة[٣].

***

(٨٩) ـ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ﴾: ذكرْنا وبيَّنَّا ﴿فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ من كلِّ صنفٍ[٤]: من التَّرغيبِ والتَّرهيبِ، وأنباءِ الأوَّلين والآخِرين، وذكْرِ الجنَّة والنَّارِ.

وقيل: من كلِّ مَثَلٍ من الأمثالِ التي يجبُ الاعتبارُ بها.

وقيل: ليس المرادُ بالمَثَلِ هاهنا الكلمةَ السَّائرةَ، إنَّما المرادُ: من كلِّ شيءٍ ونوعٍ من الكلامِ.

﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ﴾: أكثرُ أهلِ مكَّة، وقيل: أرادَ: أكثرَ النَّاسِ في ذلك الوقتِ.

﴿إِلَّا كُفُورًا﴾ لأنَّهم اقترحوا الآياتِ بعد ظهورِ المعجزاتِ.

***

---

(١) لم أجده. بهذا اللفظ، وانظر: «تفسير الطبري» (١٠/ ٧٥ ـ ٧٦)، و«الهداية» لمكي (٦/ ٤٢٨٤).

(٢) ذكره المؤلف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤١)، ولم أجده عند غيره.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤١)، واستغربه.

(٤) في (ن): «صفة».

(٩٠) ـ ﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴾.

﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴾ في سببِ النُّزولِ:

روى عكرمةُ عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ عُتبةَ وشيبةَ وأبا سفيانَ والنَّضْرَ بن الحارثِ وأبا البَخْتَرِيِّ والوليدَ بنَ المغيرةِ وأبا جهلٍ وعبدَ اللهِ بنَ أميَّةَ وأميَّةَ بنَ خلفٍ ورؤساءَ قريش اجتمعوا عند ظَهْرِ الكعبةِ، فقال بعضُهم لبعضٍ: ابْعَثوا إلى محمَّدٍ فكلِّموه وخاصِمُوه حتَّى تُعذَروا فيه، فبعثوا إليه: إنَّ أشرافَ قومكَ قد اجتمَعوا إليكَ ليكلِّموك، فجاءهم سريعاً وهو يظنُّ أنَّه بدا لهم في أمره بَدَاءٌ، وكان عليهم حريصاً يحبُّ رُشدَهم ويَعِزُّ عليه عَنَتُهم، حتَّى جلسَ إليهم، فقالوا: يا محمَّدُ، إنَّا واللهِ لا نعلمُ رجلاً من العربِ أدخلَ على قومه ما أدخلتَ على قومكَ، لقد شتَمْتَ الآباءَ، وعِبْتَ الدِّينَ، وسفَّهْتَ الأحلامَ، وشتَمْتَ الآلهةَ، وفرَّقتَ الجماعةَ، وما بقيَ أمرٌ قبيحٌ إلَّا وقد جئتَه فيما بيننا وبينك، فإنْ كنتَ تطلبُ مالاً جعلنا لك من أموالِنا ما تكونُ به أكثرَنا مالاً، وإنْ كنتَ تَطلبُ الشَّرفَ فينا سوَّدناكَ علينا، وإن كنتَ تريدُ مُلْكاً ملَّكناكَ علينا، وإن كان الرَّئِيُّ[1] يأتيكَ وقد غلبَ عليك بذلنا أموالَنا في طلبِ الطِّبِّ لكَ حتَّى نُبْرِئَكَ منه أو نُعْذَرَ فيك، فقال عليه السَّلامُ: «ما بي ما تقولون، ما جئتُكم بما جئتُكم به أطلبُ أموالَكم ولا الشَّرفَ فيكم ولا المُلكَ عليكم، ولكنَّ اللهَ بعثني إليكم رسولاً، وأنزلَ عليَّ كتاباً، وأمرني أن أكونَ لكم بشيراً ونذيراً، فبلَّغتكم رسالةَ ربِّي ونصحتُ لكم؛ فإن تقبلوا منِّي ما جئتُكم به فهو حظُّكم في الدُّنيا والآخرةِ، وإن تردُّوه عليَّ أصبرْ لأمرِ اللهِ حتَّى يَحكمَ اللهُ بيني وبينكم».

قالوا: يا محمَّدُ، فإن كنتَ غيرَ قابلٍ منَّا ما عرَضْنا عليكَ فقد عَلِمْتَ أنَّه ليس

(١) في هامش (ن): «الرئي: التابع من الجن».

أحدٌ من النَّاسِ أضيقَ بلاداً منَّا ولا أقلَّ مالاً[1] ولا أشدَّ عيشاً منَّا، فسَلْ لنا ربَّك الذي بعثكَ بما بعثكَ فلْيُسيِّرْ عنَّا هذه الجبالَ التي قد ضيَّقَتْ علينا، ويَبْسُطَ لنا بلادنا، ويفجِّرَ فيها أنهاراً كأنهار الشَّام والعراقِ، ولْيَبْعَثْ لنا مَن مضى مِنَ آبائنا، ولْيَكُنْ ممَّن يُبعثُ لنا منهم قصيُّ بنُ كلابٍ؛ فإنَّه كان شيخاً صدوقاً، فنسألَهم عمَّا تقولُ: أحقٌّ هو أم باطلٌ؟ فإنْ صنعتَ ما سألناكَ صدَّقناك وعرَفْنا به منزلتكَ عند اللهِ، وأنَّه بعثكَ رسولاً كما تقولُ، فقال عليه السَّلام: «ما بهذا[2] بُعثتُ، إنَّما جئتكم من عند اللهِ بما بَعَثني به، فقد بلَّغْتُكم ما أُرسلتُ به؛ فإنْ تَقْبلوه فهو حظُّكم، وإنْ تردُّوه أصبِرْ لأمرِ اللهِ».

قالوا: فإنْ لم تفعلْ هذا فسَلْ ربَّك أن يبعثَ مَلَكاً يصدِّقُكَ، وسَلْه فيَجعل لكَ جناناً وكنوزاً وقصوراً من ذهبٍ وفضَّةٍ ويُغنيك بها عمَّا نراك، فإنَّك تقومُ في الأسواقِ وتلتمسُ المعاشَ، فقال عليه السَّلام: «ما أنا بالذي يسألُ ربَّه هذا، وما بُعثتُ إليكم بهذا، ولكنَّ اللهَ بَعَثني بشيراً ونذيراً» قالوا: فأسقِطْ علينا السَّماء كما زعمتَ أنَّ ربَّك إن شاءَ فعلَ.

وقال قائلٌ منهم: لن نُؤمنَ لك حتَّى تأتِيَنا باللهِ والملائكةِ قبيلاً.

وقام عبدُ الله بنُ أبي أميَّةَ المخزوميُّ وهو ابنُ عاتكةَ بنت عبدِ المطَّلبِ ابنُ عمَّةِ النَّبيِّ عليه السَّلام وقال: لا أؤمنُ بك أبداً حتَّى تتَّخذَ إلى السَّماء سُلَّماً، ثمَّ ترقَى فيه وأنا أنظرُ حتَّى تأتيَها، وتأتيَ بنسخةٍ منشورةٍ معك ونفرٍ من الملائكة يشهدون لك أنكَّ كما تقولُ.

وانصرفَ رسولُ الله عليه السَّلام إلى أهله حزيناً لِمَا فاته من متابعةِ قومه، ولِمَا

---

(١) في (ن): «ماء».

(٢) في (و): «لهذه».

رأى من مباعدتهم عنه، فأنزل اللهُ: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا﴾ الآيات[١].

ومعنى ﴿تُفَجِّرَ﴾[٢]: تُشَقِّقَ، والفجرُ: الشَّقُّ، والتَّفجيرُ للمبالغةِ.

﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾: من مكَّة.

﴿يَنبُوعًا﴾: عيناً ينبعُ منها الماءُ، يَفْعُولٌ[٣] من (نَبَعَ).

ابنُ عيسى: الينبوعُ: عينٌ تنبَعُ بالماءِ؛ أي: تفورُ.

قتادةُ: نهراً يجري بمكَّة[٤].

* * *

(٩١) ـ ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا﴾.

﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾: حائطٌ وبستانٌ ﴿مِّن نَّخِيلٍ﴾: جمعُ نَخْلٍ، كعَبْدٍ وعَبيدٍ، وكَلْبٍ وكَليبٍ.

﴿وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ﴾: جمعُ نهرٍ ﴿خِلَالَهَا﴾: وَسَطها ﴿تَفْجِيرًا﴾: مرَّةً بعد أخرى.

* * *

---

(١) رواه ابن إسحاق في «السير والمغازي» (ص: ١٩٧ ـ ٢٠٠)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٨٧ ـ ٩٠)، من طريق ابن إسحاق قال: ثني شيخ من أهل مصر قدم منذ بضع وأربعين سنة، عن عكرمة، عن ابن عباس.

(٢) بالتشديد في النسخ الخطية، وهي قراءة أبي عمرو وابن عامر وابن كثير ونافع، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بالتخفيف. انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٤ ـ ٣٨٥)، و«التيسير» (ص: ١٤١).

(٣) في (ن): «مفعول»، وهو تحريف.

(٤) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٧٨).

(٩٢) ـ ﴿ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴾.

﴿ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا ﴾ عنوا به قوله: ﴿أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [سبأ: ٩] فطالَبوه به استهزاءً؛ أي[1]: تسقط السَّماءَ طبقاً[2] علينا، تقولُ: كسفتُ الشَّيءَ: غطَّيته. وقيل: قِطَعاً بالعذابِ، تقول: كسفتُه: قطعته أيضاً. والكِسَفُ بالفتح جمعٌ، وبالسُّكون واحدٌ كالذِّبْح والطِّحْنِ، وهو نصبٌ حالٌ من ﴿ٱلسَّمَآءَ﴾.

﴿أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴾ قيل: ضميناً، من المقابلةِ، وهي الضَّمانُ.

وقيل: ﴿قَبِيلًا ﴾: مقابَلةً معايَنةً.

وقيل: ﴿قَبِيلًا ﴾: شهيداً.

وقيل: مجتمِعينَ اجتماعَ القبائل.

وقيل: ﴿قَبِيلًا ﴾: كفيلاً على صدقِ دعواكَ ووفائكَ بالوعدِ والوعيدِ.

* * *

(٩٣) ـ ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾.

﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ ﴾: من ذهبٍ.

الزَّجَّاج: الزُّخرفُ: الزِّينة[3].

---

(١) في (و) و(ن): «أو»، والمثبت من (ط) أظهر.

(٢) في (ن): «كسفاً».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٦٠).

مجاهدٌ: كنَّا لا ندري ما الزُّخرفُ حتَّى رأينا في قراءةِ ابن مسعودٍ رضي الله عنه: (بيتٌ من ذهبٍ)(١).

﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: تصعدُ إليها ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ هذا قولُ عبدِ الله بن أبي أُميَّة، قال: لن نؤمنَ لك حتَّى تُنزِّل علينا كتاباً من السماء فيه: من ربِّ العالمين إلى عبدِ اللهِ بنِ أبي أُميَّة، إنِّي قد أرسلتُ محمَّداً نبيًّا، فآمِنْ به وصدِّقْه، وواللهِ لو أَتَيْتَني به أيضاً لَمَا آمنتُ بك ولا صدَّقتُكَ(٢).

﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾؛ أي: لو قدرتُ على ما تريدون لكنتُ إلهاً، واللهُ منزَّهٌ عن الشَّريكِ، ولستُ أنا(٣) إلَّا آدميًّا مثلَكم خصَّني مِن بينِكم بالرِّسالة فأرسلني إليكم.

ومَن قرأ: ﴿قال﴾(٤)؛ أي: قال محمَّدٌ مجيباً لهم.

* * *

(٩٤) ـ ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾.

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟﴾؛ أي: ما منعَ النَّاسَ من الإيمان ﴿إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾: النَّبيُّ والقرآنُ(٥) ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟﴾: إلَّا قولُهم: ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ أنكروا أنْ يكون

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٢٧)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣٠٣)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٨٥).

(٢) ورد بنحوه ضمن خبر ابن عباس الطويل الذي تقدم قريباً.

(٣) «أنا»: ليست في (و).

(٤) وهي قراءة ابن كثير وابن عامر. انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٥)، و«التيسير» (ص: ١٤١).

(٥) في (و): «بالقرآن».

الرَّسولُ من جنسهم؛ أي: هلَّا بعثَ ملَكاً، وجَهِلوا أنَّ التَّجانسَ يُورث التَّوانُسَ، والتَّخالُفَ يقتضي التَّنافرَ.

***

(٩٥) ـ ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾.

﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ ﴾ بدلَ الآدميِّين ﴿يَمْشُونَ ﴾ كما يمشي بنو آدمَ ﴿مُطْمَئِنِّينَ ﴾: مستوطِنِين الأرضَ، وقيل: مطمئنِّين غيرَ خائفين من اللهِ، ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾؛ أي: من جنسهم؛ ليكونوا منه أقبلَ وإليه أسرعَ.

***

(٩٦) ـ ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾.

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا ﴾ في التَّفسيرِ: فقالوا: ومَن يشهدُ لك أنَّك رسولُ اللهِ؟ فنزلَ[1]: ﴿قُلْ﴾ يا محمَّدُ: ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ بأنِّي رسولُه.

وقيل: المعنى: إنِّي أُشهِدُ الله على أنِّي بلَّغتُكم ما أمرني بتبليغِه واجتهدْتُ، وأنَّكم كفرتُم؛ ليَشْهَدَ لي[2] عليكم يومَ القيامةِ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا﴾ بما كان ﴿بَصِيرًا ﴾ بما يكونُ.

***

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٦١)، وللنحاس (٤/ ١٩٦)، و«بحر العلوم» للسمرقندي (٢/ ٣٢٩)، و«الهداية» لمكي (٦/ ٤٢٩٤).

(٢) في (و): «ليشهدني».

(٩٧) ـ ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا﴾.

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾: مَن وفَّقه اللهُ للإيمان فهو الذي اهتدَى وأصابَ الرَّشاد، ﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾: يَخْذُلْه ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ﴾؛ أي: وليًّا يهديه.

﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ قيل: يُسْحَبون عليها، وقيل: يمشُّون عليها.

وقيل: المرادُ به الإسراعُ بهم إلى النَّار، تقولُ العربُ: قد مرَّ القومُ على وجوههم؛ إذا أسرعوا.

﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ ابن جريرٍ: حين يخرجون من قُبورهم يكونون بهذه الصِّفةِ، ثمَّ يَرَوْن ويَنْطِقون ويسمعون[١].

وقيل: هذه بعد الفراغِ من الحسابِ؛ يُجرُّون على وجوههم إلى النَّارِ بهذه الصِّفةِ.

ابن عبَّاسٍ والحسنُ رضي الله عنهم: ﴿عُمْيًا﴾: لا يرون شيئاً يَسُرُّهم، ﴿بُكْماً﴾: لا ينطقون بحجَّةٍ، ﴿صُمًّا﴾: لا يسمعون ما يسرُّهم[٢].

وقيل: ذلك في بعضِ الأوقاتِ وبعضِ الأماكنِ، ويُروَى عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ: «إنَّ أهلَ الموقفِ ثلاثةُ أثلاثٍ: فثلثٌ على الدَّوابِّ، وثلثٌ يَنْسِلون على أقدامهم نسلاً، وثلثٌ على وجوههم» فقيل: كيفَ يمشون على وجوههم؟ فقال: «الذي أمشاهُم على أقدامهم قادرٌ على أن يُمشِيَهم على وجوههم»[٣].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٩٣).

(٢) ذكره عنهما الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٧٥)، وذكره عن ابن عباس رضي الله عنهما الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٤٨٦)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٥٥).

(٣) رواه إلى قوله: «وثلث على وجوههم» إسحاق بن راهويه في «مسنده» (١٢٨)، وابن أبي داود =

﴿مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ﴾؛ أي: عن اللَّهبِ مع بقاءِ حرِّها وأصلِها ﴿زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾: توقُّداً، فلا تَفْتُرُ[1] أبداً.

الضَّحَّاك: إذا أحرقَتْهم فصاروا جمراً يتوهَّجُ، فذلك خبوُّها، خُلقوا لها خلقاً جديداً[2].

وقيل: كلَّما خبتْ بعضُ النِّيرانِ اشتعلَتْ بهم ناراً أخرى من جهةٍ أخرى، فهم معذَّبون بنارٍ بعد نارٍ.

***

(٩٨) ـ ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾.

﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾؛ أي: ذلك العذابُ، وقيل: ذلك العمَى والصَّممُ والخرَسُ بسببِ أنَّهم

= في «البعث» (٢٢)، والثعلبي في «تفسيره» (١٩/ ٤٠٩ ـ ٤١٠)، والبيهقي في «البعث» (٢٧٦)، جميعهم من طريق بشر بن المفضل، عن علي بن زيد، عن أوس بن أبي أوس، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ.

ورواه بنحوه لكن بتمامه الترمذي (٣١٤٢) وحسنه، والإمام أحمد في «المسند» (٨٧٥٥)، من طريق حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أوس بن أبي أوس، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.

ويشهد لآخره ما رواه البخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٢٨٠٦) عن أنس رضي الله عنه: أن رجلًا قال: يا رسول الله، كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «أليس الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟».

(١) في (و): «يفتر»، وهو بلا نقط في (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٩٦) بلفظ: «زدنا هؤلاء الكفار سعيراً، وذلك إسعار النار عليهم والتهابها فيهم وتأججها بعد خبوها، في أجسامهم».

كفروا بمحمَّدٍ عليه السَّلامُ وأنكروا البعثَ والنُّشورَ، وقد سبقَ تفسيرُه.

***

(٩٩) - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾: أولم يعلموا؛ أي: هم يعلمون بعيونِ بصائرهم علماً ﴿أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾؛ أي: هم مقرُّون بأنَّ اللهَ خالقُ السَّماواتِ والأرضِ وخالقُهم ابتداءً ومميتُهم، فلِمَ أنكروا الإعادةَ؟!

﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ يعني: الموتَ.

وفيه تقديمٌ وتأخيرٌ، وتقديرُه:... خلقَ[1] السَّماواتِ والأرضَ وجعلَ لهم أجَلاً لا ريبَ فيه قادرٌ على أن يخلقَ مثلهم.

﴿فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾؛ أي: فأبوا إلَّا الكفرَ عن علمٍ منهم.

***

(١٠٠) - ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾.

﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ﴾ قيل: خزائنَ الرِّزقِ. وقيل: الرَّحمةُ هاهنا المالُ.

﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾ أي: لبخلتُم وأمسكتُم عن الصَّدقةِ.

وقيل: ما جُدْتُم بها كجُودِ[2] اللهِ سبحانه.

---

(١) كذا في النسخ الخطية، وفيه اختصار، والمراد: وتقديره: أن الله الذي خلق... وجعل... قادرٌ....

(٢) في (و): «بجود».

و﴿ٱلۡإِنفَاقِ﴾: الفقر، قاله أبو عبيدةَ[١]. أملقَ وأنفقَ وأعدمَ وأصرمَ بمعنًى[٢].

وقيل: خشيةَ أنْ يُفنيه الإنفاقُ[٣].

﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا﴾: بخيلاً، ومَن كان جواداً عند النَّاسِ فهو بخيلٌ بالإضافةِ إلى اللهِ[٤] سبحانه وتعالى؛ لأنَّه قال: ﴿خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ﴾.

الزَّجَّاج: هذا جوابٌ لقولهم: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا﴾[٥].

وقيل: ابتدأَ بوصفهم بالبخلِ.

وقيل: متَّصلٌ بحسدهم على رسولِ اللهِ عليه السَّلامُ، وبخلِهم بعطاءِ اللهِ عندهم.

* * *

(١٠١) - ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا﴾.

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ﴾: علاماتٍ واضحاتٍ.

ووَزْن بَيِّنَة: فَيْعِلَة[٦]، من بانَ الشَّيءُ يَبِينُ.

---

(١) ذكره عن أبي عبيدة الواحدي في «البسيط» (١٣/ ٤٩١)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٩٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما. والذي في «مجاز القرآن» (١/ ٣٧٥ و٢٠٨) تفسير الإملاق بالفقر، من: أملق فلان؛ أي: ذهب ماله واحتاج، وأقفر مثلها.

(٢) انظر: «فقه اللغة» للثعالبي (ص: ٥٩)، و«معاني القرآن» للنحاس (٤/ ١٩٨).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٢٣)، ونسبه للمبرد.

(٤) في (ن): «بخيل عند الله بالإضافة إلى الله».

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٦١).

(٦) في (ن): «فعيلة».

عطاءٌ: هي العصا، ويدُه، والطُّوفانُ، والجرادُ، والقُمَّلُ، والضَّفادعُ، والدَّمُ، والسِّنونَ لأهل البوادي، ونقصٌ من الثَّمرات(١).

الحسنُ: السِّنون ونقصُ الثمراتِ واحدةٌ، والتَّاسعةُ تلقُّفُ العصا ما يأفكون(٢).

ابن عبَّاسٍ: التَّاسعةُ إزالة العقدةِ التي كانت بلسانِه(٣).

وقيل: اليدُ، والعصا، والحجرُ الذي انفجرتْ منه العيونُ، وانفلاقُ البحرِ، والطُّوفانُ، والجرادُ، والقُمَّل، والضفادعُ، والدَّم.

وروى صفوانُ أنَّ يهوديًّا أتى النَّبيَّ عليه السَّلامُ فسأل عنها فقالَ: «أنْ لا تشركوا باللهِ شيئاً، ولا تسرقُوا، ولا تزنُوا، ولا تقتلوا النَّفسَ التي حرَّمَ اللهُ إلَّا بالحقِّ، ولا تَسْحَروا، ولا تأكلوا الرِّبا، ولا تمشُوا ببريءٍ إلى ذي(٤) سلطانٍ ليقتلَه، ولا تَقْذِفوا محصَنةً، ولا تَفِرُّوا من الزَّحفِ، ولا تعدوا في السَّبتِ»، فقبَّلَ اليهوديُّ يدَ النَّبيِّ عليه السَّلام ورجلَه(٥).

---

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٠١) دون قوله: والسِّنونَ لأهل البوادي، ونقصٌ من الثَّمرات. لكن هذه التسعة جاءت في قول ابن عباس رضي الله عنهما، رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٣٢)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٠٢)، بلفظ: «﴿تِسْعَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ﴾ وهي متتابعات، وهي في سورة الأعراف ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ قال: السنين في أهل البوادي، ونقص من الثمرات لأهل القرى، فهاتان آيتان، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، هذه خمس، ويد موسى إذ أخرجها بيضاء للناظرين من غير سوء: البرص، وعصاه إذ ألقاها فإذا هي ثعبان مبين».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٠٢).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٩٩)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٤٨٨).

(٤) «ذي»: ليست في (ن).

(٥) رواه الترمذي (٢٧٣٣) و(٣١٤٤)، والنسائي (٤٠٧٨)، وقال الترمذي: «حسن صحيح». وعندهما أنهما يهوديان، وكذلك في «تفسير الطبري» (١٥/ ١٠٣٠)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٤/ ١١٠٧) =

﴿فَسْـَٔلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ﴾؛ أي: سلْ يا محمَّدُ إذ جاءهم؛ أي: سَلْهم عمَّا جرى بين موسى وفرعونَ وآلهِ إذ جاءهم، لا بدَّ من هذا[1] الإضمارِ؛ لأنَّ (سل) لا يصحُّ عاملاً في (إذ).

وقيل: هو خطابٌ لموسى عليه السَّلامُ، على تقدير: فقلنا: سلْ بني إسرائيلَ؛ أي: سلْ فرعونَ إطلاقَ بني إسرائيلَ، حكاه أقضى القضاةِ[2]. وفيه ضعفٌ؛ لقوله: ﴿إِذْ جَآءَهُمْ﴾ بلفظِ الغيبةِ، إلَّا أن يُحمَل الكلامُ على تلوينِ الخطابِ، أو يُجعلَ الكلامُ تامًّا عند قوله: ﴿فَسْـَٔلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ ثمَّ استأنف فقال: ﴿إِذْ جَآءَهُمْ﴾.

﴿فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾: سُحِرْتَ فأُزيلَ عقلُكَ؛ كقوله له: ﴿مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٣٩].

وقيل: خُدعتَ وحُملت على ما تقولُ.

ابن جريرٍ: مَسْحورٌ بمعنى: ساحرٍ، كمَيْمون بمعنى: يَامِن، ومَشْؤومٍ بمعنى: شائِم، ومَأْتِيٍّ بمعنى: آتٍ[3].

***

(١٠٢) ـ ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾.

﴿قَالَ﴾ يعني: موسى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ يا فرعونُ بقلبكَ ﴿مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾؛ أي:

= وغيرها من التفاسير، وهو في «النكت والعيون» للماوردي (٣/ ٢٧٧) عن قويم من اليهود.

(١) «هذا»: ليست في (و).

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٣/ ٢٧٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٤)، واستغربه.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ١٠٦)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٤) دون نسبة، واستغربه.

الآياتِ ﴿إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ لكَ، وهذا كقوله: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤].

وقرأ الكسائيُّ: ﴿لقد علمْتُ﴾ بالضَّمِّ(١) على أنَّ موسى أخبرَ عن نفسه، ورُوي أنَّ عليًّا رضي الله عنه قال: واللهِ ما علمَ عدوُّ اللهِ وإنَّما علمَ موسى عليه السَّلامُ(٢).

والأوَّلُ أظهرُ؛ لأنَّ علْمَ موسى لا يكونُ حجَّةً على فرعون.

قوله: ﴿بَصَآئِرَ﴾: جمعُ بصيرةٍ، ومعناها الدَّالَّة.

وقيل: هي من بصيرةِ الدَّمِ، وهي ما يدلُّ على الصَّيدِ أو القتيلِ(٣)، وهي من الأوَّل أيضاً.

وقيل: البصيرةُ: الشَّاهد.

وانتصابُ ﴿بَصَآئِرَ﴾ على الحالِ، وأجاز الزَّجَّاج نصبَها على المفعول له؛ أي: ليتبصَّر بها(٤).

﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ﴾: أعلمُ وأُوْقِنُ(٥) ﴿يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾: ممنوعاً من الخيرِ، وقيل: مُهْلَكاً، وقيل: هالكاً.

ابن عبَّاسٍ: المثبورُ: الملعونُ(٦).

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٦)، و«التيسير» (ص: ١٤١).

(٢) رواه الفراء بإسناده في «معاني القرآن» (٢/ ١٣٢)، وذكره ابن الجعد في «مسنده» (٢٥٧٨)، والنحاس في «معاني القرآن» (٤/ ٢٠٢)، والواحدي في «البسيط» (١٣/ ٤٩٦).

(٣) في (و): «القتل». وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٤)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٤)، واستغربه. ولم أجده في «معاني القرآن» للزجاج.

(٥) في (ن) و(و): «وأيقن»، والصواب المثبت من (ط).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٠٨، ١٠٩).

ابن زيدٍ: المثبورُ: الذي لا عقلَ له في دِينه ومعاشِه[١].

***

(١٠٣) ـ ﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴾.

﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم ﴾: يُخرِجهم ويَقْلَعهم، ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾: أرضِ مصرَ وقيل: يَقتلُهم[٢]، ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا﴾.

***

(١٠٤) ـ ﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾.

﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾: من بعد غرقِ فرعونَ ﴿لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ ﴾: مصرَ والشَّامَ ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: القيامةِ، والوعدُ: الموعودُ.

وقيل: هو نزولُ عيسى عليه السَّلام.

﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ اللَّفيفُ: الجماعاتُ من قبائلَ شتَّى.

الفرَّاء: من هاهنا وهاهنا[٣].

وقيل: اللَّفيفُ: المختلِطون[٤] من كلِّ شكلٍ.

***

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١١٠).

(٢) في (ن) و(و): «وقيل: يقتلهم، من الأرض: أرض مصر».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٣٢).

(٤) في (ن) و(و)، والجادة: «المختلطين»، والمثبت من (ط)، وهو الصواب.

(١٠٥) ـ ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾.

﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ﴾ يريدُ: القرآنَ؛ أي: أنزلَ القرآنَ بالحقِّ غير الباطلِ.

وقيل: ما يتضمَّنه حقٌّ؛ أي: صدقٌ وعدلٌ.

﴿وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ قيل: الباء هاهنا بمعنى: على؛ أي: وعلى محمَّدٍ نزلَ[١].

وقيل: توكيدٌ للأوَّلِ كألفاظِ المصادرِ وألفاظِ التَّوكيدِ بعضِها بعد[٢] بعضٍ؛ نحو: كلُّهم أجمعون أكتعون أبصعون[٣].

وقيل: قصدَ بإنزاله إثباتَ الحقِّ ونفيَ الباطلِ، وهو أيضاً في نفسه حقٌّ وصدقٌ؛ لأنَّهما سيَّان[٤].

ويجوزُ أيضاً أن يقال: لمَّا صحَّ في التَّقسيمِ: أنزلْتُه فنزلَ، وأنزلته فلم ينزل إذا عرضَ مانعٌ، أخبرَ أنَّه كما أَنزَلَ نزلَ من غيرِ مانعٍ[٥].

وقيل: الحقُّ الأوَّلُ: الحقيقةُ، والثَّاني: المستحَقُّ؛ أي: أتاكم بما تستحِقُّونه[٦].

وقيل: الهاءُ في ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ يعودُ إلى موسى؛ كقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ [الحديد: ٢٥][٧].

---

(١) (الحق) على هذا القول هو محمد عليه السلام، كما في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٥)، وقد عدَّه من العجائب. وانظر: «البسيط» للواحدي (١٣/ ٥٠١).

(٢) في (ن): «على».

(٣) هذه تواكيد تؤكد كلمة واحدة؛ لأنها بمعنى واحد، وقيل: هذا من الإتباع، وربَّما زيد في هذه الألفاظ (أبتعون). انظر: «الإتباع» لأبي علي القالي (ص: ٨٥)، و«تهذيب اللغة» للأزهري (١/ ١٩٨)، و«الخصائص» لابن جني (١/ ٨٤).

(٤) كذا في (و) و(ن)، وفي (ط): (شيئان).

(٥) أي: كما أنزله الله نزل، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٥)، واستغربه.

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٥)، واستغربه.

(٧) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٥)، واستغربه.

وقيل: يعودُ إلى الآياتِ، فذُكِّر حملاً على معنى: ذلك.

وقيل: إلى الوعدِ المذكورِ قبله.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا﴾ للمؤمنين ﴿وَنَذِيرٗا﴾ للكافرين.

***

(١٠٦) ـ ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾.

﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ﴾: بيَّنَّاه وفصَّلناه. وقيل: فرَقنا فيه الحقَّ من الباطلِ.

وقيل: هو بمعنى المشدَّدة، وقُرئ بالتَّشديدِ(١).

ونُصب قولُه: ﴿وَقُرۡءَانٗا﴾ بفعلٍ مضمرٍ دلَّ عليه ﴿فَرَقۡنَٰهُ﴾.

وقيل: عطفٌ على قوله: ﴿مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ ﴿وَقُرۡءَانٗا﴾؛ أي: ذا قرآنٍ(٢).

وقيل: وآتيناك قرآناً(٣).

﴿لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ﴾: برِسْلٍ(٤) وتُؤَدةٍ.

وفي الحديث: أنَّ رسولَ اللهِ عليه السَّلام كان يقرأُ القرآنَ قراءةً ليِّنةً يتلبَّث فيها(٥).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٣٣)، و«المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٨١)، و«المحتسب» (٢/ ٢٣)، ونسبت القراءة لأبيٍّ وعليٍّ وابن عباس ومجاهد وابن مسعود وجمع من التابعين.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٥)، واستغربه.

(٣) ويعرب لفظ ﴿قرآناً﴾ على هذا التقدير مفعولاً به لفعل محذوف.

(٤) الرِّسل بكسر الراء: الرفق والتؤدة. انظر: «القاموس» مادة: (ر س ل).

(٥) روى البخاري (٥٠٤٧) عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال: «رأيت النبي ﷺ يقرأ وهو على ناقته أو جمله، وهي تسير به، وهو يقرأ سورة الفتح ـ أو من سورة الفتح ـ قراءة لينة يقرأ وهو يرجع».

وعن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: لَأنْ أقرأَ البقرةَ وأرتِّلَها وأتدبَّرَ معانيَها أحبُّ إليَّ من أنْ أقرأَ جميعَ القرآنِ هذًّا(١).

﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾: أنزلناه شيئاً بعد شيءٍ عشرين سنةً على حَسَبِ الحاجةِ إليه.

* * *

(١٠٧) - ﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾.

﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ﴾ قوله: ﴿أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ﴾ تهديدٌ ووعيدٌ، ومثلُه: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، والمعنى: اختاروا لأنفسكم النَّعيمَ المقيمَ أو العذابَ الأليمَ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ يعني: مؤمني أهلِ الكتابِ، وقيل: هم بعضٌ من أهلِ الكتابِ.

الحسنُ: هم المؤمنون(٢).

ابنُ عيسى: هم العلماءُ باللهِ.

﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ قيل: القرآنُ، وقيل: التَّوراةُ ﴿يَخِرُّونَ﴾: يسقطون ﴿لِلْأَذْقَانِ﴾ قيل: للوجوهِ، وقيل: للِّحى، والذَّقَن: مجتمَعُ اللَّحيَين(٣)؛ أي: إذا سمعوا القرآنَ عرفوا أنَّه كلامُ اللهِ وقَبِلوه ﴿سُجَّدًا﴾ وسجدوا تعظيماً للهِ.

* * *

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١١٩٣)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٤١٨٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢٤٣٠).

(٢) في «النكت والعيون» (٣/ ٢٨٠) عن الحسن: أنهم أمة محمد ﷺ.

(٣) مثنى: لَحْيٍ، وهو منبت اللحية. انظر: «القاموس» مادة: (ل ح ي).

(١٠٨) ـ ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾.

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾ نزَّهوه ﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾؛ أي: أَنْجزَنا ما وَعَدَنا[1] به في التَّوراةِ من إرسالِ محمَّدٍ وإنزالِ القرآنِ عليه.

***

(١٠٩) ـ ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾.

﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾؛ أي: يسجدونَ باكين ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ تلاوةُ القرآنِ، وقيل: بكاؤهم ﴿خُشُوعًا﴾: خضوعاً.

ورُوي عن النَّبيِّ عليه السَّلام أنَّه قال: «مَن قرأَ القرآنَ في أقلَّ من ثلاثٍ لم[2] يَفْقَهْهُ، اتلوهُ وابْكوا، فإنْ لم تبكُوا فتباكَوا»[3].

***

(١١٠) ـ ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾.

﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ في سببِ النُّزولِ:

---

(١) في (ن): «وعدناه».

(٢) في (و) و(ط): «فلم».

(٣) هذا مجموع حديثين:
الأول: رواه أبو داود (١٣٩٤)، والترمذي (٢٩٤٩) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعاً: «لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث». وقال الترمذي: «حسن صحيح».
والثاني: رواه ابن ماجه (١٣٣٧) من حديث سعد رضي الله عنه مرفوعاً: «إن هذا القرآنَ نَزَلَ بحُزْنٍ، فإذا قرأْتُمُوه فابكُوا، فإنْ لم تَبْكُوا فتباكَوا». وفي إسناده أبو رافع، واسمه إسماعيل بن رافع بن عويمر الأنصاري، قال عنه الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١٠٦): «لين». لكن جوَّد إسناده العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٢٢٦).

قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: تهجَّدَ رسولُ اللهِ عليه السَّلامُ ذاتَ ليلةٍ بمكَّة فجعلَ يقولُ في سجوده: «يا رحمنُ يا رحيمُ» فقال المشركون: كان محمَّدٌ يدعو إلهاً واحداً وهو الآن يدعو إلهَين اثنَين؛ الله[1] والرحمنَ، ما نعرفُ الرَّحمنَ إلَّا رحمنَ اليمامةِ؛ يعنون: مسيلمةَ الكذَّاب، فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ[2].

ميمونُ بن مِهْرانَ: كان يكتبُ رسولُ اللهِ عليه السَّلام في أوَّل ما يُوحى إليه: «باسمكَ اللَّهمَّ» حتَّى نزلت: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠]، فقال مشركو العربِ: هذا الرَّحيمُ نعرفه، فما الرَّحمنُ؟ فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ[3].

قال الضَّحَّاك: قال أهلُ الكتابِ لرسولِ اللهِ عليه السَّلام: إنكَ لتُقِلُّ ذكرَ الرَّحمنِ، وقد أكثرَ اللهُ في التَّوراةِ هذا الاسمَ، فأنزل اللهُ: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَ﴾[4]؛ أي: ادعوهُ اللهَ أو ادعوهُ الرَّحمنَ، فإنَّ له تسعاً وتسعين اسماً، فبأيِّها شئتُم فادعوهُ.

﴿أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ المعنى: أيُّ اللَّفظين دعوتُم اللهَ به أصبتُم.

و﴿مَّا﴾ زيادةٌ مؤكِّدةٌ عند جماعةٍ من النَّحويِّين[5]، زيدت عوضاً عمَّا مُنعَ من الإضافةِ، وذهبَ بعضهم إلى أنَّ ﴿مَّا﴾ أيضاً للشَّرطِ، فأُدخلَ شرطٌ على شرطٍ[6].

---

(١) لفظ الجلالة ليس في (و) ولا (ن).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٢٣)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٥٠٥) واللفظ له.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٧٣).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٥٠٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٩٥)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٦٠).

(٥) انظر: «الكتاب» (٢/ ٣٩٨)، و«المقتضب» (٢/ ٥٤٠)، و«حروف المعاني والصفات» (ص: ٢٠).

(٦) تقدم الكلام في مسألة دخول الشرط على الشرط، وانظر: «شرح الرضي على الكافية» (٤/ ٤٦٥)، ولابن هشام مبحث في «اعتراض الشرط على الشرط» فلينظر.

ومَن وقفَ على ﴿أَيًّا﴾ جعلَ معناه: أيَّ اللفظين دعوتُموه به جازَ، ثمَّ استأنفَ فقال: ﴿مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ لأنَّ كلَّ أسمائه مدحٌ وثناءٌ لائقٌ بذاته وأفعاله.

﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا﴾ في سببِ النُّزولِ:

ذكره البخاريُّ ومسلمٌ جميعاً عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: نزلَت بمكَّة والنَّبيُّ عليه السَّلام مختَفٍ بمكَّةَ، وكانوا إذا سمعوا القرآنَ سبُّوا القرآنَ ومَن أنزله ومَن جاءَ به، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ﴾ فيسمعَ المشركون فيسبُّوا القرآنَ ﴿وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا﴾ عن أصحابكَ فلا يسمعون ﴿وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا﴾[1].

عائشةُ رضي الله عنها: نزلت في التَّشهُّد، كان الأعرابيُّ يجهرُ فيقول: التَّحيَّاتُ للهِ، يرفعُ بها صوتَه، فنزلت الآيةُ[2].

وعن عائشةَ أيضاً: أنَّها نزلت في الدُّعاءِ: ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ﴾[3].

قيل: هي عينُ الصَّلاةِ، وقيل: القراءةُ في الصَّلاةِ، وقيل: القرآن، وقيل: التَّشهُّد، وقيل: الدُّعاء.

﴿وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا﴾ المخافتةُ: الإسرارُ، والخفوتُ: خفوضُ الصَّوتِ من جزعٍ.

﴿وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا﴾: بين الجهرِ والخفْتِ؛ كقوله: ﴿عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨].

ورُوي عن أبي بكرٍ رضي الله عنه: كان يُخافتُ ويقول: أناجي ربِّي وأتضرَّعُ

---

(١) رواه البخاري (٤٧٢٢)، ومسلم (٤٤٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٣٤)، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٨٣٩)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٣٤) مختصراً بلفظ: «نزلت هذه الآية في التشهد».

(٣) روه البخاري (٤٧٢٣)، ومسلم (٤٤٧).

إليه، وكان عمرُ رضي الله عنه يجهرُ ويقولُ: أطردُ الشَّيطانَ وأوقظُ الوسنانَ وأطيعُ الرَّحمنَ، فلمَّا نزلت هذه الآيةُ قال عليه السَّلام لأبي بكرٍ: «ارفع شيئًا[١]» وقال لعمرَ: «اخفضْ شيئاً»[٢].

وقيل: لا تجهرْ بصلاتكَ كلِّها ولا تُخافت بكلِّها، وابتغِ بين ذلك سبيلاً.

***

(١١١) ـ ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾.

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ كما قاله بعضُ اليهودِ في عُزيرٍ، والنَّصارى في عيسى، والمشركون في الملائكةِ.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾؛ أي: في الإلهيَّة كما زعمَ عابدُ الصَّنمِ.

وقيل: لم يكنْ له شريكٌ في خلقِ السَّماواتِ والأرضِ.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾؛ أي: لم يتخذْ وليًّا فيتعزَّزَ به سبحانه، والله وليُّ المؤمنين.

---

(١) في (و): «قليلاً».

(٢) رواه أبو داود (١٣٢٩)، والترمذي (٤٤٧) عن أبي قتادة، وقال الترمذي: «هذا حديث غريب، وإنما أسنده يحيى بن إسحاق، عن حماد بن سلمة، وأكثر الناس إنما رووا هذا الحديث عن ثابت، عن عبد الله بن رباح مرسلًا».

لكن قال النووي في «خلاصة الأحكام» (١/ ٣٩٢): «رواه أبو داود بإسناد صحيح».

وروى نحو هذه القصة مختصرة أبو داود (١٣٣٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه النووي أيضا في المصدر المذكور.

وقيل: معناه: لم يحالفْ أحداً[١].

وقيل: لم يكنْ له وليٌّ من اليهودِ والنَّصارى؛ لأنَّهم أذلُّ النَّاسِ، فيكون ﴿مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ صفةً لـ﴿وَلِيٌّ﴾[٢].

وسمعتُ من يُفسِّرها بالبنتِ والختنِ[٣].

﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ صِفْه بالعظمةِ والكبرياءِ؛ أي: احمدوا مَن هذه صفتُه.

ورُوي عن النَّبيِّ عليه السَّلام أنَّه قال: «خيرُ الأقوالِ: سبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إلهَ إلَّا اللهُ، واللهُ أكبرُ»[٤].

***

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٦)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٦)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٦)، وعدَّه من العجائب.

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٠٢٢٣)، وابن ماجه (٣٨١١)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٣٩) عن سمرة بن جندب رضي الله عنه بلفظ: «أفضل الكلام بعد القرآن ـ وهو من القرآن ـ أربع لا يضرك بأيهن بدأت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر».

وروى الإمام أحمد نحوه في «المسند» (٨٠١٢) عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما، ولفظه: «إن الله اصطفى من الكلام أربعاً: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر...».

سُورَةُ الكَهفِ

سُورَةُ الكَهْفِ

مئةٌ وعشرُ آية[1]. مكيَّةٌ عند الجميع.

ابنُ عباسٍ وقتادةُ: مكيَّةٌ إلا آيةً منها نزلتْ بالمدينة، وهي قولُه: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الكهف: ٢٨][2].

بسم الله الرّحمن الرّحيم

(١) ـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾؛ أي: المستحِقُّ للحمدِ هو سبحانه.

وقيل: تعليمٌ؛ أي: قولوا: الحمدُ لله، وقد سَبَق.

﴿الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾: محمَّدٍ عليه السَّلام ﴿الْكِتَابَ﴾: القرآنَ ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾: اختلافًا يناقِضُ بعضُه بعضًا.

ابن عباسٍ: ملتبِسًا[3].

---

(١) «مئة وعشر آية» من (ن). وقوله: «آية» كذا وقع في النسخة، والجادة: «آيات».
وانظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٧٩)، وفيه: مئة وخمس آيات في المدني والمكي، وست في الشَّامي، وعشر في الكوفي، وإحدى عشرة في البصري.

(٢) ذكره الجرجاني في «درج الدرر» (٢/ ٢٣٦)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٦٣)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره ابن الجوزي أيضاً عن قتادة.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٤٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٤٤)، والنحاس في =

ابن جريرٍ: ليس فيه ميلٌ عن الحقِّ إلى الباطل، وعن الاستقامةِ إلى الفساد، وعن البلاغة إلى العِيِّ[1].

وقيل: اللَّام زيادةٌ؛ أي: ولم يجعَلْه عوجًا. والعِوَجُ بالكسر: في الدِّين والطَّريق وفيما لم يكن منتصِبًا، وبالفتح: فيما هو منتصِبٌ كالجدار والقناة.

***

(٢) ـ ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾.

﴿قَيِّمًا﴾: مستقيمًا. أبو عبيدةَ[2]: مصلِحًا[3]. ابن عبَّاس: معتدِلًا[4].

وقيل: ﴿قَيِّمًا﴾: المعتمَدُ عليه والمرجوعُ إليه، كقيِّم الدَّار[5].

والجمهور: على أنَّـه في التَّقدير مقدَّمٌ؛ أي: أنزلَ الكتاب قيِّمًا ولم يجعلْ له عوجًا، هذا إذا جعلتَ قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ عطفًا على صلة الموصول، فأمَّا مَن جعَلَه حالًا ـ وهو الأظهرُ ـ فليس فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، بل هما حالان من ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ أحدُهما مفرَدٌ والآخرُ جملةٌ[6].

= «معاني القرآن» (٤/ ٢١٢).

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ١٤١).

(٢) في (ط): «عبيد».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٧).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٤٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٤٤)، والنحاس في «معاني القرآن» (٤/ ٢١٢)، جميعهم بلفظ: «أنزل الكتاب عدلًا قيمًا».

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٧)، واستغربه.

(٦) قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٧): «والجمهور على أن قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ عطف على الجملة قبلها، ولا محل لهما من الإعراب، و﴿قَيِّمًا﴾ موجز في اللفظ ومقدم في =

﴿لِّيُنذِرَ﴾؛ أي: أنـزلَ الكتـابَ لينـذِرَ العبـدُ ـ وهـو محمَّـد عليـه السَّـلامُ ـ الكافريـن ﴿بَأْسًا﴾: عذابًـا ﴿شَدِيدًا﴾ أي: عـذابَ الاسـتئصالِ فـي الدُّنيـا، وقيـل: عـذابَ جهنَّـم.

﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾: مِن عندِه، والمعنى: من قُدرته، وهو منزَّهٌ عن المكان.

﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ وهو الجنَّة.

***

(٣) ـ ﴿ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴾.

﴿ مَّٰكِثِينَ ﴾: دائمين ﴿فِيهِ﴾: في الأجر وهو الجنَّة ﴿أَبَدًا﴾: دائمًا.

***

(٤) ـ ﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾.

﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾ يعني: اليهودَ والنَّصارى والمشركين.

***

= التقدير، وهو حال من ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾، وفي هذا نظر؛ لأنه يؤدي إلى الإحالة بين الصلة والموصول وتمامها، وعنه مندوحة من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يجعل ﴿قَيِّمًا﴾ حالاً من الهاء في ﴿لَّهُۥ﴾؛ أي: ولم يجعل له حالةَ استقامته عوجًا.

والثاني: أن يجعل ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ﴾ في محل نصب حالًا عن الكتاب، و﴿قَيِّمًا﴾ حال عن الهاء كما سبق، أو حالًا بعد حال عن الكتاب.

والثالث: أن تجعل الجملة حالًا من ضمير الفاعل في ﴿أَنزَلَ﴾، أي: أنزله غير جاعل فيه عوجًا، و﴿قَيِّمًا﴾ حال من الهاء، أو من المفعول».

(٥) ـ ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾.

﴿مَّا لَهُم بِهِۦ﴾: بالقول ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾؛ أي: هذا قولٌ عن[١] جهلٍ.

وقيل: بالاتِّخاذ من علمٍ.

وقيل: بالله من علمٍ.

﴿وَلَا لِآبَآئِهِمْ﴾ الذين يقولون هذه المقالةَ ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾: عَظُمتْ[٢] مقالتُهم هذه في الكفرِ والجرأةِ على الله، و﴿كَلِمَةً﴾ نصبٌ على تقديرِ: كَبُرَت الكلمةُ كلمةً، كما تقولُ في أفعال المدح والذَّمِّ: نِعْمَ الرجلُ رجلًا زيدٌ، و: بئسَ الرجلُ رجلًا زيدٌ[٣].

الزَّجَّاج: كَبُرتْ مَقالَتُهم كلمةً[٤].

وقيل: نصبٌ على التَّمييز كالفعل المنقول نحو: تَفَقَّأتِ الدَّابَّةُ شَحْمًا[٥].

---

(١) في (و): «من».

(٢) في (ن): «تعظمت».

(٣) في (ن): «عمرو».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٦٨).

(٥) أي: تشقق شحمها سِمَناً. انظر: «معجم متن اللغة» مادة: (ف ق أ)، وذكر المصنف هذا القول في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٨)، وعدَّه من العجائب.

قوله: «الفعل المنقول»؛ أي: نُقل الفعل عن الثاني إلى الأول، وذلك أن قولك: تَفَقَّأتِ الدَّابَّةُ شَحْمًا، معناه: تفقأ شحم الدابة، ومثله: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤]، وإنما هو: اشتعل شيبُ الرأس، فنُقل الفعل عن الثاني إلى الأول ونُزع عن الثاني، فارتفع الأول بالفعل المنقول إليه، فصار فاعلاً في اللفظ، فمَنع الفعلَ أن يعمل في فاعله على الحقيقة فيرفعَه؛ لأنه لا يرتفع به أكثر من واحد وتوابعه، وانتصب المنقول عنه الفعل؛ لأن الفعل لا تصح إضافته إليه فينخفضَ به، ولا يرتفعُ به وقد ارتفعَ به =

أبو عبيدةَ: نصبٌ على التَّعجُّب؛ أي: أَكْبِرْ بها كلمةً؛ أي: مِن كلمةٍ[١].

﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾؛ أي: تكلَّموا بها.

﴿إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾: ما يقولون إلَّا الكذبَ بقولهم: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [البقرة: ١١٦].

* * *

(٦) - ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾.

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ﴾؛ أي: قاتلُها. والبَخْعُ: الذَّبحُ البليغ[٢].

وقيل: معناه: النَّهي؛ أي: لا تَبْخَعْ نفسَك.

﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾ إذا ولَّوا عن الإيمان.

وقيل: إذا ماتوا على الكفر، تقول العرب: بكى على أثر فلانٍ: إذا بكى على فراقه.

﴿إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾: القرآنِ ﴿أَسَفًا﴾: حزنًا، والفعلُ منه (أَسَفَ) بالفتح. وقيل: غَضَبًا، والفعلُ منه (أَسِفَ) بالكسر. و(أَسُفَ) بالضم: رقَّ قلبه، فهو أَسيفٌ.

والتَّقدير: فلعلَّك باخعٌ نفسَك أسفًا، وهو نصبٌ على التَّمييز، وقيل: مفعولٌ له.

* * *

= غيرُه، ولم يبق إلا النصب فنصب. انظر: «شرح كتاب سيبويه» لأبي سعيد السيرافي (٢/ ٧٧). وقد تقدم في تفسير قوله تعالى ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ وقوله: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾.

(١) ذكره عن أبي عبيدة أبو حيان في «البحر» (٧/ ١٣٨)، وأورده النحاس في «معاني القرآن» (٤/ ٢١٤) دون نسبة، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٨)، واستغربه.

(٢) قال الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٢٩٨): «البخع: أن يبلغ الذبح البخاع؛ بالباء، وهو عرق مستبطنها الفقار، وذلك أقصى حدِّ الذبح».

(٧) ـ ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾.

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا ﴾ ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هو النَّبات[١].

قتادةُ: كلُّ ما على الأرضِ من شيءٍ[٢].

الكلبيُّ: الرِّجالُ[٣].

وقيل: الأنبياءُ والعلماءُ.

وجاء أيضًا: حفظةُ القرآن، فيكونُ ﴿مَا﴾ بمعنى: (مَن)[٤].

مقاتلٌ: الأشجار والأنهار[٥].

---

(١) ذكره أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية عن الكلبي، فلعله مما روي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٦٥) عن مقاتل. والكلبي ومقاتل متروكان، وهذا القول مرغوب عنه؛ لقوله بعده: ﴿لنبلوكم﴾؛ فليس البلاء بالنبات وحده وإن كان مما زين الله به الأرض، فالأولى هنا أن يقال بالعموم لكل ما يصلح أن يكون زينة لها ولأهلها من زخارف الدنيا. انظر: «الكشاف» (٢/ ٧٠٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٥١) عن مجاهد، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٩) بلا نسبة، واستغربه. ولا وجه لاستغرابه، فإن العموم الوارد فيه هو الأنسب بأمر الابتلاء، والله أعلم.

وقد روي عن قتادة في الآية معنى هذا القول مرفوعاً حيث قال: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: «إن الدنيا خضرة حلوة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء».

رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٥١)، وجعله بمعنى قول مجاهد.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٨٥). ورواه ابن المنذر وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣٦١) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٤) على الأقوال الثلاثة الأخيرة.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٧٣) وفيه: «﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ من النبت عامًا بعامٍ».

ويحتمِل ـ والله أعلمُ ـ أنَّ المراد بـ﴿مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ هاهنا: المحرَّماتُ منها؛ لأنها خُلِقت زينةً لها؛ أي: فلا تتعرَّضوا لها، ويقوِّيهِ ما بعدَها، وهو قولُه: ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي: في تركِه وتعاطِيْهِ[1].

وقيل: معنى ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: لنأمرَهم بالطَّاعة وننهاهُم عن المعصية، والمعنى: نعامِلُ معاملةَ المبتلِي.

و﴿مَا﴾ و﴿زِينَةً﴾ مفعولَا ﴿جَعَلْنَا﴾.

وقيل: ﴿جَعَلْنَا﴾ بمعنى: خلَقْنا، و﴿زِينَةً﴾ مفعولٌ له[2].

***

(٨) ـ ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾.

﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ ﴿صَعِيدًا﴾: ترابًا، وقيل: كصعيدٍ، وهو وجهُ الأرض.

﴿جُرُزًا﴾: بلقعًا لا شيء فيه، مجاهدٌ: الذي لا نباتَ بها[3].

السُّدِّي: الصَّعيدُ: الأملسُ المستوي، والجُرُز: الميِّت الذي لا نباتَ فيه[4].

الزَّجَّاج: التي كأنَّها تأكلُ النباتَ أكلًا[5]. ولعلَّه جَعَله جمعَ جُرُوزٍ[6]، وهو الَّذي

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٩)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٤٩)، واستغربه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٥٣) بلفظ: «بلقعًا». وهكذا هو في «تفسير مجاهد» (ص: ٤٤٥)، وذكره النحاس في «معاني القرآن» (٥/ ٢١٢)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ١٤١) بنحو لفظ المصنف.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٦٣).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٦٩).

(٦) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٢٠٤)، و«أساس البلاغة» للزمخشري (١/ ١٣٣)، و«تاج =

يأتي على كلِّ شيءٍ أكلًا، وأصلُه: القَطْعُ، والمعنى: نعيدُها بعد عمارتها خرابًا.

***

(٩) ـ ﴿ أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾.

﴿ أَمۡ حَسِبۡتَ ﴾: بل أَحَسِبْتَ، تَرَكَ الكلامَ الأوَّلَ واستَفْهَمَ عن الثَّاني، والمراد: النَّهيُ؛ أي: لا تتعجَّبْ من ذلك فليس ذلك بالبَديع من صُنْعِنا.

مجاهدٌ: لم يَنْهَه عن التَّعجُّب وإنَّما أراد: كلُّ آياتنا كذلك[١].

قتادةُ: لا تَعْجَبْ منها؛ فالعجائبُ في خَلْقِ السَّماوات والأرضِ وما فيهنَّ أكثرُ[٢].

ابن عبَّاسٍ: أي: سألوك عن ذلك ليَجْعلوا جوابكَ علامةً لصِدْقِك، وكذلك سائرُ آياتِ القرآن أبلغُ وأعجبُ وأدلُّ على صِدْقِك[٣].

وقيل: معناه: أَعَلِمْتَ[٤]؛ أي: لم تَعْلَمْه حتى أَعْلَمْناك.

وسبب نزولها: أنَّ يهود المدينة قالوا لقريشٍ: سَلُوا محمَّدًا عن ثلاثِ خِصالٍ، فإنْ أخبركم عن خَصْلتينِ ولم يُخبِرْكم عن الثَّالثة فاعلموا أنَّه نبيٌّ فاتَّبعوه، فإنَّا قد سألنا مسيلمةَ الكذَّابَ عن هذه الخصالِ فلَمْ يَدْرِ ما هي، وقد زعمتُم أنَّه يتعلَّم من

= العروس» مادة: (ج ر ز) (١٥/ ٥١).

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٥٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٤٦) بألفاظ متقاربة، منها: «ليسوا عجبًا بأعجب آياتنا».

(٢) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٥٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٤٧) ولفظ الطبري: «قد كان من آياتنا ما هو أعجبُ من ذلك»، ولفظ ابن أبي حاتم: «ليسوا بأعجب آياتنا».

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٤٦) بلفظ: «الذي آتيتك من العلم والسنة والكتاب أفضل من شأن أصحاب الكهف والرقيم».

(٤) أي: بل أعلمت، ولكنه أسقط «بل» اعتماداً على ما تقدم.

مسيلمةَ، سَلُوه عن أصحابِ الكهف، وعن ذي القَرْنَينِ، وعن الرُّوح؛ فسألوه عنها فقال لهم: «ارجِعوا غدًا أخبركم» ولم يقل: إن شاء الله، فرجعوا ولم ينزل عليه إلى ثلاثة أيَّامٍ ـ وفي رواية الكلبيِّ: إلى خمسةَ عشر يومًا، وفي رواية الضّحاك: إلى أربعين يومًا ـ فقال المشركون: إن محمَّدًا قد ودَّعه ربُّه وقَلَاه، فأنزل الله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ٣]، ونزل: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾، ونزل: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾[1].

والكهف: الغار في الجبل.

مجاهدٌ: تَفريجٌ بين جبَلين[2].

المبرِّد: مدخلٌ في الجبل.

وفي الرَّقيم أقوالٌ:

ابن عبَّاسٍ: اسمٌ للجبل الذي فيه الكهف[3].

---

(١) ذكره هكذا السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٣٦)، والخبر رواه ابن إسحاق في «السير والمغازي» (ص: ٢٠١) عن رجل من أهل مكة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، فذكره مطولاً. ومن طريق ابن إسحاق رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٤٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٧٠). وما جاء عند السمرقندي من ذكر مسيلمة في الخبر وتابعه فيه المصنف هو سهو ظاهر، فقد كان ظهور مسيلمة في أواخر أيام النبي ﷺ، وهذه القصة كانت في بداية البعثة لما كانت قريش تبحث عن طريقة لرده، وقد جاء في رواية ابن إسحاق ومن رواه عنه: أنهم أرسلوا إلى اليهود في تلك المهمة اثنان هما النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط، وهذان كلاهما قتلا ببدر، فأين هذا من ظهور مسيلمة؟

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٣٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٥١) بلفظ: «كهفهم بين جبلين».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٥٩).

وعنه أيضًا: اسمُ القرية التي كانوا منها[١].

الضَّحَّاك: اسمُ الوادي[٢].

سعيد بن جُبَيرٍ: اسمُ كَلْبِهم[٣].

مجاهدٌ: الرَّقيم: الكتابُ الذي كُتب فيه شأنُهم وأيَّامُهم[٤].

وكان من رصاصٍ، وقيل: من حجرٍ، فعيلٌ بمعنى: مفعولٍ، كقوله: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ [المطففين: ٩].

وقيل: الرَّقيم: الدَّواة بالرُّوميَّة، حكاه الماوردي[٥].

وقيل: الرَّقيم: دراهمُهم، حكاه محمَّد بن الهَيْصَم[٦].

وجاء في الخبر: أنَّ الرَّقيم جماعةٌ؛ روى النُّعمان بن بشيرٍ الأنصاريُّ أنَّه سمع النبيَّ عليه السَّلامُ يَذْكُر الرَّقيمَ قال: «إنّ ثلاثةَ نفرٍ خرجوا يرتادون لأهليهم، فبينما[٧]

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٥٤)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٥٧) بلفظ: «يزعم كعب أن الرقيم القرية».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٥٨).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٨٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٠)، واستغربه.

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣٢٥)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٥٨) على الشك بلفظ: «يقول بعضهم: الرقيم: كتاب تبيانهم، ويقول بعضهم: هو الوادي الذي فيه كهفهم».

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٨٧) عن أبي صالح، وذكره في «زاد المسير» (٣/ ٦٦) عن عكرمة ومجاهد في رواية، وانظر: «المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب» للسيوطي (ص: ٩٣).

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٠)، واستغربه.

(٧) في (ن): «فبينا».

هم يمشون إذ أصابَتْهم السَّماء، فأَوَوا إلى كهفٍ فانحطَّت صخرةٌ من الجبل فانطَبَقَتْ على باب الكهف فأُوْصِد عليهم، فقال قائلٌ منهم: اذكُروا أيّكم عَمِلَ حَسَنةً لعلَّ اللهَ تعالى برحمتِه يَرْحَمُنا.

فقال رجلٌ منهم: إنِّي عملتُ حسنةً مرَّةً؛ كان لي أُجَرَاءُ يعملون عملًا لي استأجرتُ كلَّ رجلٍ منهم بأجرٍ معلومٍ، فجاءني رجلٌ ذاتَ يومٍ وَسَطَ النَّهار فاستأجرتُه بشرط أصحابه، فعَمِلَ في بقيَّة نهاره كما عَمِلَ رجلٌ منهم في نهاره كلِّه، فرأيتُ عليَّ في الذِّمام أنْ لا أَنْقُصَه ممَّا استأجرتُ به أصحابَه لِمَا جَهِد في عمله، فقال رجلٌ منهم: أتُعْطِي هذا مثلَ ما أعطيتَني ولم يَعملْ إلّا نصفَ النَّهار؟ قلتُ: يا عبدَ الله، لمْ أَبْخَسْك شيئًا من شَرْطِك، وإنَّما هو مالي أحكُمُ بما شئتُ، قال: فغضبَ وتَرَكَ أَجْرَه، فوضعتُ حقَّه في جانبٍ من البيت ما شاء الله، ثم مرَّت بي بعد ذلك بقرٌ فاشتريتُ به فصيلةً من البقر، فبلَغَتْ ما شاء الله، فمرَّ بي بعد حينٍ شيخٌ ضعيفٌ لا أعرفُه، فقال لي: إنَّ لي عندك حقًّا، فذكَره حتى عَرَفْتُه، قلتُ: إيَّاك أبغي، وهذا حقُّك، فعرَضْتُها عليه جميعًا، فقال: يا عبدَ الله لا تَسْخَرْ بي، إنْ لم تَصَدَّقْ عليَّ فأعطِني حقِّي، قلتُ: والله ما أسخرُ، إنَّها لَحقُّك ما لي فيه شيءٌ، فدفَعْتُها إليه جميعًا، اللَّهمَّ إنْ كنتُ فعلتُ ذلك لوجهِكَ فافْرُجْ عنَّا، فانْفرَجَ[1] الجبلُ حتى رأوا وأبصروا.

وقال الآخر: قد عمِلْتُ حسنةً مرَّةً؛ كان فيَّ فضلٌ وأصابتِ الناسَ شدَّةٌ، فجاءتني امرأةٌ وطلبت منِّي معروفًا فقلتُ: والله ما هو دونَ نفسِكِ، فأَبَتْ عَلَيَّ وذَهبتْ، ثم رجَعَتْ فذكَّرَتْني فأَبَيْتُ، وقلتُ: لا واللهِ ما هو دونَ نَفْسِكِ، فأَبَتْ عَلَيَّ وذهبتْ وذكَرَتْ لزوجِها، فقال لها: أعطِيْهِ نَفْسَكِ وأَغِيثِي عيالَكِ، فرجَعَتْ إليَّ ونَشَدَتْني باللهِ فأَبَيتُ عليها، وقلتُ لها: واللهِ ما هو دون نَفْسِكِ، فلمَّا رأت ذلك أَسْلَمَتْ إليَّ

---

(١) في (ن): «فانصدع».

نَفْسَها، فلمَّا تكشَّفْتُها وهمَمْتُ بها ارتَعَدَتْ مِن تحتي، فقلتُ لها: ما شأنُكِ؟ قالت: أخافُ اللهَ ربَّ العالَمين، فقلتُ لها: خِفْتِيه في الشِّدَّة ولم أَخفْه في الرَّخاء، فتركتُها وأعطيتُها ما يَحِقُّ عليَّ بكَشْفِها، اللَّهمَّ إن فعَلْتُ ذلك لوجهِكَ فافْرُجْ عنَّا، فانْصَدَع حتى عَرَفوا وتبيَّن لهم.

وقال الآخَرُ: قد عَمِلْتُ حسنةً مرَّةً؛ كان لي أبوانِ شيخانِ كبيرانِ، وكانت لي غَنَمٌ، وكنتُ أُطعِمُ أَبويَّ وأَسقِيهما ثمَّ أَرجِعُ إلى غَنَمي، قال: فأصابَني يومًا غيثٌ حَبَسني حتى أمسيتُ، فأَتَيتُ أهلي، فأخذتُ مِحْلَبي فحَلَبْتُ غنمي وتركتُها قائمةً، فمضَيْتُ إلى أبويَّ فوجدتُهما قد ناما، فشقَّ عليَّ أن أوقِظَهما وشقَّ عليَّ أنْ أترُكَ غَنَمي، فما بَرِحْتُ جالسًا ومِحْلَبي على يدِي حتى أيقظَهما الصُّبحُ فسقَيْتُهما، اللهمَّ إن فعلت ذلك لوجهك فافرج عنَّا» قال النُّعمان: لكأنِّي أسمعُ من رسولِ الله عليه السَّلام قال: «قال الجبل: طاق؛ ففرَّجَ الله عنهم فخرجوا»(١).

* * *

(١٠) ـ ﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ﴾.

﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ ﴾؛ أي: اذْكُرْ يا محمَّدُ إذ أَوَى. وقيل: العامل فيه ﴿عَجَبًا ﴾. ومعنى ﴿أَوَى ﴾: صار إليه وجعَله مأواه.

والفتيةُ: جمع فتًى، كغِلْمةٍ وصِبْيةٍ.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٨٤١٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٤٧)، والطبراني في «الدعاء» (١٩٠). وقصة الثلاثة الذين آواهم المبيت رواها البخاري (٢٢٧٢)، ومسلم (٢٧٤٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما وفي سياقها بعض اختلاف.

واختلف المفسِّرون في سبب مصيرهم:

قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كانت مدينةٌ بالرُّوم[١] ظهر عليها ملكٌ من ملوك الروم يقال له: دقيانوس، فغَلَب على مدينتِهم وأرضِهم، واسمُ مدينتهم: أَفْسُوسُ، فجعل يَدعُوْهم إلى عبادةِ الأوثان، فمَن كفَر بالله واتَّبع دينَه تَركه، ومَن لم يتَّبِعْ دينَه قتَله، فهدَى الله شابًّا من أهلِ تلك المدينةِ إلى دِين الإسلام، فجَعَل يدعو النَّاس سرًّا حتى هدَى اللهُ على يدِه خمسةَ أَغْلِمةٍ، ففَطِنَ لهم الملكُ فأخذهم ودفَعهم إلى آبائهم يحفَظونهم حتى يرسلَ إليهم مَن يَطلبُهم من آبائهم، فأرسَلَ إليهم فهربوا، وقال الآباء: خرجوا من عندنا أمسِ فما ندري أين هم؟ ومرُّوا بغلامٍ راعٍ ومعه كلبٌ له، فدعَوْه إلى أمرهم، فأعجَبَه ذلك فتابَعهم عليه، فمضى معهم واتَّبعه كلبُه ـ وقال كعب الأحبار: مرُّوا بكلبٍ فنبَح عليهم فطرَدوه فعاد ففعَلوا ذلك مرارًا، فقال لهم الكلب: ما تريدون منِّي؟ لا تخشوا جانبي، أنا أحبُّ أحبَّاءَ الله، فناموا حتى أحرُسَكم[٢] ـ ثم أتوا الكهفَ فدخلوا، ثم أرسَلُوا بعضَهم إلى السُّوق ـ قيل: هو الذي اسمُه تَمليخا ـ ليشتريَ لهم طعامًا من السُّوق، وركبَ الملكُ والنّاسُ معه في طلَبِهم وهم يَسألون عنهم، فسمع تَمليخا بذلك فعَجِلَ[٣] أنْ يشتريَ لهم كلَّ الذي أرادوا، واشترى بعضًا وأتاهم به وأخبرهم أنَّ الناسَ والملكَ في طلبهم، فأكلوا ما أتاهم به ولم يَشْبَعوا، ثم ناموا على جوعهم فضرب الله على آذانهم بالنَّوم، وسار الملكُ والنّاسُ معه حتى انتهَوْا إلى باب الكهف، فوجدوا آثارَهم داخلِين ولم يجدوا آثارَهم خارجِين، فدخلوا الكهف وطلبوهم، فأعمَى الله عليهم فلم يجدوا شيئًا،

---

(١) «بالروم»: ليس في (و).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٧)، والواحدي في «البسيط» (١٣/ ٥٥٨).

(٣) في (ن): «فجعل».

فقال الملك: سدُّوا عليهم بابَ الكهف حتى يموتوا فيه فيكونَ قبورَهم إن كانوا فيه، ثم انصرف الملك، فعَمَد رجلان مسلمان يكتمان إيمانهما إلى لوحٍ من رصاصٍ وكتبَا فيه أسماءَ الفِتْيَة وأسماءَ آبائِهم ومدينتِهم، وأنَّهم خرجوا فِرارًا من دقيانوسَ الملكِ الكافرِ، فمَن ظَفِر بهم فإنَّهم مسلمون، وأَلْزَقاه في السدِّ من داخل الكهف(١).

ورُوي عن السُّدِّيِّ أنَّه قال: كان في المدينة فتيةٌ ليس منهم أحدٌ يَعرف صاحبَه، فخرج ملكُهم مَخْرَجًا كان له وخرج الناسُ معه، وخرج الفتيةُ ومعهم واحدٌ معه كلبٌ، وليس منهم أحدٌ إلا وفي نَفْسه يقول: إنْ رأيتُ أحدًا استضعَفْتُه دعوتُه، فلمَّا رجع الناسُ تخلَّفتِ(٢) الفِتْيةُ، فاجتمعتْ على باب المدينة وقد أُغلق، فطلبوا أن يدخلوا فلم يُفتح لهم، فقال بعضُهم: إني أُسِرُّ إليكم أمرًا فإنْ تابَعْتُموني عليه رَشَدْنا، فقصَّ عليهم أمرَه فقالوا جميعًا: نحن على هذا، فذلك قوله: ﴿إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فصاروا إلى الكهف، فدخلوا الكهفَ فرَقدوا ورقدَ الكلبُ بفِنَاءِ الكهف، فضُرب على آذانهم بالنَّوم، فلمَّا فقَدَهم أهلُهم انطلقوا إلى الملك فأخبروه خبرَهم، فدعا بصخرةٍ فكتب عليها أنَّهم هلكوا في زمانِ كذا، ثم ضربَها في سور المدينة على الباب، قال: وهو الرَّقيم(٣).

وفي روايةِ عُبيدِ بنِ عُمَيرٍ: كان أصحابُ الكهف فتيانًا مطوَّقين مسوَّرين ذوِي ذَوائبَ، وكان معهم كلبُ صيدِهم، فخرجوا في عيدٍ لهم عظيمٍ في زيٍّ ومركبٍ وأَخرجوا معهم آلهتَهم التي كانوا(٤) يعبدونها من دون الله، وقد قذَفَ اللهُ تعالى في

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسير السمرقندي» (٢/ ٣٣٦، ٣٣٧)، والجرجاني في «درج الدرر» (٢/ ٢٣٨).

(٢) في (ن): «تخلف».

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٣٧).

(٤) «كانوا»: ليس في (ن).

قلوبِ الفتيةِ الإيمان، وكان أحدُهم وزيرَ الملك، فآمَنوا وأخفَى كلُّ واحدٍ منهم الإيمانَ من صاحبه، فقالوا في أنفسِهم مِن غيرِ أن يُظهِرَ بعضُهم لبعضٍ: نَخرجُ من بينِ أظهُرِ هؤلاء القوم لا يُصيبنا عقابٌ بجُرْمهم، فخرج شابٌّ منهم حتى انتهَى إلى ظلِّ شجرةٍ فجلس فيه، ثمَّ خرج آخرُ فرآه جالسًا وحده فرَجَا أن يكونَ على مِثْلِ أمْرِه من غيرِ أن يُظهِرَ ذلك فجلس إليه، ثمَّ خرج الآخَرون فجاؤوا فجلسوا إليهما واجتمَعوا، فقال بعضُهم لبعضٍ: ما جَمَعَكم؟ وقال الآخَرُ: بل ما جَمَعَكم؟ وكلُّ واحدٍ[١] يكتُم صاحبَه إيمانَه مخافةً على نفسه، ثمَّ قالوا: ليَخْرُجْ كلُّ فتَيَيْنِ منكم فيَخْلُوَا ثمَّ يُفشي كلُّ واحدٍ منهم أمرَه إلى صاحبه، فأقبَلوا مستبشِرين أنْ قد اتَّفَقْنا على أمرٍ واحدٍ، فإذا هم جميعًا على الإيمان، وإذا كهفٌ في الجبل قريبٌ منهم، فقال بعضُهم لبعضٍ: ائْوُوا إلى الكهف يَنْشُرْ لكم ربُّكم من رحمته ويهيِّئْ لكم من أمرِكم مِرْفَقًا، فدخلوا الكهفَ ومعهم كلبُ صيدهم، فناموا ثلاثَ مئةٍ سنين، قال: وفقدهم قومُهم فطلبوهم فعَمَّى الله عليهم آثارَهم وكهفهَم، فلمَّا لم يَقْدَموا كُتبت أسماؤهم وأنسابُهم في لوحٍ: فلانٌ وفلانٌ وفلانٌ أبناءُ ملوكِنا فقدناهم في شهرِ كذا في سنةِ كذا في مملكةِ فلانِ بنِ فلانٍ، ووضَعوا اللَّوحَ في خزانة الملك، وقالوا: ليكونَنَّ لهذا شأنٌ، ومات ذلك الملك[٢] وجاء قرنٌ بعد قرنٍ[٣].

وفي رواية وهبِ بن المنبِّه: جاء رجلٌ من حواريِّي عيسى ابنِ مريم عليه السّلام إلى مدينةِ أصحاب الكهف، فأراد أن يدخلها فقيل له: إنَّ على بابها صنمًا لا يدخلُها أحدٌ إلَّا سجد له، فكَرِه أن يدخلَها، فأتى حمَّامًا كان بالقرب من المدينة وكان يَعملُ

---

(١) «واحد»: ليس في (و).

(٢) في (و): «الرجل».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٧٣)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٣١).

فيه يؤاجِرُ نفسَه من صاحب الحمَّام، ورأى صاحبَ الحمَّام في حمَّامه البَرَكة ودرَّ عليه الرّزقُ، واجتمعَ عليه فتيةٌ من أهل المدينة، فجَعَل يُخْبِر مَن رآه خبرَ السَّماء والأرض، وخبرَ الآخرةِ، حتَّى آمنوا به[١] وصدَّقوه، وكانوا على مثلِ حالهِ في حُسنِ الهيئة، فكان على ذلك حتَّى جاء ابنُ الملك بامرأةٍ، فدخل بها الحمامَ فماتا في الحمَّام جميعًا، فجاء الملكُ، فقيل له: قَتَل صاحبُ الحمَّام ابنك، فالتَمَسه فلم يَقدرْ عليه، فقال: مَن كان يصحبُه؟ فسَمَّوا الفتيةَ، فالتُمِسوا فخرجوا من المدينة، فمرُّوا بصاحبهم في زرعٍ له وهو على مثلِ حالهم وأمرِهم، فذكروا بأنَّهم التُمِسوا، فانطلَق معهم ومعه كلبٌ حتَّى آواهم اللَّيل إلى الكهف فدخلوه، وقالوا: نبيت هاهنا اللَّيلة ثمّ نصبح إن شاء الله فترَوْنَ رأيكم، فضربَ الله تعالى على آذانهم، فخرج الملك في أصحابه يَتْبعونهم حتَّى بلغوا الكهف، فكلُّ مَن أراد الدّخولَ أُرعب، فلم يُطِقْ أحدٌ أن يدخله، فقال قائلٌ: أليس لو كنتَ قدرتَ عليهم قتَلْتَهم؟ قال: بلى، قال: فابنِ عليهم بابَ الكهف واتركهم فيه فيموتوا عطشًا وجوعًا، ففعل.

قال وهبٌ: فغَبَروا نائِمين[٢] بعدما سَدُّوا عليهم باب[٣] الكهف زمانًا بعد زمانٍ، ثمَّ إنَّ راعيًا أدركه المطرُ عند الكهف فقال: لو فتحتُ باب الكهفِ وأدخلْتُه غنمي من المطر، فلم يَزَلْ يعالجه حتَّى فُتح، وردَّ الله إليهم أرواحهم من الغد حين أصبحوا، فنظر واحدٌ منهم إلى الشَّمس عند زوال الشَّمس، وقيل: عند غروبها، فقال: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ قال واحدٌ منهم: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا﴾ وقال الآخر: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، فقال كبيرُهم: لا تختلِفوا، فإنَّه لم يختلِفْ قومٌ إلّا هلكوا، ثمّ قال: ﴿فَابْعَثُوٓا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ

---

(١) «به»: ليس في (و).

(٢) «نائمين»: ليس في (ط).

(٣) في (ط): «سدّ عليهم الباب».

هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا﴾ يعني: أَطهَرَ وأَحلَّ؛ لأَنَّهم كانوا يذبحون الخنازير، فدفعوا الدَّراهمَ إلى تمليخا، فلمَّا انتهَى إلى بابِ الكهف[١] إذا حجارةٌ مكسورةٌ على بابه، فقال: إنَّ هذا الشَّيء ما رأيناه بالأمس، فلمَّا خرج ودنا إلى باب المدينة لم يَعرفها، فلمَّا دخل المدينةَ لم يَعرف أحدًا من النّاس، فأَشْكَلَ عليه فقال: لعلَّ هذه غيرُ تلك المدينة، فسأل إنسانًا فقال: أَيَّةُ مدينةٍ هذه؟ فقال: أَفْسُوسُ، فقال: لقد أصابني شيءٌ غيَّرَ عَقْلي، هذه مدينتُنا ولا أعرفُها ولا أحدًا من أهلها، فأَخرج الدَّراهم إلى الخبَّاز ودفع إليه، وأخذَ الخبَّازُ الدَّراهمَ وأَنْكَرها، وقال: مِن أين لكَ هذه الدّراهمُ؟ لعلَّك وجدْتَ كنزًا لَتُخبِرَنِّي وإلَّا رَفَعْتُك[٢] إلى الملِك، وكان كلُّ ملكٍ يَحْدُثُ بعد آخَرَ يَضرب الدَّراهمَ على اسمِه، فمَن وُجِد معه غيرُ ذلك الضَّربِ عُلِم أنَّه كنزٌ، فلمَّا وجَدوا عنده تلك الدَّراهم قالوا: هذا كنزٌ، فقال: إنَّ هذه ما أخرجْتُه من المدينة إلَّا أمسِ، فظنَّ الخبَّازُ أنَّه يحتالُ عليه ليُرْسِلَه، فقال له: علِمْتُ أنَّك تحتالُ عليَّ لأُرْسِلكَ[٣]، واللهِ لا أُرسِلُك حتّى تُعطيَني من هذا الكنزِ أو لأَرفعنَّك[٤] إلى الملك.

فاجتمع النَّاس فذهبوا به إلى الملك، وجعَل تمليخا يبكي فَرَقًا من أن يُدْفَعَ إلى ملكهم الذي فرَّ منه، فلمَّا دخل على غيرِه سَكَن، فقال له الملِكُ: مِن أين لك هذه الدَّراهمُ؟ قال: خرَجْتُ بها عشيَّةَ أمسِ أنا وأصحابٌ لي فرارًا من الملك دقيانوس، فقال: أنت رجلٌ شابٌّ، وذلك قد مضى منذ دهرٍ طويلٍ، فما أنا الذي أُرسِلُك حتّى تُخْبِرَني من أين لك هذه؟ فقصَّ عليه أمْرَه وأمْرَ أصحابه، فقال أناسٌ من المسلمين:

---

(١) في (و): «السد».

(٢) في (ن): «دفعتك».

(٣) «لأرسلك»: ليس في «م».

(٤) في (ن): «لأدفعنك».

قد أَخبرَنا بعضُهم أنَّ آباءنا أَخبَرونا أنَّ فتيةً قد خرجوا بدِينهم فرارًا من دقيانوس، وإنَّا والله ما ندري لعلَّه صادقٌ، فاركَبْ فانظر لعلَّه أراد الله[1] أنْ يُظهِرَك عليه أو يكونَ في ولايتك، فركب الملكُ وركب معه النَّاسُ المسلمُ والكافر، حتَّى انتهَوْا إلى الكهف، فلمَّا رأى أصحابُه النَّاسَ قد انتهَوا إليهم عانَقَ بعضُهم بعضًا يبكون ولا يشكُّون أنَّه الملكُ الجبَّار الكافر، فقال لهم تمليخا: امكُثوا حتَّى أدخلَ أوَّلًا، فدخل عليهم وأخبرهم بالقصَّة[2].

قال ابن عبَّاسٍ في رواية أبي صالحٍ قال: دخل عليهم الملكُ والنَّاسُ يسألونهم عن أمرهم، وقصُّوا عليهم قصَّتَهم، فنظروا فإذا اللَّوحُ الذي كتبَه المسلمانِ فيه أسماؤهم وأسماءُ آبائهم، فقال الملك: قومٌ هلَكوا في زمانِ دقيانوس، فأحياهم الله في زماننا[3]، فلم يَبْقَ أحدٌ من الكفَّار إلّا أَسْلَم إذ رآهم، فبينما يحدِّثونهم إذ ماتوا[4].

وقال ابن عبَّاسٍ في رواية سعيد بن جبيرٍ: إنَّ القومَ لمَّا انتهَوْا إلى الكهف فقال لهم الفتى: مكانَكم حتى أَدخُلَ على أصحابي، ولا تهجُموا عليهم فيَفزعوا منكم، فدخل فعُمِّي عليهم المكان، فلم يدروا أين ذهب، ولم يقدروا على الدُّخول عليهم[5]، فقالوا: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ فاتَّخذوا عليهم مسجدًا وجعلوا يصلُّون فيه[6].

---

(١) في (و): «فانظر لعل الله».

(٢) روى نحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٥٦)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٧٤)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٣٩) وعنه نقل المصنف.

(٣) في (ن): «زماني».

(٤) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٣٩).

(٥) في (ن) زيادة: «ففزعوا».

(٦) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٣٩).

﴿فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾: أعطِنا من عندك وقِبَلك تعطُّفًا ﴿وَهَيِّئْ لَنَا﴾: سهِّل لنا، والتَّهيئةُ: إحداثُ هيئةِ الشَّيء وشَكْلِه.

﴿مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾: صلاحًا وفلاحًا.

***

(١١) - ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾.

﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ﴾: أنَمْناهم، من قولهم: ضربتُ على السَّطر: إذا أبطَلْتَه وجعَلْتَ عليه ما يَمنعُ من الإدراك(١).

وقيل: أَلْقَينا النَّومَ عليهم.

وقيل: منَعْناهم الإدراكَ بالآذان.

وقيل: ضَرَبَهم اللهُ بالنَّوم، كما يقالُ: ضَرَبه الله بالفالج.

وقيل: تقولُ العرب: ضَرَب اللهُ على أُذُن فلانٍ ليلتَه: إذا نام فيها فلم يَنتبِهْ في جميعِها.

ويحتمِلُ أنَّ المعنى: سَلَبْنا حَوَاسَّهم؛ لأنَّ النَّائم مسلوبُ الحواسِّ.

وخصَّ السَّمعَ بالذِّكر من بين الحواسِّ لأنَّ مَن سُلب سَمْعَه سُلب عقلَه، والنَّائم مسلوبُ العقلِ، بخلافِ سائرِ الحَوَاسِّ.

﴿سِنِينَ عَدَدًا﴾؛ أي: معدودًا، وقيل: ذاتَ عددٍ، والمعنى: سنينَ كثيرةً، وقيل: سنينَ معدودةً عند الله لا يعلمُها أحدُ الحِزْبَين.

الفرَّاء: سنينَ تَعُدُّونها ولا تُحقِّقُونها(٢).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٢) عن ابن عيسى.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٣٥)، وفيه: «العدد هاهنا في معنى معدودة... فالعدد هاهنا مع =

(١٢) ـ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا﴾.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ﴾: أَيْقَظْناهم ﴿لِنَعْلَمَ﴾ عِلْمَ مشاهَدةٍ ووجودٍ.

ابنُ جَريرٍ: ليَعْلَمَ عبادُنا[1].

﴿أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾ الحزبُ: الجماعةُ، والحزبان عند السُّدِّيِّ: اليهودُ والنَّصارى[2].

وقيل: هما من أصحابِ الكهف؛ فحزبٌ قال: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾، وحزبٌ قال: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾.

قتادةُ: المؤمنون والكافرون[3].

وقيل: أصحابُ الكهف في قولِهم: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، واليهودُ في قولهم: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ﴾.

ابنُ بحرٍ: أحدُ الحزبين: اللهُ، والثَّاني: الخَلْقُ، كقوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠][4].

﴿أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا﴾: ﴿أَحْصَىٰ﴾: (أفعَلُ مِن) عند الجمهورِ، من الإحصاء، وهو: العَدُّ.

أبو عليٍّ الفارسيّ: (قد أحصَى) على المضيِّ؛ أي: أحاط علمًا بأمدِ لبثِهم.

= السنين بمنزلة قوله تبارك وتعالى في يوسف: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ [يوسف: ٢٠] لأن الدراهم ليست بمسماة بعدد».

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ١٧٦).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٢)، وأبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٧٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٥٠).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٢)، وعدَّه من الغريب العجيب.

والصَّوابُ ما ذهب إليه أبو عليٍّ؛ لأنَّ التَّفضيلَ من بناء (أَفْعَلَ) شاذٌّ، حكَى سيبويه: «ما أَعْطاه» و: «ما أَوْلاهُ» فحَسْبُ[١].

﴿لِمَا لَبِثُوٓاْ﴾؛ أي: لمدَّة لُبْثِهم ﴿أَمَدًا﴾: غايةً، مقاتلٌ: أجلًا[٢]، مجاهدٌ: عددًا[٣].

---

(١) انظر: «الكتاب» (٤/ ٩٩) (باب يستغنى فيه عن: ما أفعله)، ولم يذكر هذين الاستثناءين، لكنه استخدم كلمة (أولى) في كلامه كثيراً، وأجاز التعجب من (أعطى) تصريحاً. انظر: «الكتاب» (١/ ١٧ و٧٣). وقد ذكر هذين الاستثنائين. غيره ممن جاء بعده. انظر: «المقتضب للمبرد» (٤/ ١٧٨) و«الأصول في النحو» لابن السراج (١/ ٩٩ و١٠٣)، و«شرح كتاب سيبويه» لأبي سعيد السيرافي (٤/ ٤٧٤)، و«المفصل» (ص: ٣٦٧). وأما قول المؤلف: «فحسب» فهو يوهم الحصر بالمذكورَين، وليس كذلك، فقد قال أبو حيان في «التذييل والتكميل» (١٠/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠): «وقد جاءت ألفاظ من «أَفْعَلَ» تُعُجِّبَ منها والهمزةُ لنقل ولغير نقل، فمن الأول قولهم: ما آتاه للمعروف! وما أعطاه للدراهم! وما أولاه بالمعروف! وما أَضْيَعَه لكذا! ومن الثاني قولهم: ما أَنْتَنَه! في لغة مَن قال أَنْتَنَ، وما أَخْطَأَه! وما أَصْوَبَه! وما أَيْسَرَه! وما أَعْدَمَه! وما أَسَنَّه! وما أَوْحَشَ الدارَ! وما أَمْتَعَه! وما أَسْرَفَه! وما أَفْرَطَ جهلَه! وما أَظْلَمَه! وما أَضْوَأَه...».

وقال: «إذا كان الفعل على وزن «أَفْعَلَ» ففي حكم التعجب منه ثلاثة مذاهب:

أحدها: أنه لا يجوز أن يُبنى منه أَفْعَلَ ولا أَفْعِلْ على الإطلاق، وهو مذهب أبي الحسن والمازنيّ والمبرد وابن السَّرّاج والفارسيّ.

والثاني: أنه يجوز، وهو مذهب الأخفش فيما قيل، ونُسب إلى سيبويه، وصححه ابن هشام الخضراوي.

والثالث: التفصيل بين أن تكون الهمزة للنقل فلا يجوز، وبين ألاَّ تكون للنقل فيجوز، ونُسب إلى س، وصحَ!حه ابن عصفور».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٧٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٧٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٥٠).

و﴿أَمَدًا﴾ نصبٌ على التَّمييز لوقوعه بعد (أَفْعَل)، وقيل: نصبٌ بوقوعِ ﴿لَبِثُوٓاْ﴾ عليه[1]، وعلى قولِ أبي عليٍّ: مفعولُ ﴿أَحْصَىٰ﴾[2].

***

(١٣) ـ ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾.

﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ﴾: بالصِّدق، وقيل: باليقين.

﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾: شبَّانٌ ﴿ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾: ثبَّتْناهم على ذلك.

***

(١٤) ـ ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًاۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾.

﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: قوَّيْنا قلوبَهم على إتمام ما نَوَوْا، وقيل: أَلْهَمْناهم الصَّبرَ ﴿إِذْ قَامُواْ﴾ بين يدي دقيانوس الملكِ.

وقيل: قاموا بالدَّعوة إلى الإيمان سرًّا.

وقيل: قاموا على أرجلهم.

وقيل: قاموا من رقدتهم.

وقيل: قاموا على إيمانهم ولم يرتدُّوا.

﴿فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: خالقُهما ﴿لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًاۖ لَّقَدْ قُلْنَآ

---

(١) ذكر هذين الوجهين النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٢٩٠)، واختار الأول.

(٢) رجح مكي في «مشكل إعراب القرآن» (١/ ٤٣٨) ما رجّحه المصنف، وذكر حجة المصنف ذاتها.

إِذًا شَطَطًا ﴾: كذبًا وخطأً وجورًا وقولًا غاليًا، وهذه أقوالٌ، وأصله من شطَّتِ الدَّارُ(١) أي: بَعُدَتْ، وأَشَطَّ؛ أي: جاوزَ الحدَّ(٢).

* * *

(١٥) ـ ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٍ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾.

﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ﴾؛ أي: في النَّسب ﴿ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوۡلَا يَأۡتُونَ ﴾؛ أي: هلَّا يأتُون ـ تحريضٌ ـ ﴿عَلَيۡهِم﴾: على عبادتهم ﴿بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٍ﴾: بحُجَّةٍ ظاهرةٍ، وقيل: بعُذرٍ، وقيل: بكتابٍ.

قتادةُ: كلُّ سلطانٍ في القرآن فمعناه الحجَّةُ(٣).

﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ في إشراكه مع الله آلهةً.

* * *

---

(١) «الدار»: من (ط).

(٢) في (ط): «القدر».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٥٨)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٦٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ثم قال: «وروي عن عكرمة ومحمد بن كعب وسعيد بن جبير والسدي والضحاك والنضر بن عدي نحو ذلك»، وذكره السمرقندي في «بحر العلوم» (٢/ ٣١٠) عن مجاهد.
أما قتادة فقد روى عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣٢٧)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٨١) قوله: «﴿بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٍ﴾: بعذر بيِّن». وفي «تفسير يحيى بن سلام» (١/ ١٧٤): «وتفسير قتادة فيه في القرآن كله: عذر بيِّن».

(١٦) - ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا﴾.

﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ﴾؛ أي: بَعُدْتُم عن القوم، وأصلُ هذا التَّركيبِ البُعْدُ.

﴿وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾؛ أي: الأصنامَ(١)، والاستثناءُ منقطِعٌ، ويجوزُ أن يكونَ القومُ كانوا يعبدون اللهَ ويعبدون الأصنامَ، ويكونَ الاستثناءُ متَّصلًا.

ويحتمِلُ ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾: دونَ الله، ويقوِّيه مصحفُ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: (وما يعبدون مِن دون الله)(٢).

﴿فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ﴾: صِيْروا إليه ﴿يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم﴾: يَبْسُطْ ويوسِّعْ عليكم ﴿مِّن رَّحۡمَتِهِۦ﴾: رزقِه، وقيل: من توفيقِه ﴿وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا﴾: يُسهِّلْ لكم ما تريدون من أمر الدِّين، وقيل: معاشَكم.

والمرفقُ: الرِّفقُ والفَلَاح، وقيل: ما تَرتفِقون به(٣).

***

---

(١) قوله: «أي: الأصنام» تفسير لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡبُدُونَ﴾؛ أي: اعتزلتموهم واعتزلتم الأصنامَ التي يعبدونها.

(٢) رواها الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٨٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٥١) عن قتادة عن ابن مسعود، وقال: «هذا تفسيرها»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٣)، واستغربه.

(٣) يقال: مِرفَق، وهو ما يُرتفق به، ومَرفِق ومَرفَق، وهما مصدران بمعنى الرفق.

انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٢٩٠)، و«إسفار الفصيح» للهروي (٢/ ٦٨٢)، و«التبيان» للعكبري (٢/ ٨٤٠).

وقد قرأ نافع وابن عامر بفتح الميم وكسر الفاء، والباقون بكسر الميم وفتح الفاء. انظر: «السبعة» (ص: ١٤٢) و«التيسير» (ص: ١٤٢).

(١٧) - ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾.

﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ﴾؛ أي: لو رأيتهم بهذه الصِّفة ﴿إِذَا طَلَعَت﴾ عليهم ﴿تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ﴾: تميلُ عنه ولا يَقعُ شعاعُها عليهم؛ لأنَّ الكهف في مقابَلةِ بناتِ النَّعْش ﴿ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾؛ أي: ذاتَ يمينِ القوم، ويجوزُ: يمينِ الكهف ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ﴾: تتركُهم وتَعْدِلُ عنهم ﴿ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾.

ابنُ عبَّاسٍ: تمرُّ بهم(١).

الفرَّاءُ: هو المحاذاة(٢).

قُطْرُبٌ: ﴿تَّقْرِضُهُمْ﴾: تأتي عليهم يمينًا وشمالًا.

ابنُ عيسى: تعطيهِم اليسيرَ من شُعاعها، ثم تأخذُه بانصرافها، مِن: قَرْضِ الدَّراهمِ(٣).

﴿وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ﴾: متَّسَعٍ وفضاءٍ ﴿مِّنْهُ﴾: من الكهف، ينالُهم نسيمُ الرِّيح وبردُ الهواء.

سعيد بن جبيرٍ: ﴿فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾: داخلٍ منه(٤). وقيل: المكانُ الموحِش.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٨٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٥١) بلفظ: «تذرهم».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٣٧).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٩٠) بلا نسبة.

(٤) ذكره بهذا اللفظ الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٩١)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٨٩) بلفظ: «المكان الداخل».

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: المذكورُ ﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: آياتِ قدرتِه على ما يريدُ.

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾: مَن يوفِّقْه فهو الذي اهتَدَى وأصاب، ﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾: يخذُلْه ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾؛ أي: ومَن أضلَّه فلا هاديَ له.

***

(١٨) - ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا﴾: جمعُ يَقُظٍ؛ بالضَّمِّ والكسر.

﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾؛ أي: لو رأيتَهم مشاهَدةً لظنَنْتَ ذلك؛ لأنَّ عيونهم كانت مفتوحةً كأنَّهم أحياءٌ ينظرون.

﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ يريد: في رقدتهم؛ كَيْ لَا تأكلَ الأرضُ ما يَلِيْها من أبدانهم على طولِ المدَّة.

و﴿ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾ صفةُ البقعةِ؛ أي: من البقعةِ التي تلي أيمانهم إلى البقعةِ التي تلي شمالَهم، وهي نصبٌ على ظرف المكان.

وعن قتادةَ: أنَّ التَّقليب كان في الرَّقدة الأولى[1].

وعن ابن عبَّاسٍ: أنَّ لهم في كلِّ عامٍ تقليبتين[2].

﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ الإجماعُ على أنَّه الكلبُ المعروفُ، وكان لهم؛ لقوله سبحانه: ﴿وَكَلْبُهُم﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٩١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٥٢).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٥٢)، وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣٧٣) بلفظ: «ستة أشهر على ذي الجنب، وستة أشهر على ذي الجنب».

وقيل: كان لواحدٍ منهم، وهو الرَّاعي الذي تَبِعهم ومعه كلبُه، وإضافتُه إلى الجماعة إضافةُ اجتماعٍ.

وقيل: لم يكن كلبًا، وإنَّما كان طبَّاخًا لهم تَبِعَهم. وقيل: كان راعيًا.

وهذان القولان خلاف الإجماع(١).

واختُلف في اسم الكلب ولونِه؛ فقيل: كان أصفرَ، وقيل: كان أحمرَ، كأنَّه كساءٌ أَنْبَجانيٌّ(٢)، وقيل: أَنْمرَ(٣)، وهو الأكثرُ في التَّفاسير، وقيل: كالخَلَنْج(٤).

الثَّعلبيُّ: قيل: لون الحجر، وقيل: لون السَّماء(٥).

عليٌّ رضي الله عنه: اسمه: زبّان(٦)، ابن عبّاسٍ: قطمير، وقيل: قطفير، الأوزاعيُّ: تَنُوهُ، وقيل: حُمْرانُ، ابن كثيرٍ: قُطْمور(٧)،.........................

---

(١) ذكر المصنف القولين في «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٤)، وعدَّهما من الغريب العجيب جدًّا.

(٢) كِساء أَنْبَجَانِيٌّ: هو كساءٌ يُتَّخذُ مِن الصُّوف وله خَمْل ولا عَلَم له، وهي من أَدْون الثِّياب الغليظة. منسوبٌ إلى مَنْبِج المدينة المعروفة، وهي مكسورةُ الباء، ففُتِحَتْ في النَّسَبِ وأبدلت الميم همزةً، وقيل: إنها منسوبةٌ إلى موضعٍ اسمُه: أَنبِجَان، وهو أشبه؛ لأن الأولَ فيه تعسُّف. انظر: «النهاية» لابن الأثير مادة: (ن ب ج) (١/ ٧٣).

(٣) الأنمر من الخيل والنعم: ما كان على شِيَة النمر فيه بقعةٌ بيضاءُ وأخرى على أي لون كان. انظر: «التاج» مادة: (ن م ر) (١٤/ ٢٩٩).

(٤) الخلنج: شجر يُتخذ من خشبه الأواني. انظر: «المحكم» (٥/ ٣٢٤).

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٧/ ٦٦).

(٦) في (و): «زبَّار». وفي «تفسير الثعلبي» تحقيق ابن عاشور: «ريان».

(٧) رواه الثعلبي عن عبد الله بن كثير بلفظ: «قطمير»، وذلك محققه أنه في نسخة: قطمون، وفي طبعة ابن عاشور (٦/ ١٦٠): «قطمور»، كما نقل المصنف.

السُّدِّيُّ: نَوْرٌ، ابن سلامٍ: بسيطٌ، كعبٌ: أصهب(١)، وهبٌ: تقي(٢).

ولولا أنَّ المفسِّرين ذكروا ذلك لكان الإضرابُ عنه أولى(٣).

﴿بِٱلْوَصِيدِ﴾ ابن عبَّاسٍ: فِناءُ الكهف(٤).

ابن جُبيرٍ: الوصيدُ: الصَّعيد(٥). وهو التُّراب.

السُّدِّيُّ: الوصيدُ: الباب(٦).

عطاءٌ: الوصيدُ: عَتَبةُ الباب(٧)، تقول العرب: آصَدْتُ البابَ وأَوْصَدْتُه: إذا أَطْبَقْتَه.

وقيل: الوصيدُ: الحَظيرة(٨).

﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾: لو أشرفْتَ عليهم فنظَرْتَ إليهم ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾: لأَعرَضْتَ عنهم وهرَبْتَ منهم، ﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾: وامتلأْتَ منهم خوفًا؛ لأنَّ

---

(١) في (و): «صهب».

(٢) نقل المصنف عامة هذه الأقوال من الثعلبي، وفي ضبطها شيء من الاختلاف. انظر: «تفسير الثعلبي» (١٧/ ٦٦ ـ ٦٨).

(٣) تعكس هذه العبارة ما سبق التنبيه عليه من منهج المصنف؛ فهو ناقد للأقوال مميِّز في كثير من الأحيان لغثِّها من سمينها، لكنه ملتزم بذكر أقوال المفسرين ولو كانت غير مرضية عنده. وقد قال ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ١٤٤): «وقد اختلفوا في كونه على أقوال لا حاصل لها، ولا طائل تحتها، ولا دليل عليها، ولا حاجة إليها، بل هي مما ينهى عنه، فإن مستندها رجم بالغيب».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٩٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٥٣).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٩٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٥٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٤) واستغربه.

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٧٠)، والواحدي في «البسيط» (١٣/ ٥٦١).

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٧١)، والواحدي في «البسيط» (١٣/ ٥٦١).

(٨) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٤)، واستغربه.

أظفارهم وشعورَهم طالت، وأنَّ الله ألبَسهم من الهيبة ما لا يصلُ إليه واصلٌ، ولا تَلْمَسُهم يدُ لامِسٍ، وهم في مكانٍ موحِشٍ مظلِمٍ خالٍ.

ويحتمِلُ أنّ الخطاب للنَّبيِّ عليه السَّلامُ والمرادُ به غيرُه، وكذلك ما قبله من قوله: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ﴾، وقوله: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا﴾.

وقوله: ﴿بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ إنَّما نُوِّنَ ـ واسمُ الفاعل إذا كان بمعنى الماضي لا يُنوَّنُ[1] ـ لأنَّه حكايةٌ عن الحالِ التي كان الكلبُ عليها؛ لأنَّ المعنى: يَبْسطُ الكلبُ ذراعيهِ على عادة الكلب، فأبقاه الله كذلك إلى أن بُعِث[2] القوم.

***

(١٩) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ﴾ الزَّجّاج: بَعَثْناهم آيةً كما أَنَمْناهم آيةً[3].

ابن جريرٍ: كما أَنَمْناهم مدَّةً طويلةً بقُدْرتنا كذلك بعثناهم مِن مرقدهم بقدرتنا[4].

وقيل: شبَّه حالَهم بعد البعث بحالهم قبل النَّوم.

---

(١) انظر: «الكتاب» (١/ ١٦٤ و١٧١)، وقد خالف في هذا الكسائي فأجاز تنوين اسم الفاعل وإن كان بمعنى المضي، وردَّ عليه أبو علي الفارسي بمثل ردِّ المصنف، ونسب قول الكسائي للكوفيين. انظر: «الإيضاح العضدي» (ص: ١٤٢)، و«شرح المقدمة المحسبة» لابن بابشاذ (٢/ ٣٩١)، و«المرتجل» لابن الخشاب (ص: ٢٣٩).

(٢) في (و): «يبعث».

(٣) لم أجده في «معاني القرآن» للزجاج، ونسبه إليه أيضاً أبو حيان في «البحر» (٧/ ١٥٥)، واستحسنه الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٧١١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٥) دون نسبة.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ١٩٥).

﴿لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيۡنَهُمۡ﴾: ليَسألَ بعضُهم بعضًا. اللَّامُ لامُ العاقبة عند بعضِهم؛ أي: بعثناهم لِيَتَساءلوا[١].

وقيل: تقديرُه: لِيَتَساءلوا فليَعْرفوا ما جرى عليهم، ويعلَموا قدرةَ الله، وليَعْلَمَ سائرُ النَّاس أيضًا حالَهم.

﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ﴾: مكَثْتُم، واللَّبثُ: البقاءُ أكثرَ من ساعةٍ، وتقديرُه: كم مدَّةً لَبِثْتُم؟ وإنَّما شكُّوا لأنَّهم كانوا في موضعٍ مُظلِمٍ ولم يَدْروا أفي يومِهم أم في غَدِهم؟

﴿قَالُوا۟ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ﴾ وليس هذا منهم كذبًا؛ لأنَّهم عَنَوا في ظنِّهم، والسُّؤال وقع عن الظَّنِّ؛ لأنَّ النَّائم لا يُحصي مدَّةَ نومه، ثم أحالوا على الله معرفةَ ذلك ﴿قَالُوا۟ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ﴾: (ما) للمصدر، أي: مدَّةَ لبثِكم.

﴿فَٱبۡعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ﴾: بدِرْهَمكم، والوَرِقُ: الفضَّة والدِّرهم؛ أي: أَنْفِذوا الدَّراهم مع واحدٍ غيرِ معروفٍ في المدينة ﴿فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ﴾: أيُّ بائعِي أهل المدينة ﴿أَزۡكَىٰ طَعَامٗا﴾: أحلُّ طعامًا.

عكرمة: ﴿أَزۡكَىٰ﴾: أكثرُ[٢]. والزَّكاء: النَّماء.

ابن عبَّاسٍ: أطهرُ[٣].

وقيل: أرخصُ، وقيل: أطيبُ.

الزَّجَّاج: ما لم يؤخَذْ غصبًا، ولا هو من جهةٍ لا تحلُّ[٤].

---

(١) في (و) و(ن): «فليتساءلوا»، والمثبت من (ط).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٦٣)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢١٢).

(٣) رواه ابن أبي شيبة وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣٧٤).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٧٦).

﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾: بطعامٍ ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ قيل: في اختيارِ الأزكى؛ لأنَّهم كانوا يذبحون الخنزير. وقيل: فلْيترفَّق في شرائه وفي دخول المدينة. وقيل: يُخفي نفسَه وما يشتريه لئلَّا يُعلمَ به ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾؛ أي: لا يَفْعَلْ ما يكون سببًا لمعرفة القوم بأحوالكم.

* * *

(٢٠) ـ ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾.

﴿إِنَّهُمْ﴾: أهلَ القرية، ويجوزُ أن يعود إلى (أحد) لأنَّه للعموم[1]؛ كقوله: ﴿مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧].

﴿إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾: يَعْلُوكم ويَظْفَروا بكم، مِن ظَهره: إذا عَلَاه وغَلَبه.

وقيل: يطَّلعوا عليكم ويَعْلَموا بمكانكم.

﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾: يقتلوكم، وقيل: يسبُّوكم، وقيل: يَرْموكم بالحجارة، والرَّجمُ: أسوأُ القتل.

﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾: يكلِّفوكم العودةَ إلى الكفر ﴿وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ بعد العَوْدِ إلى الكفر، ﴿أَبَدًا﴾: دائمًا.

* * *

(١) والعمومُ يُعاملُ معاملةَ الجمع، وإن كان لفظ (أحد) مفرداً.

(٢١) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: كما أيقظناهم، وقيل: كما أعلَمْناك من قصَّتهم أعثرناكَ عليهم.

ومعنى ﴿أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾: أَظهَرْنا أمرَهم، تقول: عَثَر على الشَّيء عُثورًا: إذا عَلِمه، ويقال: عَثَر، كما قيل: وَقَع على الشَّيء وسَقَط عليه: إذا عَلِمه.

وقيل: لأنَّ مَن عَثَر بشيءٍ وهو غافلٌ نَظَر إليه ليَعْلَمَ ما هو، ثم استُعير مكانَ التَّبيُّن.

﴿لِيَعْلَمُوٓاْ﴾؛ أي: النَّاسُ ﴿أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالثَّوابِ والعقاب ﴿حَقٌّ﴾: كائنٌ ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾: القيامةَ ﴿لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾: لا شكَّ فيها؛ أي: يَستدلُّون بأمرهم على صحَّةِ أمرِ البعثِ.

﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ﴾: حينَ يتنازَعُ أهلُ ذلك الزَّمانِ أمرَ أصحابِ الكهف.

﴿بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾؛ أي: بين[1] أهل الزَّمان.

والجمهور على أنَّ التَّنازُعَ بعدَ اليقظة، وهو أنْ قال بعضُهم: قد ماتوا في الكهف، وبعضُهم قال: بل هم نيامٌ كما ناموا أوَّلَ مرَّةٍ.

وقيل: التَّنازُعُ: هو أنَّهم لمّا أُظهِروا عليهم قال بعضُهم: ﴿ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا﴾ يُعْرَفون به، وقال آخرون: اتَّخِذوا عليهم مسجدًا.

وقيل: اختلفوا؛ فقالت النَّصارى: نبني كنيسةً، وقال المسلمون: نبني مسجدًا.

---

(١) في (و): «أمرهم من» بدل «أي بين»، وفي (ن): «أحدهم بين»، والمثبت من (ط).

وقيل: كان التَّنازُعُ قبل أنْ يستيقظوا، فتَنازعَ المسلمون في بناءِ مسجدٍ؛ ليصلُّوا فيه إذا انتبَهوا.

﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾؛ أي: على دِينِهم دِينِ أصحاب الكهف ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ يُصلَّى فيه.

***

(٢٢) - ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾.

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾؛ أي: هم ثلاثةُ رجالٍ وكلبٌ، ومعنى ﴿رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾: يَرْبعُهم بانضمامهم إليه، وكذلك خامسُ الأربعةِ وسادسُ الخمسة إلى عاشر التِّسعة، وأمَّا ﴿ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣] ورابعُ أربعةٍ و﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ [التوبة: ٤٠] فالمعنى: واحدُ الثَّلاثة، وواحدُ الأربعة، وواحدُ الاثنين.

﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾؛ أي: تخرُّصًا وظنًّا.

وقيل: قذفًا بالغيب؛ أي: ظنًّا يظنُّونه.

وقيل: ﴿رَجْمًۢا﴾: ظنًّا بلغة هُذَيلٍ(١).

﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، ورُوي عن ابن جريجٍ ومحمَّد بن إسحاق: أنَّهم كانوا ثمانيةً سوى الكلبِ، وأوَّلوا قولَه: ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾؛ أي: صاحبُ كلبهم(٢).

---

(١) انظر: «اللغات في القرآن» لابن حسنون (ص: ٣٥).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٩٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٦)، وعدَّه من العجائب.

وفيه بُعدٌ كالطَّبَّاخ والرَّاعي.

واختلف المفسِّرون في القائلين:

فقال بعضهم: قالت اليهود: ﴿ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، وقالت النَّصارى: ﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾.

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: لمّا قدِم السَّيِّدُ والعاقِبُ حَبْرا أهلِ نجرانَ مع قومهم سألهم النّبيُّ عليه السَّلامُ عن عدد أصحابِ الكهف، فقال العاقبُ: ﴿ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، وقال السَّيِّد: ﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾[1]، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾؛ أي: قل يا محمَّد: هم كذلك، فيكون الفعلُ مسندًا إلى الله بلفظِ الجمع، أو إلى مَن ارتضَى الله قولهم، وهم المؤمنون.

ويقوِّي هذا القولَ تقدُّمُ قوله: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾؛ لأنَّه ذُكر عَقيب الثَّلاثةِ والخمسة، ولو كانت السَّبعةُ مثلَهما لذَكَرها عَقيب الكلّ، وكثيرٌ من المفسِّرين على ما ذهب إليه ابنُ عبَّاسٍ من أنَّ الكلام تمَّ على قوله: ﴿سَبْعَةٌ﴾، وأنَّ الواوَ للاستئناف.

واختلف في هذا الواو، فللنُّحاة فيه قولان:

أحدهما: أنَّ الجملة إذا عُطفت على جملةٍ وفي الثَّانية ما يعودُ إلى الجملة الأولى، فأنتَ في إلحاقِ الواوِ وحذفِه مخيَّرٌ.

والقول الثّاني: أنَّ رابعَهم وخامسَهم حكايةٌ، وثامنُهم استئنافٌ من الله، وهو ما ذكرتُه آنفًا[2].

---

(١) ذكره الجرجاني في «درج الدرر» (٢/ ٢٤٤) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأورده أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية عن الكلبي، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٤٣)، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٨٤) بلا نسبة.

(٢) ذكر هذا القول والذي قبله الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ٢٧٧)، والنحاس في «إعرابه» (٢/ ٢٩٢)، وانظر: «أمالي ابن الحاجب» (١/ ٢٤٨).

ابن عيسى: الأوَّل والثَّاني صفةٌ، والثَّالثُ عطفٌ وليس بصفةٍ[١].

وقال بعض المفسِّرين: الواوُ واوُ الثَّمانية[٢]؛ لأنَّ العرب تقول: واحدٌ اثنان ثلاثةٌ أربعةٌ خمسةٌ ستَّةٌ سبعةٌ وثمانيةٌ، لأنَّ العقد كان عندهم سبعةً كما هو اليومَ عندنا عشرةٌ، ولهذا كثُر ذكرُ السَّبع في القرآن والأخبار، ومثلُه قولُه تعالى: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلۡعَـٰبِدُونَ﴾ [التوبة: ١١٢]، وقد[٣] ذكَرْتُ هناك بأشْرَحَ من هذا، ومثلُه: ﴿وَأَبۡكَارٗا﴾ [التحريم: ٥]، وسيأتي ذكرُها إن شاء اللهُ تعالى، وكذلك قولُه: ﴿وَفُتِحَتۡ﴾ في (الزمر) [٧٣].

﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ استدلَّ بعضُهم بهذا على أنَّ قوله: ﴿وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ...﴾ رجماً بالغيب كالأوَّلَين، فأجاب بعضُهم بأنَّ التَّقدير: قل: ربِّي أعلم بعدَّتهم وقد أخبركم بها بقوله: ﴿وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ﴾.

﴿مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞ﴾ قيل: هو النَّبيُّ عليه السَّلام، وقيل: هم أهل الكتاب، قال ابن عبَّاسٍ: أنا من ذلك القليل[٤]، وعدَّ أسماءهم فقال: مكسلمينا وتمليخا، وهو صاحب الوَرِق، ومرطوس، وبنينوس، وسارينوس، وذونوانس، وكعيسيطيوس[٥]. والرِّوايات مختلفةٌ في أسمائهم.

---

(١) ذكره المصنف في «البرهان» (ص: ١٦٨) بلا نسبة.

(٢) قال المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٧): «وهذا لقب لا نعرفه»، وقد تقدم كلام المصنف عليه في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلۡعَـٰبِدُونَ﴾ [التوبة: ١١٢].

(٣) في (و): «فقد».

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٦٥)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢١٩ ـ ٢٢٠).

(٥) رواه الطبراني في «الأوسط» (٦١١٣)، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٨٩ ـ ٩٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٥٣): «فيه يحيى بن أبي روق، وهو ضعيف». وهذه الأسماء وقع في رسمها في المصادر اختلاف، وقال القرطبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٦٠): وأما أسماء أهل الكهف فأعجمية، والسند في معرفتها واه.

﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ﴾: لا تجادِلْ، والمراءُ: محاولةُ إخراجِ ما في قلبِ المناظِرِ[١] من الخطأ بطريقِ الحِجَاج.

﴿إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾، الزَّجَّاج: أي: لا تأتِ في أمرهم بغيرِ ما أُوحيَ إليك[٢]؛ أي: أَفْتِ في قصَّتهم بالظَّاهر الذي أُنزل إليك، ولا تتعرَّفْ أَزْيَدَ من ذلك من اليهود والنَّصارى، المراءُ الظَّاهرُ بالقرآن.

مجاهدٌ: إلَّا ما أَظْهَرْنا لك من أَمْرنا[٣].

ابن عبَّاسٍ: حَسْبُك ما قَصَصْتُ عليك[٤].

ابنُ بحرٍ: ﴿مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾: يشهدُه النَّاس.

المبرِّد: إلَّا قولًا بيِّنًا.

ابن زيدٍ: هو أنْ يقولَ: ليس الأمرُ كما تقول[٥].

﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾: لا تطلُبِ الفتوى في أصحابِ الكهف أحدًا من اليهود، وقيل: من المسلمين.

* * *

---

(١) في (و): «المناظرين».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٧٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٢١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٥٤).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٢١).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٢٢) ولفظه بتمامه: «يقول لهم: ليس كما تقولون، ليس تعلمون عدتهم، إن قالوا كذا وكذا فقل: ليس كذلك؛ فإنهم لا يعلمون عدّتهم»، وقرأ: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ حتى بلغ ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾.

(٢٣ ـ ٢٤) ـ ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ سبق ذكرُ نزوله[١]، ومعنى الآيةِ: تأديبٌ من الله لنبيِّه إذا أَخبَرَ بأمرٍ يفعلُه في المستقبل أن يقولَ: إنْ شاء اللهُ؛ لأنَّه لا يدري أَيَتِمُّ ذلك أم يَعُوقُ دونَ وقوعِه عائقٌ، فيَدخُلَ ميعادَه خُلْفٌ.

وروَى أبو هريرة عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنَّه قال: «لا يَتِمُّ إيمانُ العبدِ حتَّى يستثنيَ في كلِّ كلامه»[٢].

وتقديرُه: إلَّا بمشيئةِ الله؛ لأنَّ ﴿أَن﴾ مع الفعلِ في تأويلِ المصدرِ وحَذْفِ الجارِّ، ومعنى بمشيئةِ الله: أن يقولَ معه: إنْ شاءَ الله.

الفرَّاء: معنى ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾: إلَّا الخيرَ؛ فإنَّ الخيرَ بمشيئة الله[٣]. فلا يكونُ على قوله مِن بابِ الاستثناء.

---

(١) في أول السورة، وذلك أن النبي ﷺ حين سئل عن أصحاب الكهف وذي القرنين والروح، فقال: أخبركم غداً، ولم يستثن. وانظر: «السير والمغازي» لابن إسحاق (ص: ٢٠١)، و«تفسير الطبري» (١٥/ ١٤٣).

(٢) رواه العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٢٥٥)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٧٥٦)، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٩٥)، وقال العقيلي: «معارك بن عباد العيشي، عن عبد الله بن سعيد المقبري، ولا يصح حديثه»، وقال الذهبي: «معارك بن عباد عن ابن سعيد المقبري؛ قال البخاري: منكر الحديث. وقال الدارقطني وغيره: ضعيف. قلت: وشيخه عبد الله واه»، ثم ذكر هذا الحديث وقال: «هذا الحديث الباطل قد يحتج به المرقة الذين لو قيل لأحدهم: أنت مسيلمة الكذاب، لقال: إن شاء الله». انظر: «ميزان الاعتدال» (٤/ ١٣٣ ـ ١٣٤).

(٣) ذكره هكذا المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٧)، واستغربه. والذي في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٣٨): «﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ إلا أن تقول: إن شاء الله، ويكون مع القول».

وجمهورُ المفسِّرين على أنَّ هذا عامٌّ في جميع الأمور، وذهب بعضهم إلى أنَّ هذا كان في قصَّة أصحاب الكهف فحَسْبُ.

﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ ذهب ابن عبَّاسٍ والحسن إلى أنَّ المعنى: إذا نَسِيْتَ الاستثناءَ ثم ذكَرْتَ فاستَثْنِ. ومذهبُه أن يصحَّ الاستثناءُ إلى سنةٍ(١).

الحسن: يصحُّ الاستثناء في مجلسِ يمينه، ولا يصحُّ إذا فارَقه(٢).

وقيل: يصحُّ ما لم يأخُذْ في كلامٍ غيرِ يمينه، فإنْ أَخَذ في كلامٍ غيرِ اليمين لا يَصحُّ الاستثناء.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٢٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١٠٦٩)، والحاكم في «المستدرك» (٧٨٣٣) وصححه، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٧)، وعدَّه من العجائب.

وقال القرطبي في بيانه: «هذا في تداركه التبرُّك بالاستثناء للتَّخلُّص عن الإثم، وأما الاستثناء المغيِّر حكمًا فلا يصحُّ إلَّا متَّصلًا». انظر: «تفسير القرطبي» (١٣/ ٢٥١). وقال المبرد كما في «البسيط» (١٣/ ٥٨٦): «إن ابن عباس أعلم من أن يسقط حكم الحنث بالاستثناء الذي لا يصله الحالف بيمينه، ولعله قال هذا في الاستثناء من غير يمين كما قال المفسرون، قال: إذا نسي أن يقول: إن شاء الله، ثم ذكر فليقله. فظن بعض الناس أنه يقول ذلك في اليمين، فروى عنه ذلك في اليمين».

قلت: وقد روي عن ابن عباس أن هذا خاص بالنبي ﷺ، رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١١٤٣)، و«الأوسط» (٦٨٧٢)، و«الصغير» (٨٧٦)، بلفظ: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ قال: «إذا نَسيتَ الاستثناءَ فاستَثنِ إذا ذَكَرْتَ، وهي لرسول الله ﷺ خاصةً، وليس لأحدٍ منَّا أنْ يَستثنيَ إلَّا بصِلَة اليمين». قال في «مجمع الزوائد» (٧/ ٥٣): «رواه الطَّبَرانيُّ في الثلاثة، وفيه عبدُ العزيز بنُ حُصَيْنٍ وهو ضعيفٌ».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٢٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٦٦)، بلفظ: «إذا ذكر أنه لم يقل: إن شاء الله، فليقل: إن شاء الله»، وانظر، «الإشراف» لابن المنذر (٧/ ١٢١).

والفقهاء على أنَّه لا يصحُّ إلَّا متَّصلًا[1].

عكرمةُ: معنى ﴿إِذَا نَسِيتَ﴾: غَضِبْتَ[2]، وفي التَّوراة: «ابنَ آدمَ، اذكُرْني حينَ تَغْضَبُ أَذْكُرْكَ حينَ أَغْضَبُ». حكاه الثَّعلبيّ[3].

قيل: واذكرْ ربَّك إذا نسيتَ شيئًا، وسَلْه أنْ يذكِّرك ذلك، فإنْ ذكَّرك وإلَّا فقُلْ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا﴾؛ أي: عسى أن يدلَّني على ما هو أرشدُ مِن هذا الذي نسيتُه وما هو أصلحُ لي منه.

الزَّجَّاج: قل: عسى أن يعطيَني ربِّي من الآيات والدَّلالات على نبوَّتي ما يكونُ أقربَ من الرُّشد وأدلَّ من قصَّة أصحاب الكهف[4].

الحسن: ﴿مِنۡ هَٰذَا﴾: من عبادة الأوثان[5].

---

(١) وهذا قول مالك والشافعي وأصحاب الرأي والثوري، وهو رواية عن أحمد، وروي عن أحمد أنه يجوز الاستثناء ما لم يطل الفصل. انظر: «المغني» لابن قدامة (٩/ ٥٢٢).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٤٦٥) بلفظ: «إذا عصيت، وقال بعضهم: إذا غضبت».

قلت: واللفظ الأول مشكل، ورواه باللفظ الثاني الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٥٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٣٣٤)، والبيهقي في «الشعب» (٨٢٩٦)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ٨٢)، وهكذا ذكره الجصاص في «أحكام القرآن» (٣/ ٢٧٩)، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٩٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٩٩)، وفي «أدب الدنيا والدين» (ص: ٣١٨)، والواحدي في «البسيط» (١٣/ ٥٨٦)، وغيرهم، وهو الصواب إن شاء الله. وهذا القول ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٧)، واستغربه.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٩٨) عن وهب، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٧)، واستغربه.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٧٨).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٧)، واستغربه.

(٢٥) ـ ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾.

﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾؛ أي: تسعَ سنين؛ لأنَّ الأوَّل يدلُّ عليه، وأمَّا قوله: ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤] فتذكيرُه يمنعُه من أن يكونَ من الجنسِ الأوَّل.

وفيه قولان:

قتادةُ: إنَّ هذا من كلامِ أهلِ الكتاب[١]؛ في أنَّهم اختلفوا في مدَّة لبثِهم كما اختلفوا في عِدَّتهم؛ فقال بعضهم: ثلاثَ مئةٍ، وقال بعضهم: ثلاثُ مئةٍ وتسعُ سنين.

والثّاني، وهو قولُ الجمهور: أنَّ هذا إخبارٌ من الله سبحانه، أَخبر أنَّهم لبثوا في كهفهم ثلاثَ مئةٍ سنينَ وازدادوا على ثلاثِ مئةٍ تسعَ سنين.

وقال بعضُهم: إنَّما هو ثلاثُ مئةٍ سنين بالشَّمسيَّة، وازدادوا تسعًا بالقمريَّة؛ لأنَّه في كلِّ سنةٍ تتفاوَتُ أحدَ عَشَرَ يومًا، فيكونُ مجموعُ ذلك تسعَ سنين وأشهرًا، فأَضْرَبَ عن ذكر الأشهُر لأنَّ الكلامَ يجري في ذكر السِّنين.

وقوله: ﴿ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ﴾ قرئ بالإضافة وبالتَّنوين[٢]، فمَن أضاف فعلى القياس المتروك؛ لأنَّ المئة تَجري في العَشَرات مَجرى عشرةٍ في الآحاد، فكما أُضيف العشرةُ إلى الجمع وَجَب إضافةُ المئة إلى الجمع، لكنَّهم أفردوا المعدودَ قياسًا على ما قبله من التِّسعين والثمانين[٣].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٢٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٥٦).

(٢) قرأ حمزة والكسائي مضافًا غير منون، والباقون منونًا. انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٩)، و«التيسير» (ص: ١٤٣).

(٣) في (و): «التسعين والمئة»، والمثبت من (ن) وهو الصواب، وفي «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٧): «السبعين والثمانين».

وقيل: إنَّما جاز ذلك لأنَّ (السِّنين) قد ينوَّن[١]، كما قال الشَّاعر:

مَتى تَنْجُ حَبْوًا مِنْ سنينٍ مُلِحَّةٍ نُشمِّرْ لأُخرى تُنزِلُ الأعصمَ الفَرْدا[٢]

فخرج عن أن يكون جمعَ سلامةٍ، ودخل في حيِّز الآحاد.

وقيل: لأنَّه يُشبِهُ النَّفرَ والقَبيل، فجاز الإضافةُ إليها، كما تقولُ: مئةُ نفرٍ، ومئة قبيلٍ.

وقيل: أُجري ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ﴾ مُجرى (ثلاثٍ)، فأُضيفَ إلى الجمع.

ومَن نوَّن جعلَه بدلًا من ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ﴾، وقيل: فيه تقديمٌ؛ أي: لبثوا في كهفهم سنين ثلاثَ مئةٍ، ويحتمِل أنَّه لمّا نوَّن نصبَه، فتكون القراءتان واحدةً.

***

(٢٦) - ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾.

﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾ مَن ذهب إلى أنَّ الأوَّل من كلامِ أهلِ الكتاب استدلَّ بهذا على أنَّهم لم يعلموا فإنَّ علمَها عند الله، ومَن ذهب إلى أنَّه إخبارٌ من الله قال: تقديره: قل لمَن جاءك وزعَم أنَّها أكثرُ أو أقلُّ: الله أعلم بما لبثوا وقد أَخبرَ بذلك.

وقيل: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾: إنَّما هو للُبْثهم بعد موتهم إلى زمانِ محمَّدٍ عليه السّلام.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٨)، واستغربه.

(٢) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٩٢) وقال: «أنشدني بعض بني عامر». وعن الفراء نقله ابن الأنباري في «إيضاح الوقف والابتداء» (١/ ٣١٠)، وأبو حيان في «التذييل والتكميل» (١/ ٣٣٠)، وذكره أيضاً الصقلي في «تثقيف اللسان» (ص: ١٩٣). وعند الفراء: «ننج...نشمر» وعند غيره: «تنج...تثمر». الأعصم: الوعِل الَّذي في يديه بياض، ولعله أراد: الوعِل المعتصم بالجبل.

ابن جَريرٍ: قالت اليهود: إنَّهم منذ دخلوا الكهفَ إلى يومنا ثلاثَ مئةِ سنةٍ، فقال الله: بل لَبِثوا في كهفهم إلى يومِ موتهم ثلاثَ مئةِ سنةٍ وتسعَ سنين، واللهُ أعلم بما لبثوا بعد موتهم إلى يومِنا[1].

﴿لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ فهو أعلمُ منكم.

﴿أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡ﴾؛ أي: ما أبصرَه وأسمعَه! اللَّفظُ لفظُ الأمر والمعنى معنَى التَّعجُّبِ، والمجرورُ محلُّه رفعٌ؛ لأنَّه الفاعل[2].

السُّدِّيُّ: ﴿أَبۡصِرۡ﴾ بالله ﴿وَأَسۡمِعۡ﴾ بما لبثوا[3]. والوجهُ الأوَّلُ.

﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ﴾ لكفَّار قريشٍ، وقيل: لجميع الخَلْق، والقصَّةُ تمَّتْ عند قولِه: ﴿لَبِثُواْ﴾، ويحتمِلُ أنَّ الضَّميرَ في ﴿مَا لَهُم﴾ يعودُ إلى أصحابِ الكهف.

﴿وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا﴾ قيل: لا يشركُ فيما يُخبرُ به من الغيب أحدًا.

وقيل: لا يجعلُ لأحدٍ أن يغيِّر حكمَه في عباده.

وقرئ بالجزمِ على النَّهي[4]؛ أي: لا تُشرِكْ أيُّها الإنسانُ في حُكمِه أحدًا.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٢٣١).

(٢) هذا مذهب المبرد والفارس وابن جني، وذهب الزجاج والزمخشري إلى أنه فعل أمر صريح، والباء وما عملت فيه في موضع نصب مفعول به، انظر: «المقتضب» للمبرد (٤/ ١٨٣)، و«العسكريات» لأبي علي (ص: ٧٣)، و«الخصائص» لابن جني (٢/ ٣٠٣)، و«توجيه اللمع» لابن الخباز (ص: ٣٨٤).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٨)، واستغربه.

(٤) قرأ ابن عامر: ﴿ولا تشركْ﴾ بتاء المخاطبة والجزم على النهي، والباقون بالياء والرفع على الخبر. انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٣).

(٢٧) - ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾.

﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾؛ أي: اقرأ، وقيل: اتَّبعِ القرآنَ، وقيل: قصَّةَ أصحاب الكهف.

﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ﴾: لا مغيِّرَ لقوله في وعدٍ ووعيدٍ.

وقيل: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ﴾: لا كذبَ في ميعاده.

وقيل: لا خُلْفَ لقوله.

﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾: مَعْدِلًا يُمالُ ويُعدَلُ عن غيره إليه.

الزَّجَّاج: مَعْدِلًا عن أمرِه ونهيِه، ولا ملجأً إلَّا إليه[١].

***

(٢٨) - ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾.

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ في سببِ النُّزول: عن سلمانَ الفارسيِّ رضي الله عنه قال: جاءتِ المؤلَّفةُ قلوبُهم إلى رسول الله ﷺ؛ عُيَيْنةُ بنُ حصينٍ والأقرعُ بن حابِسٍ وذووهم، فقالوا: يا رسول الله، إنَّك لو جلسْتَ في صدر المجلس ونحَّيْتَ عنَّا هؤلاء وأرواحَ جِبَابِهم - يعنونني وأبا ذرٍّ وفقراء المسلمين، وكانت عليهم جِبَابُ صوفٍ[٢] لم يكن عليهم غيرُها - جلَسْنا إليك وحادَثْناك وأخَذْنا عنك،

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٨٠).

(٢) في (و): «الصوف».

فأنزلَ الله هذه الآيات، فقام رسول الله ﷺ يلتَمِسُهم، حتَّى إذا أصابهم في بعضِ المسجد يَذكرون الله، فقال: «الحمدُ لله إذ[١] لم يُمِتْني حتَّى أمرَني أنْ أَصْبِرَ نَفْسي مع رجالٍ من أمَّتي، معكم المَحيا ومعكم المَمات»[٢].

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾؛ أي: احْبِسْها ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ يعني: فقراءَ المهاجرين والأنصار ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾: طَرَفي النَّهار، يصلُّون ثمَّ يشتغِلون بالتَّسبيح والتَّحميد والدُّعاء، وقد سبق في (الأنعام).

أبو عبيدٍ: أُمر أنْ يَصبرَ على أنْ يُقْرِئَهم القرآنَ، وأمَّا غيرُ ذلك فحدِّث القومَ ما حَدَجوك بأبصارهم[٣]؛ أي: رَمَقوكَ.

﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾: رضا اللهِ وطاعتَه.

ابن بحر: يريدون الوجه الذي يؤدِّيهم إلى رضا الله.

ابن عيسى: يريدون تعظيمه[٤]، كما تقول: هذا وجهُ الأمر ووجهُ الرَّأي؛ أي: هذا الرَّأي الحقُّ المعظَّم.

﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾: لا تَصْرِفْ بَصرَك إلى غيرهم من ذوي الهيئات والزِّينة،

---

(١) في (و): «الذي».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٤٠ـ ٢٤١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٤٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٩٧).

(٣) أما أن المراد بالصبر الذي أمر به النبي ﷺ هو الصبر على إقراء القرآن، فقد رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٦٨) عن أبي جعفر، وذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٦/ ٤٣٦٥) بلا نسبة. وقوله: «حدِّث القومَ ما حَدَجوك بأبصارهم» نص قول لابن مسعود ذكره أبو عبيد في «غريب الحديث» (١١٦/٥).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٠١) بلا نسبة.

تقول: عدا كذا: إذا[١] جاوَزَه، وعدا عنه: إذا انصرفَ عنه، وهو لازمٌ ومتعدٍّ[٢].

والنَّهي للعَيْنِ والمراد: صاحبُها.

ويحتمِل أنَّ قوله: ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ للْعَينِ، ووحِّد كقوله:

بِهـــا العَيْنـــانِ تَنهَـــلُّ[٣]

والوجه: أن يكون حالًا للمخاطَب؛ أي: مُريدًا مجالسةَ الأغنياء.

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ عـن ابـن عبَّـاسٍ رضـي الله عنهمـا: أنَّها نزلت فـي أميَّـةَ بنِ خلفٍ الجمحيِّ، دعا النَّبيَّ عليه السَّـلامُ إلـى طرد الفقـراءِ عنه وتقريبِ صناديـدِ قريشٍ، فنزلـت: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾: خَذَلْنـاه[٤] لتركه الطَّاعة.

المفضَّل: أخليناه عن الذِّكر، وهو القرآن[٥].

---

(١) في (و): «أي».

(٢) وقد ذهب ابن الشجري في «أماليه» (١/ ٢٢٣) إلى أنه لازم، ولكنه عُدِّي بـ(عن) حملًا على معنى: انصرف. وانظر «تاج العروس» مادة: (ع د و) (٣٩/ ٧).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١٢/ ٤٧٠)، واستغربه. وهذا عجز بيت من الهزج، نسب لامرئ القيس، وصدره:

لِمَـــنْ زُحْلوقَـــةٌ زُلُّ

انظر: «ملحق ديوان امرئ القيس» تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (ص: ٤٧٣)، و«جمهرة اللغة» (١/ ٥٩)، و«أمـالـي القالي» (١/ ٤٢)، و«المحتسب» (٢/ ١٨٠)، و«الإبانة فـي اللغة العربية» (٢/ ١٤٤)، و«أمالي ابن الشجري» (١/ ١٨٣). قال القالي: الزحلوقة: آثار تزلج الصبيان من فوق إلى أسفل. وقال ابن جني: ولم يقل: تنهلان؛ لكونهما كالعضو الواحد. والبيت في وصف قبر، كما ذكر السيوطي في «المزهر» (١/ ٤٣١).

(٤) في (ن): «خذلنا».

(٥) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ١٦٧).

ابن جريرٍ: شغَلْنا قلبَه بالكفر وغَلَبةِ الشَّقاء[١].

وقيل: ﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ﴾: وجَدْناه غافلًا؛ أي: ساهيًا.

وقيل: نَسَبْناه إلى الغفلة.

ابن عيسى: لم نَسِمْه بما نَسِمُ به قلوبَ المؤمنين ممّا يُبيِّنُ[٢] فلاحَهم، كما قال: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، من قولهم: بعيرٌ غُفْلٌ: لم يكن عليه سِمَةٌ، وكتابٌ غُفْلٌ: لم يكن عليه إعجامٌ[٣].

﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾: أضاع نفسَه باتِّباع هواه، ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾: تجاوُزًا للحقِّ وخروجًا عنه.

ابن بحرٍ: الفُرُط: العاجل السَّريع، كما قال: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١].

قطربٌ: خطأً وتفريطًا[٤].

وقيل: ندَمًا، وقيل: سَرَفًا، وقيل: ضياعًا؛ لأنَّه ترك الإيمانَ والاستدلال.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٢٤١).

(٢) في (ن): «بما نبين»، وهي كذلك في (و)، لكنها بلا نقط، والمثبت من (ط).

(٣) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ١٦٧)، وقد ذهب إلى أن هذا القول من الروياني تابع من اعتزاله، أما أهل السنة فيرون أن الله خالق الضلال فيه والغفلة.

(٤) ذكر السمرقندي في «بحر العلوم» (٢/ ٣٤٤) عن الزجاج أن الفرط التفريط، وذكره ابن الجوزي بلا نسبة في «تذكرة الأريب» (ص: ٢١٣).

(٢٩) ـ ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾.

﴿ وَقُلِ ﴾: يا محمَّدُ ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾؛ أي: الإسلام والقرآن، وقيل: ﴿ٱلْحَقُّ ﴾: هو الذي يكون من جهة الله، وقيل: يعودُ إلى تقريب الفقراء.

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا ﴾: هيَّأنا، والعتيدُ: الحاضر.

﴿لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ ﴾: أحرقَتِ النَّارُ من كلِّ الجوانب.

﴿سُرَادِقُهَا ﴾ ابن عبَّاسٍ: هو حائطٌ من نارٍ محيطٌ بهم[1].

ابن عيسى: هو المحيطُ بما فيه ممَّا يُنقَلُ معه.

ابن بحرٍ: السُّرادقُ والحائطُ سواءٌ، غير أنَّ السُّرادِقَ يكونُ لأهل الوَبَرِ والمَدَر[2]، والحائطَ لأهل المدَرِ خاصَّةً.

وقيل: هو الدُّخانُ أو[3] اللَّهبُ يحيط بهم قبل[4] وصولِ النَّار إليهم.

وقيل: هو البحر المحيط بالدَّنيا، حكاه أقضَى القُضاة[5].

والفعلُ منه: سَرْدَقهُ، فهو مُسَرْدَقٌ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٤٦).

(٢) ذكر نحوه الجرجاني في «درج الدرر» (٣/ ١١٤٦) بلا نسبة.

(٣) في (و) و(ن): «إذ»، والتصويب من (ط).

(٤) في (ن): «قيل».

(٥) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٣/ ٣٠٣).

﴿وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ﴾؛ أي: من العطش ﴿يُغَاثُواْ﴾ يُجعَل مكانَ الإغاثة ﴿بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ﴾ ابن عبَّاسٍ: كدُرْدِيِّ الزَّيت، أسودُ غليظٌ، إذا أُدْنيَ من المستغيثِ سقطت فروةُ رأسه فيه منه(١).

وقيل: هو الصَّديد.

أبو عبيدةَ: ما أُذيب من الفِلِزِّ، وهو جواهِرُ الأرض من الذَّهب والفضَّة والنُّحاس وغيرِها(٢).

قطربٌ: المُهْلُ: ما يَتحاتُّ من خُبز المَلَّةِ إذا أخرجت من المَلَّة(٣).

﴿بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ﴾؛ أي(٤): المهلُ، ﴿وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا﴾: وبئستِ النَّارُ متَّكأً، تقول العرب: ارتَفَقَ: توكَّأَ على مِرْفَقه.

---

(١) رواه عن ابن عباس ـ دون قوله: «إذا أدني...إلخ» ـ الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٤٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٥٨).

ورواه بتمامه ابن المبارك في «الزهد» (٣١٦ ـ زوائد نعيم بن حماد)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (٩٣٠)، والترمذي (٢٥٨١) و(٢٥٨٤) و(٣٣٢٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٤٧٣)، والطبري في «التفسير» (١٥/ ٢٥٠)، والحاكم في «المستدرك» (٨٧٨٦)، والبيهقي في «البعث» (٦٠٤) من طريق دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً. وإسناده ضعيف، دراج ـ وهو أبو السمح ـ يضعف في روايته عن أبي الهيثم، وهو سليمان بن عمرو العتواري. وقال الترمذي: هذا حديث غريب.

ودردي الزيت: عكره وما يستقر منه في قعر الإناء. انظر: «حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي» (٦/ ٩٨).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٤٠٠).

(٣) الملة: الرماد الحار أو الجمر. انظر: «القاموس» مادة: (م ل ل).

(٤) في (ن): «اسم».

مجاهدٌ: ساءت مجتمَعًا[1]. من معنى المرافقة.

وقيل: مكانًا ومجلسًا.

المفضَّل: مستقرًّا.

* * *

(٣٠) ـ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ قيل: تقديره: منهم، فحُذف العائد.

وقيل: ﴿مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾: هم الذين آمَنوا، فوقع المُظْهَرُ مقامَ المُضْمَر[2].

وقيل: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ اعتراضٌ، والخبرُ ما بعده، وهو قولُه:

(٣١) ـ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾.

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ ﴾؛ أي: إقامةٍ ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا ﴾: في الجنَّة ﴿مِنْ أَسَاوِرَ ﴾: جمعُ أَسْوِرةٍ، وأَسْوِرةٌ: جمعُ سِوارٍ بالكسر، وهو ما يُلْبَس في الذِّراع ﴿مِن ذَهَبٍ ﴾، وفي أخرى: ﴿من فضّةٍ﴾ [الإنسان: ٢١].

﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا ﴾ لأنَّ الأخضر ـ فيما قيل ـ أحسنُ ألوان الثِّياب ﴿مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ السُّندسُ: الحريرُ، والإستبرقُ: الدِّيباج الرُّوميُّ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٥٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٥٩). وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٩)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٩)، واستغربه، وقد تقدم الكلام على قيام المظهر مقام المضمر.

أبو عبيدٍ: السُّندسُ: الرَّقيقُ من الدِّيباج، والإستبرقُ: الصَّفِيقُ العَيْنِ[(١)].

السُّندس: بِزْيَـون[(٢)]، والإستبرق: ديباجٌ يُعمل بالذَّهب، وكأنَّه أُعرِبَ من إِسْتَبْره[(٣)].

﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾؛ أي: في حالِ اتِّكائهم على السُّرُر في الحِجَال[(٤)].

و﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾: جمع أريكةٍ، وهي الفُرُش في الحِجَال، وقيل: السُّرُر في الحِجَال، وقيل: هي السُّرر[(٥)] عليها حِجالٌ، ويحتمِل أنَّ اشتقاقَها مِن أَرَكَ: إذا أقام.

﴿نِعْمَ ٱلثَّوَابُ﴾: الجنَّةُ، ﴿وَحَسُنَتْ﴾ الجنَّةُ، وقيل: الأرائكُ ﴿مُرْتَفَقًا﴾: متَّكأً.

* * *

(٣٢) ـ ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ الآياتِ، ذهب بعضُ المفسِّرين إلى أنَّهما أخوان من أهلِ مكَّة؛ أحدُهما مؤمنٌ والآخرُ كافرٌ، واسمُ المؤمن: أبو سَلَمَةَ عبدُ الله بنُ

---

(١) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٤/ ٢٤٢)، وفيه: «الإستبرق يعني: الغليظ من الديباج».

(٢) البِزْيَون: بالكسر وبوزن العُرْجُون: من ثياب الروم، وقيل: هو السندس. انظر: «المغرب» (مادة: بزن).

(٣) انظر: «المسائل الحلبيات» لأبي علي الفارسي (ص: ٣٥٤ـ٣٥٧)، و«حاشية ابن بري» (ص: ٢٩)، وقد استعمل المصنف لفظ (أعرب) بمعنى: عُرِّب، وهذا اللفظ هو الذي كان شائعاً عند متقدمي النحاة كسيبويه وأبي علي وغيرهما. انظر: «الكتاب» (٣/ ٢٢٩).

(٤) الحجلة: ساتر كالقبة يزين بالثياب والستور للعروس. انظر: «المعجم الوسيط» مادة: (ح ج ل).

(٥) «في الحجال وقيل هي السرر» من (ن).

عبدِ الأسد بن عبد ياليل، زوجُ أمِّ سلمةَ قبل النَّبيِّ عليه السّلام، والآخرُ كافرٌ وهو الأسودُ بن عبد الأسد[١].

وقيل: كانا أخوين في بني إسرائيل، اسم المؤمن يهوذا، وقيل: تمليخا، واسم الكافر فطروس، وقيل: فطرس، وهما اللَّذان وصفهما الله في سورة ﴿وَٱلصَّـٰٓفَّـٰتِ﴾[٢].

الزَّجَّاج: أشارت اليهودُ إلى الكفَّار بامتحانه بالسُّؤال عن قصَّة هذين[٣]، وقيل: هذا مَثَلٌ لا يُشترط وجوده[٤].

ابن عبَّاسٍ: كانت لهما ثمانيةُ ألفِ دينارٍ ورثاها من أبيهما، فأَنْفَق المؤمنُ ماله في وجوه البِرِّ وسبيل الله، واعتَقَلَ بها الكافرُ الضِّياعَ والعَقار[٥]، ومآلُ أمرهما مذكورٌ في الآية.

قوله: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا﴾؛ أي: حدِّثهم بما في مِثْله العبرةُ.

---

(١) ذكره بلا نسبة السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٤٦)، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ١٣١)، وعزاه القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٢٦٩) للكلبي.

(٢) سيأتي قريباً عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٨٤).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٠)، واستغربه.

(٥) نسب لابن عباس في «بحر العلوم» للسمرقندي (٢/ ٣٤٦)، و«الهداية» لمكي (٦/ ٤٣٧٨)، وروى الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ١٣١) هذه القصة مطولة عن عطاء الخراساني، وذكرت بنحوها في «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٨٤) و(٣/ ٦٠٧)، و«تفسير يحيى بن سلام» (١/ ١٨٥)، و«تفسير ابن أبي زمنين» (٣/ ٦٢)، و«التيسير في التفسير» لأبي حفص النسفي عند هذه الآية، وعزاه أبو حفص للكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس؛ فمدارها على الكلبي ومقاتل، وهما متروكان.

قيل: ﴿لَهُم﴾: لأهل مكَّةَ، وقيل: للنَّاس كافَّةً، وقيل: للَّذين سألوا طردَ الفقراء[١]. وقيل: للَّذين سألوه عن ذلك امتحانًا.

﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ﴾ الجنَّتان: بستانان، وقيل: بستانٌ واحدٌ محيطٌ به جدارٌ واحدٌ، وبين الجنَّتين زرعٌ.

﴿وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ﴾: جعلْنا النَّخل محيطةً بهما، وقيل: ﴿وَحَفَفْنَاهُمَا﴾: جعلْنا حَفافَيْهما؛ أي: جانبَيْهما نخلًا، ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾.

***

(٣٣) ـ ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا﴾.

﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ﴾ ﴿كِلْتَا﴾: تأنيثُ (كِلَا)، والتَّاء ليستْ للتَّأنيث لسكونِ ما قبْلَها، وهو اسمٌ مفرَدٌ معناه التَّثنيةُ، وكذلك (كِلَا).

﴿آتَتْ أُكُلَهَا﴾: أعطَتْ ثَمرها ﴿وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ﴾: مِن أُكُلِها ﴿شَيْئًا﴾؛ أي: لم تَنقُصْ ممَّا عُهِدَ. قطربٌ: لم تَمْنَعْ.

﴿وفَجَرْنا[٢] خِلَالَهُمَا نَهَرًا﴾: شقَقْنا في المكانِ المتخلِّلِ بينهما حيث الزَّرعُ، ومَن شَدَّد فلِدَوامِ النَّهر[٣].

---

(١) «وقيل للذين سألوا طرد الفقراء»: ليس في (و).

(٢) ضبطت بتشديد الجيم في (ن) و(ط)، وبتخفيفها في (و)، وظاهر كلام المصنف أنه فسَّرها على التخفيف، ثم ذكر التشديد.

(٣) كل العشرة قرؤوا في المشهور عنهم بالتشديد في ﴿وَفَجَّرْنَا﴾، وقرأ يعقوب برواية روح وزيد بالتخفيف. انظر: «المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢٧٧). وانظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٣).

(٣٤) ـ ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾.

﴿وَكَانَ لَهُۥ﴾: لصاحب الجنَّة ﴿ثُمُرٌ﴾: مالٌ سوى الجنَّتين، الثُّمُر: الذَّهبُ والفضَّة. ابن عبَّاسٍ: صنوفُ الأموال[1].

ويجوزُ أن يكون جمعَ ثمارٍ.

ومَن قرأ بفتحتين[2]؛ أي: كان له من النَّخيلِ والأعنابِ ثَمرٌ كثيرٌ.

﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ﴾: أخيهِ ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾: يراجِعُه في الكلام، مشتقٌّ مِن حارَ: إذا رجَعَ، وذلك أنَّه سأله عن ماله: فيمَ أَنْفقه؟ فقال: أنفَقْتُه في وجوهِ البرِّ، وقدَّمْتُه بين يديَّ لأَقْدَمَ عليه، فقال الكافرُ: ضيَّعْتَ مالَكَ بظنٍّ ظنَنْتَه مِن بعثٍ وأجرٍ، واللهِ لا يكونُ ما ظنَنْتَ.

﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾: عشيرةً وأنصارًا يَنْفِرون معه في المُلِمَّات.

مجاهدٌ: أعوانًا[3].

***

(٣٥) ـ ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾.

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾ أَخذ بيدِ أخيه المسلِمِ وأدخلَهُ جنَّتَه يطوفُ به فيها، ووحَّدَ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٦٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٦١).

(٢) قراءة عاصم، وقرأ أبو عمرٍو بضم الثاء وتسكين الميم، والباقون بضم الثاء والميم. انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٣).

(٣) لم أقف عليه، ولعلَّه مستفاد مما ذهب إليه مجاهد من أن الرسل من الإنس وإن النذر من الجن يسمعون كلامهم، ويبلغونه أقوامهم، وهو قول وصفه السمعاني بأنه مهجور. انظر: «تفسير الثعلبي» (١٢/ ٢١٧) و«البسيط» (٨/ ٤٤٣)، و«تفسير السمعاني» (٦/ ٩).

الجنَّةَ لاتِّصال كلِّ واحدةٍ[(١)] منهما بالأخرى، ويَحتمِلُ أنَّه إنَّما وحَّد لأنَّ الدُّخولَ في الجنَّتين معًا متعذِّرٌ[(٢)].

﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ ضارٌّ لها بكفره ﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ﴾ تَفنَى وتَهلِكَ ﴿هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ هذه الجنَّةُ، وقيل: الأرضُ، أَنكر أنَّ الله يُفْنِي الأرضَ[(٣)] وأنَّ القيامةَ تقومُ.

***

(٣٦) ـ ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾.

﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾: كائنةً ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ﴾: نُشِرْتُ بعدَ موتي ﴿إِلَىٰ رَبِّى﴾ أي: إنْ يَكُنْ بعثٌ ودارٌ أخرى كما زَعَمْتَ ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا﴾: من جنَّته، و: ﴿منهما﴾[(٤)]: من الجنَّتين ﴿مُنقَلَبًا﴾ انقلابًا، وقيل: موضِعَ انقلابٍ؛ أي: كما أعطاني وأكرمني في الدُّنيا يُعطِيْني في الأخرى ويُكْرِمُني هناك.

***

(٣٧) ـ ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾.

﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ﴾ يعني: أخاه المسلمَ ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾: يُراجعُه في الكلام: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ يعني: أباك آدمَ، ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾؛ أي: خلقَكَ من نطفةِ أبيكَ في رَحِمِ أمِّك، ﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾: جعلَكَ معتدِلَ الخَلْقِ والقامة، ذا

---

(١) في (و): «واحد».

(٢) انظر: «الكشاف» للزمخشري (٢/ ٧٢١)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٧/ ١٧٦).

(٣) في (ن): «الدنيا».

(٤) قرأ بها نافع وابن كثير وابن عامر. انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٣).

عَقـلٍ وتمييـزٍ، ثـم جَهِلْـتَ أمرَ الإعـادةِ ولـم تَسـتدِلَّ بالمبدأ علـى المَعاد.

***

(٣٨) ـ ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴾.

﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي ﴾؛ أي: لكنْ أنا هو اللهُ ربِّي ﴿وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴾.

***

(٣٩) ـ ﴿ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ﴾.

﴿ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ ﴾ ﴿لولا﴾ هذه للتَّحضيضِ وتَختصُّ بالفعل؛ أي: هلَّا إذ دخَلْتَ جنَّتك ﴿قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾؛ أي: ما شاء اللهُ كان، فهو رفعٌ بالابتداء والخبرُ مضمَرٌ. وقيل: الأمرُ ما شاء الله، فيكون المبتدأُ مضمَرًا. وقيل: محلُّه نصبٌ بوقوع ﴿شَآءَ ﴾ عليه.

وروى أنسٌ رضي الله عنه عن النَّبيِّ عليه السَّلام أنَّه قال: «مَن رأى شيئًا فأعجبه فقال: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ لم يَضرَّه»(١).

ورُوي عنه عليه السَّلام أيضًا أنَّه قال: «مَن أُعطيَ خيرًا من أهلٍ ومالٍ فيقولُ عند ذلك: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾، لم يَرَ فيه ما يَكْرَه»(٢).

---

(١) رواه البزار في «مسنده» (٧٣٣٩)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٢٠٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٠٩): «رواه البزار من رواية أبي بكر الهذلي، وأبو بكر ضعيف جدًّا».

(٢) ذكره بهذا اللفظ دون راو ولا سند السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٤٧)، ورواه بنحوه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٢٦١) من طريق عيسى بن عون عن عبد الملك بن زرارة عن أنس رضي الله عنه يرفعه: «ما أنعم الله على عبد نعمةً في أهل أو مال أو ولد، فقال: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ فيرى فيه آفةً دون الموت» وقرأ: ﴿ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾. قال ابن كثير =

﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ ﴿أَنَا۠﴾ في الآيةِ عمادٌ[1].

***

(٤٠) - ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾.

﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ في الدُّنيا. وقيل: في الآخرة.

﴿وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ابنُ عبَّاسٍ: نارًا[2]. قتادةُ: عذابًا[3].

الأخفش: مراميَ[4].

= في «البداية والنهاية» (٢/ ٥٧٦): «قال الحافظ أبو الفتح الأزدي: عيسى بن عون عن عبدالملك بن زرارة عن أنس لا يصح».

وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٦٣) عن أنس رضي الله عنه موقوفًا: «من رأى شيئًا من ماله فأعجبه فقال: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ لم يصب ذلك المال آفة أبدًا، وقرأ: ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ﴾ الآية».

(١) أي: فصل، فالعماد مصطلح الكوفيين، والفصل مصطلح البصريين، وهو ما كان ذكره لا يغير الحال التي كانت قبله. انظر: «الكتاب» (٢/ ٣٩٠)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ١٠٤)، و«الإنصاف» للأنباري (٢/ ٥٧٨).

(٢) رواه الطَّستي كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣٩٤) في خبر مسائل نافع بن الأزرق لابن عباس، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ١٤٢)، وذكره الواحدي في «البسيط» (١٤/ ٢٣) من رواية عطاء عن ابن عباس.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٨٤)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٦٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٦٣).

(٤) أورده عن الأخفش الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ١٤٢)، وذكره الماورديُّ في «النكت والعيون» (٣/ ٣٠٧) بلفظ: «مرامي كثيرة»، وذكره بلفظ المؤلف الواحدي في «البسيط» (١٤/ ٢٣) عن =

ابن زيدٍ: قضاءً من الله يَقضِيْه[١].

الزَّجَّاج: هذا موضعٌ لطيفٌ يحتاج أن يُشرَحَ، وهو: أنَّ الحسبان في اللُّغة: الحساب؛ كقوله تعالى: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥]، والمعنى: يُرسِل عليها عذابَ حسبانٍ، وذلك حسابُ ما كَسَبتْ يداك[٢].

ابن عيسى: الحسبانُ: المرامي الكثيرةُ كجريدةِ الحساب.

﴿فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ الصَّعيد: التُّرابُ، وقيل: وجهُ الأرض.

والزَّلَق: المكان الذي لا تَثْبُتُ عليه القدمُ، بل تَزِلُّ عنه.

الزَّجَّاج: الصَّعيد الزَّلَقُ: الطريقُ الذي لا نباتَ فيه[٣].

الحسن: الزَّلَق: الخراب[٤]، والمعنى: تصبحُ جنَّتُك هذه أرضًا ملساءَ لا شيءَ فيها، قد ذهب ما فيها من غرسٍ ونبتٍ[٥].

* * *

= أبي عمرو، وقاله أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ٤٠٣). وانظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٣٠٧-٣٠٨).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٦٦)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٧١)، والواحدي في «البسيط» (١٤/ ٢٣).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٨٩).

(٣) في (و): «الصعيد الزلق الذي لا ثبات فيه»، والمثبت من (ن)، ومثله في «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٨٩).

(٤) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ١٨٠) بلا نسبة.

(٥) قائل هذا الكلام الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٦٦)، أما الحسن ففي «تفسير يحيى بن سلام» (١/ ١٨٧) عنه أنه قال: «الزلق: التراب الذي لا نبات فيه».

(٤١) ـ ﴿أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا﴾.

﴿أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا﴾: ذاهبًا في الأرض سفلًا لا تَلْحقُه الأَرْشِيَةُ[1] ﴿فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا﴾: لا يتأتَّى منك طَلَبُه.

وقيل: لن تستطيعَ ردَّ الماءِ الغائر.

وقيل: لن تستطيعَ طَلَب غيرِه بدلًا منه. حكاه الماورديُّ[2].

***

(٤٢) ـ ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾.

﴿وَأُحِيطَ﴾؛ أي: استجابَ اللهُ دعاءه فأحاط الله العذابَ ﴿بِثَمَرِهِۦ﴾: بماله ومَنالِه، وذلك أنَّه نزلتْ به نارٌ فأحرقَتْه ﴿فَأَصۡبَحَ﴾؛ أي: الكافرُ ﴿يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ﴾: يصفِّق بيده على الأخرى ويقلِّبُ كفَّيه ظهرًا لبطنٍ تلهُّفًا ﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾؛ أي: عليها.

وقيل: يُقلِّب مُلْكه فلا يَرَى فيه عِوَضَ ما أَنْفَق، حكاه الماورديُّ[3].

﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: ساقطةٌ بعضُها على بعضٍ.

وقيل: خاليةٌ على بيوتها، والعروشُ: الأبنيةُ.

وقيل: العروشُ: ما عُرِش من كرومها؛ أي: عروشُها قائمةٌ لا ثمرَ فيها.

ويَحتمِلُ: حيطانُها ساقطةٌ على عروش كرومها.

ويَحتمِلُ أيضًا: أنَّ ﴿خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ كنايةٌ عن الخراب.

---

(١) جمع: رِشاء، وهو الحبل. انظر: «لسان العرب» مادة: (ر ش و) (١٤/ ٣٢٢).

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٣/ ٣٠٨).

(٣) انظر: «النكت والعيون» (٣/ ٣٠٨).

﴿وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾ تمنَّى أنَّه كان غيرَ مشركٍ حين لم ينفعْه التَّمنِّي.

(٤٣) ـ ﴿وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾.

﴿وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: لم ينصُرْه النَّفَر الذي قال فيهم مُفتخِرًا: ﴿وَأَعَزُّ نَفَرٗا﴾.

والفئةُ: الجماعةُ تكونُ رِدءًا للعسكرِ يَفِيءُ إليها اللَّاجئ.

وقيل: هي جماعةٌ في تَفْرقةٍ.

﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾؛ أي: بنفسه؛ أي: لم يَقدر على دفعِه بنفسه ولا له أعوانٌ نَصَروه.

* * *

(٤٤) ـ ﴿هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا﴾.

﴿هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّ﴾؛ أي: في تلك الحالِ ـ يعني: يومَ القيامة ـ ﴿ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ﴾؛ أي: يتولَّون اللهَ ويؤمنون به ويتبرَّؤون من الأصنام.

قُرئ بالفتح والكسر[١]، وهما لغتان كالوكالة والوصاية والدّلالة.

وقيل: معنى الكسرِ: أنَّ الله متفرِّدٌ بالملكِ والسُّلطانِ يومَئذٍ، ومعنى[٢] الفتحِ: النُّصرةُ[٣].

---

(١) قرأ حمزة والكسائي بكسر الواو، والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٢)، و«التيسير» (ص: ١٤٣).

(٢) «معنى»: من (ط).

(٣) نسب هذا قول لابن السكيت، وذكر سيبويه أن الولاية بالكسر اسم، وبالفتح مصدر. انظر: «الكتاب» (٤/ ١١)، و«إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ٨٨)، و«التقفية» للبندنيجي (ص: ٧٠٨)، و«لسان العرب» (١٥/ ٤٠٧).

ورُوي عن بعض القرَّاء الوقفُ على ﴿ هُنَالِكَ ﴾ فيكونُ متَّصلًا بقوله: ﴿مُنتَصِرًا ﴾.

وقرئ: ﴿الحقُّ﴾ بالرَّفع[1] صفةٌ لـ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾[2]، والجرُّ صفةٌ ﴿لِلَّهِ﴾.

وقيل: الرَّفعُ على الابتداء[3] وما بعدَه خبرُه[4].

﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا ﴾: أفضلُ ثوابًا ممَّن يُرْجَى ثوابُه، ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾؛ أي: طاعةُ اللهِ خيرٌ عقبَى من طاعةِ غيرِه.

* * *

(٤٥) ـ ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾.

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾: اذكُرْ لهم ما يُشْبِه الحياةَ الدُّنيا، ثم قال: ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ ﴾؛ أي: هو كماءٍ أنزلناه ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾: من السَّحاب، وقيل: من جانب السَّماء.

﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ ﴾: بالماءِ، وقيل: بسببه، وقيل: بسبب الإنزال.

﴿نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ لكثرة أنواعه ولكثافته، وقيل: لكثرة الماء اختلطَ بالنَّبات ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا ﴾: جافًّا مهشومًا مكسورًا بعد تمامِ النَّبات وتزيُّنِ الأرض به، أو قبلَ تمامه بانقطاعِ المطر عنه.

---

(١) قرأ بها أبو عمرو والكسائي، والباقون بالكسر. انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٢)، و«التيسير» (ص: ١٤٣).

(٢) في (ن): «الولاية».

(٣) في (و): «الرفع بالابتداء».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٢)، واستغربه.

﴿تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾: تَنْسِفُه فتفرِّقُه، تقولُ: ذَرَاه يَذْرُوه ويَذْرِيه.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾: قادرًا، قَدِرَ واقْتَدَرَ بمعنًى[١]، والنَّحويُّون يسمُّون هذا: (كان) الدَّوامَ[٢].

الحسن: كان قبلَ كونِ كلِّ شيءٍ قادرًا على أنْ يُكوِّنَ فكوَّنه.

وقيل: هو صلةٌ.

***

(٤٦) ـ ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾.

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: يَتزيَّن بهما الإنسان في دنياه؛ شقيًّا كان أو سعيدًا.

﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾: جزاءً ﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾؛ لأنَّ صاحبه ينالُ مأمولَه.

وقيل: لأنَّ الأملَ للعملِ الصَّالح خيرٌ من الأملِ للعملِ السَّيِّئ؛ أي: خيرٌ من زينة المال والبنين.

وفي ﴿الباقياتِ الصَّالحاتِ﴾ أقوالٌ، وجاء مرفوعًا أنَّها: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إلهَ إلَّا اللهُ، واللهُ أكبرُ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا بالله العَلِيِّ العظيم»[٣].

---

(١) ولا يخفى أن مع ذلك أن زيادة المبنى تدلُّ على زيادة المعنى. انظر: «معجم ديوان الأدب» للفارابي (٢/ ٤٠٤)، و«الخصائص» لابن جني (٣/ ٢٦٨).

(٢) انظر: «التذييل والتكميل» لأبي حيان (٤/ ٢١١)، و«المقاصد الشافية» للشاطبي (٢/ ١٤٦).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١١٧١٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٣٨٤)، والطبري في =

ابن عبَّاسٍ: هي الصَّلواتُ الخمس[١].

ابن زيدٍ: الأعمالُ الصَّالحة[٢].

وقيل: الكلام الطَّيِّب.

ابنُ جَريرٍ: الصَّلاةُ إلى الصَّلاة، والجمعةُ إلى الجمعةِ، وشهرُ رمضانَ إلى شهرِ رمضانَ، والحجُّ إلى الحجِّ[٣].

* * *

= «تفسيره» (١٥/ ٢٧٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٤٠)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٨٧): «رواه أحمد وأبو يعلى... وإسنادهما حسن».

ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٥١٣) من حديث عثمان رضي الله عنه، وإسناده حسن.

ورواه الإمام أحمد في «المسند» (١٨٣٥٣) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

ورواه النسائي في «الكبرى» (١٠٦١٧)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٧٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢٥٨)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٨٠)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣١٠).

(٣) هذا لفظ خبر ذكره أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية عن سعيد بن جبير، ولم أجد في كلام ابن جرير هذا اللفظ، لكنه ذهب إلى هذا المعنى من القول بعمومَ الآية، فقال في «تفسيره» (١٥/ ٢٨١): «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: هن جميع أعمال الخير...»، قال: «فإن ظن ظان أن ذلك مخصوص بالخبر الذي رويناه عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، فإن ذلك بخلاف ما ظن، وذلك أن الخبر عن رسول الله ﷺ إنما ورد بأن قول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، هن من الباقيات الصالحات، ولم يقل: هن جميع الباقيات الصالحات، ولا كل الباقيات الصالحات، وجائز أن تكون هذه باقيات صالحات، وغيرها من أعمال البر أيضًا باقيات صالحات».

(٤٧) - ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾.

﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ ﴾: واذكُرْ يومَ نسيِّر، فيكونُ مفعولًا به لا ظرفًا.

وقيل: تقديره: والباقياتُ الصَّالحات خيرٌ يومَ نسيِّرُ الجبال[1]. والواو يَدفعُ هذا القول.

ابن بحرٍ: الأعمالُ الصَّالحةُ أحمدُ عاقبةً ويومَ نُسيِّر الجبال يكون عُقْبى ذلك[2].

والمعنى: يسيِّرُ الله الجبالَ عن وجهِ الأرض فيقلعُها قلعًا.

﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾: باديةً، بَرَزتْ عن تحتِ الجبالِ والأشجار والأبنية؛ ليَرَى بعضُهم بعضًا.

وقيل: بارزةً موتاها عند البعث.

﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ ﴾؛ أي: الموتى ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ ﴾: لم نترُكْ ﴿أَحَدًا ﴾، والمغادرةُ: التَّرك.

***

(٤٨) - ﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾.

﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ ﴾ كما يُعرض الجند؛ أي: أُظْهِروا، تقول: عرَضْتُ الشَّيء فأَعْرَضَ؛ أي: أَظهَرْتُه فظَهَر.

﴿صَفًّا ﴾: مصطفِّين، وقيل: صفًّا صفًّا.

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٢٩٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٢)، وعدَّه من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٢)، واستغربه، وزاد: فهو ظرف لـ«يكون» المقدر.

﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾؛ أي: فيقالُ لهم: قد جئتُمونا كما خلقناكم أوَّل مرَّةٍ.

الزَّجَّاج: بعَثْناكم كما خلَقْناكم[١].

وجاء في الخبر أنَّهم: «يحشرون حفاةً عراةً غرلًا»[٢].

وقيل: خاليًا من المال والولد.

وقيل: أحياءً كهيئاتهم[٣] عند الخَلْق الأوَّل.

﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ ﴿بَلْ﴾ تفيدُ العطفَ هاهنا فحسب[٤]؛ أي: وزعَمْتُم أنْ لا نَفِيَ بوعدِنا في إعادتكم[٥].

وقيل: الموعدُ هاهنا: مكانُ الوعد بالمحاسبة.

***

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٧٣).

(٢) رواه البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٨٦٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) في (ن): «كهيئاتكم».

(٤) في كلام سيبويه ما يشير إلى أن (بل) تكون للعطف كالواو والفاء، لكن ذهب الأكثرون إلى أن المراد لهذا العمل، أما معنى الإضراب فهو لازم لها، لكنه يكون تارة بإبطال حكم سابق، وتارة بالإعراض عن كلام سابق وتقرير ما هو أولى منه، ونص الزجاجي وابن مالك على أنها إنما جاءت في القرآن على هذا الوجه.

انظر: «الكتاب» (١/ ٤٣٥ و٤٤٠)، و«شرحه» للسيرافي (٢/ ٣٣٧)، و«حروف المعاني والصفات» للزجاجي (ص: ١٤)، و«شرح الكافي الكافية الشافية» لابن مالك (٣/ ١٢٣٣).

(٥) فالوعد على هذا: زمان الوعد للمحاسبة، وهو الظاهر.

(٤٩) ـ ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾.

﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ يعني: كتابَ الأعمالِ المشتمِلَ على جميع أعمالِ العبد؛ خيرِها وشرِّها، وهو ما كتبه الحفَظَةُ.

وقيل: وُضع الكتابُ في يمينه أو شماله.

وقيل: معناه: وُضع الحسابُ.

﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾؛ أي: ترى المذنبين خائفين وقوعَ المكروه ﴿مِمَّا فِيهِ﴾: من الذُّنوب ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ﴾ تعجُّبًا من شأنه ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾؛ أي: من الذُّنوب.

وقيل: بل جميعُ أعماله مكتوبٌ فيه.

﴿إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾: عدَّها وأحاط بجميعها.

﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾: مكتوبًا، وقيل: جزاءَه حاضرًا.

﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ بزيادةِ العذابِ أو نقصانِ الثَّواب.

* * *

(٥٠) ـ ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾ سجودَ تحيَّةٍ، وقيل: سجودَ انقيادٍ.

﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ ابن عبَّاسٍ: حيٌّ من أحياء الملائكة يُقال لهم: الجنُّ، خُلقوا من نار السَّموم، وخُلقتِ الملائكةُ غيرَ هذا الحيِّ من نورٍ(١).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٨٦)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ١٦٩)، وعنه نقل المصنف.

ورُوي عن ابن عبَّاسٍ أيضًا: نسب إلى الجِنَان؛ لأنَّه كان خازنًا لها؛ كالمكِّيِّ والمدنيِّ(١).

الحسن: لم يكن من الملائكة ولا طرفةَ عينٍ، بل هو أصل الجنِّ، كما أنَّ آدم أصل الإنس(٢).

شهر بن حوشب: كان إبليسُ من الجنِّ الذين ظَفِرَ بهم الملائكة، فأَسَره بعضُ الملائكة فذهب به إلى السّماء(٣).

قتادةُ: جُنَّ عن طاعة الله(٤).

ابن عبَّاسٍ: كان اسمُه بالسريانيَّة: عزازيل، وبالعربيَّة: الحارث(٥).

وله زوجةٌ وذرِّيَّةٌ؛ لقوله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ﴾.

مجاهدٌ: من ذرِّيَّة إبليس لاقِيسُ ووَلهانُ، وهما صاحبا الطَّهارة والصَّلاة، والهَفافُ ومُرَّةُ، وبه يكنى أبا مُرَّةَ، وزَلَنْبورُ صاحبُ الأسواق، يرفعُ رايتَه بكلِّ سوقٍ، وثُبَرُ وهو صاحبُ المصائب، والأعورُ وهو صاحب أبواب الزِّنى، ومِسْوَطٌ وهو

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٨٧)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٦٨٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٨٩)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٦٨١)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ١٧٢)، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٦٦) عن الحسن قال: «قاتل الله أقواماً يزعمون أن إبليس كان من ملائكة الله، والله تعالى يقول: كان من الجن».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٩٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٦٦).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٣٨)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٦٧٧).

(٥) ذكره هكذا الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ١٦٩). وروى الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٣٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان ملكًا من الملائكة اسمه عزازيل»، و(١٥/ ٢٨٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان اسمه الحارث».

صاحبُ الأخبارِ[١] يأتي بها فيُلْقِيها في أفواه النَّاس ولا يجدون لها أصلًا، وداسمٌ وهو الذي إذا دخل الرَّجل بيته فلم يُسلِّم ولم يذكُرِ اسمَ الله بصَّره من المتاعِ ما لم يُرْفَعْ أو يَحسُنْ موضِعُه، وإذا أكل ولم يَذكُرِ اسمَ الله أكَلَ معه[٢].

﴿فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ﴾: خرج.

وقيل: اتَّسع، تقول: فسق فلانٌ في الأرض: إذا اتَّسع فيها.

أبو عبيدةَ: هذه[٣] لم نسمَعْها من العرب، إنَّما تكلَّمت بها العربُ بعد نزول القرآن[٤].

---

(١) في (ن): «أخبار».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٧/ ١٧٤)، ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٩٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٦٧)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٦٨٢)، وابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان» (٣٥) ولم يذكروا في رواياتهم: «لاقيس وولهان والهفاف ومرة». وقوله: «ما لم يرفع أو يحسن موضعه» لم أجد من شرحه، لكن قد يبينه لفظ «أضواء البيان» (٣/ ٢٩٣): «بصَّره ما لم يُرفع من المتاع وما لم يَحْسُن موضعه يثير شره على أهله».

وذكر الخبر ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ٥٢٢) ثم قال: وهذا وما جانسه مما لم يأت به سند صحيح...، قال: ولم يمر بي في هذا صحيح إلا ما في «كتاب مسلم» من أن للوضوء والوسوسة شيطاناً يسمَّى خنزب، وذكر الترمذي: أن للوضوء شيطاناً يسمى الولهان.

قلت: روى مسلم (٢٢٠٣) أن عثمانَ بنَ أبي العاصِ أَتَى النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله، إن الشيطان قد حال بَيْني وبين صلاتي وقراءتي يَلْبِسُها عَلَيَّ، فقال رسول الله ﷺ: «ذاك شيطانٌ يقالُ له: خَنْزَبٌ، فإذا أحسَسْتَه فتَعَوَّذْ بالله منه، واتْفِلْ على يسارك ثلاثًا» قال: ففعَلْتُ ذلك فأذهبه الله عنِّي.

وروى الترمذي (٥٧) وضعفه، وابن ماجه (٤٢١)، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إنَّ للوضوء شيطانًا يقال له: الوَلَهانُ، فاتَّقُوا وَسواسَ الماء». وإسناده ضعيف جدًا، فيه خارجة بن مصعب متروك الحديث، وعتي بن ضمرة فيه جهالة.

(٣) يعني: كلمة (فسوة)، كما في «البسيط» للواحدي.

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٤/ ٤٧) عن أبي عبيد، وقد تعقبه بقوله: قال أهل المعاني المبردُ =

ومعنى ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ الزَّجَّاج: خرج عن أمر ربِّه(١).

قطربٌ: ﴿فسق عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾: عدل.

وقيل: الملائكة خُلقوا من الرِّيح، وهم روحانيُّون، وإبليسُ وسائر الجنِّ من النَّار، وآدمُ من الطِّين، وقد سبق معنى هذه الآية(٢).

﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾ فتطيعوهم فيما يدعونكم إليه؛ أي: تتولَّونهم ولا تتولَّوني ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾؛ أي: أعداءٌ ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾: بئس البدلُ من الله إبليسُ وذرِّيَّتُه.

وقيل: بئس البدلُ معصيةُ الله من طاعته.

وقيل: بئس البدلُ النّارُ من الجنَّة.

= وغيره: «هي كلمة فصيحة على ألسنة العرب» وأوكدُ الأمور ما جاء في القرآن، ومعناه: الخروج، كما قال:

فواسقًا عن قصدها جوائرا

قلت: وهذا الرجز ذكره أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ٤٠٦) عند هذه الآية وعزاه لرؤبة بن العجاج، وقد ساقه شاهداً على تفسير ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ بـ: جار عنه وكفر به، وليس فيه ما نقله عنه المصنف، وقد نقل الجوهري في «الصحاح» (٤/ ٥٤٣) عن ابن الأعرابي مثل ما نقل عن أبي عبيدة، وقد ذكر ابن فارس في «الصاحبي» (ص: ٤٥) أن هذه الكلمة من الألفاظ الإسلامية، وأن العرب لا تعرف إلا «فقست الرطبة» إذا خرجت من قشرها..

(١) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ٢٩٤) وذكر غيره، ثم قال: «ومذهب سيبويه والخليل ـ وهو الحق عندنا ـ: أن معنى ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾: أتاه الفسق لمَّا أُمر فعصى، فكان سببَ فسقه أمرُ ربه، كما تقول: أطعمه عن جوع وكساه عن عري. المعنى: كان سببَ فسقه الأمرُ بالسجود، كما كان سببَ الإطعام الجوعُ وسببَ الكسوة العريُ».

(٢) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [البقرة: ٣٤].

(٥١) ـ ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾.

﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ﴾: ما أحضَرْتُهم؛ يعني: إبليسَ وذرّيّته، وقيل: الكفّار أجمع.

وقيل: الملائكة.

﴿خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ فأستعينَ بهم على خَلْقها أو أشاورَهم فيه.

﴿وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ﴾: ولا استَعَنْتُ ببعضِهم على خَلْقِ بعضٍ.

وقيل: ما أشهدتُ بعضَهم خلقَ بعضٍ.

وقيل: ما أعلَمْتُهم خَلْقَ أنفسهم، فكيف يَعلمون خَلْقَ غيرهم، حكاه الماورديُّ[1].

﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾: أنصارًا وأعوانًا في خَلْق السّماوات.

وقيل: أولياء.

وقيل: أعوانًا لعبدة الأوثان.

* * *

(٥٢) ـ ﴿وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقٗا﴾.

﴿وَيَوۡمَ يَقُولُ﴾ اللهُ للكفّار: ﴿نَادُواْ﴾؛ أي: ادعُوا بصوتٍ عالٍ ﴿شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ﴾؛ أي: زعمتُم أنّها لي شركاءُ ليَمْنعوكم[2] من عذابي.

---

(١) انظر: «النكت والعيون» (٣/ ٣١٥).

(٢) أعاد المصنف الضمير للأصنام مرة على اعتبارها جمادات غير عاقلة على الحقيقة، ومرة على اعتبارها في زعم الكفار، ولذلك نظائر في القرآن، كما قال المصنف في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡ﴾ [الأنعام: ٣٨].

﴿فَدَعَوْهُمْ﴾: فنادَوهم لائمِينَ لهم على إضلالِهم إيَّاهم ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ﴾ واستغاثوهم فلم يُغيثوهم؛ لشغلهم بأنفسهم.

ويحتمِلُ أنَّ ترك الإجابة لكونهم(١) جمادًا.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم﴾: بين الكفَّار وآلهتِهم ﴿مَّوْبِقًا﴾ ابن عبَّاسٍ في جماعةٍ: هلاكًا(٢). وهو النَّار، وجُعلت بينهم لاستوائهم فيها.

وقيل: بين المؤمنين والكفَّارِ ﴿مَّوْبِقًا﴾: عداوةً.

وقيل: بين الكفَّار؛ لقوله: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

الفرَّاء: البَيْنُ هاهنا بمعنى الوصال؛ أي: تواصُلُهم في الدُّنيا صار مَهْلَكًا لهم(٣).

أبو عبيدةَ: الموبق: الموعِدُ(٤)؛ كقوله: ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٥٩].

مجاهدٌ في جماعةٍ: الموبِقُ: وادٍ في جهنَّم من قيحٍ ودمٍ(٥).

الواحديُّ: ﴿مَّوْبِقًا﴾: حاجزًا(٦).

---

(١) في (ن): «لكونها».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٩٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٦٧).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٤٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٣) واستغربه، وقد ذكر ابن الأنباري أن البين من الأضداد، وأنه يأتي بمعنى الوصال والفراق. انظر: «الأضداد» (ص: ٧٥).

(٤) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٤٠٦).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٩٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٦٧).

(٦) انظر: «الوجيز» للواحدي (ص: ٦٦٥)، وذكره الواحدي في «البسيط» (١٤/ ٥٢، ٥٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء، وعن ابن الأعرابي، ثم قال: «وعلى هذا القول الكناية في قوله: ﴿بَيْنَهُم﴾ يعود إلى الفريقين من المؤمنين والكافرين، وليس يعرف للموبق بمعنى الحاجز اشتقاق».

وأصلُه من وَبَق يَبِقُ: إذا هلك.

(٥٣) ـ ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾.

﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ ﴾: عايَنوها ﴿فَظَنُّوٓا۟ ﴾: أيْقنوا ﴿أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا ﴾؛ أي: واقعون فيها وداخِلُوها، مِن وقع: إذا سَقط.

﴿وَلَمْ يَجِدُوا۟﴾ يعني: الكفَّار، وقيل: الأصنام ﴿عَنْهَا﴾: عن النَّار ﴿مَصْرِفًا﴾: موضِعًا يَعْدِلون إليه؛ لإحاطتها بهم، وقيل: ملجأً.

* * *

(٥٤) ـ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾؛ أي: ردَّدْنا القولَ فيه مرَّةً بعد أخرى ﴿لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ يحتاجون إليه ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ ﴾؛ أي: أكثرَ شيءٍ خلقَه الله ﴿جَدَلًا ﴾: جدالًا وحجاجًا وخصامًا.

وقيل: ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ عامٌّ.

وقيل: أراد الكافرَ أُبيَّ بن خلفٍ(١). وقيل: النَّضرَ بن الحارث(٢).

وقيل: كثرة مجادلة النَّاسِ الأنبياءَ فيما أَتَوْهم من الله.

* * *

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٥١)، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ١٨٠)، وعزاه الواحدي في «البسيط» (١٤/ ٥٧) إلى الكلبي.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٤/ ٥٧)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ٥٢٤)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٩٢)، وعزوه إلى ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥٥) - ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾.

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ﴾: أهلَ مكَّة ﴿أَن يُؤْمِنُوٓاْ﴾ من الإيمان ﴿إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾: الرَّسولُ والقرآن ﴿وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ﴾ من الذُّنوب التي مَضَتْ ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: إلَّا إتيانُ سنَّةِ الأوَّلين، وهو الاستئصالُ.

الزَّجَّاجُ: إلَّا طلبُ سنَّةِ الأوَّلين؛ يريد: قوله: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢](١).

وقيل: إلَّا انتظارُ العذاب.

أبو عبيدةَ: إلَّا عادةُ الأوَّلين(٢).

ابن بحرٍ: ﴿مَا﴾ هاهنا للاستفهام(٣). غيرُه: للنَّفي.

﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾ قرئ بالضَّمِّ والكسر(٤)؛ فالكسرُ معناه: معايَنةً ومقابَلةً، والضَّمُّ معناه: صِنفًا صِنفًا يتلو بعضُها بعضًا، جمع: قَبيلٍ.

وقيل: الضَّمُّ والكسرُ لغتان بمعنى المقابَلة.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٩٦).

(٢) قال أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ١٥٦): «مجازه: إلا دأب الأولين وفعلهم وصنيعهم، وله موضع آخر كقولك: هل ينظرون إلا أن يلقوا مثل ما لقي الأولون من الموت وصنوف العذاب والتغيير؟». قاله في تفسير قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [فاطر: ٤٣].

(٣) وكذا فسرها جمع منهم: يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ١٦٣)، وابن أبي زمنين في «تفسيره» (٣/ ٤٠).

(٤) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بضم القاف والباء، والباقون بكسر القاف وفتح الباء. انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٣)، و«التيسير» (ص: ١٤٤).

وقيل: ﴿قُبُلًا﴾: خلافُ دُبُرٍ، والمعنى: يأتيَهم عذابٌ يستأصلُهم أو يُقتلون[١] بالسَّيف معايَنةً يومَ بدرٍ.

***

(٥٦) - ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا﴾.

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ للمؤمنين بالجنَّة ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ للكافرين بالنَّار.

﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ في طلب الآيات ودفع النُّبوَّات.

ابن جريرٍ: جدالُهم بالباطل: سؤالُهم النَّبيَّ ﷺ عن أصحاب الكهف وذي القرنَين والرُّوح تعنُّتًا[٢].

﴿لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ﴾: بالجدال ﴿ٱلْحَقَّ﴾: النُّبوَّة؛ أي: يُزيلوه.

﴿وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى﴾: القرآنَ، وقيل: دلائلي ﴿وَمَآ أُنذِرُوا۟﴾: وإنذارَهم، وقيل: وما أُنذروا به؛ أي: النَّارَ ﴿هُزُوًا﴾: استهزاءً ولعبًا وباطلًا.

***

(٥٧) - ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾؛ أي: لا أحدَ أظلمُ ﴿مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾: وُعِظَ وتُلِيَ عليه القرآنُ ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾: ترَكَ قبولَه وصار عنها في عُرْضٍ وناحيةٍ ﴿وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾: غفَلَ عن ذنوبه السَّالفةِ، وقيل: ترَكها ترْكَ ما يُنْسَى.

---

(١) في (ن) و(و): «يقاتلون»، والمثبت من (ط).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٣٠٢).

﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾: جمعُ كِنَانٍ؛ أي: غِشاوةً ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾: كراهةَ أنْ يَفقهوه، و: لئلَّا يَفْقَهوه[1]، ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾: ثِقْلًا وصَمَمًا عن استماعِ الحقِّ؛ أي: خَذَلْناهم.

﴿وَإِن تَدْعُهُمْ﴾ يا محمَّدُ ﴿إِلَى ٱلْهُدَىٰ﴾: الإيمانِ والقرآنِ، ﴿فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾؛ أي: بعد الأكنَّة والوَقْر.

***

(٥٨) ـ ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾.

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ فلا يُعجِّلُ بالعقوبة ﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟﴾: بكُفرهم ﴿لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾ في الدُّنيا، ﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾ يعني: يومَ القيامة ﴿لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾: موضعَ نجاةٍ.

***

(٥٩) ـ ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾.

﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ يريد: قومَ نوحٍ وعادٍ وثمودَ ﴿لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾: كفروا. ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾: وقتًا وزمانًا هلكوا فيه.

وقيل: هو مِن قوله: ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٦٥].

وقيل: وجَعَلنا لمهلِكِ قومك.

والهلاكُ لازمٌ، والإهلاك متعدٍّ؛ فمَن فتح الميمَ فهو مضافٌ إلى الفاعل، ومَن ضمَّ الميمَ فهو مضافٌ إلى المفعول[2].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٤)، واستغربه.

(٢) قرأ أبو بكر بفتح الميم واللام، وحفص بفتح الميم وكسر اللام، وباقي السبعة بضم الميم وفتح اللام. انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٣)، و«التيسير» (ص: ١٤٤).

وقيل: (هلك) متعدٍّ أيضًا[١]، وأُنشد:

ومَهْمَـهٍ هالِـكِ مَـن تَعَرَّجا[٢]

فيكونُ الفتحُ مضافًا إلى الفاعل، وإنْ شئتَ إلى المفعول.

***

(٦٠) - ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾؛ أي: اذكُرْ إذ قال؛ فإنَّ في ذلك عبرةً لمن اعتبَر.

و(فتاه): مملوكٌ له، وهذا قولٌ غريبٌ[٣].

وجمهورُ المفسِّرين على أنَّه يُوْشَعُ بنُ نونٍ، وقيل: كان أخًا ليُوشَعَ[٤]، وسمِّي فتاه لأنَّه كان يلازِمُه ويخدمُه.

﴿لَآ أَبْرَحُ﴾: لا أزالُ، والخبرُ محذوفٌ؛ أي: لا أبرحُ ماشيًا.

وحكى الزَّجَّاج أنَّ بعضهم قال في تفسيره: ﴿لَآ أَبْرَحُ﴾: لا أزولُ، قال: وهذا

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٤)، واستغربه.

(٢) الرجز للعجاج. انظر: «ديوان العجاج» (ص: ٣٣٤)، و«العين» (٢/ ٣٧٨)، و«أدب الكاتب» (ص: ٤٣٩)، و«المقتضب» (٤/ ١٨٠)، و«جمهرة اللغة» (٢/ ٩٨٣)، و«معجم ديوان الأدب» (٢/ ١٧٨). قال البطليوسي في «الاقتضاب» (٣/ ٢٧٦): «فيه قولان؛ قال أبو عبيدة: «هالك» بمعنى مُهلِك، وكذلك حكى يونس، وقال: كانت لغة رؤبة بن العجاج: هَلَكني وهَلَكه الله، فـ«مَن» على قولهما في موضع نصب، ومَن قال: لا يجوز: هَلَكته، إنما يقال: هلك وأهلكه الله، فـ«مَن» على رأيه في موضع رفع كأنه قال: هالك المتعرج فيه، كما تقول: مررت برجلٍ فارهِ العبد؛ أي: فارهٍ عبدُه». ومعنى البيت: من أقام بهذه الأرض القفر وأبطأ السير فيها فقد هلك.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٤)، وعدَّه من العجائب.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٤)، واستغربه.

محالٌ؛ لأنَّه إذا لم يَزُل من مكانه لم يَقْطَعْ أرضًا، قال: وإنَّما المعنى: لا أزال أسيرُ[١]؛ أي: أدومُ عليه ولا أَفترُ حتَّى يكونَ أحدُ الأمرين.

ولعلَّ القائل أراد: لا أزولُ عن حالي في السَّير، لا: عن مكاني، فلا يكونُ فيه استحالةٌ، وكذلك ظاهرُ القرآن: ﴿لَآ أَبۡرَحُ﴾، فإذا لم يَبْرَحْ كيف يَصلُ، وإنَّما المراد: لا أبرحُ من السَّيرِ حتَّى أَصِلَ.

﴿حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ قيل: هو بحرُ فارسَ والرُّومِ.

محمَّد بن كعب: اسمُه طنجة[٢].

أبيُّ بن كعبٍ: إفريقيةُ[٣].

مقاتلٌ: اسمُ أحدهما: الرَّشُّ، والآخر: الكَنْزُ[٤].

وقيل: بحرُ المشرقِ والمغربِ اللَّذان يحيطان بجميع الأرض.

وقيل: العذبُ والملح[٥].

وقيل: البحران من العلم، وهما موسى والخضِر[٦].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٩٨)، وذكر المصنف القول الذي نقله الزجاج في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٤)، واستغربه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٠٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٧٦).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٧٥).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٩٢)، وفيه: «الكر» بدل «الكنز»، وفي «تفسير ابن أبي حاتم» (٧/ ٢٣٧٦) عن السدي أنها الكرّ والرّس، وفي «مفحمات الأقران» (ص: ٦٩) أنهما الكتر والرشن، والله أعلم.

(٥) «وقيل العذب والملح»: ليس في (ن). ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٥)، واستغربه.

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٥)، وعدَّه من العجائب.

وسببُ ذلك(١): أنَّ موسى عليه السَّلامُ خطَب للنَّاس خطبةً بليغةً فأُعجب بها، فقال له رجلٌ: هل تعلمُ أحدًا أعلمَ منك؟ فقال: لا، فأوحَى الله إليه: بلى(٢)، عبدُنا الخضِرُ. فسأل موسى السَّبيلَ إلى لُقِيِّه، فجعل اللهُ له الحوتَ آيةً، فقيل له: إذا فقَدْتَ الحوتَ فارجِع؛ فإنَّك ستَلْقاه، فانطَلَق هو وفتاهُ حتَّى أتيا الصَّخرةَ التي عند مجمَعِ البحرين، وهو قوله: ﴿حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾(٣).

﴿أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾ تقديره: حتَّى يكون إمَّا لقاءُ الخضرِ بمجمعِ البحرين، وإمَّا السَّيرُ حتَّى أصلَ إليه وإن كان حُقُبًا، والحُقُب في قول ابن عبَّاسٍ: الدَّهرُ(٤).

مجاهدٌ: سبعون سنةً(٥).

وقيل: ثمانون سنةً.

وقيل: سنةٌ بلغة قيسٍ(٦).

قتادةُ: هو زمانٌ غيرُ محدودٍ(٧).

* * *

(٦١) - ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا﴾.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا﴾؛ أي: بلَغا مجمَعَ البحرين.

---

(١) في (و): «وذلك» بدل: «وسبب ذلك».

(٢) «بلى»: ليس في (ن).

(٣) رواه بنحوه البخاري (١٢٢) و(٤٧٢٦)، ومسلم (٢٣٨٠)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٧٦).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣١٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٧٦).

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٥)، واستغربه.

(٧) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٩٤)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣١١).

و﴿بَيۡنِهِمَا﴾ يَحتمِلُ أمرين:

أحدهما: أن يكون ظرفًا، فأضيفَ إليه على الاتِّساع، ومثلُه: ﴿شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ﴾ [المائدة: ١٠٦].

والثّاني: أن يكون بمعنى الوصل؛ أي: مجمَعَ وَصْلِهما(١).

﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ ثم سارا حتَّى انتهَيَا إلى الصَّخرة، فوضَعَ فتاهُ المكتَلَ، وكان فيه خُبزٌ وسمكٌ مالحٌ، وقيل: مشويٌّ، وقيل: طريٌّ.

فتمسَّح يوشعُ بالماء، فانتضَحَ على الحوت فعاش ووثب في الماء؛ لأنَّ العين التي اغتسل منها عينُ ماءٍ يقال لها: عينُ ماءِ الحياة، لا يُصيب منها(٢) ميِّتًا إلّا عاش(٣).

فقام الفتى ليُخْبِرَ موسى فنَسي، وإنَّما نسي ومثلُ ذلك لا يُنسى؛ لأنَّه كان في زمان النُّبوَّة، وكان يقعُ لهم أمثالُ ذلك.

ونُسب النِّسيان إليهما لأنَّ موسى نَسِي تعرُّفَ خبرِ الحوت وقد بلَغ الموضعَ الموصوفَ له، ونسي الفتى أن يخبرَه بما كان من الحوت.

وقيل: نُسب إليهما وهو لأحدهما، كقوله: ﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢]، وهما يَخرُجانِ من الأُجَاج.

ولا يَخرجَانِ من الفُرات.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٥)، واستغربه.

(٢) في (ط): «منه»، والهاء تعود على الماء، وفي (ن) و(و) على العين، والفاعل ضمير مستتر، وكلمة (ميتاً) حال في هذا السياق، وفي «تفسير ابن أبي حاتم» (٧/ ٢٣٧٠) عن سفيان: «ولا يصيب ماؤها ميتاً إلا عاش»، وهو أظهر.

(٣) ذكره الثعلبي في «عرائس المجالس» (ص: ٣٠٠) عن الكلبي.

وقيل: تقديره: نَسي أحدُهما، فحُذف المضاف وارتَفع الضَّميرُ واتَّصل بالفعل(١).

وقيل: هو كقوله: نَسُوا زادَهم، وإنَّما ينساه متعهِّدُ الزَّادِ(٢).

﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ﴾؛ أي: اتَّخذ طريقًا له من البرِّ إلى البحر ﴿سَرَبًا﴾: سَرَب فيه سَرَبًا(٣)، المعنى: دخل فيه واستَتَر به.

وقيل: تقديرُه: واتَّخذ سبيلَه سربًا، فهما مفعولان(٤)، كقوله: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، وقيل: بَقِي طريقُه كالسَّرَب(٥).

* * *

(٦٢) ـ ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾؛ أي: مجمَعَ البحرين، ثم نَزَلا وقد سارا ما شاءَ اللهُ ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾: طعامَنا لنتغدَّى به ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾: تعبًا، وقيل: وَهنًا، يريد: ذلك اليومَ فحسبُ؛ لأنَّه جاوَزَ الموعد من المكان.

وقيل: لم يَعْيَ موسى عليه السَّلام في سفرٍ قطُّ إلَّا في ذلك السَّفر.

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٥)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٥)، وعدَّه من العجائب.

(٣) في هامش (ن): «السرب: المحفور من الأرض لا نفاذ له». قلت: وهو على هذا القول منصوب على أنه نائب مصدر مفعول مطلق، انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٩٩).

(٤) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٣٠٠).

(٥) لعله يريد: جمد طريقُه في البحر فكان كالسرب. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٥٤).

(٦٣) ـ ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾.

﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ مقاتلٌ: هي بِـ«شَرَوان» على ساحل بحرِ أَيْلةَ[1]. وقيل: عند نهر الزَّيت[2].

﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾؛ أي: حملَ الحوت. وقيل: ذكرَ الحوت؛ تذكَّرَ الفتى ما كان من الحوت؛ لأنَّ موسى كان يأكلُ منه، فقال: أرأيتَ؛ ذكره ما شاهد[3].

وقيل: معناه: تنبَّه إذ أَوَيْنا حين عَدَلْنا عن الجُدَد إلى الصَّخرة، فإنِّي نسيت الحوت.

ثم اعتذر فقال: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾؛ أي: شغل قلبي بوسوستِه[4]، فنسيتُ أن أذكره؛ أي: ذِكرَه، ومحلُّه نصبٌ على البدَلِ من الهاء بدَلَ اشتمالٍ[5].

وقيل: أن[6] لا أذكرَه.

﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ فيه ثلاثةُ أوجُهٍ:

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٩٣)، وفيه: «مروان» بدل «بشروان». وفي «المسالك والممالك» للبكري (١/ ٤٤٣): «هي صخرة شروان، والبحر بحر جيلان، والقرية قرية باجروان». وفي «الروض المعطار» (ص: ٣٤٠): «شروان: هي إحدى مدن أرمينية».

(٢) ذكره الثعلبي في «عرائس المجالس» (ص: ٣٠٠) عن معقل بن زياد. ونهر الزيت: اسمُ نهرٍ معيَّنٍ سمِّي به لكثرةِ أشجارِ الزيت على شاطئه. انظر: «فتوح الغيب» للطيبي (٩/ ٥١٢).

(٣) في (و): «ثانياً».

(٤) سقطت الباء من (و).

(٥) في (و): «الاشتمال».

(٦) سقطت «أن» من (ن).

أحدها: أنَّ الفعلَ لموسى؛ أي: اتَّخذَ موسى سبيلَ الحوت في البحر عجبا؛ أي: تعجَّبَ من ذلك.

والثَّاني: ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ من كلام الفتى، والفعلُ للحوت، و﴿عَجَبٗا﴾ من كلام موسى؛ أي: عجبتُ من ذلك عَجَبًا.

وقيل: تعجَّبَ من يوشعَ ونسيانِه ذلك؛ لأنَّ موسى عَلِم أنْ يكونَ[1] ذلك.

والثَّالث: أن يكون[2] الجميعُ من كلام يوشعَ؛ أي: اتَّخذ سبيلَه في البحر اتِّخاذًا عجبًا، وذلك أنَّ أثره بقيَ إلى حيث سار.

وقيل: جَمَد الماءُ تحته، وقيل: صار صخرًا، وقيل: بقيَ كالكوَّة، وقيل: ضرب بذنَبه فصار المكانُ يَبَسًا.

قال وهبٌ: لا، بل كان حوتًا يمشي في البحر ككوكبٍ درِّيٍّ، فكانا يمشيان على أثَره إلى أن بَلَغَا الخضرَ عليه السَّلام[3].

وهذا القولُ محتاجٌ إلى شرحٍ؛ كأنَّه رأى الفتى حوتًا يمشي في البحر بهذه الصِّفة فنسي ذكرَه لموسى عليه السَّلام، فلمَّا قال موسى: ﴿لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا﴾ تذكَّر الحوت، فأخبر موسى بذلك، فقال: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِ﴾.

ورُوي عن ابن عبَّاسٍ عن أبيٍّ عن رسولِ الله ﷺ قال: «انتهَيا إلى الصَّخرة

---

(١) كذا ضبطت في (و)، وهي بلا ضبط في بقية النسخ، ويمكن أن تكون (أن) مخففة وأن تضبط (يكون) بالضم.

(٢) «يكون»: ليس في (و).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٩)، واستغربه، وذكر الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ١٩٧) عن وهب أنه قال: «ظهر في الماء من أثر جرى الحوت شق وأخدود شبه نهر».

فناما واضطربَ الحوتُ في المِكْتَلِ، فخرج منه وسقطَ في البحر، فاتَّخذ سبيلَه سَرَبًا، فأمسكَ على الحوت جِرْيَةَ الماء، فصار عليه مثلَ الطَّاق»[1].

فعلى هذا يجوزُ أن يكونَ قوله: ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾، ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ من قول الله، و﴿عَجَبًا﴾ كقوله: ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ [الرعد: ٥].

***

(٦٤) ـ ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾.

﴿قَالَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: أمرُ الحوت ﴿مَا كُنَّا نَبْغِ﴾: نطلبُه، ﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾: رجَعَا في الطَّريق الذي جاءا فيه يتتبَّعان أثرَ المجيء ،﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ الجمهورُ على أنَّه الخضِرُ، واسمُه: بَليا بنُ مَلكان، وقيل: الْيَسَعُ، وقيل: إلياسُ، وقيل: خضرونُ بنُ قابيل بنِ آدم، حكاه النَّقَّاش[2].

عُبيدُ بن عُمَيرٍ يرفعُه قال: «لمّا خرج موسى يطلبُ العالِمَ انتهَى إلى البحر، فإذا هو به نائمٌ فوق الماء عليه قطيفةٌ خضراءُ قد أدخلَها تحت رأسه وتحت رجليه، فلمَّا رأى موسى عَرَف الشِّدَّةَ والشَّهامة، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، قال: لقد كان لك في التَّوراة عِلمٌ وفي بني إسرائيل شُغلٌ»[3].

وقيل: رأى خَضِرًا على طِنْفسةٍ خضراءَ على وجه الماء فسلَّم عليه[4].

---

(١) رواه البخاري (٣٤٠١)، ومسلم (٢٣٨٠).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٩)، واستغربه.

(٣) لم أقف عليه إلا عند المصنف هنا وفي «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٨)، ويشهد لبعضه ما سيأتي.

(٤) رواه بنحوه البخاري (٤٧٢٦) قطعة من حديث طويل، ولفظه: «فوَجَدَا خَضِرًا على طِنْفِسَةٍ خضراءَ على كَبِدِ البحرِ». وكبد البحر: وسطه، والطنفسة: بساط صغير كالنمرقة، يقال بكسر الطاء والفاء، وضمهما، وبكسر الطاء وفتح الفاء، وهو الأصح، وحكى أبو حاتم فتح الطاء. انظر: «إكمال المعلم» (٧/ ٣٧١).

وجاء في الخبر: «إنَّما سمِّي الخَضِرُ خَضِرًا؛ لأنَّه جلس على فروةٍ بيضاء فاهتزَّت تحته خضراءَ»[١]. الفروة: الأرضُ المرتفعةُ، وقيل: الصُّلبة.

مجاهدٌ: إنَّما سمِّي الخضِرُ خضرًا؛ لأنَّه إذا صلَّى اخضرَّ ما حولَه[٢].

سعيدٌ: الخضِرُ أمُّه روميَّةٌ وأبوه فارسيٌّ[٣].

ورُوي عن رسول الله ﷺ في بعض الأخبار: أنَّه ذكر قصَّة الخضر فقال: كان ابنَ ملكٍ من الملوك، فأراد أن يستخلِفَه مِن بعدِه فلم يَقبلْ منه، ولَحِقَ بجزائر البحور، فطلبَه أبوه فلم يَقدِرْ عليه، وأطال الثَّعلبيُّ الكلام في ذلك الملِك في كتاب «العرائس»[٤].

وعن ابن لَهِيعةَ: أنَّ الخضر ابنُ فرعون موسى، حكاه النَّقَّاش في «تفسيره» والعُهْدةُ عليه[٥].

***

---

(١) رواه البخاري (٣٤٠٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه بلفظ: «إنَّما سُمِّيَ الخَضِرَ أنَّهُ جلسَ على فَرْوَةٍ بيضاءَ، فإذا هي تهتزُّ من خلفِهِ خضراءَ».

(٢) رواه ابن الأنباري في «الزاهر» (٢/ ١٥٤)، والثعلبي في «عرائس المجالس» (ص: ٣٠١)، وذكره الثعلبي أيضاً في «تفسيره» (١٧/ ١٩٩)، والواحدي في «البسيط» (١٤/ ٨١)، والمصنف في «غرائب التفسير» (١٧/ ١٩٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٩٧).

(٣) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٦/ ٤٠١) عن سعيد بن معبد.

(٤) انظر: «عرائس المجالس» للثعلبي (ص: ٣٠١)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٥٤)؛ كلاهما دون سند.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٨)، واستغربه جداً ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ١٧٩).

(٦٥) ـ ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾.

وقيل: في قوله: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾: كان ملَكًا، أمر الله موسى أن يأخذَ منه من عِلْم الباطن[1].

وقيل: كان عالمًا.

واختلفوا في نبوَّته؛ أعني: الخضرَ؛ فمنهم مَن قال: هو نبيٌّ، ومنهم مَن قال: هو وليٌّ.

واختلفوا في حياته، فقال بعضهم: هو حيٌّ بعدُ في زماننا، وأنكره بعضُهم بأنْ لا يكونُ بعد محمَّدٍ عليه السّلام نبيٌّ.

أبو عليٍّ: كان الخضرُ نبيًّا بعد موسى، قال: وهذا أيضًا نبيٌّ، ولكنْ كان قبلَ موسى والخضرِ عليهما السَّلام[2].

وقيل: الخضرُ نبيٌّ، وإلياسُ نبيٌّ، وهما في الأحياء يلتقيان في كلِّ موسمٍ في عرفاتٍ[3].

وروي عن محمَّد بن إسحاق: أنَّ موسى صاحبَ الخضر هو موسى بنُ ميشا بنِ يوسف[4]، وقيل: موسى بن أفراثيم بن يوسف، وهذا بعيدٌ[5]؛ فإنَّ في

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٨)، وعدَّه من العجائب.

قلت: بل من المناكير والتقولات الفارغة بعدما ثبت في الصحيحين من قصة موسى والخضر.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٨) واستغربه، ولفظه: «قال أبو علي: الخضر كان نبيًّا قبل موسى، وكان بعد موسى خضر آخر، وكان نبياً أيضاً».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٨)، واستغربه.

(٤) رواه عنه الحاكم في «المستدرك» (٤٠٩٣)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٢١)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٩٥). وهذا القول قال عنه ابن الجوزي: «ليس بشيء؛ للحديث الصحيح». وسيأتي لاحقاً.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٨)، وعدَّه من العجائب، واستبعده وضعفه.

«الصَّحيح» عن البخاريِّ: أنَّ سعيد بن جُبيرٍ قال: قلت لابن عبّاسٍ: إنَّ نَوْفًا البِكَاليَّ[١] ـ وكان قاضيًا بالكوفة[٢] ـ يزعم أنَّ موسى صاحبَ الخضر ليس[٣] موسى بني إسرائيل، إنَّما هو موسى آخر، قال: كَذَبَ عدوُّ الله[٤].

وفي بعضِ القصص: أنَّ الخضر لمّا رأى يوشعَ بنَ نونٍ شربَ من ماءِ الحياة أخَذَه وجعله في تابوتٍ وشدَّه بالرَّصاص، ورمَى به في موج البحر[٥]. وهذا بعيدٌ، بل صَرَفه موسى وردَّه إلى بني إسرائيل.

وإنَّما ذَهَب إلى هذا مَن ذَهَب؛ لأنَّ ذكرَه انقطع هاهنا، وفي الخبر عن النَّبيِّ عليه السّلام: «إنَّ أخي الخضرَ لَيَقْضي ثلاثَ ساعاتٍ من النَّهار بين أممِ البحر، ويشهدُ الصّلواتِ كلَّها في المسجد الحرام، ويتهجَّدُ بالسَّحَر عند سدِّ يأجوجَ ومأجوج»[٦].

---

(١) نوف بن فضالة الحميري البكالي، أبو يزيد، ويقال: أبو الرشيد، ويقال: أبو رشدين، ويقال: أبو عمرو، الشامي من أهل دمشق، ويقال: من أهل فلسطين، وهو ابن امرأة كعب الأحبار، قال أبو عمران الجوني: كان نوف أحد العلماء، وقال يحيى بن أبي عمرو الشيباني: كان نوف إماماً لأهل دمشق. انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٨/ ٥٠٥)، «تهذيب الكمال» (٣٠/ ٦٥)، و«تهذيب التهذيب» (١٠/ ٩٠).

(٢) «وكان قاضيًا بالكوفة»: ليس في (و).

(٣) في (و) زيادة: «هو».

(٤) رواه البخاري (١٢٢)، ومسلم (٢٣٨٠).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٩)، وعدَّه من الغريب العجيب.

(٦) لم أقف عليه، وروى الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» كما في «بغية الباحث» (٩٢٦)، وأبو نعيم في «الطب النبوي» (٦٨٢)، عن عبد الرحيم بن واقد، عن القاسم بن بهرام، عن أبان، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الخضر في البحر واليسع في البر، يجتمعان كل ليلة عند الردم الذي بناه ذو القرنين بين الناس وبين يأجوج ومأجوج، ويحجان أو يجتمعان كل عام، ويشربان من زمزم شربة تكفيهما إلى قابل»، وزاد أبو نعيم: «وطعامهما الكرفس». قال ابن حجر في =

وفي القصص: لمَّا ورد موسى البحرين وقف على ساحل البحر، فأبصر حوتًا قد علا الماءَ ونَشَر جناحَيْه على متن البحر، فوضع موسى رجليه على جناحه اليمنى، ووضع فتاه قدميه على جناحه اليسرى، وجعل الحوتُ يسبح ويقطعُ بهما[(١)] أهاويلَ البحر حتى انتهى إلى الصَّخرة[(٢)]؛ يعني: الحوت.

قوله: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾: هي النُّبوَّة، وقيل: العلمُ، وقيل: الطَّاعةُ، وقيل: طولُ الحياة.

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾: عُلِّم مِن عِلْمِ[(٣)] الغيب ما لم يَعْلَمْ غيرُه.

مقاتلٌ: إنَّ اسمه اليَسَعُ، وإنَّما سمِّي اليسعَ لأن علمَه وسعَ ستَّ سماواتٍ وستَّ أرضين[(٤)]. وهذا الكلامُ مزيَّفٌ جدًّا.

* * *

(٦٦) ـ ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾.

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾؛ أي: هل أصحَبُك على شرطِ أن تعلِّمني هدًى وصوابًا ممَّا عُلِّمته؟

والرُّشْدُ والرَّشَدُ[(٥)] لغتان كالبُخْل والبَخَل.

= «الإصابة» (٢/ ٢٥١): «وعبد الرحيم وأبان متروكان».

(١) «بهما»: ليس في (و).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٦٩) وعده من العجائب. ولا شك أنه من خرافات الإسرائيليات.

(٣) «علم»: ليس في (و).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٩٤).

(٥) قرأ أبو عمرو بفتح الراء والشين، والباقون بضم الراء وإسكان الشين. انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٤)، و«التيسير» (ص: ١٤٤)، وذكر ابن مجاهد رواية عن ابن ذكوان عن ابن عامر بضمِّ الراء والشين.

وانتصابُ ﴿رُشْدًا﴾ على أنَّه مفعولُ ﴿تُعَلِّمَنِ﴾، وأجاز أبو عليٍّ أن يكونَ مفعولًا له؛ أي: هل أتَّبِعُك للرُّشْد[1]، ويجوزُ أن يكون مصدرًا؛ أي: تعلِّمَني وتُرشِدَني بذلك رشدًا.

والعلمُ هاهنا يتعدَّى إلى مفعولٍ واحدٍ، فعدِّي بالتَّشديد إلى مفعولين.

***

(٦٧ ـ ٦٨) ـ ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾.

﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾؛ أي: يَشُقُّ عليك الصَّبرُ ويَثْقُلُ.

وقيل: نفى الصَّبرَ على زَعْمِه.

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾: اعتذَر عن كلامه؛ أي: ليس هذا غضاضةً منك، بل لأنَّك ترى ما يَقْبُحُ في المعتاد، فيَلزمُكَ عندك الإنكارُ والتَّغيير وأنت لا تعلمُ باطنَه، ولا تعلمُ أنَّ الأمر بخلافِ ظاهره.

وقيل: ﴿مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾: لم تستَيْقِنْه، والخُبْرُ والخُبْرةُ واحدٌ[2].

***

(٦٩) ـ ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾.

﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾؛ أي: عن الإنكار، وقيل: عن السُّؤال.

﴿وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾؛ أي: أتابعُك على كلِّ ما تريدُ.

وقيل: لا أَبتدئُ بالإنكارِ حتَّى تَبتدِئَ بالإخبار.

وقيل: العصيانُ هاهنا مجازٌ وإعظامٌ منه له.

---

(١) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٥/ ١٥٥).

(٢) ومعناهما: العلم بالشيء، ويجوز في الخاء فيهما الضم والكسر. انظر: «القاموس» مادة: (خ ب ر).

وقيل: تمَّ الكلام على قوله: ﴿صَابِرًا﴾؛ فصبَر لمّا[١] استثنى بقوله: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾، وعصَى حيث لم يَستَثْنِ.

وقيل: لم يَلزَمْه الصَّبرُ لمّا استثنَى، كقوله: أنت طالقٌ إنْ شاء الله[٢].

***

(٧٠) ـ ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا﴾.

﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا﴾؛ أي: لا تبتَدِئْني بالسُّؤال عمَّا يَصْدُرُ منِّي وإنْ أنكرتَه إلى أنْ أَبتدِئَكَ ببيانه وأُخبرَكَ به.

الفرَّاء: حتّى أكون أنا الذي أسأُلك[٣].

***

(٧١) ـ ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا﴾.

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ﴾؛ أي: أخذا يمشيان ـ يريد: موسى والخضر ـ على السَّاحل، فمرَّت بهما سفينةٌ، فحمَلَهُما أصحابُها بغيرِ نَوْلٍ، وقالوا: سِيْماهُما سِيما الزُّهَّادِ.

وقيل: فلوَّح الخَضِرُ بثوبه، فأُدْنِيتْ من السَّاحل، فركباها.

وقيل: عَرَفوا الخضرَ، فحملوهما بغيرِ نَولٍ.

---

(١) في (و) بدل «فصبر لما»: «وإنما».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٧٠)، واستغربه.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٥٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٧٠)، واستغربه

فبينما هم في السَّفينة أخذَ الخضرُ فأسًا فخَرَق لوحًا من السَّفينة حتى دخلها الماء، وجاء في التَّفسير: فحشاها موسى بثوبه(١).

السُّدِّيّ: ﴿خَرَقَهَا﴾ ثمَّ أخذ قدحًا من زجاجٍ كان في السَّفينة فألقَمَه الخَرْقَ(٢).

وقال بعضهم: ثمَّ أخذ منقارًا له ومِطْرقةً، فضرب فيها بالمنقار حتَّى خرقها، ثمَّ أخذ لوحًا وطبَّقه عليها، ثمَّ جلس يَرْقَعُها.

﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ وكذلك كان في عِلم موسى.

وقيل: لأنَّ السَّفينةَ إذا دخلها الماءُ رَسَب فغَرَّق أهلَها.

قوله: ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ قيل: اللَّام لامُ العاقبة.

وقيل: معناه: هذا الفعلُ يُشْبِهُ فِعْلَ مَن يريدُ الإغراق(٣).

﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾: داهيةً. مجاهدٌ: منكرًا(٤). مقاتل: عجبًا(٥).

ابن عيسى: هو مأخوذٌ من الإمر: وهو الفاسدُ الذي يحتاجُ أن يُؤْمَر بتركه إلى الصَّلاح، ومنه رجلٌ إمرٌ: إذا كان ضعيفَ الرَّأي يحتاجُ أن يُؤْمَر حتَّى يَقْوَى رأيُه(٦).

وقيل: أصله الشِّدَّةُ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٠٤) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه مرفوعاً، والحديث رواه البخاري (١٢٢) و(٣٤٠١) و(٤٧٢٥) و(٤٧٢٧)، ومسلم (٢٣٨٠)، دون ذكر الحشو، وليس في شيء من روايات الصحيحين ذكر سد الخرق بأي طريقة من الطرق.

(٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ٢٠٦)، والعليمي في «فتح الرحمن» (٤/ ٢٠٠) بلا نسبة.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٧٠).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٣٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٧٨).

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٢٧). ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٧٨) عن قتادة.

(٦) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٢٧) بلا نسبة.

و﴿إِذَا﴾ في قوله: ﴿إِذَا رَكِبَا﴾[١] في موضع جرٍّ بـ﴿حَتَّىٰٓ﴾، وهي عاملةٌ في المعنى؛ لأنَّ ما بعدها جملةٌ، كما تقول: جلس حتى إذا قُمْنا ذهب[٢].

***

(٧٢) ـ ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

﴿قَالَ﴾ يعني: الخضرَ: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ وجاء في الخبر: «وكانا في ذلك إذ جاء عصفورٌ فنَقَرَ نَقْرةً من ماءٍ ثم طار، فقال الخضرُ: إنَّ عِلْمي وعلمَك وعلمَ الخلائق كلِّهم في عِلمِ الله كهذه النَّقْرة التي أخذها من عُرض البحر»[٣].

فلمَّا رأى موسى أنَّ الخرقَ لم يَدخلْ منه[٤] الماءُ ولم يضرَّ مَن في السَّفينة:

(٧٣) ـ ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾.

﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ يعني: بذلك نسيانَه العهدَ الذي كان أعطاه مِن نَفسه أنْ لا يسألَه عن شيءٍ حتى يكونَ يُخْبِرُه.

وقيل: ﴿بِمَا نَسِيتُ﴾؛ أي: بما غَفَلْتُ؛ فإنَّ النِّسيان مرفوعٌ عن الإنسان.

وقيل: من النِّسيان الذي هو التَّرْكُ.

ورُوي عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ موسى لم ينسَ، ولكنَّه من معاريضِ الكلام، وأراد شيئًا آخرَ نَسِيَه[٥].

---

(١) في (ن): «حتى إذا».

(٢) انظر: «الأصول» لابن السراج (١/ ٤٢٨)، و«شرح الكتاب» للسيرافي (٣/ ٢٠٩).

(٣) قطعة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما رواه البخاري (١٢٢)، ومسلم (٢٣٨٠)، وقد تقدم.

(٤) في (ن): «به».

(٥) رواه مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٥١)، والفراء في «معاني القرآن» (٢/ ١٥٥)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٥٦)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٢٧).

﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾: لا تضايِقْني بهذا القَدْرِ فتَعْسُرَ مصاحَبَتُكَ.

وقيل: لا تكلِّفْني ما لا أَقْدِرُ عليه.

ابن عيسى: لا تُغْشِني[١]، قال: وهو مِن قولهم: رَهِقَ الفارسَ: إذا غَشِيَه وأدرَكَه، وغلامٌ مراهقٌ: قارَبَ أن يَغْشاه حالُ البلوغ.

***

(٧٤) - ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾.

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا﴾ ثم إنَّهما خرجا من السَّفينة ودخلا البلد فلَقِيَا غلمانًا يلعبون، فأخَذَ الخضرُ أحسنَهم وجهًا وأنظفَهم ثوبًا فذبَحه بالسِّكِّين[٢]، وقيل: فدمَغَ رأسه بالحجر، وقيل: رفسه برجله فقتله، وقيل: نزع رأسه[٣]، وقيل: ضربَ رأسَه الجدارَ ﴿فَقَتَلَهُ﴾[٤]، وكان غلامًا لم يبلغِ الحِنْثَ، ولهذا أَزْكاه موسى.

وقيل: كان بالغًا، ولهذا قال موسى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ ولو كان صغيرًا لم يكن عليه قصاصٌ ولا تَبِعةٌ، وكان اسمُه خَيْسُور، وقيل: خشنوذ[٥].

---

(١) لم أقف عليه عن ابن عيسى، وهو قول أبي عبيدة وابن قتيبة والزجاج. انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٤١٠)، و«غريبه» لابن قتيبة (ص: ٢٧٠)، و«بعافيه» للزجاج (٣/ ٣٠٢).

(٢) في «البخاري» (٤٧٢٦): قال يعلى (هو ابن مسلم): قال سعيد (هو ابن جبير): «وجد غلمانًا يلعبون، فأخذ غلامًا كافرًا ظريفًا فأضجعه ثم ذبحه بالسكين». وانظر التعليق الآتي.

(٣) وهو الوارد في أكثر روايات البخاري؛ ففي الرواية (١٢٢): «فأخذ الخضرُ برأسه من أعلاه فاقتلع رأسَه بيده»، ومثله في الرواية (٣٤٠١) و(٤٧٢٥) و(٤٧٢٧)، ومسلم (٢٣٨٠). وجمع ابن حجر بين هذه الروايات والرواية السابقة بأنه ذبحه ثم اقتلع رأسه. انظر: «فتح الباري» (٨/ ٤١٩).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢١٠).

(٥) في (و): «حسنوذ» بالسين، وفي (ن): «خشنوذ وقيل خنشود».

وهبٌ: اسمُ أبيه: مَلَّاس، واسمُ أمِّه: رَحْمتي[١].

النَّقَّاش: اسمُه: حسين بن كازري، واسم أمِّه: شهوى[٢].

الضَّحَّاك: كان رجلًا يعملُ الفسادَ وتأذَّى منه أبواه[٣].

الحسن: كان رجلًا كافرًا[٤]، والعربُ قد تقول للرَّجل البالغ: غلامٌ[٥].

الكلبيُّ: كان فتًى يَقطَعُ الطَّريق ويأخذُ المتاعَ ويَلجأُ إلى أبويهِ فيَحْلِفان دونه ولا يَعلَمان ذلك[٦].

﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ الزَّكيَّة والزَّاكية[٧]: الطَّاهرة من المعاصي.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢١٠). وعزاه ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٤٢١): لكتاب «المبتدأ» لوهب بن منبه، لكن فيه أن اسم أمه: رُحمى.

(٢) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٥٩٦).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٠٩).

(٤) ذكره بهذا اللفظ أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية، وأورده البغوي في «تفسيره» (٥/ ١٩١) لكن دون كلمة: «كافراً». وهذا مخالف لما رواه البخاري (٤٧٢٥) من حديث ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ، وفيه: «...إذ أبصرَ الخضرُ غلامًا يَلعبُ مع الغِلمانِ...».

(٥) ذكر الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٢٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رجلًا شاباً قد قبض على لحيته؛ لأن غير البالغ لا يجري عليه القلم بما يستحق به القتل، وقد يسمى الرجل غلاماً، قالت ليلى الأخيلية في الحجاج:

شفاها من الداء العضال الذي بها ... غـلام إذا هـز القـنـاة سـقاها

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢١٠).

(٧) قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي: ﴿زكية﴾، وقرأ الباقون: ﴿زاكِيَةً﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٥)، و«التيسير» (ص: ١٤٤).

ورُوي عن أبي عمرٍو والمفضَّل أنَّهما قالا: الزَّاكية: التي لم تُذْنِب قطُّ، والزَّكيَّة: التي أَذْنبتْ ثم غُفِر لها(١).

وعن ابن عبَّاسٍ: إنَّ الغلامَ طُبِعَ كافرًا(٢).

﴿بِغَيۡرِ نَفۡسٍ﴾؛ أي: بغيرِ نفسٍ قَتَلَها عمدًا فيُقادَ بها.

وقيل: أراد: زكيَّةً في علمي.

﴿لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا﴾؛ أي: منكَرًا يُنكِره العقلاء، والنُّكْرُ أشدُّ من الإمْر.

وقيل: بل الإمرُ أشدُّ؛ لأنَّه كاد في الظَّاهر يُهْلِكُ أهلَ السَّفينة وكانوا جماعةً(٣).

وإنَّما دخل الفاءُ في قوله: ﴿فَقَتَلَهُۥ﴾ دون أختيه؛ لأنَّ القتل اتَّصل(٤) باللِّقاء، بخلافِ الأُخْرَيَينِ فإنَّهما وقَعَتا بعد تَراخٍ(٥).

* * *

(٧٥) - ﴿قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾.

﴿قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾ زاد في هذه الآية ﴿لَّكَ﴾(٦) لأنَّ النَّكير فيه أكثرُ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢١٢)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٣٠) عن أبي عمرو.

(٢) رواه هكذا موقوفاً عن ابن عباس رضي الله عنهما عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧١١)، ورواه مسلم (٢٦٦١) من حديث ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٧١)، واستغربه.

(٤) في (و): «اتصال».

(٥) في (ن): «براح»، وفي هامشها: «البراح: القتل».

(٦) «لك... الأول»: ليس في (و).

وقيل: بيَّن في الثَّاني المقولَ[١] له ولم يُبيِّن في الأوَّل[٢].

* * *

(٧٦) ـ ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾.

﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾: بعد هذه المسألة. وقيل: بعد هذه المرَّة. وقيل: بعد هذه النَّفس المقتولة. وقيل: الفعلة.

﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾: فلا تتابِعْني ولا توافِقْني في الصُّحبة؛ لأنَّه لا مزيدَ على مخالَفتك ثلاثَ مرَّاتٍ، ورُوي عن النَّبيِّ عليه السَّلام أنَّه قال: «رحمةُ الله عليَّ وعلى أخي موسى، لو لم يَحْمِلْه الحياءُ على أخذِ ذِمَامه ألَّا يصاحبَه بعدَها لَرأى من عجائبِ غيبِ الله وعِلْمِه شيئًا كثيرًا»[٣].

﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾: أَعْذَرْتَ[٤] فيما بَيْني وبَيْنك في الفِراق.

* * *

(٧٧) ـ ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾.

---

(١) في (ن): «المقتول»، وهو تحريف.

(٢) ذكر المصنف هذين الوجهين في «البرهان» (ص: ١٧٠)، وزاد وجهاً ثالثاً، وهو أنه تأكيد كما تقول لمن توبخه: لك أقول، وإياك أعني.

(٣) ورد نحوه من حديث أبيٍّ المتقدم عند البخاري (١٢٢)، ومسلم (٢٣٨٠)، ولفظ مسلم: «رحمة الله علينا وعلى موسى، لولا أنه عجَّل لرأى العجب، ولكنَّه أخذته من صاحبه ذمامة ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾، ولو صبر لرأى العجب».

(٤) أعذر؛ أي: صار ذا عذر، فلا يُلام، ومن المثل: «أَعذرَ مَن أَنذرَ». انظر: «الصحاح» مادة: «ع ذ ر» (٢/ ٧٣٨)، و«جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ١٦٢).

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ﴾ ابن عبَّاسٍ: أنطاكيَّة(١).

ابن سيرينَ: الأُبُلَّةُ، قال: وهي أبعدُ أرضِ اللهِ من السَّماء(٢).

وقيل: باجروان بأرمينيّة.

﴿ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ تقول: ضِفْتَه: إذا جِئْتَه ضيفًا، وأَضَفْتَه: إذا دَعَوْتَه إلى ضِيَافتك، وكذلك: ضيَّفْتَه؛ وأصلُه: الميل؛ أي: استضافاهم وسألاهم طعامًا فأبوا أن يطعموهما.

أبيُّ بن كعبٍ عن النَّبيِّ عليه السّلام أنَّه قال في هذه الآية: «كانوا أهلَ قريةٍ لئامًا»(٣).

﴿فَوَجَدَا فِيهَا﴾: في القريةِ ﴿جِدَارًا﴾: حائطًا ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾: ذهبَ بعضُ المفسِّرين إلى أنَّ لفظَ الإرادة هنا مجازٌ، وأنَّ المرادَ به: يَقْرُبُ، وله نظائرُ(٤).

وذهب بعضُهم إلى أنَّ إرادةَ الجدار: ميلُه.

ومعنى ﴿أَن يَنقَضَّ﴾: يُسرع تَفرُّق أجزائه، من قولهم: قَضَضْتُ الشَّيءَ؛ أي(٥): كَسَرْتُه.

وقيل: ﴿يَنقَضَّ﴾: يسقطَ، ومنه انقضاضُ الكواكب.

---

(١) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٤/ ٢٧٢)، والسمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٥٧)، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢١٥). وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٧٩) من طريق قتادة، عن ابن عباس قال: «هي أبرقة»، قال: «وحدثني رجل أنها أنطاكية».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٤٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٧٩).

(٣) ورد في حديث أبيٍّ المتقدم في رواية مسلم (٢٣٨٠).

(٤) كقوله تعالى: «كدنا ليوسف» قيل: معناه: أردنا. انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٥٤٦).

(٥) «أي»: من (ط).

﴿فَأَقَامَهُۥ﴾؛ أي: هدَمه وجدَّد بناءَه وأعاده صحيحًا. مقاتلٌ: سوَّاه بالحديد[١].

وعن النَّبيِّ عليه السَّلام: «هدَمه ثمَّ قَعَد يَبنِيْهِ»[٢].

وقيل: دَعَمه بدِعامةٍ فمَنَعه[٣] من السَّقوط، وذلك إقامتُه.

وقيل: مسَّه الخضِرُ بيده فاستوى الجدار[٤].

وهبٌ: كان طولُه في السَّماء مئةَ ذراعٍ[٥].

﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخِذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾: تَخِذَ واتَّخذ لغتان[٦]، كتَبِعَ واتَّبَع، وليس من الأخذ عند البصريِّين[٧].

وقوله: ﴿أَجْرًا﴾: جُعْلًا وأُجرةً، وقيل: قِرًى وضيافةً.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٩٧)، وفيه: «فأقامه الخضر جديدًا»، ولعلها: «حديدًا» فتصحفت.

(٢) هي رواية الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٢٧) في حديث أبي رضي الله عنه.

(٣) في (ن): «تمنعه».

(٤) في إحدى روايات البخاري (٢٢٦٧) لحديث أبي المتقدم: «قال يعلى: حسبت أن سعيدًا قال: «فمسحه بيده، فاستقام»، وفي أخرى له (٤٧٢٥): «مائل، فقام الخضر فأقامه بيده»، ونحوه في بعض الروايات الأخرى، ولم يذكر بعضها الآخر: «مائل».

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢١٨).

(٦) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿لَتَخِذْتَ﴾، والباقون: ﴿لاتخذت﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٦)، و«التيسير» (ص: ١٤٥).

(٧) وقد خالف في هذا أبو إسحاق الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ٣٠٧)، فذهب إلى أنها من الأخذ، وأنكر عليه ذلك ابن جني في «الخصائص» (٢/ ٢٨٩)، وانظر: «الكتاب» (٤/ ٤٨٣)، والأصول (٣/ ١٢٧ و٤٣٣).

(٧٨) ـ ﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾.

﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ المشارُ إليه الوقتُ؛ أي: هذا الوقتُ آخِرُ صُحبتنا[١]. وقيل: هذا السُّؤال منك سببُ فِراقنا.

وإضافتُه إلى (بين) على السَّعة إذ كان للظَّرف[٢]، وكرَّر (بين) توكيدًا، والقياسُ: (بيننا).

﴿سَأُنَبِّئُكَ﴾: سأُخبِرُك قبلَ أنْ نتفرَّق ﴿بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾؛ أي: بمآلِ ما سألتَ[٣] عنه ولم تَصْبِرْ عليه. ثم فصَّل فقال:

(٧٩) ـ ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾.

﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ ﴾ ذهب بعضُهم إلى أنَّهم سُمُّوا مساكينَ لعَجْزهم عن دفع الملِك، وقيل: لفَقْرهم وشدَّةِ حاجتِهم، وقيل: لشدَّة معاناتهم في البحرِ، وقيل: لزَمانةٍ كانت بهم وعِلَلٍ.

وكانوا عشرةً، والسَّفينةُ كانت وَقْفًا عليهم، وسُئل ابنُ عبَّاسٍ: كيف كانوا مساكين والسَّفينةُ قد تساوي ألفَ دينارٍ؟ فقال: المسافرُ مسكينٌ وإنْ كان معه ألفُ دينارٍ[٤].

---

(١) في (و): «صحبتك».

(٢) وهو قول أبي علي الفارسي والجرجاني، وقد ذكره المصنف واستغربه، ومال إلى أنَّ المبين هنا بمعنى الوصال، فتكون الإضافة على الأصل. انظر: «الحجة» (٣/ ٣٥٨)، و«البسيط» للواحدي (٧/ ٥٦٦)، و«غرائب التفسير» (١/ ٦٧٣).

(٣) في (و) و(ن): «ما سألته»، والمثبت من (ط)، وهو الأنسب.

(٤) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٢٨).

وقيل: كانوا أُجراءَ فيها.

وقيل: مساكينُ: جمعُ مَساكٍ، فَعَالٍ من أمسكتُ الشَّيء كبَراءٍ وكَهامٍ[١]، وهو الملَّاح[٢].

وقرئ في الشَّواذِّ: (لمسَّاكين)[٣]؛ أي: ملَّاحين، وقيل: دبَّاغين.

﴿يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ﴾: يؤاجِرونَ ويَكسبون قُوْتَهم، وقيل: يَغوصون في البحر.

﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾: أجعلَها ذاتَ عيبٍ.

﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾: قدَّامهم؛ كقوله ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ [إبراهيم: ١٦]. وقيل: خَلْفَهم ملكٌ ومرجِعُهم عليه. وحقيقتُه: ما وارَى عنك شيئًا[٤].

---

(١) يقال: بريء وبراء، ويقال: كهيم وكهام، وهو الذي لا غناء عنده، يقال في السيف والرجل والفرس. انظر: «العين» (٣/ ٣٨٢)، و«إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ٨٥).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٧٤)، واستغربه. وكلام المؤلف هنا يوهم أن المسَاك ـ بتخفيف السين ـ معناه في اللغة: الملاح، وليس كذلك، بل ذلك معنى مسَّاك ـ المشدد السين ـ كما سيأتي، ولعل عبارة المؤلف في «غرائب التفسير» توضح مراده حيث قال: «العجيب: جمع مَسَاك، ومسَاك ومَسِيك مثل براء وبَريء، والمعنى: لأقوياء، يريد بهم الملاحين، وقرىء في الشواذ: (مسَّاكين) ـ مشدد السين ـ فحمل المعنى على الملاحين، وقيل: على الدباغين».

فقد فسر المصنف المَسَاك بالقوي، وهو عام يمكن أن يندرج فيه الملاح؛ لكونه يجب أن يكون قويًّا، لا أن المساك ـ بتخفيف السين ـ معناه الملاح، وانظر التعليق الآتي.

(٣) انظر: «إعراب ثلاثين سورة» لابن خالويه (ص: ٩٢)، ونسبها لقطرب نقلًا عن ابن مجاهد، ووردت بلا نسبة في «النكت والعيون» (٣/ ٣٣٢)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ٥٣٥). ونسبها أبو حيان في «البحر» (٧/ ٢١٢) لعلي رضي الله عنه، لكن قال السمين في «الدر المصون» (٧/ ٥٣٦): «ولا أظنها إلا تحريفاً على أمير المؤمنين».

(٤) وهو من الأضداد كما في «الأضداد» للأنباري (ص: ٦٨).

وكان اسمُه جُلَنْدَى بنَ كِرْكِرٍ، وكان كافرًا.

وهبٌ: اسمُه مَنُولةُ بن خُلَيدٍ الأَزْديُّ(١)، وقيل: هُدَدُ بنُ بُدَدَ.

﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾؛ أي: يأخذُها ويَغْصِبُ عليها صاحبَها؛ والمعنى: كلَّ سفينةٍ صحيحةٍ غيرِ مَعيبةٍ.

وقرأ ابن مسعودٍ رضي الله عنه: (كلَّ [سفينةٍ] صحيحةٍ)(٢).

وقرأ عثمان رضي الله عنه: (كلَّ سفينةٍ صالحةٍ)(٣).

قيل: وأَمَر عثمانُ فكتب إلى بلاد المسلمين بأنْ يُكتب في المصاحف: (صالحةٍ)، وقال: قد قامت عندي البيِّنةُ بها، وكان ذلك في آخِرِ عمرِه فلمْ يَنتشر(٤).

---

(١) لم أقف عليه عن وهب. وفي «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٩٨): «مبدلة بن جلندي الأزدي». وفي «تفسير الثعلبي» (١٧/ ٢٣١) عن ابن إسحاق: «مؤولة بن خليد الأزدي».

(٢) ذكرها هكذا ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ١٠٢) عن أبي بن كعب رضي الله عنه، ونسبها ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ٥٣٥) لابن جبير وابن عباس بلفظ: (وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صحيحة)، وهكذا رواها الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٥٤) عن قتادة قال: كان في بعض القراءة... فذكرها، «وذكر الطبري» في تفسيره (١٨، ٨٤) عن قتادة قال: «هي في حرف ابن مسعود: (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً». وما بين معكوفتين من «غرائب التفسير» (١/ ٦٧٤).

(٣) رواها عن عثمان أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٢٩٨)، ورواها عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٩٩) عن ابن مسعود، ورواها الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٥٦) عن ابن عباس عن أبيٍّ، ورواها البخاري (٤٧٢٥)، ومسلم (٢٣٨٠) عن ابن عباس.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٧٤)، واستغربه.

قال الباقلاني في «الانتصار للقرآن» (٢/ ٤٢٥): «إن هذه أخبار آحاد غير مقطوع عليها ولا موثوق بصحتها، وإننا لا نجوِّز أن نثبت قرآنًا بطريق لا يوجب العلم ولا يقطع العذر، وإن الشهادة على أدنى المؤمنين منزَّلةٌ بمثل ذلك، فلا يجب الاعتداد بمثل هذه القراءات على وجه».

(٨٠) ـ ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾.

﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾؛ أي: فعَلِمْنا إن عاش أن يصيرَ سببًا لكفرِ والدَيْه وعِصْيانهما اللهَ لمرضاته.

ومعنى: ﴿يُرْهِقَهُمَا﴾: يحمِلَهما، وقيل: يكلِّفَهما الـمَشَقَّةَ.

الزَّجَّاج: يحمِلَهما على الرَّهَق، وهو الجهلُ(١).

***

(٨١) ـ ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾.

﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾؛ أي: أَردْنا أن يَرْزُقَهما الله ولدًا يكون ﴿خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً﴾: أتمَّ صلاحًا وأطهرَ دِينًا.

وقيل: ﴿خَيْرًا﴾ لهما ﴿مِّنْهُ﴾.

وقيل: ﴿خَيْرًا﴾: بِرًّا وصلاحًا ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾: رحمةً وعطفًا.

وقيل: أَبَرَّ بوالديه. وقيل: أَرْحَمَ لوالديه.

والرُّحْمُ والرَّحمةُ كالكُثْرِ والكَثْرة، وهو مصدرٌ معناه: أقربَ أنْ يَرْحَمَ، وقيل: أقربَ أنْ يُرْحَمَ؛ فإنَّ ابنَ جُريجٍ فسَّر: أقربَ أن يَرْحَمَه أبواه(٢).

وقيل: هو من الرَّحِم والقرابةِ؛ أي: أَوْصَلَ للرَّحِم(٣).

الكلبيُّ: فبدَّلهما اللهُ جاريةً فتزوَّجها نبيٌّ فولَدَتْ له نبيًّا، فهَدَى الله به أُمَّةً من الأُمم(٤).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٠٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٦٠ ـ ٣٦١).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٧٤)، واستغربه.

(٤) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٥٨)، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٣٤).

وقيل: وَلَدتْ سبعين نبيًّا[١]؛ أي: مِن نسلِها.

ابنُ جُريجٍ: أَبْدَلهما بغلامٍ مسلِمٍ[٢]، وكان المقتول كافرًا.

والإبدالُ والتَّبديلُ واحدٌ. وقيل: التَّبديلُ مع بقاءِ الأصلِ، والإبدالُ مع زوالِه[٣]، وهذا لا يَطَّردُ.

***

(٨٢) ـ ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾.

﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ واسمُهما: أصرمُ وصُريمٌ[٤] ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ عن النَّبيِّ ﷺ: «كان ذهبًا وفضَّةً»[٥].

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٤/ ١٢٣) عن ابن عباس من رواية عطاء، وإسناده واهٍ. ورواه الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥) من طريق جعفر بن محمد عن أبيه، وفيه عبد الله بن ميمون بن داود القداح، وهو منكر الحديث متروك.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٥٩)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٢٩) لأبي عبيد وابن المنذر.

(٣) انظر: «معجم الفروق اللغوية» (ص: ١١٣).

(٤) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٥٩٩)، وتبعه كثيرون، وقال الماتريدي داعياً إلى التوقف على ذكره الله في كتابه: «وليس في الكتاب إلا ذكر عبد من عبادنا، وذكر الغلام، وذكر الفتى، وذكر غلامين يتيمين في المدينة، وأمثاله يقال ما فيه، ولا يزاد على ذلك مخافة الشهادة على الله بالكتاب، والله أعلم». انظر: «تأويلات أهل السنة» (٧/ ٢٠٣).

(٥) رواه الترمذي (٥/ ٣١٣) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه وقال: «غريب». قلت: فيه يزيد بن يوسف الصنعاني، وهو متروك.

ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ما كان الكنزُ إلَّا علمًا(١).

سعيد بن جبيرٍ: كانت صحفًا فيها علمٌ(٢).

وعن ابن عبَّاسٍ أيضًا والحسنِ: كان لوحًا من ذهبٍ مكتوبًا فيه: عَجَبٌ لمن يؤمن بالقَدَر كيف يحزنُ، وعَجَبٌ لمن يؤمِنُ بالرِّزق كيف يَتعبُ، وعَجَبٌ لمن يؤمِنُ بالموت كيف يَفْرحُ، وعَجَبٌ لمن يؤمنُ بالحساب كيف يَغْفُلُ، وعَجَبٌ لمن جرَّب(٣) الدُّنيا وتقلُّبَها بأهلها كيف يطمئنُّ إليها، لا إلهَ إلَّا اللهُ محمَّدٌ رسولُ الله(٤).

وروي أيضًا هذا القول مرفوعًا(٥).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٦٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٧٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣٩٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٦٢)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٨٨).

(٣) في (ن): «يعرف».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٦٣)، واللالكائي في «الاعتقاد» (٤/ ٧٥٣) عن الحسن، ورواه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٧٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه كثير بن مروان الفلسطيني وشيخه أبين بن سفيان، وهما ضعيفان. ورواه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٦٦١) من طريق آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفي إسناده انقطاع.

(٥) رواه البزار في «مسنده» (٤٠٦٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٧٥)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٥٣): «رواه البزار من طريق بشر بن المنذر عن الحارث بن عبد الله اليحصبي، ولم أعرفهما، وبقية رجاله ثقات». وقال ابن كثير في «تفسيره» عند هذه الآية: «بشر بن المنذر هذا يقال له: قاضي المصيصة، قال الحافظ أبو جعفر العقيلي: في حديثه وهم». ورواه البيهقي في «الزهد» (٥٤٥)، وابن مردويه في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٢١)، من حديث علي رضي الله عنه. وفيه جويبر بن سعيد، وهو متروك.

ورواه السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٥٨) عن أبيه بإسناده عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً. ولم يذكر إسناده.

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ واسمُه: كاشَح.

حُفِظا بصلاحِ أبيهما، ولم يُذكَرْ منهما[١] صلاحٌ، وكان بينهما وبين الأبِ الذي حُفِظا به[٢] سبعةُ آباءٍ، وكان سَيَّاحًا[٣].

﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾؛ أي: الحُلُمَ ووُفُورَ العقلِ وتدبيرَ المعاشِ، ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾: ويُخرِجا مالَهما ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ قيل: هو متَّصلٌ باستخراجِ الكنزِ، وقيل: بفِعْله، وتقديره: فعَلْتُ ما فعَلْتُ رحمةً من ربِّك.

﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ الهاءُ تعودُ إلى الكلِّ، وقيل: إلى الجدار، ومعنى: ﴿عَنْ أَمْرِى﴾: عن رأيي وتدبيري.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الأجوبةُ الثَّلاثة ﴿تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ حَذَف التَّاءَ تخفيفًا.

ولمّا أراد موسى أن يُفارقه قال له: أَوْصِني بشيءٍ، فقال له: كُنْ نفَّاعًا ولا تكن ضَرَّارًا، ارجعْ عن اللَّجاجة ولا تمشِ في غيرِ حاجة، ولا تضحَكْ مِن غيرِ عَجَبٍ، ولا تعيِّرَنَّ[٤] أحدًا بخطيئةٍ يا ابنَ عمران[٥].

وذكر في الآية الأولى: ﴿فَأَرَدتُّ﴾، وفي الثَّانية: ﴿فَأَرَدْنَآ﴾، وفي الثَّالثة: ﴿فَأَرَادَ

---

(١) في (ن): «فيهما».

(٢) «به»: من (ط).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٦٣) عن هنَّادة بنت مالك الشيبانية، وفي مطبوعه: «وكان نسَّاجاً»، وكذا ذكره ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ١٨٦)، وذكره الثعلبي بلفظ المصنف في «تفسيره» (١٧/ ٢٤١). والسيّاح: كثير السياحة في الأرض.

(٤) في (ن): «ولا تعيّر».

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في «التوبة» (٥٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٢٦٧) عن جرير عن أبي عبد الله، قال البيهقي: «أظنه الملطي»، وروى نحوه عبد الله بن أحمد في «الزهد» (٣٤٠) عن وهب، والسمرقندي في «تنبيه الغافلين» (ص: ١٩٦) من قول إسحاق بن منصور.

رَبُّكَ﴾ لأنَّ الأولى في الظَّاهر إفسادٌ فأَسنده إلى نفسه، والثَّانيةَ: إفسادٌ من حيث القتلُ إنعامٌ من حيث التَّبديلُ، فأَسندَ إلى نفسه وإلى الله جميعًا، والثَّالثةَ: إنعامٌ محضٌ فأسنده(١) إلى الله سبحانه وتعالى(٢).

وقيل: لأنَّ القتلَ كان منه وإزهاقَ الرُّوح كان من الله عزَّ وجلَّ(٣).

* * *

(٨٣) ـ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ قال قتادةُ: إنَّ اليهود سألوا النَّبيَّ عليه السّلام عن ذي القرنين فأنزل الله هذه الآيات(٤)، وقد سبق.

وقيل: يجوز أن يكون تعريفًا قبل السُّؤال؛ أي: سيسألونك عنه.

والجمهورُ: على أنَّه الإسكندر.

وعن ابن عبَّاسٍ: هو: عبد الله بن الضَّحَّاك(٥).

وإنَّما سمِّي ذا القرنين؛ لأنَّه بلَغ قَرْنَيِ الأرض؛ المشرقَ والمغربَ.

وقيل: لأنَّه مَلَكَ فارسَ والرُّوم.

وقيل: كان له قرنانِ صغيران تُوارِيهما العِمامةُ.

---

(١) في (و): «فأسنده سبحانه».

(٢) انظر: «البرهان» للمصنف (ص: ١٧٠)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٣/ ٥٣٧): و«زاد المسير» لابن الجوزي (٣/ ١٠٤).

(٣) انظر: «غرائب التفسير» (١/ ٦٧٦).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٦٩)، وروي نحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما رواه ابن إسحاق في «السير والمغازي» (ص: ٢٠١ ـ ٢٠٢)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٤٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٧٠) في خبر طويل.

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٣٧)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ١٠٥).

وقيل: كان على رأسه قَرْنان؛ أي: ذُؤابتان.

وهبٌ: كان صَفْحَتَا رأسه من نحاسٍ[١]، وهذا قولٌ كما تَرَى وتسمعُ.

السُّدِّيُّ: كان له قرنانِ من ذهبٍ[٢].

قال الشيخُ رحمه الله[٣]: ولعلَّه أراد: كان يشربُ منهما كعادةِ الملوك، أو هو مثلُ قولِ وهبٍ[٤].

وعن عليٍّ رضي الله عنه: أنَّ الله بَعَثَه إلى قومه فضربوه على قرنِه فمات، ثمَّ بعثه الله إليهم فضربوه على قرنِه ضربةً أُخرى فمات، فسمِّي ذا القرنين[٥].

وقيل: رأى في المنام كأنَّه أخذ بقرني الشَّمس، فأَخبر برؤياه فسُمِّي ذا القرنين.

وقيل: كان كريمَ الطَّرَفينِ.

وقيل: لأنَّه انقرضَ في وقته قرنانِ من النَّاس وهو حيٌّ.

وقيل: لأنَّه أُعطي علمَ الظَّاهر والباطن.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٩٠)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٥١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٧٦) وعده من العجائب.

(٢) واتخاذ القرن للشرب أمر معقول، أما قول وهب فمرفوض، وكذلك كلام السدِّيِّ إن حمل على معنى أن له قرنين في رأسه من ذهب.

(٣) «قال الشيخ رحمه الله» من (ن).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٧٦) وعده من العجائب.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٧٠)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٧٢٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٧/ ٣٣٤)، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٢٣٤) بلفظ: «كان عبداً صالحاً أحب الله فأحبه الله، وناصح الله فناصحه الله، دعا قومه إلى الهدى فضربوه على قرنه فمكث ما شاء الله، ثم دعاهم إلى الله فضربوه على قرنه الآخر، ولم يكن له قرنان كقرني الثور»، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٧٦)، وعدَّه من العجائب.

وقيل: لأَنَّه دخل الظُّلمةَ والنُّور.

وقيل: لأَنَّه كان يحارِبُ بيده وركابه.

وقيل: كان رأسُه كرأسِ الثَّور، وسائرُ بدنه كالفرس، وهذه كبيرةٌ حكاها النَّقَّاش في «تفسيره»(١).

واختُلف فيه؛ فقيل: كان نبيًّا.

وقيل: كان مَلِكًا مَلَكَ المشرقَ والمغرب(٢) ولم يملِكْهما إلّا مسلمان؛ سليمانُ وذو القرنين، وكافران؛ نمروذ وبُخْتَنَصَّرُ(٣).

وقيل: كان مَلَكًا من الملائكة؛ فإنَّه رُوي عن عمرَ رضي الله عنه أَنَّه سمع رجلًا يقول لرجلٍ: يا ذا القرنين، فقال: أَمَا ترضَوْن أن تَسَمَّوا بأسماءِ الأنبياء حتَّى تَسمَّوا بأسماء الملائكة(٤).

وروي عن النَّبيِّ عليه السَّلام أنَّه قال: «إنَّ ذا القرنين ملِكٌ مَسَحَ الأرضَ بالأسباب»(٥).

﴿قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾: سأُخبِرُكم ﴿مِّنْهُ﴾، قيل: من الله، وقيل: من ذي القرنين. ثم أخبر فقال:

(٨٤) ـ ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٩٧٧)، وعدَّه من العجائب.

(٢) في (ن): «الشرق والغرب».

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٩١٦)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٧١)، عن مجاهد.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٩٠)، وأبو الشيخ في «العظمة» (١٤٧٩).

(٥) رواه ابن عبد الحكم في «فتوح مصر» (ص: ٦٠)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٩٠)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٧٩) عن خالد بن معدان الكلاعي مرسلًا.

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ أي: مكَّنَّاه من التَّصرُّفِ فيها على حَسَبِ إرادته ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾؛ أي: من كلِّ شيءٍ احتاجَ إليه ﴿سَبَبٗا﴾: وُصلةً وذريعةً إلى المطلوب.

وقيل: ﴿سَبَبٗا﴾: علمًا.

الزَّجَّاج: السَّبب: ما يُتوصَّلُ به إلى الشَّيء[1].

وقيل: ﴿سَبَبٗا﴾: آلةً.

***

(٨٥) ـ ﴿فَأَتۡبَعَ سَبَبًا﴾.

﴿فَأَتۡبَعَ سَبَبًا﴾ قيل: طريقًا بين المشرق والمغرب، والسَّببُ: الطَّريق.

وقيل: طريقًا ومسلكًا لفتحِ المدائن وقَتْلِ الأعداء.

وقيل: الثَّاني هو الأوَّلُ؛ أي: آتيناه سببًا فأَتْبعه، وهذا يستدعِي الألِفَ واللَّامَ[2]، ولعلَّ حذفَهما لرويِّ الآية.

الحسن: آتيناه بلاغًا لحاجته فأَتْبَع بلاغًا لحاجته[3].

---

(١) ذكره بهذا اللفظ القشيري في «لطائف الإشارات» (٣/ ٣٠٦)، وفي «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٠٨): «﴿سَبَبٗا﴾؛ أي: علماً يوصله إلى حيث يريد، كما سخَّر الله عز وجل لسليمان الريح، ومعنى ﴿فَأَتۡبَعَ سَبَبًا﴾ ـ والله أعلم ـ أي: فأتبع سببًا من الأسباب التي أوتي». وقال أبو عبيد الهروي في «الغريبين» (٣/ ٨٥٠): «ويقال للطريق: إلى الشيء: سبب، وللحبل يتوصل به إلى الماء: سبب، ولكل ما يتوصل به إلى شيء يبعد عنك: سبب».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٧٧)، وعدَّه من العجائب، وقال: «وهذا بعيد؛ لأنه يستدعي الألف واللام؛ لأن النكرة إذا تكررت صارت معرفة».

(٣) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٢٠١) بلفظ: «﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا﴾: بلاغاً لحاجته»، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٤٩) بلفظ: «بلاغًا إلى حيث أراد»، وفي «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٢٠٦): ﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا﴾؛ أي: بلاغاً لحاجته.

ابنُ الأنباريِّ: ﴿فاتَّبعَ سَبَبًا﴾ فقفَا الأثرَ[١].

اتَّبَعَ وأَتْبَعَ بمعنًى[٢]، وقيل: بالقطع: أَدْرَك، وبالوصل: اتَّبَعَ الأثَرَ وإنْ لم يَلْحَقْ[٣]، تقول العرب: اتَّبعْته حتَّى أَتْبَعْته، الثَّاني بالقطع[٤].

أبو عليٍّ: بالوصلِ يتعدَّى إلى مفعولٍ وبالقطعِ يتعدَّى إلى مفعولين، والثاني من الآية محذوفٌ[٥].

***

(٨٦) ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾ وهبٌ قال: كان ذو القرنين رجلًا من الرُّوم، ابنَ عجوزٍ من عجائزها، ليس لها ولدٌ غيرُه، وكان اسمُه بالعربيَّة عمْرًا، وبالعِبْرانيَّة إسكندرَ، فلمَّا بلَغ ـ وكان عبدًا صالحًا ـ قال اللهُ له: يا ذا القَرنين، إنِّي باعثُكَ إلى أُمَمِ الأرض، وهي أممٌ[٦] مختلفةٌ ألسنتُهم، وهم في[٧] جميعِ الأرض، ومنهم أمَّتان بينهما عَرْضُ الأرض كلِّها، وأممٌ في وسطِ الأرض منهم الجنُّ

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٣٨).

(٢) قرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي: ﴿فَأَتْبَعَ﴾ بهمزة قطع، وقرأ الباقون بهمزة وصل. انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٧ ـ ٣٩٨)، و«التيسير» (ص: ١٤٥)..

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٧٧)، واستغربه.

(٤) أي: والأول بالوصل، كما في «غرائب التفاسير» (١/ ٦٧٧).

(٥) انظر: «الحجة» لأبي علي (٥/ ١٦٧).

(٦) في النسخ الخطية: «أمة»، والمثبت من المصادر وستأتي.

(٧) «في»: ليس في (و).

والإنسُ ويأجوجُ ومأجوج، فأمَّا اللَّتان بينهما طولُ الأرض فأمَّةٌ عند مَغْرِب الشَّمس يقال لها: ناسكٌ، وأمَّا الأخرى فعند مَطْلِعها يقال لها: مَنْسكٌ، وأمَّا اللتان بينهما عرضُ الأرض فأمَّةٌ في قُطْر الأرضِ الأيمنِ يقال لها: هاويل، والأخرى في القطرِ الأيسر يقال لها: تاويل[1]. وهو[2] قولُه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾ أي: ما زال يسيرُ في البلاد ويفتحُها حتّى بلَغ أقصَى عِمَارةِ الأرض، ورأى هناك ماءً عظيمًا كدرًا.

﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾: ذاتِ حَمْأةٍ، وقرئ: ﴿حاميةٍ﴾[3]؛ أي: حارَّةٍ، ويجوزُ أن تكون من الأولى ليِّنت همزتُها، ورُوي: أنَّ معاوية كان يقرأ القرآن فقرأ: ﴿في عينٍ حاميةٍ﴾، فقال ابن عبَّاسٍ: إنَّما هو ﴿حَمِئَةٍ﴾ فقال معاويةُ لعبدِ الله بنِ عمرِو بنِ العاص: كيف تقرأ[4]؟ فقال: كما قرأْتَها يا أمير المؤمنين، فقال ابن عبَّاسٍ: إنَّما نزل القرآن في بيتي، فأرسل معاويةُ إلى كعبٍ: أين تجدُ الشَّمسَ تَغْرُبُ في التَّوراة؟ فقال كعبٌ: إنَّا نجد في التَّوراة أنَّها تغرب في طينٍ ذي حمأةٍ، فأمَّا العربيَّة فأنتم أعلمُ بها. وأنشد رجلٌ من اليمن في تقويةِ قول ابن عبَّاسٍ:

بَلَغَ المشارِقَ والمغارِبَ يَبْتَغي ... أسبابَ أمرٍ من حَكيمٍ مُرْشِدِ
فرَأى مَغارَ الشمسِ عندَ مآبِها ... في عينِ ذِي خُلُبٍ وثَأْطٍ حَرْمَدِ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٩٠)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٥١)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٧٢). وهو من أقاصيص أهل الكتاب.

(٢) في (ن): «ومنه».

(٣) قرأ بها عاصم في رواية شعبة وابن عامر وحمزة والكسائي، والباقون: ﴿حَمِئَةٍ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٨)، و«التيسير» (ص: ١٤٥).

(٤) في (ن): «تقرأ القرآن».

فقال ابن عبَّاسٍ: ما الخُلُب؟ فقال: الطِّين، قال: فما الثَّأْطُ؟ قال: الحَمْأةُ، قال: فما الحرمد؟ قال: الأسود[1].

فذهب بعض المفسِّرين إلى أنَّها تَغْرُبُ في وسط العين، وأنَّ الماء يفورُ كغليان القِدْر، لولا أصواتُ أهل مدينةٍ بالمغرب يقال لها: جابرسا، لها اثنا عشر ألف بابٍ، لسَمِعْتُم وَقْعَ هَدَّتها إذا وقعت[2].

وذهب المحقِّقون من المفسِّرين إلى أنَّه تراءى له أنَّ الشَّمس تَغْرُبُ في ذلك الماء، وذلك أنَّه لم يكن في مَطمَحِ بصره شيءٌ غيرُ الماء، فرأى الشَّمس كأنَّها تغيبُ فيه، كما أنَّ مَن في البحر يظنُّ أنَّ الشَّمس تَطْلُعُ من الماء وتَغْرُبُ فيه، وكذلك مَن في المَفَازة يظنُّ أنَّها تَطْلُعُ منها وتغيبُ فيها، وكذا أصحابُ الجبال، والحقيقةُ بخلافِ ذلك، وإنَّما ذلك في مرأى العين.

﴿وَوَجَدَ عِندَهَا﴾: عند تلك العينِ ﴿قَوْمًا﴾: مدينةً فيها قومٌ عراةٌ من الثِّياب، لباسُهم جلودُ الصَّيد، وطعامُهم ما لَفَظَه البحرُ، وكانوا كفارًا.

﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ مَن قال: كان نبيًّا، قال: أَوْحَى الله إليه بهذا، ومَن قال: لم يكن نبيًّا، ففيه قولان:

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧١٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٨٥)، والنحاس في «معاني القرآن» (٤/ ٢٨٦)، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٥٨) واللفظ له، والواحدي في «الوسيط» (٥٧٥)، ورواه غيرهم مختصرًا، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٧٨)، واستغربه.

(٢) روي نحو هذا عن ابن جريج، رواه أبو يعلى كما في «المطالب العالية» (٣٦٥٧)، وعنه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٤٠ ـ ١٤٤١)، وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه في «تفاسيرهم» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٥٢). وذكر نحوه مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٤٧٦). ولعله من خرافات أهل الكتاب.

أحدهما: أوحَى الله إلى نبيٍّ فأمَره النَّبيُّ بذلك.

والثَّاني: كان إلهامًا وإلقاءً في القلب.

وفي معناه قولان:

أحدهما: إن شئتَ فاقْتُلْهم، وإنْ شئتَ فاسْتَبْقِهم بالإعراض عن تعذيبِهم بالسَّيف، وهو اتِّخاذ الحُسْن فيهم، الزَّجَّاج: هو أنْ يَعِظَهم بلسانه ويَهْدِيَهم ببيانه(١).

والثَّاني: إمَّا تعذِّبُهم بالسَّيف إنْ أصرُّوا على أمرهم، وإمَّا أن تتَّخذ فيهم حُسنًا بإكرامهم وتعليمِ شرائع الدِّين إنْ آمنوا.

وقيل: العذابُ: القتلُ، واتِّخاذ الحُسن: الأَسْرُ.

***

(٨٧) ـ ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾.

﴿قَالَ﴾؛ أي: ذو القَرنين: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾؛ أي: كَفَر ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ أنا ومَن معي بالقتل، ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ في القيامةِ لم يُعْهَدْ مثله.

***

(٨٨) ـ ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾.

﴿وأمّا من آمن وعمل صالحًا فله جزاءُ الحسنى﴾؛ أي: جزاءُ حسناتِه.

وقرئ بالنَّصب(٢) على تقديرِ: فله الحُسنى جزاءً؛ أي(٣): مجزيَّةً، وهي الجنَّة.

---

(١) لم أجده.

(٢) هي قراءة حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص، وقرأ الباقون: (جزاءُ الحسنى) بالرفع والإضافة. انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٨)، و«التيسير» (ص: ١٤٥).

(٣) في (و): «وهي».

﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا﴾: فيما نأمُره به ﴿يُسۡرٗا﴾: معروفًا، وقيل: كلامًا حسنًا، وقيل: نستعملُه على ما يتيسَّرُ له، وقيل: نأمُره بطاعةِ اللهِ مع إحسانِنا إليه.

* * *

(٨٩) ـ ﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا﴾.

﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا﴾ ابن عبَّاسٍ: ثم سلك طريقًا ومنازلَ[١].

* * *

(٩٠) ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا﴾.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ﴾؛ أي: حتى إذا أتَى مطلِعَ الشَّمس، وقيل: ثم سار من المغربِ نحوَ المشرقِ حيث[٢] ظنَّ الشَّمسَ تَطْلُعُ منه.

وقيل: حتى لم يبقَ بينه وبين مطلِعِ الشَّمسِ أحدٌ.

﴿وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا﴾ قتادة: لم يكن بينهم وبين الشَّمس سترٌ، وذلك أنَّهم كانوا في مكانٍ لا يَستقرُّ عليه بِناءٌ، وأنَّهم كانوا في أسرابٍ[٣] لهم، حتى إذا زالت الشَّمس عنهم خرجوا إلى معاشِهم وحروثِهم[٤].

الحسن: كانت أرضُهم لا تحتمِلُ البناءَ، وكانوا إذا طلعَتْ عليهم الشَّمسُ تهوَّروا[٥] في الماء، فإذا ارتفعَتْ عنهم خرجوا فتراعَوا كما تراعَى البهائمُ[٦].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٨١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٨٢) بلفظ: «يعني: منزلًا»، وذكر الثعلبي لفظ المصنف بلا نسبة في «تفسيره» (١٧/ ٢٦١).

(٢) في (و): «حتى».

(٣) جمع سَرَبٍ، وهو الحجر. انظر: «تاج العروس» مادة: (س ر ب) (٣/ ٤٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٨٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٨٦).

(٥) أي: تساقطوا. انظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس (٦/ ١٨).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٨١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٨٦)، وعزاه =

وقيل: يصطادون السَّمك فيطرحونه في الشَّمس فيَنْضُجُ، فذلك طعامُهم.

***

(٩١) ـ ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾.

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ فيه أقوالٌ:

أحدها: أنَّه كان مأمورًا فيهم بقوله: ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ كأصحابِ مغربِ الشَّمس.

وقيل: اتَّخذ سبيلًا إلى المشرق كما اتَّخذ إلى المغرب سبيلًا قَبْلَه.

وقيل: كذلك قصَصْنا شأنَ ذي القرنين، ثمَّ استأنف فقال: ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا﴾.

وقيل: لم نجعل لهم سترًا كما جَعَلْنا لأهل المغرب، وقيل: كما لم نجعَلْ لهم سترًا.

ومعنى: ﴿أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾: علِمْنا بجيوشه وعُدَّته وما كان منه لم يَخْفَ علينا شيءٌ منها.

و﴿خُبْرًا﴾ نصبٌ على المصدر؛ لأنَّ في ﴿أَحَطْنَا﴾ معنى: خَبَرْنا[1].

***

= السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٥٤) للطيالسي، والبزار في «أماليه»، وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ، وجاء في آخره: «ثم قال الحسن: هذا حديث سمرة».

ورواه أبو يعلى كما في «المطالب العالية» (٣٦٥٧)، وعنه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٤٠ ـ ١٤٤١)، وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه في «تفاسيرهم» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٥٢)، من طريق ابن جريج: حدث الحسن (وفي «الدر المنثور»: حدثت عن الحسن) عن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ إنَّها لم يبن فيها بناء قطّ، كانوا إذا طلعت الشَّمس دخلوا أسراباً لهم حتى تزول الشَّمس».

(١) في (و) زيادة: «خبرًا».

(٩٢ ـ ٩٣) ـ ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝٩٢ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾: ثم سار عَرْضًا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾؛ أي: المكانَ الذي بُنى فيه[1] السَّدِّين، وهو بين جبلَيْ أرمينيةَ وأذربيجانَ.

وقيل: السَّدَّان: جبلان مُنِيفان مِن ورائهما يأجوجُ ومأجوجُ.

السَّدُّ بالفتح والضَّمِّ لغتان[2].

وقيل: ما كان من الله كالجبال والشِّعاب فهو بالضَّمِّ، وما كان من الآدميِّ فهو بالفتح[3].

وقيل: ما كان خِلْقةً بالضَّمِّ، وما كان مِن عمل النَّاس بالفتح[4].

«الحجَّة»: الفتحُ مصدرٌ، والضَّمُّ اسمُ المسدود[5].

﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾: لا يعلمون ولا يفقهون.

وقيل: لا يفقهون خيرًا من شرٍّ، ولا ضلالًا من هُدًى.

---

(١) في (و): «من».

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص بفتح السين، والباقون بضمها. انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٩)، و«التيسير» (ص: ١٤٥). والقول بأنهما لغتان مروي عن الكسائي، واختاره الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٨٥).

(٣) هذا مروي عن عكرمة، كما في «تفسير الطبري» (١٠/ ٣٨٥).

(٤) هذا والذي قبله واحد، وقد ذكر الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٨٥) عن أبي عمرو بن العلاء أن السد ـ بالفتح ـ الحاجز بينك وبين الشيء، وبالضم ما كان من غشاوة في العين، النحاس في «إعراب القرآن» (٢/ ٣٠٦) عن ابن أبي إسحاق أن السد بالفتح ما لم تره عيناك وبالضم ما رأته.

(٥) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٥/ ١٧١).

وقيل: لا يَعرفون غيرَ لغتهم.

ومَن ضمَّ[١] فالمعنى: لا يُفهِمون[٢] غيرَهم.

وقيل: يَفهمون ويَفقهون بعد مشقَّةٍ.

***

(٩٤) - ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾.

﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ قال المترجِم، وفي مصحفِ ابن مسعودٍ: (قال الذين مِن دُونِهم يا ذا القرنين)[٣] ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وهبٌ في جماعةٍ: هما رجلان من ولد يافث بن نوحٍ. الضَّحَّاك: هم جيلٌ من التُّرك[٤].

كعبٌ: هم نادرةٌ من ولدِ آدم عليه السَّلام؛ لأنَّهم ولدُ آدمَ من غيرِ حوَّاء، وذلك أنَّ آدمَ عليه السَّلامُ قال[٥] ذات يومٍ فاحتلَم، وامتزجَتْ نطفتُه بالتُّراب، فلمَّا انتبه أَسِف على ذلك الماءِ الذي خرج منه، فخلَق الله من ذلك الماءِ يأجوجَ ومأجوجَ، فهم متَّصلون بنا من جهة الأب دون الأمّ[٦].

---

(١) قرأ بها حمزة والكسائي. انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٩)، و«التيسير» (ص: ١٤٥).

(٢) في (و): «لا يفقهون».

(٣) ذكرها الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٦٧).

(٤) ذكر القولين الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٦٨)، والواحدي في «البسيط» (١٤/ ١٤٣).

(٥) في هامش (و): «نام» ولم تصحح، فهي شرح؛ فإن «قال» من القيلولة.

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٦٨)، والواحدي في «البسيط» (١٤/ ١٤٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٨٠)، وعدَّه من العجائب، وقال ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ١٩٥): «هذا قول غريب جدًّا، ثم لا دليل عليه لا من عقل ولا من نقل، ولا يجوز الاعتماد هاهنا على ما =

وذكر محمَّد بن الهيصم في «تنزيله»: أنَّ اسم يأجوجَ: كمين، واسم مأجوج: مَغْمَغ[١]، قال: وهما ابنا يافث بن نوحٍ[٢].

ويأجوجُ ومأجوجُ اسمان عجميَّان، وعلَّةُ منعِ الصَّرف: العُجمةُ والتَّعريفُ.

وقيل: اسمان عربيَّان مشتقَّان من أَجِيج النَّار، أو من أَجَّ الظَّليمُ[٣]: إذا أَسرَعَ، والوزنُ: يَفْعُولُ ومَفْعولُ، ويَحتمِلُ ﴿ماجُوجُ﴾[٤] فيمَن لم يَهْمِزْ أن يكونَ من مجَّ الماءَ من فيه، والعلَّتان: التَّأنيثُ والتَّعريفُ.

وجُمعَ كما جُمعَ ﴿خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟﴾ [الحج: ١٩].

ويُروى عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ الله جزَّأَ الإنسَ عشرةَ أجزاءٍ، فتسعةُ أجزاءٍ يأجوجُ ومأجوجُ، وسائرُ النَّاس جزءٌ واحدٌ[٥].

وقوله: ﴿مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: أرضِنا وبلادِنا، يأكلون رَطْبَ ما نَبَتَ فيها، ويحملون يابسها، ويقتلون مَن ينالونه، ولا يموتُ الواحدُ منهم حتى يَلِدَ ألفًا من صُلبه، وإنْ أتتْ مدَّةٌ على ما يُرى مِن نمائهم فإنَّهم يملؤون الأرض، ويُجْلُون أهلَها منها، ويَظْهرون عليها، ويُفْسدون فيها.

= يحكيه بعض أهل الكتاب؛ لما عندهم من الأحاديث المفتعلة».

(١) في (و): «معمع»، وفي «غرائب التفسير»: «مضمغ».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٨٠)، واستغربه.

(٣) في (ن): «النعام». والظليم: الذكر من النعام. انظر: «المنتخب من كلام العرب» لكراع النمل (١/ ١٠٨).

(٤) قرأ عاصم: ﴿يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ بالهمز، والباقون بغير همز. انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٩)، و«التيسير» (ص: ١٤٥).

(٥) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٨٧)، وابن مردويه كما في ((الدر المنثور)) للسيوطي (٥/ ٤٥٧)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٤٤)، والحاكم في «المستدرك» (٨٥٠٦)، وابن بشران في «أماليه» (٥٢٩). عن عبد الله بن عمرو، وهو الصواب، والله أعلم.

﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ ذهب بعضُهم إلى أنَّ الخَرْجَ والخراج[١] واحدٌ، والأكثرُ على أنَّ الخراجَ على الأرض والذِّمَّة، والخَرْجَ المصدرُ، وقيل: الخَرْج: الجُعْلُ والأجرُ، والمعنى: هل نجعلُ لك عطيَّةً نخرجُها إليك من أموالنا، وتجعَلُ بيننا وبينهم ﴿سَدًّا﴾ مَّا ينتفِي به الخرقُ، تقول: سدَدْتُه فانسدَّ.

***

(٩٥) ـ ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾.

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾؛ أي: ما أعطانيهِ سبحانه من التَّمكين خيرٌ من عطيَّتكم.

وقيل: تمكينُ الله ومعونتُه لي خيرٌ ممَّا تَعرِضون عليَّ من الأجر والجُعْل.

والضَّمير في ﴿فِيهِ﴾ يعود إلى السَّدِّ المسؤول، وقيل: إلى ﴿مَا مَكَّنِّي﴾؛ أي: ما مكَّنِّي من المال والآلات خيرٌ ممَّا تبذلونه.

ومَن قرأ: ﴿مَكَّنني﴾[٢] بنونَينِ فعلى الأصل، ولأنَّهما غيرُ لازِمَينِ، ومَن أَدْغَم فلاجتِماعِ متماثِلَينِ.

﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾: بآلةٍ. مقاتلٌ: برجالٍ[٣]؛ أي: بقوَّة أبدانكم.

ابن عيسى: بما أتقوَّى به على ما أُريد.

﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾: سدًّا متراكبًا[٤] بعضُه على بعضٍ، من رَدَمْتُ، وقيل: حجابًا شديدًا.

---

(١) قرأ حمزة والكسائي: ﴿خراجاً﴾ والباقون: ﴿خرجاً﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٦).

(٢) هي قراءة ابن كثير، والباقون بالإدغام. انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٦).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٦٠١).

(٤) في (ن): «متراكمًا».

(٩٦) - ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾.

﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾: قِطَعَ الحديد، والزُّبْرةُ: القطعةُ الكبيرة، وجمعُها: زُبَرٌ، والمعنى: اتَّخذوها وأَعِدُّوها للسَّدِّ.

ومعنى ﴿ائْتُوني﴾ بالوصل[1]: جِيْئوني بها، فحذف الجارّ.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ﴾ أي: فأُحضِرَتْ، فأَمَر العَمَلةَ بتَنْضيدها ﴿بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ وكان بينهما مئةُ فرسخٍ، فلمَّا أخذ في بناء الرَّدْم حَفَر أساسَه إلى أن بلغ الماءَ، ثمَّ جعَل عَرْضَه خمسين فرسخًا، وقيل: جَعَل عرضَه ميلًا، وجَعَل حَشْوَه الصُّخورَ، وطِينَه النُّحاسَ؛ يذابُ ثم يُصبُّ عليه، حتَّى صار المنضودُ منها مساويًا للصَّدفين؛ أي: جعَل أحدهما في قَدْرِ الآخَر.

والصَّدَفان[2]: جانبا الجبَلين.

ابنُ عيسى: الصَّدفان: جَبَلان، كلُّ واحدٍ منهما منعزِلٌ عن الآخر[3]؛ لأنَّه مِن صَدَفَ؛ أي: مالَ.

والقراءاتُ الثَّلاث لغاتٌ[4].

---

(١) قراءة حمزة، وأبي بكر بخلف عنه، والباقون: ﴿ءَاتُونِي﴾ بالمد، وهو الوجه الثاني لأبي بكر. انظر: «السبعة» (ص: ٤٠١)، و«التيسير» (ص: ١٤٦).

(٢) ضبطت في (ط) بضمة وفتحة على كلٍّ من الصاد والدال، وكتب فوقها: معاً.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٤٣).

(٤) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بضم الصاد والدال، وقرأ نافع وحمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص بفتحهما، وقرأ عاصم في رواية شعبة بضمِّ الصاد وتسكينِ الدال. انظر: «السبعة» (ص: ٤٠١)، و«التيسير» (ص: ١٤٦).

﴿قَالَ ٱنفُخُواْ﴾؛ أي: قال ذو القرنين للعَمَلةِ: انفُخوا في الأكوار، ويجوزُ: في الحديد ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ﴾؛ أي: المنفوخَ فيه ـ وهو الحديدُ ـ ﴿نَارًا﴾ كالنَّار بالإحماء ﴿قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرًا﴾؛ أي: آتوني قِطْرًا ـ وهو: النُّحاسُ المذابُ ـ ﴿أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ﴾: أَصُبُّ عليه كصَبِّ الماء، وهو نصبٌ بـ﴿أُفۡرِغۡ﴾ لأنَّه أقربُ العامِلَين، ويجوزُ أن ينتصِبَ بـ﴿ءَاتُونِيٓ﴾.

والقِطْرُ: النُّحاسُ المذاب، وقيل: الحديدُ المذاب، قال:

حُساماً[1] كَلَوْنِ المِلْحِ صافٍ حَدِيدُهُ جُرازًا مِنَ اقْطارِ الحدِيدِ المُثقَّبِ[2]

وقيل: القطرُ: الرَّصاص.

فاختَلَطَا ولَصِقَ بعضُها ببعضٍ حتَّى صار جبلًا كأنَّه بُرْدٌ مُحبَّرٌ.

***

(٩٧) ـ ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا﴾.

﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ﴾؛ أي: يَعْلُوا السَّدَّ ﴿وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا﴾: لم يقدروا أن يَنْقُبوه مِن تحته.

مَن شدَّد أدغم التَّاء في الطَّاء، ومَن خفَّف حذَف التَّاءَ تخفيفًا[3]، وقرئ في

---

(١) في (ن): «حسام».

(٢) البيت من قصيدة للشنفرى كما في «المفضليات» (ص: ١٠٨)، وبلا نسبة في «مجاز القرآن» (١/ ٤١٥)، و«تفسير الطبري» (١٥/ ٤١٠)، و«النكت والعيون» للماوردي (٣/ ٣٤٤)، ورواية «المفضليات»:

حُسامٍ كلونِ الملحِ صافٍ حديدُه جُرازٍ كأَقطاعِ الغَدِيرِ المُنَعَّتِ

والجراز: القاطع، وأقطاع الغدير: قطع الماء فيه، شبه السيف بها في اللمعان والبريق.

(٣) قرأ حمزة بتشديد الطاء، والباقون بتخفيفها. انظر: «السبعة» (ص: ٤٠١)، و«التيسير» (ص: ١٤٦).

الشَّـواذِّ: (فما أسـطاعوا) بالقطع[١]، وهو مرويٌّ عن العرب، ووزنُه أَسْـفَعَلَ، والسِّـينُ زيـادةٌ، وليس لـه نظيرٌ[٢].

***

(٩٨) ـ ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾.

﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾؛ أي: فلمَّا فَرغ من بناءِ السَّدِّ وجاء كما أحبَّ ذو القرنين قال: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾؛ أي: هذا العملُ نعمةٌ من الله عليَّ وعلى مَن خاف مَعَرَّةَ يأجوجَ ومأجوجَ.

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دكًّا﴾[٣] هـو قـولُه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ [الأنبياء: ٩٦] الآيات، وكان الله أخبره بذلك؛ أي: جَعَله مدكوكًا، مِن قوله: ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤]، وقوله: ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾[٤] [الفجر: ٢١]، وقيل: جعَله كِسَرًا، وقيل: جعله ملصقًا بالأرض.

قتادة: ﴿جَعَلَهُۥ دكًّا﴾؛ أي: الجبَلين؛ أراد[٥]: ما بينهما[٦].

---

(١) عزاها ابن خالويه في «المختصر في شواذ القراءات» (٣/ ٣١٢) إلى ابن مسعود رضي الله عنه، وذكرها الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤١١)، والزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ٣١٢) بلا نسبة.

(٢) هـذا قول سـيبويه وأبـي زيـد، والكوفيون يقولـون: ليس فـي كلام العرب سـين تزاد وحدهـا، وإنما هـو اسـتطاع، فأسـقطوا التـاء. انظـر: «الكتـاب» (١/ ٢٥)، و«ليـس فـي كلام العرب» لابـن خالويه (ص: ١٠٤).

(٣) في (ن): «دكاء».

(٤) في (و): «فدكت الجبال دكًا»، وفي (ن): «فدكت الجبال دكًا دكًا»، والتصويب من (ط).

(٥) في (و) و(ن): «أي: ما بينهما»، والمثبت من (ط).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤١٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٩٠) بلفظ: «لا أدري الجبلين يعني به أو ما بينهما».

ومَن مَدَّ[١] شبَّهه بناقةٍ دكَّاء؛ أي: لا سنامَ لها.

روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ: «أنَّ يأجوج ومأجوج يحفرون الرَّدم كلَّ يومٍ حتى يَروا شعاع الشَّمس من الجانب الآخر، فيقولُ الذي عليهم: ارجعوا فستخرجون غدًا، فيعيده الله كأشدِّ ما كان إلى حينٍ يريدُ اللهُ خروجَهم فلا يُعيده، فيخرجون على النَّاس، فيشربون المياه كلَّها حتّى لا يبقَى منها بقيَّةٌ، ويتحصَّن النَّاس منهم في حصونهم، ويَقتلون مَن يدركونه، فإذا لم يروا أحدًا رمَوا بسهامهم نحو السَّماء، فيعود عليهم كهيئةِ الدَّم، فيقولون: قَهَرْنا أهلَ الأرض وعلونا أهلَ السَّماء، فبعث الله تعالى نَغفًا عليهم في أقفِيَتهم فيَقْتُلهم»، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، إنَّ دوابَّ الأرض لتَسْمَنُ وتَشْكَرُ شَكَرًا[٢] من لحومهم»[٣].

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وعاصم: ﴿دَكَّآءَ﴾ بالمد، والباقون بغير مد. انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٢)، و«التيسير» (ص: ١٤٦).

(٢) أي: تمتلئ امتلاء. انظر: «الفائق في غريب الحديث» للزمخشري (٢/ ٢٤٨).

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١٠٦٣٢)، والترمذي (٣١٥٣) وحسنه، وابن ماجه (٤٠٨٠)، والحاكم في «المستدرك» (٨٥٠١) وصححه، وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٤/ ٢٠١): «صحيح رجاله ثقات». قلت: لكن نبه الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ١٩٨) على نكارة في رفعه فقال: «إسناد جيد قوي، ولكن متنه في رفعه نكارة؛ لأن ظاهر الآية ـ أي: قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾ ـ يقتضي أنهم لم يتمكنوا من ارتقائه ولا من نَقْبه؛ لإحكام بنائه وصلابته وشدته، ولكن هذا قد روي عن كعب الأحبار: أنهم قبل خروجهم يأتونه فيلحسونه حتى لا يبقى منه إلا القليل، فيقولون كذلك، ويصبحون وهو كما كان فيلحسونه ويقولون: غدًا نفتحه، ويُلهَمون أن يقولوا: إن شاء الله، فيصبحون وهو كما فارقوه، فيفتحونه. وهذا متجه، ولعل أبا هريرة تلقاه من كعب، فإنه كثيرًا ما كان يجالسه ويحدثه، فيحدث به أبو هريرة عنه فيتوهم بعض الرواة عنه أنه مرفوع، فيرفعه، والله أعلم». وقد استشهد ابن كثير على نكارة هذا المرفوع بحديث البخاري ومسلم: «فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا» وأرى أنه يمكن أن يكون الحديث شاهداً للأول، وأن كلام كعب يمكن أن يكون عن أبي هريرة رضي الله عنه، لا العكس.

﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾؛ أي: كائنًا، يجوزُ أن يكون من تمامِ كلامِ ذي القرنين، ويجوزُ أن يكون استئنافًا من الله.

***

(٩٩) ـ ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾.

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ فيه ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: عن ابن عبَّاسٍ: أنَّه تَرَك يأجوجَ ومأجوجَ يموجُ بعضُهم في بعضٍ[١]، قال: وفي الآية تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: ساوَى بين الصَّدفين، وتركْنا بعضَهم يومئذٍ يموجُ في بعضٍ.

الزَّجَّاج: أي: تركَهم يموجون متعجِّبينَ من السَّدِّ[٢].

فيجوزُ أن يكون ليأجوجَ ومأجوج، ويجوز أن يكون للَّذين اجتمعوا للسَّدِّ.

وقيل: إنَّه تُرِكَ يومَ بنَى ذو القرنين السَّدَّ بعضُ يأجوجَ ومأجوجَ خارجَ السَّدِّ، لا حاجزَ بينهم وبين سائر بني آدم يموجون؛ أي: يختلِطون بسائر النَّاس.

قال[٣]: وهم الذين يُعرفون بالتُّرك، وسُمُّوا تركًا؛ لتَرْكِ ذي القرنين إيَّاهم مع النَّاس؛ لأنَّه لم يُخَفْ منهم ما خِيفَ من مُعْظَمهم[٤].

وقيل: هذا بعد خروج يأجوج ومأجوج، لا يمنعُهم الله عن النَّاس، بل يتركُهم يموجون في النَّاس؛ أي: يختلِطون بهم ويُفسدون فيهم.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٤٦)، والزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٧٤٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ١١١) بلا نسبة.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣١٣).

(٣) قوله: «قال»؛ أي: صاحب هذا القول، ولم أعرفه. ولم ترد كلمة «قال» في «غرائب التفسير».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٨١)، وعدَّه من العجائب.

ابن جرير[١]: ينسفُ الله الجبالَ فيزولُ السَّدُّ[٢].

وقيل: يموج الإنسُ في الجنِّ، والجنُّ في الإنس.

وقيل: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ﴾ متَّصلٌ بكلامِ ذي القرنين[٣].

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾؛ أي: لقيامِ السَّاعة، والصُّورُ: شيءٌ يُنفخ فيه، وهو كلامُ الجمهور[٤].

الحسن وقتادة وأبو عبيدةَ: جمعُ صورةٍ[٥].

وقيل: هو مَثَلٌ كقوله: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٣ ـ ١٤].

﴿فَجَمَعْنَاهُمْ﴾ يعني: جميعَ الخلائق للثَّواب والعقاب، ﴿جَمْعًا﴾ تأكيدٌ.

* * *

(١٠٠) ـ ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾.

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾؛ أي: أظهَرْناها لهم قبل أن يدخلوها زجرًا وتهويلًا.

* * *

---

(١) (ن) و(و): «جريج»، والتصويب من (ط).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٤١٥).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٨١)، واستغربه.

(٤) ويشهد له ما رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٦٥٠٧)، وأبو داود في «سننه» (٤٧٤٢) عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً: «الصور قرن ينفخ فيه».

(٥) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١٩٦)، وذكره ابن فورك في «تفسيره» (١/ ١٠١) عن الحسن، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٣٤٧) عن قتادة وأبي عبيدة، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٨٣) عن الحسن واستغربه.

(١٠١) ـ ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا﴾.

﴿ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي﴾: في غشاوةٍ لا يعتبرون بآياتي فيذكروني بالتَّوحيد.

وقيل: يريد: عيونَ القلوب، كقوله: ﴿وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

﴿وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا﴾؛ أي: استماعَ القرآنِ استثقالًا للقرآن ومَقْتًا للنَّبيِّ.

وقيل: لا يسمعون أصلًا.

وقيل: حُجِبوا من السَّمع إذ آذوا رسول الله عليه السّلام، من قوله: ﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا﴾ الآية [الإسراء: ٤٥].

ويحتمِلُ أنَّ قوله: ﴿أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي﴾ معناه: لايَقرؤون من المكتوب ﴿وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا﴾ ممَّن يَقرأُ عليهم(١).

* * *

(١٠٢) ـ ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلًا﴾.

﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ استفهامُ إنكارٍ؛ أي: أفَظَنَّ الكفَّارُ اتِّخاذَهم عبادي ـ يعني: الملائكةَ وعيسى عليهم السّلام ـ أولياءَ نافِعَهم؟ بئس ما ظنُّوا، والمفعول الثَّاني محذوفٌ، وهو: نافِعَهم.

وقيل: تقديره: أفظَنُّوا أن يَتَّخِذُوهم أولياءَ دوني ثم لا أعذِّبُهم، كلَّا، ودلَّ على العذاب قولُه: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلًا﴾(٢).

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٨٢)، واستغربه.

(٢) سقطت هذه الفقرة من (و)، من قوله: «وقيل تقديره أفظنوا» إلى قوله: «نزلًا».

وقيل: تقديره: أظنُّوا أن يتَّخذوا الملائكة والجنَّ أربابًا فيَنفعوهم؟

وقيل: تقديره: أفظنُّوا أنَّهم مع كفرهم يُوالِيْهم بالنُّصرة والمعونة أحدٌ من عبادي المخلَصين؟ كلَّا؛ فإن عبادي يُعادُون الكفَّار[1].

ومَن قرأ: (أفَحَسْبُ الذين) بالرَّفع[2] جعلَه مبتدأ، و﴿أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ﴾ خبرُه.

وقوله: ﴿نُزُلًا﴾؛ أي: مَنْزِلًا. وقيل: مأكولًا مُعَدًّا لهم كما يُعَدُّ للضَّيف. وقيل: جمعُ نازلٍ، ونصبُه على الحال[3].

ويريد بـ﴿جَهَنَّمَ﴾: ما فيها من الزقُّوم والغسلين وغير ذلك[4].

* * *

(١٠٣) ـ ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ جاء في التَّفسير: أنَّهم اليهود والنَّصارى[5].

---

(١) «والمعونة أحد من عبادي المخلصين كلا فإن عبادي يعادون الكفار» من (ن).

(٢) نسبت لعلي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهم ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك وغيرهم. وانظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٥)، و«المحتسب» (٢/ ٣٤).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٨٢)، واستغربه.

(٤) وهذا على القول الثاني، أما على القولين الأول والثالث فغير لازم، وهذا واضح في عبارة المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٨٢).

(٥) رواه البخاري (٤٧٢٨) عن مصعب بن سعد، قال: سألت أبي: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ [الكهف: ١٠٣]: هم الحرورية؟ قال: «لا، هم اليهود والنصارى...».

وعن عليٍّ رضي الله عنه: أَنَّهم القسِّيسون والرُّهبانُ، أتعَبوا أنفسَهم وحبَسوها في الصَّوامع[١].

وعن عليٍّ رضي الله عنه أيضًا: الخوارج[٢].

وقيل: أهلُ الأهواء.

وقيل: كلُّ مَن دان بدِينٍ غيرِ الإسلام فهو من الأخسرين أعمالًا في الآخرة.

والأَخْسَرُ: مَن أتعب نفسَه طلبًا للنَّجاة فيؤدِّيه إلى النَّار، والخُسْرانُ: ضدُّ الرِّبح.

و﴿أَعْمَٰلًا﴾ نصبٌ على التَّمييز، والقياسُ أن يكون مفردًا[٣]، لكنَّه جُمع لاختلاف أجناس الأعمال؛ أي: خسروا فيها كلِّها[٤].

***

(١٠٤) ـ ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾.

﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: بَطَل عملُهم؛ لأَنَّهم قاموا بأحكام كتابهم، فلمَّا كفروا بمحمَّدٍ عليه السَّلام حَبِطت أعمالهم، فلا يثابُون عليها ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾؛ أي: يحسبون أنَّهم على الحقّ.

---

(١) رواه ابن وهب في «جامعه ـ التفسير» (٢٣١)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٢٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٩٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٩٣).

(٣) هذا هو المشتهر عند متأخري النحاة، أما المتقدمون ففرقوا بين تمييز العدد وغيره، فتميز العدد مميزه واحد، وغيره مميزه يمكن أن يكون واحداً أو جمعاً. انظر: «المقتضب» للمبرد (٣/ ٣٤) و(٤/ ١٦٢)، و«الأصول» لابن السراج (١/ ٢٢٣)، و«التعليقة» لأبي علي (١/ ٢٧٥، ٣١٦).

(٤) ولو أفرد لالتبس أمرها، ولظُنَّ أن الخسارة التي يتفاوتون فيها إنما هي عمل واحد. انظر: «البديع» لابن الأثير (١/ ٢٠٨)

(١٠٥) ـ ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾: القرآنِ، وقيل: الأدلَّة، وقيل: كتبِهم.

﴿وَلِقَائِهِ﴾؛ أي: بالبعث والنُّشور، وقيل: ولقاءِ ما وعدهم، وقيل: بجزاء أعمالهم.

واللِّقاء: قربُ الشَّيء من الشَّيء من غيرِ فصلٍ.

﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾: فبطَلَتْ أعمالُهم الصَّالحةُ؛ أي: لا يثابون عليها ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾: لا نُثقِّلُ موازينَهم بأعمالهم. وقيل: لا يكون لهم منزلةٌ ولا جاهٌ، من قولهم: لا وزنَ لفلانٍ عند النَّاس. وقيل: لا يُعْتَدُّ بهم.

* * *

(١٠٦) ـ ﴿ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾.

﴿ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾؛ أي: الأمرُ ذلك.

ابن جريرٍ: ﴿ذَٰلِكَ﴾ بمعنى: أولئك، أي: أولئك جزاؤهم جهنَّم[1].

وقيل: ذلك الاستخفافُ بهم، وهو أن لا يُجعلَ لهم وزنٌ.

ويحتمِل: ﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأٌ ﴿بِمَا كَفَرُوا﴾ خبرُه و﴿جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ اعتراضٌ بينهما[2].

ومعنى الآية: جزاؤهم العذاب بكفرهم واستهزائهم برسلِ الله وآياته.

* * *

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٤٣٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٨٢)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٦٨٢)، واستغربه.

(١٠٧) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ معنى ﴿كَانَتْ﴾ هاهنا: سَبَق لهم وعدُ الله بها، والفردوسُ: البستانُ يجمعُ الكرمَ والنَّخل، وقد سبق[١]، ورُوي عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ أنّه قال: «الجنَّةُ مئةُ درجةٍ، ما بين كلِّ درجةٍ مسيرةُ مئة عامٍ، والفردوسُ أعلاها درجةً، منها تتفجَّر الأنهار، والفردوسُ من فوقها، فإذا سألتُم الله الجنَّةَ[٢] فاسألوه الفردوسَ، وفوقَها عرشُ الرَّحمن»[٣].

قتادةُ: الفردوسُ: ربوةُ الجنَّة وأوسطُها وأفضلُها[٤].

كعبٌ: هو اسم جنَّةٍ من الجنان ما فيها أعلى منه، وفيها الآمرون بالمعروف والنَّاهون عن المنكر[٥].

السُّدِّيُّ: النَّبطُ يُسمُّون العنبَ: فردوسًا[٦].

﴿نُزُلًا﴾ سبق.

***

---

(١) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ...﴾ [البقرة: ٢٥].

(٢) «الجنة»: ليس في (و).

(٣) رواه البخاري (٧٤٢٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٣١)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٣٠٢).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٣١)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٣٠٣).

(٦) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٩٤)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٦٥).

(١٠٨) ـ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا﴾.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ حالٌ مقدَّرٌ.

﴿لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا﴾: تحوُّلًا[1]، وقيل: بَدَلًا، قطربٌ: الحِوَلُ: الحيلةُ؛ أي: لا يَطلبون حيلةً ليُنقَلوا عنها إلى غيرها؛ لأنَّ فيها ما تشتهي الأنفسُ وتَلَذُّ الأعيُنُ وما لم يخطُرْ بقلب بشرٍ.

* * *

(١٠٩) ـ ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾.

﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا﴾ في سبب النُّزول: قال ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: قالت اليهودُ لمّا قال لهم النبيُّ عليه السَّلام: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ٨٥]: كيف وقد أُوتينا التَّوراة ومَن أُوتي التَّوراة فقد أُوتي خيرًا كثيرًا؟! فنزلت[2]: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي﴾؛ أي: يريد: البحرَ المحيط.

---

(١) في (و): «تحويلاً».

(٢) رواه مطولًا الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٧٢ ـ ٥٧٣) من طريق ابن إسحاق، قال: ثني رجل من أهل مكة، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس: «أن أحبار يهود قالوا لرسول الله ﷺ بالمدينة: يا محمد...» الحديث.

ورواه الطبري أيضًا من طريق محمد بن إسحاق، عن بعض أصحابه، عن عطاء بن يسار، قال: «لما نزلت بمكة ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ يعني: اليهود، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، أتاه أحبار يهود، فقالوا: يا محمد...».

وفي هذين الخبرين التصريح بأن اليهود خاطبوا النبي ﷺ بذلك في المدينة ما يدل على أن الآية مدنية، لكن سنديهما ضعيفان لإبهام شيخ ابن إسحاق فيهما.

وانظر: «تفسير السمرقندي» (٢/ ٣٦٥)، و«تفسير الثعلبي» (٤/ ١٦٢)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٩٨)، و«البسيط» (١٤/ ١٧٢).

والمدادُ: ما يُكتبُ به. أبو عُبيدٍ[١]: يجوزُ أن يكونَ مصدرَ مادَدْتُه مِداداً[٢].

السُّدِّيُّ: يريد بالكلمات: نعيمَ الجنَّة ونِعْمتَها[٣]. مجاهدٌ: معلوماتِه[٤].

وقيل: معناه: كلماتُ الله لا يَلحقُها الإحصاء؛ إذ لا نهايةَ لها، والكلماتُ: هي ما وعد الله أهلَ الجنَّة من الثَّواب والكرامة، وأهلَ النار من العقاب والملامة.

وقيل: كما أنَّ الله تعالى غيرُ مُتناهٍ فكلامُه غيرُ مُتناهٍ؛ لأنَّه متكلِّمٌ به أبدًا سرمدًا.

وقيل: متى شاء تكلَّم به.

وقيل: كلماتُ الله: ذكرُ ما خَلَقَ وما يَخلُق.

وقيل: لمّا قصَّ عن الخضِر وعن ذي القرنين ذَكَر بعدها ما يدلُّ على أنَّ عجائب الله عظيمةٌ كثيرةٌ لا يأتي عليها مدادُ البحر وأقلامُ الأرض.

وتقدير الآية: لو كان البحرُ مدادًا لكلمات ربِّي وكُتبتْ به ﴿لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي﴾: قبلَ نفادِها ﴿وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ﴾: بمثلِ البحر ﴿مَدَدٗا﴾ زيادةً على البحر، وقُرئ في الشَّواذّ: (مِدادًا)[٥].

* * *

(١) في (ن): «عبيدة». وإنما هو أبو عبيد الهروي، والله أعلم.

(٢) انظر: «الغريبين» لأبي عبيد الهروي (٦/ ١٧٣٥).

(٣) في «تفسير يحيى بن سلام» (١/ ٢١١) عن السدي: «العلم ربي وعجائبه».

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٩٤) بلفظ: «علم ربي»، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٣٨) بلفظ: «للقلم».

(٥) نسبت لابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم ومجاهد والأعمش وغيرهم. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٥)، و«المحتسب» (٢/ ٣٥).

(١١٠) ـ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ في سببِ النُّزول: عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّها نزلت في جُندبِ[١] بن زهيرٍ، وذلك أنَّه قال: إنِّي أعمل العملَ لله، فإذا اطَّلع عليه سرَّني، فقال عليه السّلام: «إنَّ الله طيِّبٌ لا يَقبلُ إلَّا الطَّيِّبَ، ولا يقبلُ ما شُورِكَ فيه» فأنزلَ الله هذه الآية[٢].

وقال طاوسٌ: قال رجلٌ: يا نبيَّ الله، إنِّي أحبُّ الجهاد في سبيل الله، وأحبُّ أن يُرى مكاني، فأنزل الله هذه الآية[٣].

مجاهدٌ: جاء رجلٌ إلى النَّبيِّ عليه السَّلام فقال: إنِّي أتصدَّقُ وأَصِلُ الرَّحِم، ولا أصنعُ ذلك إلَّا لله، فيُذكَرُ ذلك منِّي وأُحمدُ عليه فيَسرُّني ذلك وأُعجب به، فسكت ولم يقل شيئًا، فأنزل الله: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ الآية[٤].

---

(١) في (ن) و(و): «حيدر»، وفي هامش (ن): في نسخة: «في جند بن»، وفي (ط): «جيدر»، والمثبت من مصارد التخريج.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٣٠٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٩٢)، قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ٣١٣): «غريب». قلت: وهذه الكلمة يقولها للحديث الذي لم يجده. وقد رواه بنحوه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (١٥٩١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١١/ ٣٠٤)، من طريق محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، ومحمد بن مروان كذاب، والكلبي متروك، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧٢٨)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٤٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٩٤). ورواه موصولًا الحاكم في «المستدرك» (٢٥٢٧) وصححه عن طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) رواه وكيع في «الزهد» (٢٤٦)، وهناد في «الزهد» (٢/ ٤٣٥)، وذكره الواحدي في «أسباب =

﴿قُلْ﴾: يا محمَّد ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ يعني: آدميًّا ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾؛ أي: المستحِقُّ للعبادة هو وحدَه لا يتَّصف غيرُه بوصفه ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ﴾: يطمعُ ﴿لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾: ثوابَ ربِّه.

الزَّجَّاج: يرجو صالحَ المنقلَبِ عند ربِّه[١].

مقاتلٌ: يخاف[٢]، وقيل: إنَّما يأتي (يرجو) ـ بمعنى: الخوف ـ في النَّفي[٣].

﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾: خالصًا؛ أي: فلْيُكْثِرْ من العمل الصَّالح، وهو الطَّاعةُ لله، ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ لا يُرائي، وهو نهيٌ عن الرِّياء.

وقال رسول الله ﷺ: «مَن قرأ سورةَ الكهف فهو معصومٌ ثمانيةَ أيَّامٍ من كلِّ فتنةٍ تكون، فإنْ خرج الدَّجَّال في تلك الثَّمانية عصَمه اللهُ من فتنةِ الدَّجَّال، ومَن قرأ الآيةَ التي في آخرها: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ ـ إلى آخر الآية ـ حين يأخذُ مضجَعه كان له نورٌ يتلألأُ من مضجعه إلى مكَّةَ، حشوُ ذلك النُّورِ ملائكةٌ يصلُّون عليه حتَّى يقومَ من مضجِعِه، وإنْ كان مضجعُه بمكَّة فتلاها كان له نورٌ يتلألأُ من مضجعه إلى بيت المعمور، حشوُ ذلك النّورِ ملائكةٌ يصلُّون عليه ويستغفِرون له حتَّى يستيقظ»[٤].

= النزول» (ص: ٢٩٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ١١٥).

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣١٦).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٦٠٥).

(٣) انظر: «الأضداد» للأنباري (ص: ١٧).

(٤) رواه بهذا اللفظ السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٦٦)، والمستغفري في «فضائل القرآن» (١١٨٤ ـ ١١٨٥) عن أبيِّ بن كعب رضي الله عنه. وهو جزء من حديث أبيٍّ الطويل المعروف في فضائل القرآن سورة سورة، وقد رد العلماء هذا الحديث ونبهوا على وضعه، قال السيوطي في «تدريب الراوي» (١/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩): «ومن الموضوع: الحديث المروي عن أبي بن كعب مرفوعًا في فضل =

= القرآن سورة سورة من أوله إلى آخره».

وروى بعضه إسحاق بن راهويه كما في «المطالب العالية» (٣٦٥٤)، والبزار في «مسنده» (٢٩٧)، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٣١٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٠٣)، جميعهم من طريق النضر بن شميل، حدثني أبو قرة الأسدي، قال: سمعت سعيد بن المسيب، يحدث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن قرأ في ليلةٍ ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠] كان له نورٌ من عدن أبين إلى مكة حشوه الملائكة». قال الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وتعقبه الذهبي بقوله: «أبو قرة فيه جهالة ولم يضعف». وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٩٤): «رواه البزار ورواته ثقات، إلا أن أبا قرة الأسدي لم يرو عنه فيما أعلم غير النضر بن شميل». وقال ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ١٨٦): «غريب جدًّا».

ثم جاء في خاتمة (ط): «ثم النصف الأول من كتاب «لباب التفاسير»، ووقع الفراغ منه ببلد شيراز حماه الله على يد العبد الضعيف الراجي رحمة الله تعالى محمد بن أبي طاهر في التاسع من شوّال سنة تسع وستمئة: الحمد لله حق حمده، والصلاة على نبيه المصطفى محمد وعترته الأكرمين».

وجاء في هامش (ن): «بلغت المقابلة بالنسخة المذكورة في أول الكتاب بالمدينة المشرفة على مشرّفها من الصلوات أفضلها ومن التحيات أكملها سنة ٧٩٣».

وجاء في خاتمة (و): «تمّ الجزء الأوّل من كتاب «لباب التّفاسير» على يد العبد الفقير اللاجئ إلى عفو الله ورحمته حسين بن أبان النّحويّ، في العشر الأوسط من شهر الله الأصمّ رجب من شهور سنة ثلاثٍ وسبعين وستِّ مئةٍ، والحمد لله كما هو أهله، والصّلاة التّامّة الزّاكية على سيِّدنا نبيِّ الرّحمة محمّدٍ وعلى آله الطّاهرين وصحبه الأكرمين وحسبنا الله ونعم الوكيل».

سُورَةُ مَرْيَمَ

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ مَرْيَمَ

ثمانٍ وتسعون آيةً[1]. مكِّيَّةٌ؛ قيل: مكِّيَّةٌ إلَّا آيةَ السَّجدة[2].

(١) ـ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾.

﴿كٓهيعٓصٓ﴾ وقد ذكرتُ فيما سبق ما قاله المفسِّرون في حروف التَّهجِّي الواقعةِ أوائلَ السُّور، وقرأتُ في بعض التَّفاسير أنَّ هذه الحروفَ من حساب الجُمَّل[3]، وهي تدلُّ على مدَّة بقاءِ الإسلام[4]، والمدَّة ستُّ مئة سنةٍ وثلاثٌ

---

(١) تسع وتسعون فِي المدني الأخير والمكي، وثمان في عدد الباقين. انظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٨١).

(٢) وبكلٍّ قال قوم؛ فممن قال باستثناء آية السجدة مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٦١٩)، والبيضاوي في «تفسيره» (٤/ ٥). وممَّن قال بمكيتها دون استثناء: يحيى بن آدم في «تفسيره» (١/ ٢١٣)، وابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ٢٩٢)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٤٣)، والماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٧/ ٢١٨)، والنحاس في «معاني القرآن» (٤/ ٣٠٧)، وأبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٦٧)، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٣٢١)، ومكي في «الهداية» (٧/ ٤٤٨٧)، والداني في «البيان في عد آي القرآن» (ص: ١٨١)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ١٧٤)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ٢١٥). وغيرهم من أئمة التفسير.

(٣) ذهب إلى ذلك مقاتل، ولم ير الطبري مانعاً من أن يكون أحد المعاني المرادة بفواتح السور، واستحسنه ابن فارس، وأنكره ابن كثير وابن حجر. انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢٨)، و«تفسير الطبري» (١/ ٢٢٤)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ١٦١)، و«البرهان» للزركشي (١/ ١٧٤)، و«الإتقان» للسيوطي (٣/ ٣٠).

(٤) ذكر ذلك السيوطي في «الإتقان» (٣/ ٣٠) عن السهيلي.

وتسعون سنةً، ثمَّ تقومُ السَّاعة[(١)]، وهذا ضعيفٌ، بل باطلٌ من ثلاثة أوجهٍ:

أحدها: أنَّ هذا دعوى علم يوم القيامة، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦٣].

والثَّاني: أنَّ حساب الجُمَّل لا تعرفُه العرب، واللهُ تعالى يقول: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣]، و﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ﴾ [الشعراء: ١٩٥].

والثَّالث: أنَّه أخذ حسابَ الحروف غيرَ مكرَّرةٍ، ولو أخذ حسابها مكرَّرةً لوَجدها أضعافًا.

وذهب بعضُ المفسِّرين إلى أنَّه اسمٌ من أسماء الله تعالى، وقيل: إنَّه الاسم الأعظم.

ورُوي عن عليٍّ كرَّم الله وجهه: أنَّه كان يحلِف بـ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ وكان يدعو ويقول في دعائه: يا ﴿كٓهيعٓصٓ﴾[(٢)]. وهذا يحتمِل وجهين:

أحدهما: ما ذُكر أنَّه اسمٌ من أسماء الله.

والثَّاني: أنَّه صفاتُ الله، كما رُوي عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّه قال: الكافُ من كافٍ ـ وقيل: من كريمٍ، وقيل: من كبيرٍ ـ والهاءُ من هادٍ[(٣)].

ولم يروَ عن ابن عبَّاسٍ في الياء شيءٌ[(٤)]؛ لأنَّه لم يأتِ في أسماءِ الله ما

---

(١) في (ف): «القيامة».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٥١).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧٣١) بلفظ: «كافٌ من كافٍ، وياءٌ من حكيمٍ، وعينٌ من عليمٍ، وصادٌ من صادقٍ، وهاءٌ من هادٍ». وروى الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٤٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان يقول: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ قال: كافٌ: كبير.

(٤) كذا قال، وقد تقدم في رواية عبد الرزاق عن ابن عباس رضي الله عنهما: «وياء من حكيم».

أَوَّلُه ياءٌ، وعن غيره: الياء من يمينٍ[1]، وقيل: من عليمٍ، وقيل: من حكيمٍ[2].

وقيل: من قولهم: «يا مَن يُجِيرُ ولا يُجارُ عليه»، قاله الرَّبيع بن أنسٍ[3].

والعينُ من عليمٍ[4]، وقيل: من عزيزٍ[5]، وقيل: من عدلٍ.

والصَّاد من صادقٍ[6].

وقيل: هو اسمٌ للقرآن، وقيل: اسمٌ للسُّورة.

***

(٢) ـ ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾.

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾؛ أي: هذا ذكرُ ربِّك عبدَه بالرَّحمة، فيكون الرَّبُّ فاعلَ الذِّكر و﴿عَبْدَهُۥ﴾ مفعولَه.

وقيل: ﴿رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ﴾، فيكون الرَّبُّ فاعلَ الرَّحمة، و﴿عَبْدَهُۥ﴾ مفعولَها، والرَّحمةُ مفعولَ الذِّكر.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٤٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ ففي قول المصنف: «عن غيره» نظر.

(٢) تقدم في رواية عبد الرزاق عن ابن عباس.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٤٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٩٦).

(٤) تقدم بهذا اللفظ في رواية عبد الرزاق عن ابن عباس، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٤٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير بلفظ: «عينٌ من عالم».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٤٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير.

(٦) تقدم في رواية عبد الرزاق عن ابن عباس، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٥٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير والضحاك.

ويجوزُ أن يكون الذِّكرُ مضافًا إلى الرَّحمة، وهي فاعلُه، و﴿عَبْدَهُۥ﴾ مفعولها، كما تقول: ذَكَرني جودُ زيدٍ[١].

وقيل: الرَّحمةُ صلةٌ[٢].

و﴿زَكَرِيَّآ﴾ بدلٌ عن العبد، وقرئ في الشَّواذِّ: (عبدُه) بالرَّفع[٣]، فيكونُ فاعلَ الذِّكر.

***

(٣) ـ ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾.

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾: دعاهُ دعاءً سرًّا كما هو المأمورُ في قوله: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥].

وقيل: رَفَع صوتَه فأخفاهُ عن القوم.

---

(١) ويجوز على هذا القول أن يكون ﴿عَبْدَهُۥ﴾ مفعول الذكر أيضاً، قال ابن كمال باشا في «تفسيره» عند هذه الآية: ﴿عَبْدَهُۥ﴾ مفعول الرحمة، أو الذكر على أن الرحمة فاعلُه على الاتِّساع، كقولك: ذَكَرني جودُ زيد.

وإلى هذا يوحي كلام المؤلف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٨٥) حيث قال: «الغريب: ﴿ذِكْرُ﴾ مضاف إلى الفاعل وهو الرحمة، وتقديره: ذكر رحمة ربِّك عبدَه، كما تقول: ذكرني جودُك، فيكون المعنى: ذكر ربِّك عَبْدَهُ بالرحمة».

قلت: ويلاحظ من هذا الكلام أن المؤلف جعل هذا الوجه والوجه الأول واحداً.

ثم قال: «وقول من قال: الرحمة صلة، يريد: بهذا المعنى؛ إذ لا يجوز أن يكون صلة بين المضاف والمضاف إليه».

(٢) انظر التعليق السابق.

(٣) نسبت ليحيى بن يعمر. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٨٦)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ٢٩٧).

ابن عيسى: النِّداء: الدُّعاء على طريقة: يا فلان(١).

وقيل: ﴿نِدَآءً خَفِيًّا﴾: لا يدخلُه رياءٌ.

وقيل: لأنَّه استحيا من القوم أن يَسأَلَ اللهَ الولدَ على كبرِ السِّنِّ من امرأةٍ عاقرٍ.

وقيل: دعاه في وسط اللَّيل.

وقيل: عَلِم أنَّ رَفْعَ الصَّوت وخَفْضَه عند الله سواءٌ، وفي الخفضِ خضوعٌ فاختاره.

﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ ظرفٌ للذِّكر. وقيل: للرَّحمة. وقيل: ظرفٌ لـ﴿قَالَ﴾ بعده، ويحتمِل أنَّه خبرُ المبتدأ، والمبتدأُ قولُه: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾(٢).

***

(٤) ـ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾ هذا تفسيرُ الدُّعاء، ومعناه: ضَعُفَ بدني لكِبَرِ سنِّي، والواهنةُ: الضَّعفُ، وكان له سبعونَ سنةً.

وقيل: ﴿وَهَنَ﴾ بمعنى: وَهِيَ، تقول: وَهَنَ يَهِنُ، ووَهِنَ يَوْهَنُ، ووَهِنَ يَهِنُ(٣).

وخصَّ العَظْمَ بالذِّكر لأنَّه أقوى ما في الإنسان.

ويحتمِلُ أنَّ المرادَ بالعَظْم الأسنان(٤).

---

(١) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٢/ ٢٩٠) بلا نسبة.

(٢) ذكر المصنف القولين الأخيرين في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٨٦)، واستغربهما.

(٣) هي لغات، والثانية أجودها. انظر: «تاج العروس» مادة: (و ر ث) (٥/ ٣٨٠).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٨٦)، واستغربه.

﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾: فشا في رأسي المشيبُ.

اشتعالُ النَّار: إذا تفرَّقتْ في التهابِها وصارت شُعُلًا.

وقيل: الاشتعال: انتشارُ شعاعِ النَّار؛ أي: اشتَعَل الشَّيبُ فيه اشتعالَ شعاعِ النَّار.

وقيل: هاج الشَّيب فيه.

وفي نصبه قولان:

أحدهما: التَّمييزُ؛ لأنَّ اشتعالَ الرَّأس مبهَمٌ لا يُدْرَى ممَّ اشتَعَل.

وقيل: انتصابُه على المصدر؛ لأنَّ اشتَعَل بمعنى: شاب.

ويَحتمِلُ أنَّه من باب تفقَّأتِ الدَّابَّة شحمًا[1]؛ لأنَّ تقديره: واشتَعَل شيبُ الرَّأس[2].

وقيل: من شيبٍ، و: بشيبٍ، فنُصِبَ بنزعِ الخافض. وفيه بُعْدٌ.

﴿وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا﴾؛ أي: كنتُ مستجابَ الدَّعوةِ قبلَ اليومِ سعيدًا به غيرَ شقيٍّ فيه.

والسَّعادة: إدراكُ الخير، والشَّقاوة: حرمانُه.

وقيل: بدعائك إيَّاي[3].

وقيل: مَن دعاك مخلِصًا فوحَّدك وعبَدَك لم يكن بعبادتك شقيًّا.

* * *

---

(١) فهو فعل منقول، وانتصاب الاسم بعده على التمييز أيضاً، وقد تقدم الكلام عليه في تفسير قوله تعالى: ﴿كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾، وانظر: «المقتضب» للمبرد (٣/ ٣٦)، و«الأصول» لابن السراج (١/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤)، و«شرح الكتاب» للسيرافي (٢/ ٧٧).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٨٦)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٨٧)، واستغربه.

(٥) - ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾.

﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ ﴾ يعني: العُصبةَ، وقيل: بني العمِّ، وقيل: الكَلالةَ.

﴿مِن وَرَآءِى ﴾: مِن بعدي، وقيل: مِن حَولي، حكاه محمَّد بن الهيصَم[١].

إنِّي خفت أن يكونوا هم يَرِثون مالي مِن بعدي. قتادةُ قال: رُوي أنَّ رسول الله ﷺ قال: «رَحِمَ اللهُ زكريَّا؛ ما كان عليه مَن وَرِثه؟»[٢].

وقيل: خاف أن يُفْسِدوا بعده في دِين الله.

وقيل: خاف أن يَرِثَه غير الولد.

وقرئ: (خَفَّتِ الموالي مِن ورائي)[٣]؛ أي: ماتوا وذهبوا.

ويحتمِلُ: خِفْتُ فَوَات الموالي مِن ورائي قبلَ موتي، فهَبْ لي وليًّا يبقَى بعدي، سأل ولدًا يرثُه عِلْمَه ويَجْرِي في دِين الله على سُنَّته.

﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾: لا تَلِدُ، وإنَّما ذكَر ﴿ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾ لأنَّه سأل الله إزالةَ العلَّة عنها لتَحْبَل.

﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ﴾: مِن قُدْرتِكَ وفضلِكَ ﴿وَلِيًّا ﴾: ابنًا يَلِي أمرَك بعدي.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٨٧)، واستغربه.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧٣٤)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٥٩) عن قتادة مرسلاً، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٥٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٩٧) عن الحسن مرسلًا. قال ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ١٨٩): «وهذه مرسلات لا تعارض الصحاح»؛ يعني: من أن الأنبياء لا يورثون المال، كما ثبت في الصحاح، وسيأتي.

(٣) نسبت لعثمان رضي الله عنه ومحمد بن علي وعلي بن الحسن. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٦)، و«المحتسب» (٢/ ٣٧).

(٦) ـ ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾.

﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾ مَن رَفَع جعلَه وصفًا لـ(وليٍّ)، ومَن جَزَمه[١] جعلَه جوابًا للأمر.

و(وليٌّ) عامٌّ وُضِعَ موضعَ الخاصِّ، أي: وليًّا وارثًا يَرِثُني ويَرِثُ مِن آلِ يعقوب؛ قيل: المالَ؛ كما سبق، وفيه ضعفٌ؛ لقوله ﷺ: «إنَّا معاشرَ الأنبياء لا نورِّث، ما تَرَكْناه صدقةٌ»[٢].

وقيل: يرثُني النُّبوَّة؛ وهذا أيضًا فيه كلامٌ؛ لأنَّ النُّبوَّة ليست بالوراثة، ولو كانت بالوراثة لكنَّا جميعًا أنبياءَ؛ لأنَّ آدم عليه السَّلامُ كان نبيًّا بالإجماع[٣].

ويحتمِلُ أنَّ التَّقدير: وليًّا بهذه الصِّفة؛ أي: ولدًا نبيًّا، وبابُ السُّؤال والدُّعاء مفتوحٌ.

﴿وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾ قيل: النُّبوَّةَ، وقيل: المالَ.

وقيل: يعقوبُ هذا ليس بيعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ، وإنَّما هو يعقوبُ بنُ ماثانَ، وكانت امرأةُ زكريَّا أختَ مريمَ بنتِ عِمرانَ بنِ ماثان[٤].

---

(١) قرأ أبو عمرو والكسائي بالجزم، والباقون بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٧)، و«التيسير» (ص: ١٤٨).

(٢) رواه البخاري (٤٠٣٥)، ومسلم (١٧٥٨) عن عائشة رضي الله عنها بلفظ: «لا نورث ما تركنا صدقة». ورواه النسائي في «السنن الكبرى» (٦٢٧٥) عن عمر رضي الله عنه بلفظ: «إنا معشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا فهو صدقة». قال ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٣/ ٢١٥): «وإسناده على شرط مسلم». ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٩٩٧٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركت بعد مؤونة عاملي ونفقة نسائي صدقة».

(٣) ذكر نحوه النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٥) ثم قال: «ووراثة الحكمة والعلم مذهب حسن».

(٤) عد المصنف هذا القول قول الجمهور، وعدَّ الغريب قول من قال: هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام. انظر: «غرائب التفسير» (٢/ ٦٨٧).

مجاهدٌ: ﴿يَرِثُنِي﴾ عِلْمي ﴿وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ النُّبوَّةَ(١).

الضَّحَّاك: ﴿يَرِثُنِي﴾ مالي ﴿وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ النَّسبَ والعِلْم(٢).

﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ قيل: مَرْضيًّا تَرْضاه، وقيل: تقيًّا، وقيل: راضيًا بحُكْمِك.

فأجابَ اللهُ دعاءَه وقال:

(٧) - ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾.

﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾ تولَّى اللهُ تسمِيَتَه تشريفًا له ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾؛ أي: لم يُسَمَّ أحدٌ بيَحْيَى قبلَه(٣).

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾؛ أي: مِثْلًا وشَبيهًا(٤)؛ لأنَّه لم يَعْصِ ولم يَهُمَّ بمعصيةٍ قطُّ.

وقيل: في كونه حَصُورًا.

وقيل: لم تَلِدِ العَوَاقرُ مِثْلَه(٥).

وقرأتُ في بعض التَّفاسير: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ﴾: لزكريَّا ﴿مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾: ولدًا، والعربُ تسمِّي الولدَ: سَمِيًّا، حكاه النَّقَّاش في «تفسيره»(٦).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٥٨) بلفظ: «وكان وراثته علمًا وكان زكريا من ذرية يعقوب».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٩٨) بلفظ: «السنة والعلم».

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٩٠١)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٠٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه الحاكم.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٣٣٦) من رواية مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٦٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٩٩) عن مجاهد.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٦١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٨٨)، وعدَّه من العجائب.

وسمِّي يحيَى لأنَّه يحيا به دِينُ الله.

وقيل: لأنَّ رَحِمَ أمِّه حَيَّ به(١).

وقيل: هذا على الضِّدِّ؛ أي: يموتُ؛ كالمَفازةِ والسَّليم.

وقيل: لأنَّ الله أحياهُ من بَيْنِ ميِّتينِ في حُكْم الولادة.

وقيل: لأنَّه استُشهِد، والشُّهداءُ أحياءٌ(٢).

وقيل: اشتُقَّ له من: يا حيُّ، حكاه النَّقَّاش.

ويحتمِل أنَّه اسمٌ أعجميٌّ، وهو الأظهرُ(٣).

***

(٨) ـ ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا﴾.

فلمَّا بشَّرته الملائكة به ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ﴾؛ أي: مِن أين يكون لي الولد ﴿وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا﴾: لا تلد ﴿وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا﴾: نهايةً؛ أي: صرتُ قَحْلَ العِظَام يابسًا، تقولُ: عتا يعتو عُتُوًّا وعُتِيًّا: إذا بالغَ في سنٍّ أو كفرٍ، وكذلك عُسِيًّا(٤).

---

(١) انظر: «تفسير السمرقندي» (١/ ٢١٠)، و«تنوير المقباس» (ص: ٢٥٤).

(٢) قال أبو القاسم بن حبيب، كما في «البحر المحيط» لأبي حيان (٣/ ١٣٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٨٧)، واستغربه.

(٣) وقال ابن الباذش: كل اسم أعجمي استعملته العرب فالنحويون يتكلمون على أحكامه في التصريف على الحدّ الذي يتكلمون في العربي»، وذلك بعد أن نصَّ على أن يحيى وموسى وعيسى أسماء أعجمية. انظر: «تمهيد القواعد» لناظر الجيش (١٠/ ٤٩٨٠).

(٤) انظر: «الغريب المصنف» لأبي عبيد (١/ ٣٩٣).

الحسن: معناه: أصبتُ شدَّةً.

وإنَّما سأل بعدَ علمه بأنَّ الله قادرٌ على ذلك لِمَا دخله من السُّرور، فاستعجَلَ معرفةَ كيفيَّةِ ما بُشِّر به قبل وقوعِه، والسُّؤالُ وقع عن جائزَيْنِ عنده:

أحدهما: أن يعيدَه وامرأتَه شابَّين أم على هَيْئتِهما.

والثَّاني: أن يقوِّيَه على المجامَعةِ وامرأتَه على عُلوقِ الولد.

وقيل: استعلامٌ، أَمِنْ زوجتِه العاقرِ أم يَنكِحُ غيرَها؟

* * *

(٩) ـ ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴾.

﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ ﴾؛ أي: الأمرُ كما قيل لك. وقيل: تقديرُه: كما أنتما؛ أي: على الحالِ التي أنتما عليه. وقيل: تقديره: كذلك قال ربُّك؛ يعني: كما قيلَ لك ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ﴾؛ أي: إعطاء الولد على هذه الحالة منكما ﴿عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾: سهلٌ ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴾ بل كنتَ مَعدومًا.

* * *

(١٠) ـ ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾.

﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ﴾؛ أي: علامةً أَعرِفُ بها حَبَلَ امرأتي، وهذا السُّؤالُ أيضًا لفَرْطِ فَرَحِه بما بُشِّر به.

﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾؛ أي: آيةُ ذلك ألَّا تَقْدِرَ على مكالمةِ النَّاس مِن غيرِ بَكَمٍ ولا خَرَسٍ ثلاثَ ليالٍ مع أيَّامها، مستويَ الأعضاء لا لمرضٍ ولا خَلَلٍ بك.

وعن ابن عبَّاسٍ: ثلاثَ ليالٍ متتابعاتٍ(١). جعَلَه(٢) وصفًا لـ﴿ثَلَٰثَ﴾.

وقيل: ربا لسانُه في فيه فلمْ يَقدر على كلامٍ ثلاثةَ أيَّامٍ عقوبةً على السُّؤال(٣). وقد سَبَق في (آل عمران)(٤).

ابن بحرٍ: تعبَّده اللهُ بالسُّكوت عن جميعِ الأمور إلَّا عن التَّسبيح والتَّهليل. وقال: المراد بالآية: الفَرْضُ، كقوله: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [النور: ١]؛ أي: فرائض(٥).

وقيل: رأى في المنام أنْ بُشِّر بالولد، فسأل الله حقيقةَ الرُّؤيا.

***

(١١) - ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾: مِن المصلَّى، وقيل: نَزَل من الغرفة، والمحرابُ أشرفُ موضعٍ في البيت(٦).

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾: أَوْمَأَ برأسه ويدَيْه.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٧٠).

(٢) أي: لفظ (سوياً)، وهو على القول الأول حال من الصغير المستتر في (تكلم).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٨٨)، وعدَّه من العجائب.

(٤) وقد ذكره المصنف هناك عن قتادة والربيع، واستظهر القول الأول.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٨٨)، واستغربه، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ١٣٨).

(٦) قال في «العين» (٢/ ٢١٤): «المحراب عند العامة اليوم: مقام الإمام في المسجد، وكانت محاريب بني إسرائيل مساجدهم التي يجتمعون فيها للصلاة، والمحراب: الغرفة...»، وقال أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ٩١): «المحراب: سيد المجالس ومقدمها وأشرفها»، وقد ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٠٩) بلفظ المصنف.

وقيل: كَتَبه على الأرض، وكان إذا أراد أمرًا كتَب لهم كتابًا. والوحي: الكتابة.

﴿أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾ قيل: صلُّوا، والسُّبْحةُ: الصَّلاة. وقيل: يريدُ به التَّسبيحَ والتَّهليل.

والبُكرة: الغَدَاة، مشتقَّةٌ من التَّقدُّم، والعشيُّ مشتقٌّ من الظُّلمة.

***

(١٢) ـ ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾.

﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يعني: التَّوراة، وقيل: ما كان يوحَى إليه.

﴿بِقُوَّةٖ﴾: بجِدٍّ وعزيمةٍ، يريد: غايةَ ما تَقْوَى عليه وتُطيقُه، واحملِ النَّاس على العمل بما فيه.

﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾؛ أي: الحكمةَ، كالقُلِّ والقِلَّة.

وقيل: ﴿ٱلۡحُكۡمَ﴾: الفَهْمَ بكتاب الله.

وقيل: كان يقومُ بالأحكام في حالِ طفوليَّته.

الحسن: ﴿ٱلۡحُكۡمَ﴾: النُّبوَّةَ(١).

ابن عبَّاسٍ: مَن قرأ القرآن قبلَ أن يحتلِمَ فهو ممَّن أوتي الحكم صبيًّا(٢).

***

(١٣) ـ ﴿وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا﴾.

﴿وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا﴾؛ أي: رحمةً من عندنا. وقيل: رحمةً لأبويه. وقيل: تحيَّةً.

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ١٧٨)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ٢٢٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٨٥) موقوفًا، ورواه مرفوعًا ابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٨٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٧٩٨).

والحنَانُ: العطفُ والشَّفقةُ، يقال: حنانَكَ يا ذا الحنَان؛ أي: ارْحَمْ يا رحيمُ، وقد يُثنَّى في الدُّعاء، قال الشَّاعر:

حَنانَيْكَ بَعْضُ الشَّـرِّ أَهْـوَنُ من بَعْضِ (١)

ورُوِي عن ابن عبَّاسٍ أنَّه قال: ما أدري ما الحنَانُ(٢)؟

ابن الأعرابيِّ عن المفضَّل بنِ محمَّدٍ: ﴿حنانًا﴾: رزقًا(٣).

﴿وَزَكَوٰةً﴾: طهارةً وصلاحًا فلم يَعْملْ بذنبٍ.

الكلبيُّ: صدقةً تصدَّق الله بها على أبويه(٤).

وقيل: بركةً ونماءً.

ابن عيسى: جعَلْناه زكاةً لمَن قَبِل منه؛ أي: ذا طهارةٍ.

ونُصِبَ (حنانًا) و(زكاةً) عطفًا على ﴿الْحُكْمَ﴾.

وقيل: نَصْبٌ على المفعول له.

﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾: مخلِصًا مسلِمًا مطيعًا.

* * *

(١) عجز بيت لطرفة بن العبد، وصدره:

أبـا منذر أفنيـتَ فاسـتَبْقِ بَعْضَنا

انظر: «ديوان طرفة» (ص: ٦١)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٣)، و«غريب الحديث» لأبي عبيد (٤/ ٤٠١)، و«تفسير الطبري» (١٥/ ٤٧٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٧٧)، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٣٤٢)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٨٩)، وعدَّه من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٨٩)، واستغربه.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٣٤٤)، والواحدي في «البسيط» (١٤/ ٢٠٩).

(١٤) - ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾.

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾؛ أي: بارًّا بهما لا يَعْصِيهما، والبِرُّ: الحُبُّ، وقيل: الإسراعُ إلى الطَّاعةِ والمبالغةُ في الخدمة؛ تقول: بَرِرْتُ والديَّ أَبَرُّهما.

﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا﴾: قتَّالًا متكبِّرًا.

الكلبيُّ: الجبَّار: الذي يَضربُ ويقتلُ على الغضب[١].

﴿عَصِيًّا﴾: عاصيًا لربِّه.

* * *

(١٥) - ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾.

﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ﴾؛ أي: سلامٌ له منَّا حين ولد.

ابن جَريرٍ: أي: الأمانُ من الله له يومَ وُلد من أن ينالَه الشَّيطان بما ينالُ به بني آدم، وأمانٌ له من فتَّاني القبر، وأمانٌ له من الفزع الأكبر[٢].

ابنُ عُيينةَ: أوحشُ ما يكونُ المرءُ في ثلاثةِ مواطنَ: يومَ وُلد فيَرى نفسَه خارجًا ممَّا كان فيه، ويومَ يموتُ فيرى قومًا لم يكن عايَنَهم، ويومَ القيامةِ فيَرَى نفسَه في هولٍ عظيمٍ، فأكرمَ اللهُ عزَّ وجلَّ يحيى فيها وخصَّه[٣].

وذكر المفسِّرون أنَّ يحيى وعيسى عليهما السَّلام الْتَقيا، فقال يحيى لعيسى: استَغفِرْ لي فأنت خيرٌ منِّي، وقال عيسى ليَحيى: استغفرْ لي فأنت خيرٌ

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٣٤٧)، والواحدي في «البسيط» (١٤/ ٢١٠).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٤٨١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٨٢)، وذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٧/ ٤٥٠٥)، والواحدي في «البسيط» (١٤/ ٢١١)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ١٢٣).

منِّي، أنا سلَّمت على نفسي وسلَّم عليك الله، ولا يعرفُ فضلَ ذلك إلَّا الله[(١)].

﴿يَوۡمَ وُلِدَ﴾ من أمِّه، واسمها: أيلشفع، حكاه النَّقَّاش[(٢)].

﴿وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ في الآخرة.

***

(١٦) ـ ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا﴾.

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾: في القرآنِ، وقيل: من القرآن ﴿مَرۡيَمَ﴾ قصَّتَها وقصَّةَ ابنِها عيسى عليه السَّلامُ.

و(مريم): اسمٌ عجميٌّ.

وقيل: عربيٌّ، قال الشَّاعر:

قلتُ لزيرٍ لم تصِلْهُ مَرْيَمُهْ[(٣)]

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧٤٢)، وعبد الله بن أحمد في «الزهد» (٣٩٤)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٨٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٠٢)، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٣٤٨) عن الحسن.

(٢) وذكر السيوطي في «مفحمات الأقران» (ص: ٢٤) أن اسمها إيشاع أو أشيع، ولا طائل من معرفة ذلك، والله أعلم.

(٣) الرجز لرؤبة بن العجّاج. انظر: «ديوان رؤبة» (ص: ١٤٩)، و«العين» (٧/ ٩)، وبعده:

ضِلِّيلُ أهواءِ الصِّبا يندِّمُهْ

والزير من الرجال: الذي يحب محادثة النساء ومجالستهن، والمريم من النساء: من تحب محادثة الرجال، فهي كالزير من الرجال. يوقعُ هذا الزير في الندامة مَن ضلَّ في أهواءِ الصبا ويَعْذلُه في عشقه، ويقول له: اقطع مَن قطَعك، ولا تطلب وَصْلَ مَن هجرك. وهذا الكلام أشد لإغرائه، والبيت من رجز طويل لرؤبة مدح به أبا العباس السفاح أول الخلفاء العباسية. انظر: «شرح أبيات المغني» للبغدادي (٣/ ٣ـ ٤).

وهي التي تغازلُ الرِّجال[١].

﴿إِذِ ٱنتَبَذَتْ﴾: تباعَدَتْ وقَعدَتْ نَبْذةً[٢]؛ أي: متباعِدةً، لازِمُ نبَذ[٣]، وهو الطَّرح.

﴿مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾: تقابلُ المشرقَ فتستدفئ بالشّمس، وقيل: مَشرُقة دارها[٤]. قتادة: ﴿شَرْقِيًّا﴾: شاسعًا بعيدًا[٥].

قيل: ومِن ثَمَّ اتَّخذ النّصارى المشرقَ قبلةً؛ لأنَّه ميلادُ عيسى.

* * *

(١٧) ـ ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾.

﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ قيل: استَتَرت بجبلٍ، وقيل: بجدرانٍ. وقيل: جَعلتْ بينها وبين أهلها حجابًا يسترُها لتغتسلَ وراءه.

---

(١) قال الآلوسي في «روح المعاني» (١/ ٣١٦): والأولى عندي أن التسمية وقعت بالعبري لا بالعربي، بل يكاد يتعين ذلك كما لا يخفى على المنصف.

وفي «التبيان» للعكبري (١/ ٨٨): (مريمُ) علَمٌ عجَمي، ولو كان مشتقًّا مِن رامَ يَريم كان مَرِيماً؛ بفتح الميم وسكون الياء، وقد جاء في الأعلام بفتحِ الياء نحو: مَزْيَد، وهو خلاف القياس.

(٢) بفتح النون وتضم: ناحيةً. انظر: «القاموس» مادة: (ن ب ذ).

(٣) نبذ الشيء: طرحه، وانتبذ: تنحَّى. انظر: «المغرب» للمطرزي (ص: ٤٥٢).

(٤) «المشرقة»: أي: موضع القعود لإشراق الشمس. انظر: «فتوح الغيب» (٩/ ٥٨٦).

وقال الشهاب في «عناية القاضي» (٦/ ١٤٨): المشرقة مثلثة الراء: محل شروق الشمس والقعود فيه شتاء.

(٥) ذكره بهذا اللفظ الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٦١). وأبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٢٤٨)، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧٥٣) بلفظ: «منتحياً»، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٨٤)، وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٩٤)، بلفظ: «قِبَل المشرق شاسعاً منتحيًا».

قتادةُ: اتَّخذت قِبَلَ المشرق مسجدًا فتوارت منهم واعتزلَتْ لعبادة ربِّها[١].

﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾: جبريلَ، وأضافه إليه سبحانه تشريفًا له.

وقرأ أبو حيوةَ: (روحنَّا) بالتَّشديد[٢]، وفسَّره ابنُ مِهْرانَ أنَّه اسم جبريل[٣].

﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾؛ أي: تشبَّه وظهَر لها في صورةِ رجلٍ معتدِلِ القامة والخِلْقة، وقيل: مُساوِيًا لخِلْقةِ أشخاصِ البشر.

قال أبيٌّ بن كعبٍ رضي الله عنه: لمّا أخذ الله من آدم ذرِّيَّتَه كانت رُوحُ عيسى عليه السَّلام من تلك الأرواحِ التي أَخَذ ميثاقَها، فأَرْسَلها اللهُ إلى مريم في صورة بشرٍ، فتمثَّل لها، فحَمَلت الذي خاطبها وهو روحُ عيسى عليه السّلام[٤].

***

(١٨) ـ ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾.

﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ﴾: لمّا رأت جبريلَ في صورة شابٍّ خيِّل إليها أنَّه طالبُ فسادٍ فاستعاذت؛ أي: أَلْتَجِئُ إلى الله وأسأله أن يُعيذني ممَّا أخاف من جهتك ﴿إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾؛ أي: مسلمًا مطيعًا لله، وجزاءُ الشَّرط محذوفٌ؛ تقديرُه: فاخْرُجْ عنِّي، الزَّجّاج: فستَتَّعِظُ بتَعويذي بالله منك[٥].

---

(١) انظر التعليق السابق.

(٢) انظر: «البحر المحيط» (٧/ ٢٤٨)، وفيه: «وذكر النقاش أنه قرىء: (روحنَّا) بتشديد النون اسم ملك من الملائكة».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٠)، وعدَّه من العجائب.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٧٠٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٠٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٠)، واستغربه.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٢٣)، وجاء فيه: «بتعوذي»، وكذلك في «المحكم» (٦/ ٥٩٩)، و«البسيط» (١٤/ ٢١٤)، وقد جاء بلفظ المصنف في النسختين، و«غرائب =

وقيل: فلا تتعرَّضْ لي.

وقيل: ﴿إِن﴾ بمعنى: ما؛ أي: ما كُنْتَ تقيًّا بدخولك عليَّ ونظرِكَ إليّ[1].

وقيل: إنَّ تقيًّا اسمُ رجلٍ كان مِن أمثلِ النَّاس في ذلك الزَّمان، فقالت: إن كنتَ في الصَّلاح مثل التَّقيِّ فإنِّي أعوذُ بالرَّحمن منك، كيف يكونُ رجلٌ أجنبيٌّ وامرأةٌ أجنبيَّةٌ في حجابٍ واحدٍ؟ حكاه الثَّعلبيّ[2].

وقيل: إنَّ تقيًّا اسمُ رجلٍ كان يتعرَّض للنِّساء، وكانت سمعَتْ مريمُ بقصَّته وفساده.

وقيل: إنَّ تقيًّا تِرْبٌ لها يقالُ له: يوسفُ، مِن خَدَمِ بيتِ المقدس، أتاها جبريلُ على صُورتِه فظنَّتْ أنَّ الشَّيطان استزلَّه فتعرَّض لمريم، فقالت: إنْ كنتَ مَن أظنُّه فإنِّي أعوذُ بالرَّحمن منك، حكاه ابن مِهْرَبْزُدَ[3].

* * *

= التفسير» (٢/ ٦٩٠)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٧/ ٢٤٨)، والتعويذ اسم كالعوذة والمعاذة، أما التعوذ فمصدر. انظر: «الصحاح» (٢/ ٥٦٧)، وهو الصواب.

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٠)، واستغربه.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٧/ ٣٥٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٠)، واستغربه.

(٣) محمد بن علي بن محمد بن الحسين بن مهربزد أبو مسلم الأصبهاني المعتزلي تقدمت ترجمته. والقول ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٠)، وعدَّه من العجائب.

قلت: ولا حاجة لكل هذه التكلفات، فإن ﴿بَشَرًا سَوِيًّا﴾ بإطلاقه يعني أن جبريل عليه السلام قد أتاها بهيئة بشر سوي في كل ما تحتمله الكلمة من معان، ومنها نور الإيمان وطهارة المظهر، وهذا يجعلها تعلم أن الذي أمامها هو رجل تقي مؤمن، لكنها أرادت الزيادة في التأكد من ذلك.

(١٩) ـ ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾.

﴿قال إنّما أنا رسول ربّك لِيَهَبَ لك غلامًا زكيًّا﴾ أجابها جبريل فقال: لستُ الذي تخافينه، إنَّما أنا رسولٌ من الله إليكِ ليَهَبَ ربُّك.

وقرئ: ﴿لِأَهَبَ﴾[1]، وله ثلاثةُ أوجُهٍ:

أحدها: أنَّه أسندَ إلى السَّبب، والواهبُ هو الله سبحانه؛ أي: أَنْفُخَ في جيبك فيَخلُقَ الله من النَّفخة في بطنك غلامًا زكيًّا.

وقيل: معناه: أرسلني بهبتهِ إليك.

وقيل: تقديره: إنَّما أنا رسولُ ربِّك، قال ربُّك: ﴿لِأَهَبَ﴾[2]، وإضمارُ القول كثيرٌ.

و﴿غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾: طاهرًا من الذّنوب، وقيل: ناميًا على الخير.

***

(٢٠) ـ ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾.

﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾؛ أي: كيف ومِن أين ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾: لم يباشرني زوجٌ بالنّكاح ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾: فاجرةً تتعاطى الزِّنى، والولدُ يكون من أحد هذين؟

وفي حذفِ الهاء ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: أنَّ وزنه فَعُولٌ، وفعولٌ يستوي فيه المذكَّر والمؤنَّث[3].

---

(١) قرأ أبو عمرو، وورش عن نافع، والحلواني عن قالون عن نافع: ﴿لِيَهَبَ﴾، والباقون: ﴿لأهب﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٨)، و«التيسير» (ص: ١٤٨).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩١)، واستغربه.

(٣) انظر: «عمدة الكتاب» للنحاس (ص: ٥٣)، و«الممتع» لابن عصفور (ص: ٣٤٩).

والثَّاني: أنَّ لفظ البغيِّ خاصٌّ في النِّساء، فصار كالحائض والطَّالق[1]، وإنَّما يقال للرَّجل: باغٍ.

والثَّالث: فعيلٌ بمعنى مفعولٍ؛ كعينٍ كحيلٍ ولحيةٍ دهينٍ.

وقيل: شذَّ كأخواته من قوله: ﴿وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨] و﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] و﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٣١].

وحُذف النُّون من ﴿أَكُ﴾ تخفيفًا، وقد سبق[2].

***

(٢١) - ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾.

﴿قَالَ﴾؛ أي: جبريلُ ﴿كَذَٰلِكِ﴾؛ أي: الأمرُ كما قلتِ: لم يمسَسْكِ رجلٌ لا بالنِّكاح ولا بالسِّفاح.

وقيل: ﴿كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾؛ أي: هكذا قال ربُّك.

ويحتمِلُ أن يكون معنى ﴿كَذَٰلِكِ﴾؛ أي: كما أنتِ يكونُ لك الولدُ من غيرِ مسيسِ بشرٍ.

﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾؛ أي: إعطاءُ الولدِ من غير أبٍ عليَّ سهلٌ.

﴿وَلِنَجْعَلَهُ﴾؛ أي: الولدَ من غير مسيسٍ ﴿آيَةً لِّلنَّاسِ﴾: علامةً على قدرتنا وتفضيلًا لكِ على سائر النِّساء ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾: نعمةً منَّا على الخلق يهتدون به ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾: تقدَّم قضاءُ الله وحكمُه به.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩١)، واستغربه.

(٢) في تفسير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً﴾ [الأنفال: ٥٣].

وقيل: مقضيًّا في اللَّوح المحفوظ.

قوله: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ﴾ عطفٌ على قوله: ﴿لِيَهَبَ﴾.

ومذهبُ أبي حاتمٍ والمبرِّد: أنَّه الاستئناف، واللامُ لامُ القَسَم كُسِر لمّا لم يَصحبه النُّون[١].

ويحتمِل: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ فَعَلْنا ما فَعَلْنا[٢].

***

(٢٢) ـ ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾.

﴿فَحَمَلَتْهُ﴾؛ أي: دنا جبريلُ منها فنَفَخَ في جيبِ[٣] دِرْعها فدخلت النَّفخة في جوفها، فحملت كما تحمل النّساء[٤].

وقيل: نفخ جبريلُ من بعيدٍ فوصلتِ الرِّيحُ إليها.

أبيُّ بن كعبٍ قال: دخل الرُّوح في فيها فدخل بطنَها وولَدَتْه[٥].

قال ابن عبَّاسٍ: ما هو إلَّا أنْ حَملتْ فوضَعَتْ[٦].

وقيل: بقي ساعةً.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩١) عن أبي حاتم، وعده من العجائب.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩١)، واستغربه.

(٣) «جيب»: ليس في (ف).

(٤) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤١٥٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧٠/ ٨٦)، ورواه ابن عساكر من طريق آخر عن ابن عباس (٧٠/ ٨١ ـ ٨٣).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٧٠٥).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٩٧).

مقاتل بن سليمان: حملته في ساعةٍ، وصوِّر في ساعةٍ، ووضعَتْه في ساعةٍ حين زالت الشّمس من يومها(١).

وهي بنتُ عشر سنين، وقيل: ثلاثَ عشرةَ، وقد كانت حاضتْ حيضتين قبل أن تحمِل بعيسى(٢).

وقيل: لم تكن حاضَتْ بعد، حكاه محمَّد بن الهيصم(٣).

وقيل: ولدت لثمانيةِ أشهرٍ وما عاش مولودٌ وُلد لثمانية أشهرٍ غيرَ عيسى عليه السّلام(٤).

وقيل: وُلد لتسعةِ أشهرٍ، وقيل: لستَّة أشهرٍ.

ومَكَث مـع أمِّه ثلاثًا وثلاثين سنـةً، وعاشت أمُّه بعد رَفْعه إلى السَّماء ستَّ سنين، وماتت ولها اثنتان وخمسون سنةً.

﴿فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا﴾؛ أي: تباعَدَتْ وهي حاملٌ بعيسى مكانًا بعيدًا، والقصيُّ والقاصي: البعيدُ. وقيل: المكانُ القصيُّ: أوَّلُ أراضي مصرَ وآخِرُ بلاد الشَّام. وهبٌ: كانت بإيلياء. وقيل: بقريةٍ يقال لها: بيت لحم على ستَّة أميالٍ من إيلياء(٥).

***

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٦٢٤).

(٢) قاله مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٦٢٤).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٢)، واستغربه.

(٤) حكاه الزجاج. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٢٤)، و«زاد المسير» (٣/ ١٢٥).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٩٧) عن وهب بن منبه، وفيه: «لما حضر ولادُها ووجدت ما تجد المرأة من الطلق، خرجت من المدينة مغربة من إيلياء، حتى تدركها الولادة إلى قرية من إيلياء على ستة أميال يقال لها: بيت لحم، فأجاءها المخاض إلى أصل نخلة...».

(٢٣) ـ ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾.

﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾: أَلْجأها، تقولُ العرب: جاءه وأجاءَه غيرُه، وفي المثلِ: شرٌّ ما أجاءَكَ إلى مخَّةِ عرقوبٍ[١].

وقرئ في الشَّواذِّ: (فاجَأَها)[٢]؛ أي: أتاها بغتةً.

والمخاضُ: اشتدادُ وَجَعِ الولادة.

و﴿جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾: ما بين الأرضِ ومتشعَّبِ الأغصان، ويقالُ للغصنِ أيضًا: الجِذْعُ، وأكثرُ المفسِّرين على أنَّه كان جذعًا لم يكن على رأسه سَعَفٌ، وقيل: كان جذعًا يابسًا قد جيءَ به ليُبْتَنَى به بناءٌ في بيت لحمٍ فصارت إلى النَّخلة لتتفيَّأَ بها.

ابن جريرٍ: لمّا وجدت من المخاض شدَّةً التجأت إلى النَّخلة فاحتضنَتْها على عادة النِّساء، واحتوَشَتْها[٣] الملائكةُ مُحْدِقِين بها صُفوفًا[٤].

﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى﴾؛ أي: قالتْ في تلك الحالةِ: يا ليتني ﴿مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾؛ تمنَّت الموتَ استحياءً من النَّاس.

ابن عبَّاسٍ: إنَّ كربَ البلاء أنساها بشارةَ الملائكة[٥].

---

(١) يضرب مثلاً لكل مضطر إلى ما لا خير فيه، والعرقوبُ لا مخَّ فيه. انظر: «الألفاظ» لابن السكيت (ص: ٣٧٠)، و«مجمع الأمثال» (١/ ٥٤٩).

(٢) نسبت لحماد بن سليمان عن عاصم. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٨٧)، و«شواذ القراءات» لشمس القراء الكرماني (ص: ٢٩٨).

(٣) احتوش القوم فلاناً وتحاوشوه: جعلوه وسطهم. انظر: «العين» مادة: (ح و ش) (٣/ ٢٦٢).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٩٤ ـ ٤٩٧) في آخر خبر طويل عن وهب بن منبه.

(٥) ذكره الرازي في «تفسيره» (٢١/ ٥٢٦) عن وهب.

وقيل: علمَتْ أنَّ الناسَ يقولون فيها وفي ابنِها ما يصيرون بذلك كفَّارًا، فتمنَّت الموت، لا أنَّها[1] لم ترضَ بقضاءِ الله سبحانه.

﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ قرئ بالفتح والكسر[2]، ومعناهما واحدٌ، وهو الشَّيء الذي يُنسى وما إذا ذُكر لم يُطلب.

وقيل: حيضةً ملقاةً.

وقيل: خِرقةَ الحيض.

وقيل: النَّسْيُ المصدر، والنِّسْيُ: الشَّيءُ المنسيُّ.

السُّدِّيُّ: أي: نُسيَ ذكري وأثَري، فلا يُرَى ولا يُسمَعُ لي أثرٌ[3].

* * *

(٢٤) ـ ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾.

﴿فنادَاهَا مَنْ تَحْتَها﴾ قيل: جبريلُ، وقيل: عيسى، وكذلك مَن قرأ بالكسر[4]، فإنْ جعلْتَ الكنايةَ عن مريمَ فعيسى أَلْيَقُ بالمعنى؛ لأنَّ جبريل ينادي من فوقُ.

وقيل: ﴿مِن تَحْتِهَآ﴾ من بطنِها بالقبطيَّة، حكاه النَّقَّاش[5].

---

(١) في (ف): «لأنها».

(٢) قرأ حمزة وعاصم في رواية حفص: ﴿نَسْيًا﴾ بفتح النون، والباقون بكسرها. انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٨)، و«التيسير» (ص: ١٤٨).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٩٨ ـ ٤٩٩).

(٤) قرأ حمزة والكسائي ونافع وعاصم في رواية حفص: ﴿مِن﴾ بكسر الميم، والباقون بفتحها. انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٨ ـ ٤٠٩)، و«التيسير» (ص: ١٤٨). ومن قرأ بكسر الميم كسَر التاء من ﴿تَحْتِهَآ﴾، ومن فتح الميم فتح التاء.

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٢) عن المؤرج، واستغربه.

وإنْ جعَلْتَ الكنايةَ عن النَّخلة أو عن البُقعة أو جعَلْتَ ﴿تَحۡتِهَآ﴾ بمعنى: بينَ يديها أو دونها، فجبريلُ أَلْيَقُ بالمعنى.

﴿أَلَّا تَحۡزَنِي﴾: لا تتمنَّي الموت[1] ﴿قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا﴾ الجمهورُ على أنَّه النَّهرُ الصَّغير.

وذهب الحسنُ في جماعةٍ إلى أنَّ السَّريَّ هو الرَّجلُ الكريم، وهو عيسى عليه السَّلام[2].

ومَن حمَله على النَّهر فقوله: ﴿تَحۡتَكِ﴾ يريدُ: بينَ يديكِ ودونكِ، كما تقول: جلس تحتَه؛ أي: دونه، وذلك أنَّها عطِشَتْ عند الولادة فأَنْبَعَ الله عندها عينَ ماءٍ، وقيل: ساق إليها نهرًا من أردنَّ كان قد يَبِسَ.

***

(٢٥) ـ ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾.

﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾ فهزّته وليس له رأسٌ ولا ثمرٌ، فجعل الله له رأسًا وخوصًا و﴿رُطَبٗا﴾؛ قيل: هي البَرْنيُّ، وهو أشبعُ التَّمر، وقيل: عجوةٌ، وقيل: صَرَفانةٌ[3].

---

(١) «الموت»: ليس في (ف).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٠٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٠٥)، عن الحسن بلفظ: «السري: عيسى نفسه»، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٦٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٣) عن السدي، واستغربه. وقد روي عن الحسن أنه تراجع عنه، ففي «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٢٥): «فعرف الحسنُ أن من العرب من يسمِّي النهر سرياً فرجع إلى هذا القول، ولا اختلاف بين أهل اللغة أنَّ السَّريَّ النهر بمنزلة الجدول».

(٣) الصرفانة: تمرةٌ حمراءُ نحوُ البَرنية إلاَّ أنها صُلْبةُ المَمْضَغةِ عَلِكةٌ، وهي أرزنُ التمر كله. انظر: «المصباح» مادة: (ص ر ف).

وقيل: الجنيُّ: ما يَرْطُب من البُسر، وقيل: المذنَّب، وقيل: ﴿جَنِيًّا﴾ بغُباره[١].

والجنيُّ: فَعيلٌ مِن جَنيْتُ؛ بمعنى: مفعولٍ؛ أي: مَجْنيٌّ.

وذهب جماعةٌ إلى أنَّه كان من رُطَب الجنَّة.

وقيل: معناه: كأنَّه جَنيٌّ؛ أي: لم يغيِّره السُّقوط.

وقوله: ﴿بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ في الباء ثلاثةُ أقوالٍ:

أبو عليٍّ: الباءُ زيادةٌ؛ أي: هزِّي جذعَ النَّخلة[٢].

الفرَّاء: يقال: هزَّه وهزَّ به، وأخذه وأخذ به، وتعلَّقه وتعلَّق به[٣].

المبرِّد: الباءُ حالٌ من الرُّطَب؛ أي: هزِّي رُطَبًا بجذعِ النَّخلة[٤].

ويحتمِلُ أن يكون جذعُ النَّخلة غيرَ النَّخلةِ التي صار لها رأسٌ وخُوصٌ ورُطبٌ، بل كان خشبًا مُلقًى؛ أي، هزِّي بهذه الخشبة رطبًا، فيكون الباءُ للآلة، كما تقول: كتبتُ بالقلم[٥]. والله أعلم.

و﴿رُطَبًا﴾ يُنصَبُ بأربعة أوجهٍ:

أحدها: أن يكون مفعولًا به لـ﴿هزّي﴾.

---

(١) رواه الخطيب في «تالي تلخيص المتشابه» (١٤٩) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وذكره دون نسبة ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ١٢٧) بلفظ: «هو الطريّ بغباره».

(٢) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٥/ ٢٠٠).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٦٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٣)، واستغربه.

(٤) ذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٧/ ٤٥٢٥)، والواحدي في «البسيط» (١٤/ ٢٢٩) عن المبرد، وذكر نحوه الأخفش في «معاني القرآن» (٢/ ٤٣٨).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٣)، واستغربه.

والثَّاني: أن يكون مفعولًا به لـ ﴿تسَّاقط﴾ بالياء والتَّاء[١]، الياءُ للجذع أو الهزِّ، والتَّاءُ للنَّخلة، وتفاعَلَ قد جاء متعدِّيًا، قال الشّاعر:

لعـوبٍ تَنَاسَـاني إذا قُمـتُ سِـرْبالي[٢]

والتَّفاعُلَ الذي جاء متعدِّيًا في القرآن قولُه: ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: ٤٥]؛ أي: يَعْرِفُ بعضُهم بعضًا.

والثَّالث: أن يكونَ بمنزلةِ: تفقَّأتِ الدَّابَّة شحمًا[٣].

والرَّابع: أن يكون حالًا؛ أي: تسَّاقطِ التَّمرةُ في هذه الحالة.

***

(٢٦) ـ ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾.

﴿فَكُلِي﴾ من الرُّطب ﴿وَاشْرَبِي﴾ من ماءِ السَّرِي فيمَن جعَله نهرًا ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ بالولد، وفيه قولان:

---

(١) قرأ حمزة: ﴿تَسَاقَطْ﴾ بفتح التاء مخففة السين، وحفص: ﴿تُساقِطْ﴾ بضم التاء وكسر القاف مخففة السين، وقرأ شعبة بخلف عنه يعقوب: ﴿يسَّاقَطْ﴾ بالياء على التذكير وفتحها وتشديد السين وفتح القاف، والباقون وهو الوجه الثاني لشعبة: ﴿تسَّاقطْ﴾ بفتح التاء مشددة السين. انظر: «التيسير» (ص: ١٤٨)، و«النشر» (٢/ ٣١٨).

وليست قراءة حفص هنا بمرادة للمصنف؛ لأنها من فاعَلَ، بينما كلامه عن تَفَاعَلَ كما سيأتي.

(٢) عجز بيت لامرئ القيس، وصدره:

ومِثْلِـكِ بَيضـاءِ العـوارِضِ طَفْلَـةٍ

انظر: «ديوان امرئ القيس» (ص: ١٣٦)، و«مجاز القرآن» (٢/ ٦)، و«تفسير الطبري» (١٣/ ٧٤٢)، و«ديوان الأدب» (٤/ ١٣٦)، و«الحجة» للفارسي (٥/ ١٩٩). ورواية الديوان وبعض المصادر: «تنسيني» فلا شاهد فيه.

(٣) فالفعل منقول، وقد تقدم الكلام عليه.

أحدهما: من القرِّ، وهو: البردُ، والقُرور: الماءُ البارد، ودمعةُ السُّرور باردةٌ، ودمعةُ الحزن حارَّةٌ، ولهذا قيل لضدِّها: سُخْنةُ العين، والفعلُ قَرِرْتُ بالكسر أَقَرُّ بالفتح.

والثَّاني: من القرار؛ أي: صادَفَتِ العين ما ترضاه فقرَّت وسكَنَتْ من النَّظر إلى غيره، وقيل: صادفَتْ سرورًا فذهب سَهَرُها فنامت وقرَّتْ، والفعلُ منه بالفتح والكسر، و﴿عَيْنًا﴾ نصبٌ على التَّمييز.

﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾؛ أي: إذا رأيتِ آدميًّا وسألَكِ عن حالك فقولي له: إنِّي نذَرْتُ للرَّحمن سكوتًا، وقيل: صمتًا، وقيل: كانوا يصومون عن الكلام كما يصومون عن الطَّعام والشَّراب، وقيل: قيامًا في الصَّلاة؛ أي: لا تجيبيه وأَحِيليه بالجواب عليَّ، فيمَن جعَل هذا الكلامَ من عيسى.

﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾: آدميًّا بعد أن أَخبَرْتُ بنَذْرِي وصومي، بل أَشتغِلُ بالعبادة لله والدُّعاءِ إليه.

***

(٢٧) ـ ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾.

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾؛ أي: فلمَّا فرغَتْ من الولادة أقبلتْ نحوَهم حاملةً إيَّاه، قيل: بعد أربعين يومًا حين طَهُرت من النِّفاس.

﴿قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾؛ أي: منكَرًا عظيمًا، ابنٌ لا يُعْرفُ له أبٌ، والفَرْيُ: القطعُ للإصلاح، قال الشَّاعرُ:

ولأنـتَ تَفْـرِي مـا خَلَقْـتَ وبعـ ... ـضُ القـومِ يخلـقُ ثـم لا يَفْـرِي[1]

---

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى. انظر: «ديوانه» (ص: ٣٢)، و«غريب الحديث» لأبي عبيد (٢/ ٥٧)، و«الشعر والشعراء» لابن قتيبة (١/ ١٣٩).

والفَرِيُّ: العظيمُ من الأمر، يُستعمل في الخير والشَّرِّ، قال النَّبيُّ عليه السَّلام في عمر رضي الله عنه: «فلَمْ أَرَ عَبْقرِيًّا يَفْرِي فَرِيَّه»[١].

***

(٢٨) ـ ﴿يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾.

﴿يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ﴾ فيه أقوالٌ:

أحدها: كانت من قبيلةٍ تُنسَبُ إلى هارونَ أخي موسى، كما تقولُ: يا أخا تميمٍ؛ إذا كان من صُلْبهم.

والثَّاني: أنَّ هارون هذا رجلٌ زاهدٌ، جاء في التَّفسير: أنَّه يومَ مات تبعَ جنازتَه أربعون ألفًا من بني إسرائيل، كلُّهم يسمَّون: هارون[٢]، فخاطَبوها بذلك استهزاءً.

والثَّالث: أنَّ هارون رجلٌ فاسقٌ، فشتَموها بأنَّكِ مِثْلُه.

والرَّابع: أنَّها أختُ هارونَ أخي موسى، وفيه بعدٌ[٣]؛ لأنَّ بينهما ستَّ مئةِ سنةٍ، وقيل: ألفَ سنةٍ، وفي الحديثِ: أنَّ عائشة رضي الله عنها قرأت: ﴿يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ﴾، فقال لها كعبٌ: إن كنتِ سمعتِ رسول الله ﷺ فهو أعلم، وإلَّا فأنا أجدُ بينهما عشرين أبًا[٤].

---

(١) رواه البخاري (٣٦٣٣)، ومسلم (٢٣٩٣)، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٢٣) عن قتادة.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٥) وعده من العجائب.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٢٣) عن محمد بن سيرين، قال: «نبئت أن كعبًا، قال: إن قوله: ﴿يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ﴾ ليس بهارون أخي موسى، فقالت له عائشة: كذبت، قال: يا أم المؤمنين، إن كان النبي ﷺ قاله فهو أعلم وأخبر، وإلا فإني أجد بينهما ست مئة سنة، قال: فسكتت».
وروى مسلم (٢١٣٥) عن المغيرة بن شعبة، قال: لما قدمتُ نجران سألوني، فقالوا: إنكم تقرؤون يا أخت هارون، وموسى قبل عيسى بكذا وكذا، فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك، فقال: «إنهم كانوا يسمُّون بأنبيائهم والصالحين قبلهم».

﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾ أي: طالح[1]، تقولُ: رجلُ سَوءٍ، وضدُّه: رجلُ صدقٍ؛ أي: صالحٌ، وهذه إضافةُ تخصيصٍ.

﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾: فاجرةً، والبغيُّ: طالبةٌ للشَّهوة من أيِّ رجلٍ كان.

***

(٢٩) - ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾.

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾: إلى عيسى بأنْ تجعَلُوا الكلام معه، فتَعجَّبوا من ذلك؛ وذلك أنَّ عيسى عليه السَّلام قد قال لها: لا تحزني وأَحِيلي بالجوابِ عَلَيَّ.

وقيل: أَمَرها جبريلُ بذلك.

﴿قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾: رضيعًا في المهد، والمهدُ: سرير الصَّبيِّ.

قتادةُ: المهدُ: الحِجْر[2]، وكلُّ موطَّأٍ مهدٌ.

وفي ﴿كَانَ﴾ هاهنا أقوالٌ:

أحدها: أنَّه صلةٌ زائدةٌ[3].

والثَّاني: أنّه بمعنى: وَقَع[4]، و﴿صَبِيًّا﴾ حالٌ، والعاملُ فيه ﴿كَانَ﴾.

وقيل: العامل فيه ﴿قال﴾ بعده[5].

---

(١) في (ف): «صالح».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٠٧)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٥)، واستغربه.

(٣) هو قول أبي عبيدة، والثعلبي والجرجاني. انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٧)، و«تفسير الثعلبي» (١٧/ ٣٧١)، و«درج الدرر» للجرجاني (٢/ ٥١٦)، و«شرح المفصل» لابن يعيش (٤/ ٣٤٧).

(٤) فهي تامة على هذا القول. ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ٣٢٨).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٥)، واستغربه.

والثَّالث: أنَّ ﴿مَن﴾ للشَّرط، فيصير ﴿كَانَ﴾ بمعنى: الاستقبال؛ أي: مَن يكُنْ في المهد كيف نكلِّم[١].

والرَّابع: بمعنى: صار؛ أي: صار في المهد[٢].

***

(٣٠) ـ ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ جاء في التَّفسير: أنَّه أخرج أصبعَه السَّبَّابةَ فقال بصوتٍ رفيعٍ سمعه الحاضرون: إنِّي عبد الله.

﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: الإنجيلَ؛ أي: علَّمنيه وأنزله علَيَّ ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾؛ أي: رسولًا.

ذهب بعضهم إلى أنَّ هذا إخبارٌ بما يكونُ له في وقته، وأنَّ هذا كان إبراءً لأمِّه ممَّا قُذِفتْ به.

وعند بعضهم: أنَّ الله جعله بالغًا عاقلًا كما خَلَق آدمَ، وكان نبيًّا مكلَّفًا مبعوثًا إلى النَّاس في ذلك الوقت وإنْ كان ظاهرُ جسمِه كجسم الأطفال، وإليه ذهب الحسن[٣].

***

(٣١) ـ ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾.

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾؛ أي: آمرًا بالمعروف وناهيًا عن المنكر. وقيل:

---

(١) اختاره الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ٣٢٨).

(٢) هذا قول قطرب، كما في «زاد المسير» لابن الجوزي (٥/ ١٦٠).

وانظر في أقسام (كان) ومعانيها «تفسير الرازي» (٧/ ٨٥)، و«اللمعة» لابن الصائغ (٢/ ٥٧٧).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٧٠).

﴿مُبَارَكًا﴾: معلِّمَ الخير. وقيل: ثابتًا على دين الله، وأصلُ البركة: الثَّبات. وقيل: نفَّاعًا. وقيل: مباركًا على النَّاس في دينهم يتعلَّمون منِّي.

ويحتمِلُ أنَّ قوله: ﴿مُبَارَكًا﴾ نفيٌ لِمَا جرتْ عادةُ النَّاس به من التَّشاؤم من الشَّيء يقع على خلافِ مَجْرَى العادة، والله أعلم.

﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾؛ أي: أوصاني بأنْ أصلِّيَ وأُخْرِجَ زكاةَ مالي إذا مَلَكْتُه، وقيل: صدقةَ الفطر، وقيل: الزَّكاةُ: تطهيرُ البدن من دَنَس الذُّنوب؛ أي: أُمِرْتُ بالطَّاعة واجتنابِ المعاصي مدَّةَ عُمري.

ويحتمل: وأوصاني بأنْ آمُرَكم بالصَّلاة والزَّكاة؛ فإنِّي نبيٌّ، والله أعلم.

* * *

(٣٢) ـ ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾.

﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي﴾؛ أي: بارًّا بها أُكرِمُها وأعظِّمُها ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾؛ أي: متكبِّرًا على الله لا يَرَى لأحدٍ عليه حقًّا. وقيل: الجبَّارُ: الذي يَقتُلُ على الغضب.

* * *

(٣٣) ـ ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾.

﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾؛ أي: رَزَقني الله السَّلامة والكرامةَ منه في هذه الأوقات.

وقيل: كأنَّه دعا وسأل السَّلامةَ على أحواله مِن يومِ ولادتِه إلى يومِ موته ثمَّ بَعْثِه.

وقيل: سلَّم على نَفْسه بأمرِ الله.

وقيل: يريد: سلامَ جبريل عليه يومَ الولادة، وسلامَ عزرائيلَ يومَ الموت، وسلامَ الملائكةِ يومَ البعث.

ويحتمِلُ تنكيرُ ﴿سلامٌ﴾ في الأولى وتعريفُ ﴿السَّلامُ﴾ في الأُخرى وجهين:

أحدهما: أنَّ نكرةَ الجنس ومعرفةَ الجنس يُفيدان فائدةً واحدةً، نحو: واللهِ لا أشربُ ماءً، و: لا أشربُ الماء، هما سواءٌ[1].

والثَّاني: أنَّ الأوَّل من اللهِ، والقليلُ منه سبحانه كثيرٌ[2].

وقيل: الألفُ واللَّام هاهنا للعهد، يعودُ إلى قوله: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾ [مريم: ١٥].

***

(٣٤) ـ ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾؛ أي: الذي تقدَّم ذكرُه بالصِّفة المذكورةِ هو عيسى ابنُ مريمَ، لا كما يَصِفُه النَّصارى.

﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾؛ أي: كلمةَ اللهِ، والقولُ هو الكلمةُ، والحقُّ هو الله، وأُضيفَ القولُ إلى الله كإضافةِ الكلمة إليه.

وقيل: ﴿ٱلْحَقِّ﴾ من صفةِ القول، أُضيفَ إليه إضافةَ التَّبعيض، كثوبِ خزٍّ، وخاتمِ حديدٍ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفاسير» (٢/ ٦٩٦)، وانظر: «المرتجل» لابن خشاب (ص: ٣٠٠).

(٢) ذكره المصنف في «البرهان» (ص: ١٧٢).

قرئ بالرَّفع والنَّصب[1]؛ الرَّفعُ على أنَّه صفةٌ[2] لـ﴿عِيسَى﴾، أو خبرٌ بعد خبرٍ، أو خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ تقديره: هو قولُ الحقِّ، والنَّصبُ على المصدر، وله وجهان:

أحدهما: قال عيسى قولَ الحقِّ؛ يعني: قولَه: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ الآية [مريم: ٣٠].

والثَّاني: قال اللهُ قولَ الحقِّ بما أَخبَرَ عن قصَّة عيسى وأمِّه.

﴿الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾: يشكُّون؛ شكُّوا في أمره وفي نبوَّته، من قولهم: مَرَيْتُ في الشَّيء وامتريتُ فيه؛ إذا شككْتَ فيه، والمريَةُ: الشَّكُّ.

وقيل: ﴿يَمْتَرُونَ﴾: يختصِمون، فصاروا فيه فِرَقًا وأحزابًا، والامتراءُ: الاختصامُ.

***

(٣٥) - ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾.

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ﴾: نزَّه نفسَه عن اتِّخاذ الأولاد.

وقيل: تقديره: ما كان اللهُ ليتَّخذ ولدًا، فقدَّم اللَّام[3].

﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا﴾: كان في عِلْمه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾؛ أي: الأمرُ سهلٌ عليه هيِّنٌ، وقد سبق.

***

---

(١) قرأ ابن عامر وعاصم: ﴿قَوْلَ الْحَقِّ﴾ بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٩)، و«التيسير» (ص: ١٤٩).

(٢) في (ف): «صلة».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٧)، واستغربه.

(٣٦) ـ ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ الجمهورُ على أنَّ هـذا مِن تمامِ كلامِ عيسى عليه السَّلام.

﴿وأنَّ﴾ مَن فتَح[١] عطَفه على ﴿وَأَوْصَٰنِي﴾؛ أي: وأوصاني بأنَّ اللهَ ربِّي وربُّكم، وقيل: ولأنَّ الله، وقيل: قضى أنَّ الله[٢].

ومَن كَسَر جعَلَه استئنافَ كلامٍ من عيسى، والمعنى: كما أنا عبدُه فأنتم عبيدُه، وعَلَيَّ وعليكم أنْ نَعبدَه.

***

(٣٧) ـ ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾؛ أي: اختلفَ النَّصارى، ثم اتَّفقوا على أن يرجعوا إلى قولِ ثلاثةٍ من علمائهم كان عندهم أنَّهم أعلمُ زمانهم، وهم: يَعقوبُ ونَسْطُورُ ومَلْكَا، فقيل ليعقوبَ: ما تقولُ في عيسى؟ فقال: هو اللهُ هبطَ إلى الأرض ثم صعدَ إلى السَّماء، وقيل لنَسطور: ما تقولُ أنت؟ فقال: لم يكنِ اللهَ، ولكنْ ابنُ الله، أظهرَه ما شاء ثم رفعه إلى عنده، وقيل لملكا: ما تقولُ أنت؟ فقال: كَذَبوا، وإنَّما كان[٣] عبدًا مخلوقًا نبيًّا، فتَبع كلَّ واحدٍ منهم قومٌ فسُمُّوا باسمه: اليَعقوبيَّة والنَّسْطوريَّة والملكانيَّة[٤].

---

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبي عمرو بفتح همزة (أن)، وقرأ باقي السبعة بكسرها. انظر: «السبعة» (ص: ٤١٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٩).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٧)، واستغربه.

(٣) «كان»: من (ف).

(٤) تقدم التعريف بهذه الفرق في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾.

وقيـل: كانـوا أربعـةً، والرَّابـع اسـمُه: إسـرائيل، فقـال: هو إلـهٌ وأمُّه إلـهٌ واللهُ إلـهٌ، والثَّلاثـةُ أقانيـم، والـرُّوح واحـدٌ، فتَبِعه جماعـةٌ(١).

وقوله: ﴿مِنۢ بَيۡنِهِمۡ﴾ قيل: تقديرُه: من بين النَّاس، وقيل: من بين أممِ عيسى.

وقيل: ﴿مِنۢ﴾ زيادةٌ.

وقيل: من البَيْنِ الذي معناه: البُعْدُ؛ أي: اختلَفوا فيه لبُعْدهم عن الحقِّ(٢).

﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: فشدَّةُ العذابِ لهم ﴿مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾: من حضورِ يومِ القيامة.

والمشهدُ مصدرٌ مضافٌ إلى المفعول؛ أي: مشهدِهم يومًا، ويجوزُ أن يكون مضافًا إلى الظَّرف؛ أي: مشهَدِه في يومٍ عظيمٍ، وهو أعظمُ يومٍ على الخلق.

***

(٣٨ ـ ٣٩) ـ ﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٨ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾.

﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا﴾ جمهورُ المفسِّرين على أنَّ هذا لفظُ أمرٍ معناه التَّعجُّبُ، والمجرورُ مرفوعُ المحلِّ بالفاعليَّة، والمعنى: هم في محلِّ مَن يُتعجَّبُ منه.

قتادةُ: أي: لئن كانوا في الدُّنيا صُمًّا عُميًا عن الحقِّ، فهم سُمَعاءُ للحقِّ بُصَراءُ حينَ لا ينفعُهم(٣).

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧٦٥) عن قتادة، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٣٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٠٩).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٧)، واستغربه.

(٣) روى نحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧٦٦)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٤٣)، ولفظ الطبري: «ذاك والله يوم القيامة، سمعوا حين لا ينفعهم السمع، وأبصروا حين لا ينفعهم البصر».

وقيل: معناه: أسمِعْهم وبَصِّرْهم اليومَ كيفَ يُصنَعُ بهم يومَ القيامة.

وقيل: معناه: أسمعِ النَّاسَ بهؤلاءِ الأنبياءِ وبصِّرْهم بهم؛ ليَعْرِفوهم فيُؤْمِنوا بهم[١].

والقولُ هو الأوَّلُ.

﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾؛ أي: خوِّفْهم من ذلك اليوم ﴿إِذْ قُضِىَ﴾: فُرِغ من الحسابِ وأُدخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ وأهلُ النَّارِ النَّارَ، وذُبِح الموت، فقد رُوي عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «يُجاءُ بالموتِ على صورةِ كبشٍ أَمْلَحَ، فيُوقَفُ بين الجنَّة والنَّار، فيقالُ: يا أهلَ الجنَّة، هل تعرفون هذا؟ فيَشرئبُّون وينظرون؛ فيقولون: نعم هذا الموت، فيُؤمَرُ به ويُذْبَح، فيقال: يا أهلَ الجنَّة خلودٌ فلا موتَ، ويا أهل النَّار خلودٌ فلا موتَ»، ثمَّ قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾[٢] فأشارَ به إلى الدُّنيا ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وقيل: قُضي الأمرُ الذي يَحلُّ بهم[٣].

ابنُ بحرٍ: إذا انْقَضَى أمرُ الدُّنيا بإقامةِ القيامة[٤].

وقيل: ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾: ذُبِحَ الموتُ.

***

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٨)، واستغربه.

(٢) رواه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٨)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٨)، وعدَّه من العجائب.

(٤٠) ـ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾؛ أي: نميتُهم فيبْقى الرَّبُّ سبحانه فيَرِثُهم، والوِراثة: مِلْكُ الشَّيء بوفاةِ مالِكِه.

﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾: يُرَدُّون فنجازِيْهم جزاءً وفاقًا.

* * *

(٤١) ـ ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾.

﴿وَٱذْكُرْ﴾ لقومِكَ ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: القرآنِ ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾: قصَّةَ إبراهيمَ مع أبيه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا﴾: كثيرَ الصِّدقِ ﴿نَّبِيًّا﴾: رسولًا يُنبِئُ عن الله.

* * *

(٤٢) ـ ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ وهو يَعْبدُ الصَّنم: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ﴾ الدُّعاءَ ﴿وَلَا يُبْصِرُ﴾ العبادةَ ﴿وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾: لا يدفعُ عنك مَضرَّةً ولا مكروهًا.

وقيل: لا يَدْفعُ عنك عذابَ الله.

* * *

(٤٣) ـ ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾.

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ بالتَّفكُّر والاستدلالِ ﴿مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾.

قيل: مِن العلم أنَّ مَن عَبَدَ غيرَ اللهِ عذَّبه اللهُ في النَّار.

وقيل: ﴿جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾: من الوحي ﴿مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾.

﴿فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾: أبيِّنْ لكَ تلك الدَّلائل.

وقيل: أهدِكَ دينًا قِيمًا يَرْضاه الله.

***

(٤٤) ـ ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾.

﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾: لا تُطِعْه ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾: عاصيًا.

قيل: ﴿كَانَ﴾ زيادةٌ، وقيل: معناه: صار، وقيل: معناه الدَّوام[1].

***

(٤٥) ـ ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾.

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: إنْ أَقَمْتَ على الشِّرك، والجمهورُ على أنَّ المعنى: أَعْلَمُ يقينًا أنْ يَمسَّك عذابٌ من الرَّحمن[2].

وقيل: معناه: أخافُ أنْ لا تَقْبلَ منِّي نصيحتي فيعذِّبَك الله.

﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾: قرينًا في النَّار تَلِيهِ ويَلِيك.

وقيل: معناه: يتبرَّأُ الله منك.

***

---

(١) تقدم الكلام على ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾، وقوله: ﴿مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾.

(٢) ذكر ابن تيمية في «تأويل مشكل القرآن» (ص: ١٢١) أن خاف وخشي تأتي بمعنى: علم، قال: «لأن في الخشية والمخافة طرفاً من العلم».

(٤٦) ـ ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾.

﴿ قَالَ ﴾ يعني: أبا ابراهيم ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾: استفهامُ إنكارٍ؛ أي: أترغَبُ عن عبادتها وتميلُ عنها؟!

﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ ﴾ عن مقالَتِكَ وأمري ونهيِي ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾: لأعيبنَّك، وقيل: لأشتُمنَّك بمخالَفَتِكَ لي، وقيل: لأقتلنَّك؛ كسائرِ ما في القرآن[١]، وقيل: لأَرْمينَّك بالحجارة.

﴿وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾: سالمًا صحيحًا؛ أي: تباعَدْ عني وعِرْضُكَ سالمٌ مِن عقوبتي.

وقيل: ﴿مَلِيًّا ﴾: عمرًا طويلًا.

السُّدِّيُّ: أبدًا[٢].

***

(٤٧) ـ ﴿ قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾.

﴿ قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ﴾: سلِمْتَ منِّي لا أُصيبُكَ بمكروهٍ.

وقيل: أكرمَكَ اللهُ بالهدى.

وقيل: هو إيذانٌ بالهجران، كما تقول: سلَّمت على فلانٍ، و: كبَّرْتُ عليه.

﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾؛ أي: لا أتركُ مجهودِي في تخليصِكَ، بل أسألُ الله توفيقَك.

الحسن: هذه صغيرةٌ من إبراهيم عليه السَّلام، ولهذا قال الله سبحانه: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾ [الممتحنة: ٤][٣].

---

(١) تقدم ذكر هذه المعاني في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ ﴾.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٩)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٩)، وعدَّه من العجائب.

وقيل: أَستغفِرُ لك إنْ تُبْتَ وآمنتَ.

وقيل: وَعَدَه قبلَ أنْ نهاهُ ربُّه عن ذلك.

وقيل: كان يَستغفرُ له مادام أبوه حيًّا، فلمَّا مات كافرًا تَركَ الاستغفارَ له.

قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾: بارًّا لطيفًا، وقيل: مُحْسِنًا، وقيل: عالمًا، وقيل: مُكْرِمًا، وقيل: ذو عنايةٍ.

***

(٤٨) ـ ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾.

﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: الأصنامَ ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّى﴾؛ أي: أتباعَدُ بدِيني وأتفرَّدُ بعبادةِ الله ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾ كما شَقِيْتُم أنتم بعبادةِ الأصنام.

وقيل: يتقبَّلُ عبادتي ويُثِيبُني، والشَّقاءُ بالدُّعاء: تركُ إجابةِ الدَّاعي.

***

(٤٩) ـ ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾.

﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ وذلك أنَّه لمّا خرج من بينِ ظَهْرانَي قومِه مهاجرًا وقصَدَ الشَّامَ أتى أوَّلًا حرَّانَ، وتزوَّجَ في طريقه سارةَ فولدَتْ له إسحاقَ، ووَهَبتْ له هاجَرَ فولدَتْ له إسماعيلَ.

﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾؛ أي: كلَّ واحدٍ منهما، وقيل: منهم.

***

(٥٠) ـ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ المالَ والولدَ والنُّبوَّة ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾؛ أي: القولَ بالحكمة والخير، وسمِّي القولُ لسانًا لأنَّه باللِّسان يكون.

وقيل: الثَّناءَ الحسنَ والذِّكرَ الرَّفيعَ في كلِّ الأديان.

***

(٥١) ـ ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا﴾: مُسلِمًا موحِّدًا غيرَ مُراءٍ، و﴿مُخْلَصًا﴾ بالفتح[1]: أَخْلَصه الله، ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾.

***

(٥٢) ـ ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾.

﴿وَنَادَيْنَاهُ﴾؛ أي: دعَوْناه وكلَّمناه ليلةَ الجمعة ﴿مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ وهو: الجبلُ بين مصرَ ومَدْيَنَ، واسمُه زَبِير.

و﴿الْأَيْمَنِ﴾: اليمين، والجمهورُ على أنَّ الأيمنَ يُمنَى موسى، وليس للجبل يمينٌ ولا شمالٌ، وإنَّما ذلك بالقياس إلى غيره ممَّا له يمينٌ ويسارٌ.

مقاتل: مِن يُمنى الجبل[2]. والأوَّلُ أصحُّ.

﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾: تقريبَ تشريفٍ؛ أي: أكرَمْناه بمناجاتنا إيَّاه.

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وعاصم: ﴿مُخْلَصًا﴾ بفتح اللام، والباقون بكسرها. انظر: «السبعة» (ص: ٤١٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٩).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٣٥) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ﴾ [طه: ٨٠] وعبارته: «يعني حين سار موسى مع السبعين عن يمين الجبل فأعطي التوراة».
وهذا القول ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٩)، وعدَّه من العجائب.

عطاءٌ: قرَّبه حتَّى سمع صريرَ القلم[١].

وفي روايةٍ أخرى: صريفَ القلم الذي كُتِبَ به التَّوراة[٢].

وقيل: رُفع من سماءٍ إلى سماءٍ، ومِن حجابٍ إلى حجابٍ، حتَّى لم يكن بينه وبينه إلّا حجابٌ واحدٌ، حكاه الثَّعلبيّ[٣].

و﴿نَجِيًّا﴾ من النَّجوى؛ أي: مُناجيًا، وقيل: من النَّجوة، وهو[٤] الارتفاعُ.

***

(٥٣) ـ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾؛ أي: أجبنا دعاءه في طَلِبتِه حيث قال: ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى﴾ [طه: ٢٩ ـ ٣٠].

***

(٥٤) ـ ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ كان إذا وَعَدَ أنجزَ، وذكر المفسِّرون أنَّه وعد رجلًا أن يقومَ مقامه حتَّى يرجع إليه، فقام إسماعيلُ

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣١٨٤٥)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٥٩)، والنحاس في «معاني القرآن» (٤/ ٣٣٧) عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ٣٣٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٧٦) بلا نسبة.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٧/ ٣٩٣).

(٤) في (ف): «وهي».

مكانه ثلاثة أيامٍ[١]، وفي رواية الكلبيِّ: انتظره حتّى حال عليه الحول[٢].

ومعنى ﴿صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾: يَصْدُقُ إذا وَعَد ويَفِي إذا ضَمِن.

أبو عُبيدٍ: ﴿صَادِقَ﴾ بمعنى: مصدوقٍ؛ أي: كان مصدوقَ الوعد[٣].

***

(٥٥) ـ ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾.

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ﴾: أمَّته ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾: صالحًا زكيًّا.

***

(٥٦) ـ ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِدْرِيسَ﴾ وهو جدُّ أبي نوحٍ واسمُه أَخْنُوخُ، وقيل: إلياسُ، وسمِّي

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٧٧)، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٣٩٦) عن مقاتل، وانظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٦٣١)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٦١) عن سهل بن عقيل بنحوه، ولفظه: «إن إسماعيل عليه السلام وعد رجلًا مكانًا أن يأتيه، فجاء ونسي الرجل، فظل به إسماعيل، وبات حتى جاء الرجل من الغد، فقال: ما برحت من هاهنا؟ قال: لا، قال: إني نسيت، قال: لم أكن لأبرح حتى تأتي، فبذلك كان صادقًا».

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٧٧)، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٣٩٦)، وروى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤١١) عن سفيان الثوري. وفيه نظر، فكيف لنبي من أنبياء الله حامل لتكاليف النبوة أن يضيع سنة كاملة في انتظار رجل مخلف لوعده؟! وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٩)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٦٩٩) واستغربه، ونسب فيه لأبي عبيدة، وكذا نسب إليه في «الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد» للمنتجب الهمداني (٤/ ٣٧٢).

إدريسَ لكثرةِ دَرْسه، وكان خيَّاطًا، وهو أوَّلُ مَن خاط الثِّيابَ ولَبِسَ المَخِيط، وكانوا يَلبسون قبل ذلك الجلودَ، وأوَّلُ مَن خَطَّ(١).

وقيل: هو أوَّلُ مَن نظر في النُّجوم والحساب(٢).

﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾: أنزل الله عليه ثلاثينَ صحيفةً.

***

(٥٧) ـ ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾.

﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ قيل: هو الرُّتبةُ والنُّبوَّةُ والمنزِلة، وقيل: ﴿مَكَانًا عَلِيًّا﴾ الجنَّةُ وهو فيها، وقيل: هو السَّماء الرَّابعة وفيها مات(٣)، وقيل: السَّادسة(٤)، والله أعلم.

***

(٥٨) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ بالنُّبوَّة ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾؛

---

(١) ذكره العسكري في «الأوائل» (ص: ٤٢٣)، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٣٩٨)، ومكي في «الهداية» (٧/ ٤٥٥٥)، والجرجاني في «درج الدرر» (٣/ ١١٧٨).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٣٩٨)، والجرجاني في «درج الدرر» (٣/ ١١٧٨)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٢٧٦) وزاد: «وجعله الله في معجزاته». وذكر الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣٧٨) أنه أول من أعطى النبوة من ولد آدم، وأول من اتخذ السلاح وجاهد في سبيل الله وسبى، وأول من وضع الأوزان والكيول.

(٣) كونه في السماء الرابعة ورد في حديث الإسراء الطويل، رواه البخاري (٣٢٠٧) و(٣٨٨٧) من حديث أنس عن مالك بن صعصة، ومسلم (١٦٢) من حديث أنس، وليس في شيء من هذه الروايات أنه مات بها.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٦٤) عن ابن عباس والضحاك، وخبر ابن عباس إسناده ضعيف.

أي: ومن ذرِّيَّة مَن حَمَلْنا مع نوحٍ، وإدريسُ لم يكن ممَّن حُمِل مع نوحٍ.

﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ يعني: إسحاقَ وإسماعيلَ ﴿وَإِسْرَٰٓءِيلَ﴾؛ أي: ومن ذرِّيَّة يعقوبَ؛ يعني: موسى وهارون، وفيهم كثرةٌ.

﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ إلى دِيننا ﴿وَٱجْتَبَيْنَآ﴾ مِن بينِ النَّاس؛ يعني: المؤمنين ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: إذا تُليتْ عليهم كتبُ اللهِ المنزلَةُ ﴿خَرُّواْ سُجَّدًا﴾: سَقَطوا لوجوههم ساجِدين تعظيمًا لله ولكلامه ﴿وَبُكِيًّا﴾؛ أي: وباكين خوفًا منه وطمعًا.

وقيل: وبكَوا بُكيًا، وهو مصدرٌ.

* * *

(٥٩) - ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾؛ أي: جاء بعدَهم قومٌ لا خيرَ فيهم، و﴿خَلْفٌ﴾ إذا أضفْتَه سكَّنْتَ اللَّام تقول: خَلْفُ صدقٍ وخَلْفُ سوءٍ، وإذا لم تُضِفْ سكَّنْتَه في الشرِّ وفتَحْتَه في الخير[1].

﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: لم يعتقِدوا وجوبَها؛ لقوله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ﴾ [مريم: ٦٠] فدلَّ على كفرهم. وقيل: تَركوها ولم يحافِظوا عليها.

---

(١) الأشهر عند أهل اللغة أنَّ التحريك للمدح والتسكين للزم؛ أُضيفا أو لم يُضافا، وقيل: هما لغتان، وقيل: التحريك في المدح والذم والتسكين في الذم فقط، ولم يجز التسكين في المدح إلا الفراء وأبا عبيدة، والظاهر من كلام أئمة اللغة أنك إذا أضفته فتحت اللام؛ للاتفاق على جواز الفتح في المدح والذم، ولم أقف على من ذكر مثل قول المصنف عند الإضافة، والله أعلم. انظر: «معاني القرآن» (١/ ٣٩٩)، وللأخفش (١/ ٣٤١)، و«إصلاح المنطق» (ص: ٥٦)، و«تفسير الطبري» (١٠/ ٥٣٤)، و«معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٣٥) و«تصحيح التصحيح» لابن درستويه (ص: ٣٧٧)، و«معجم ديوان الأدب» للفارابي (١/ ١١٩)، و«غريب الحديث» للخطاري (١/ ٥٤) و«درة الغواص» للحريري (ص: ١٩٠)، و«البحر المحيط» (٥/ ٢١٠ و ٢١٥).

وعن جماعةٍ: أخَّروها عن مواقيتِها.

﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾: الزِّنى، وقيل: ارتكابَ المعاصي.

﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ أبو عبيدٍ: ضلالًا[1]، وأنشد:

ومَـن يَغْـوِ لا يَعْدَمْ علـى الغَـيِّ لائما[2]

الحسن: عذابًا طويلًا[3].

ابن عبَّاسٍ: شرًّا[4].

وقيل: الغَيُّ: اسمُ وادٍ في النَّار، أشدُّها حرًّا وأبعدُها قَعْرًا، فيه بئرٌ يقالُ لها: الهَبْهَبُ.

الزَّجَّاج: أي: جزاءَ غَيِّهم[5].

وقيل: اسمُ نهرٍ في النَّار.

وقيل: آبارٌ في جهنَّم يسيلُ إليها الصَّديدُ والقَيْحُ.

***

---

(١) ذكره عنه ابن سيده في «المخصص» (٤/ ٥٠) مع البيت الآتي.

(٢) عجز بيت للمرقش الأصغر، وصدره:

فمَـن يَلْـقَ خـيراً يَحمـدِ النـاسُ أمـرَه

انظر: «المفضليات» (ص: ٢٤٧)، و«إصلاح المنطق» (ص: ١٥١)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٢١٠).

(٣) في (ف): «شديدًا». ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢٠٦)، واقتصر على قوله: «عذابًا».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٧٣).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٣٦).

(٦٠) - ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾.

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾؛ أي: رجع عن ذنبه وآمَنَ بلسانه وقلبه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ جاز أن يكون مصدرًا، وجاز أن يكون مفعولًا به(١).

* * *

(٦١) - ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾.

﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ بدلٌ من ﴿ٱلْجَنَّةَ﴾، وقيل: نصبٌ على المدح، و﴿عَدْنٍ﴾؛ بمعنى: إقامةٍ، وقد سَبَق(٢).

ومعنى: ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾؛ أي: هم في الدُّنيا والموعودُ في حالِ غَيبةٍ عنهم.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ قيل: بمعنى: آتٍ(٣)، وقيل: ذو إتيانٍ، وقيل: إتيانُها: المصير إليها.

* * *

(٦٢) - ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾.

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾: فُحشًا وكذبًا وسبًّا، واللَّغوُ: ما لا خيرَ فيه من الكلام.

وقيل: لا يسمعون كلامًا لا معنى له.

﴿إِلَّا سَلَٰمًا﴾ الجمهورُ على أنَّه استثناءٌ منقطِعٌ، وتقديره: لكنْ يَسمعون سلامًا.

---

(١) المصدر على معنى: لا يظلمون أيَّ ظلمٍ ولو كان يسيراً، والمفعول على معنى: لا يُبخسون من جزاء أعمالهم شيئاً.

(٢) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [التوبة: ٧٢].

(٣) هذا قول ابن قتيبة. انظر: «غريب القرآن» له (ص: ٢٧٤)، وأنكره النحاس في «معاني القرآن» (٤/ ٣٤٢)، وقال: «الضعيف في العربية يقول: مفعول بمعنى: فاعل».

ويحتمِلُ أنَّ التَّقدير: لا يسمعون قولًا لغوًا إلّا قولًا سلامًا.

ومعنى ﴿سَلَٰمًا﴾: يَسْلَمون معه من الأحزان.

الزَّجَّاج: السَّلام: اسمٌ جامعٌ للخير(١).

وقيل: لا يسمعون إلَّا ما يؤدِّي إلى السَّلامة.

﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾؛ أي: على قياسِ أهل الدُّنيا ومقدارِ أوقاتها.

وقيل: لأنَّ العرب كانت في زمانها مَن وَجَد غداءً مع عشاءٍ فذلك هو النَّاعم.

ويحتمِلُ أنَّ البُكرةَ والعَشِيَّ كنايةٌ عن الدَّوام(٢).

وليس في الجنَّة ليلٌ، وجاء في التَّفسير: ليس في الجنَّة ليلٌ، ولهم مقدارُ اللَّيل بإرخاء الحُجُب ومقدارُ النَّهار برفعِ الحُجُب(٣).

وقيل: يَخدمُهم باللَّيل الجواري وبالنَّهار الغلمانُ، فذلك آيةُ اللَّيل والنَّهار(٤).

* * *

(٦٣) ـ ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾.

﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾؛ أي: تلك الجنَّةُ التي وُصِفَتْ هي

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٣٧).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٠٢)، واستغربه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٧٦) عن زهير بن محمد، ولفظه: «ليس في الجنة ليل، هم في نور أبدًا، ولهم مقدار الليل والنهار، يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٠٢)، واستغربه.

التي يُعْطَى المتَّقون، والوراثةُ أقوى لفظةٍ تُستعمَلُ في هذا الباب، لا تُعْقَبُ[1] بفسخٍ ونقضٍ واسترجاعٍ.

وقيل: المؤمنون يَرِثونها من الكفَّار؛ فإنَّ الله قد خَلَق لكلِّ مكلَّفٍ قصرًا في الجنَّة، فمَن آمَن سكَن قصرَه، ومَن كفَر جُعِل قصرُه لمؤمنٍ زيادةً في درجته وكرامته.

***

(٦٤) ـ ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾.

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «ما يمنعُكَ أن تزورَنا أكثرَ ممَّا تزورُنا؟» قال: فنزل: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ الآية[2].

وقال مجاهدٌ: أبطأَ الملَكُ على رسول ﷺ، ثمَّ أتى فقال: «لعلِّي أبطأتُ؟ فقال: قد فَعَلْتَ، قال: ولمَ لا أفعلُ وأنتم لا تتسوَّكون ولا تقصُّون أظفارَكم ولا تُنَقُّون براجمَكم؟ قال: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾»[3].

---

(١) في (ن): «يعقب».

(٢) رواه البخاري (٣٢١٨).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤١٤)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٤١٦).

وله شاهد مرفوع رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢١٨١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٢٢٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ، أنه قيل له: يا رسول الله، لقد أبطأ عنك جبريل عليه السلام، فقال: «ولم لا يبطئ عني، وأنتم حولي لا تستنون، ولا تقلمون أظفاركم، ولا تقصون شواربكم، ولا تنقون رواجبكم؟». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٦٧): «رواه أحمد والطبراني وفيه أبو كعب مولى ابن عباس قال أبو حاتم: لا يعرف إلا في هذا الحديث. ورجاله ثقات».

وقال عكرمةُ والضَّحَّاك وقتادةُ ومقاتلٌ والكلبيُّ: احتبَس جبريل عليه السَّلام عن النَّبيِّ ﷺ حين سأله قومُه عن أصحاب الكهف وذي القَرنين والرُّوح ولم يَدْرِ ما يُجيبهم، ورجا أن يأتيَه جبريلُ بجوابِ ما سألوه، فأبطأ عليه فشَقَّ على رسول الله مشقَّةً شديدةً، ولمّا نزل جبريلُ قال: «أبطأتَ عليَّ حتَّى ساء ظنِّي واشتقتُ إليك»، فقال جبريلُ عليه السَّلام: إنِّي كنتُ أَشْوَقَ إليكَ ولكنِّي عبدٌ مأمورٌ إذا بُعِثْتُ نزلت، وإذا حُبِسْتُ احتبَسْتُ، فأنزل الله: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾[1]؛ أي: قُلْ يا جبريلُ لمحمَّدٍ: إنِّي لا أنزل إلَّا إذا أُمرت بالنُّزول.

﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾: ما سيكونُ ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾: ما كان ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: وما في الحالِ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾؛ أي: لم يَنْسَكَ ربُّك.

وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾: أمرُ الآخرة، ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾: أمرُ الدُّنيا، ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: ما بين النَّفختين.

وقيل: ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: ما يكونُ من هذا الوقت إلى يوم القيامة.

وقيل: المراد به الأزمانُ، وقيل: الأزمانُ والأماكنُ والأجسام.

ابنُ بحرٍ خالَفَ الجمهور فقال: هذا من كلامِ أهل الجنَّة بعضِهم لبعضٍ إذا دخلوها، وهي متَّصلةٌ بالآية الأولى إلى قوله: ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾، ثمَّ استأنف فقال: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[2].

---

(١) ذكره عنهم الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٤١٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٠١).
والذي في الصحيح في سبب النزول ما رواه البخاري (٣٢١٨) عن ابن عباسٍ رضي اللهُ عنهما، قال: قال رسولُ الله ﷺ لجبريل: «ألا تَزورُنا أكثرَ ممَّا تَزورُنا؟»، قال: فنزلت: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ الآيَةَ.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٠٢)، وعدَّه من الغريب العجيب.

(٦٥) ـ ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾.

﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾؛ أي: على عبادته ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ قيل: مِثْلًا، وقيل: أحدًا يُسمَّى الله.

وقيل: أحدًا يُسمَّى الرَّحمن.

وقيل: أحدًا يستحقُّ أن يُسمَّى إلهًا.

وقيل: أحدًا يستحقُّ أن يوصَفَ بصفات الله.

* * *

(٦٦) ـ ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾.

﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ في سبب النُّزول: قال الكلبيُّ: نزلت في أبيِّ بنِ خلفٍ حينَ أخذ عظامًا باليةً ففتَّتها بيده وقال: يَزْعُم محمَّدٌ لكم أنَّا نُبعَثُ بعدما نموت(١).

أي: يقول الإنسان ـ يعني: أبيًّا ـ: ﴿أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾؛ أي: يقال لي: واللهِ لسوفَ أُخرج من التُّراب بعدَ الموتِ والبِلَى حيًّا، قاله استبعادًا للبعث وإنكارًا.

* * *

(٦٧) ـ ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾.

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ يعني: أبيًّا ﴿أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ فيعرفُ ببديهةِ العقل أنَّ مَن قَدَر على الإنشاء قَدَر على الإعادة؛ فمَن قرأ بالتَّخفيف فهو من الذِّكر،

(١) ذكره عن الكلبي الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٠١)، وعزاه في «البسيط» (١٤/ ٢٨٤) لرواية أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما. وهي من طريق الكلبي عن أبي صالح، والكلبي متروك.

والذَّاكرُ للشَّيء عارفٌ به في الحال، ومَن شدَّد[١] فمِن التَّذكُّر، وهو التَّدبُّرُ والتَّفكُّرُ، وقولُه: ﴿وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ دليلٌ على أنَّ المعدوم ليس بشيءٍ[٢].

***

(٦٨) ـ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾ أقسَمَ اللهُ بذاته فقال: ﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾؛ أي: لنجمعنَّهم في المَعَاد؛ يعني: المشركين المنكِرين للبعث، ﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾ يعني: قرناءَهم الذين أضلُّوهم، يُقْرَنُ كلُّ كافرٍ بشيطانٍ في سلسلةٍ، والواوُ بمعنى: (مع).

﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾؛ أي: في جهنَّم، ويقال: إذا حضَروا جهنَّم حُبِسوا حولها وأَحْدَقوا[٣] بها ﴿جِثِيًّا﴾: على رُكبهم حتى يُدفعوا فيها الأوَّلُ فالأوَّلُ.

ويقال: ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ﴾: ثم لنُدخلنَّهم.

مقاتلٌ: ﴿جِثِيًّا﴾: جميعًا[٤].

وقيل: جماعاتٍ جماعاتٍ؛ جمعُ جُثْوةٍ، وقيل: جمعُ جاثٍ؛ أي: جاثيةً على ركبهم.

***

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي: (يذَّكَّرُ) بتشديد الذال والكاف، والباقون مخففًا. انظر: «السبعة» (ص: ٤١٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٩).

(٢) هذا ردٌّ على المعتزلة الذين يقولون: إن المعدوم شيء، وإليه ذهب السمعاني. انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٨/ ٧٠٠ ـ ٧٠١)، و«لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٤٢١)، و«تفسير السمعاني»، و«الكشاف» للزمخشري (٣/ ٧).

(٣) في (ف): «فأحدقوا».

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٦٣٤).

(٦٩) ـ ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾.

﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾: لنُخرِجنَّ من كلِّ أمَّةٍ وأهلِ دينٍ ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾: جراءَةً، وقيل: ذنبًا، وقيل: كذبًا وفجورًا، وقيل: غُلُوًّا في الكفر؛ أي: قائدَهم ورئيسَهم، والمعنى: نبدأُ بالأكابر فالأكابرِ جُرْمًا.

وفي رفعِ ﴿أَيُّهُمْ﴾ أقوالٌ:

قال سيبويه: هو مبنيٌّ هاهنا.

وقال الخليل: رفعٌ على الحكاية؛ أي: لننزعنَّ الذي يقالُ له لعُتوِّه: ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾.

يونس: النَّزع من الأفعال التي تعلَّقُ وتُلْغى(1)، وفيه وجوهٌ أُخَرُ ضعيفةٌ.

* * *

(٧٠) ـ ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾.

﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا﴾؛ أي: نحن أعلمُ أنَّ الذين هم أشدُّ عتيًّا هم أولى بها ﴿صِلِيًّا﴾ قيل: دخولًا، وقيل: لزومًا.

* * *

(٧١) ـ ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾.

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّ الورودَ هو الدُّخول، واستَدلَّ القائلُ بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ۖ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٨]، وبقوله: ﴿أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾

---

(١) انظر: «الكتاب» (٢/ ٣٩٩ ـ ٤٠١)، و«معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٣٩)، و«البسيط» للواحدي (١٤/ ٢٩٠)، أمّا المصنف فذكر في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٠٤) أن في رفع ﴿أَيُّهُمْ﴾ سبعة وجوه، وقال بعد نقله لكلام سيبويه: «وخالف سيبويه في هذا جمهور النحاة».

[الأنبياء: ٩٨]، وبقوله: ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا﴾ [الأنبياء: ٩٩]، وبقوله عقيبه: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الآية [مريم: ٧٢]، وقال: المتَّقون يجتازون بها كالبرقِ الخاطفِ تَحِلَّةً للقسم، فتكون عليهم بردًا وسلامًا[١].

والثَّاني: أنَّ الورودَ الوصولُ دونَ الدُّخولِ؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص: ٢٣]، قال: وورودهم: إشرافُهم عليها وحصولُهم حواليها.

مجاهدٌ: هو الحمَّى والأمراضُ تأخُذُ المؤمن[٢].

وقيل: ﴿وَارِدُهَا﴾ يعود إلى القيامة، حكاه أبو جعفرٍ النَّحّاس[٣].

﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا﴾: قطعًا جزمًا ﴿مَّقْضِيًّا﴾: قضاءً من الله، بتَّ الحكمَ به فلا محيصَ عنه ألبتَّة، وقيل: قسمٌ أَقْسَمَ الله به.

* * *

---

(١) روى البخاري (١٢٥١) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد، فيَلِجَ النار، إلا تحلة القسم» قال البخاري: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾.

وما رواه الترمذي (٣١٥٩) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يرد الناس النار ثم يصدرون منها بأعمالهم، فأولهم كلمح البرق، ثم كالريح، ثم كحضر الفرس، ثم كالراكب في رحله، ثم كشد الرجل، ثم كمشيه»، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن، ورواه شعبة عن السدي، فلم يرفعه».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٩٣) بلفظ: «الحمى حظ كل مؤمن من النار، ثم قرأ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾»، ويشهد له ما روى البخاري (٣٢٦٣)، ومسلم (٢٢١٠) عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ: «الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء».

وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٠٥)، واستغربه.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للنحاس (٤/ ٣٤٩)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٠٥)، واستغربه.

(٧٢) ـ ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ في مسيرهم على الصِّراط من الوقوع فيها والتَّأذِّي بحرِّها، ومَن دَخلَ الصِّراطَ فقد دخَل النَّار ﴿وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا﴾: ونتركُ الكفَّارَ في النَّار ﴿جِثِيًّا﴾: جميعًا ساقطين على ركبهم.

ابن زيدٍ: الجُثِيُّ: شرُّ الجلوس(١).

***

(٧٣) ـ ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ يعني: القرآنَ ﴿بَيِّنَاتٍ﴾: واضحاتِ الدَّلائل، وفيها ذكرُ المؤمنين، وأنَّ اللهَ وليُّهم وناصرُهم ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ تكذيبًا للقرآن: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾: المؤمنِ والكافرين ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾: مَنزِلًا وحالًا ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾: أَزْيَنُ مجلسًا ومكانًا، والنَّديُّ والنَّادي: المجلسُ الذي يَجمع القومَ لحادثةٍ أو مَشُورةٍ.

وقيل: النَّديُّ: مجلسُ أهلِ النَّدى، وهو الكَرَم، وذلك أنَّ مشركي قريشٍ كانوا أصحابَ مالٍ وزينةٍ من الدُّنيا، وكان المؤمنون أصحابَ فقرٍ وفاقةٍ.

النَّقَّاش: نزلت في النَّضر بن الحارث(٢).

وقيل: أيُّ الفريقين منَّا ومنكم أوسعُ عيشًا، وأنعَمُ بالًا، وأحسنُ مَسكنًا، وأجمعُ عددًا، يريدون: في الدُّنيا؛ أي: كثرةُ أموالنا وحُسنُ أحوالنا في الدُّنيا(٣) دليلٌ على حُسْنِ حالنا عند الله، وعلى أنَّنا خيرٌ منكم.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٦٠٧).

(٢) وذكره مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٦٣٦) وغيره.

(٣) «في الدنيا» من (ف).

ومعنى الآية: أنَّ الله يقولُ: إذا أَنزلنا آيةً فيها دلائلُ أعرَضوا عن التَّدبُّر فيها إلى الافتخارِ والمكاثَرةِ بالثَّروةِ والمال وحُسنِ المنزل والحال.

***

(٧٤) ـ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾ أجابهم الله أنَّه قد أهلكَ أسلافهم، وكانوا في الدُّنيا أكثرَ نعمةً وأوفرَ زينةً، فلم يَنْفَعْهم ذلك من الله ولم يقرِّبْهم من رحمته والنَّجاةِ من عذابه.

والأَثاثُ: ما يَتمتَّعُ الإنسانُ به في بيته من أداةٍ لا غِنَى عنها، مشتقٌّ من الأَثِيث[1]، وهو الكثير.

وقيل: ﴿أَثَٰثًا﴾: جهازًا.

وقوله: ﴿وَرِءْيًا﴾: منظرًا.

قال أبو عليٍّ: الرِّئْيُ المفعولُ، والرَّئْيُ المصدر، كالطِّحْن والطَّحين، والذِّبْح والذَّبيح[2].

وقرئ بالتَّشديد[3]، فهو مخفَّفٌ من المهموز، ويجوزُ أن يكونَ من الرِّيِّ، وهو الارْتِواءُ ونضارةُ الوجهِ وبَرِيقُه.

وقرئ في الشَّواذِّ: (وزِيًّا) بالزَّاي[4]؛ أي: زينةً، من قولِ العرب: زَيَّيْتُ الشَّيء؛ إذا زيَّنتَه، والزِّيُّ: ما حَسُنَ وظهرَ من الإنسان.

---

(١) انظر: «العين» مادة: (أ ث ث) (٨/ ٢٥٣)، و«الكنز اللغوي» لابن السكيت (ص: ١٧١).

(٢) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٥/ ٢١٠).

(٣) أي: بالتشديد بلا همز، قرأ بها ابن ذكوان وقالون. انظر: «السبعة» (ص: ٤١١)، و«التيسير» (ص: ١٤٩).

(٤) نسبت لسعيد بن جبير. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٩)، و«المحتسب» (٢/ ٤٣ ـ ٤٤).

(٧٥) ـ ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾.

﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾؛ أي: مَن كان في الكفر مَدَّه الله في كفره ومتَّعه بطولِ عمرِه؛ ليزدادَ طغيانًا وضلالًا.

وقيل: معناه: زادَه اللهُ ضلالًا(١).

وقيل: معناه: فلْيَعِشْ ما شاء فإنَّ مَصيرَه إلى النَّار(٢).

المبرِّد: أي: قل: فإنِّي أدعو له بالبقاءِ لعلَّه يؤمن، وهذا قبلَ أنْ أُمِر بالقتال.

مجاهدٌ: نمدُّ لهم في العمر ليُقْلِعوا، فإنْ أصرُّوا فلهم العذابُ(٣).

وقوله: ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ الصِّيغةُ صيغةُ الأمر والمعنى الخبرُ، وقيل: هو دعاءٌ وأمرٌ، على ما سبق للمبرِّد.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ من الجزاءِ على كفرهم، ثمَّ فصَّل فقال: ﴿إِمَّا ٱلْعَذَابَ﴾؛ أي: في الدُّنيا بالسَّيف وسائرِ أنواع الهلاك، ﴿وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ يعني: القيامةَ، فهما بدَلان من ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾.

﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾: منزلًا، هذا جوابٌ لهم على قولهم: ﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٠٥)، واستغربه، واستغرب أيضًا قول المبرد الآتي.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٠٥)، وعدَّه من العجائب.

(٣) لم أجده هكذا، وروى الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٦١٥) من طريق ابن أبي نجيح وابن جريج عن مجاهد قال: «فليدعه الله في طغيانه». وهكذا ورد في «تفسير مجاهد» (ص: ٤٥٨) من طريق ابن أبي نجيح عنه، وكذا في «تفسير يحيى بن سلام» (١/ ٢٤٠) من طريق ابن مجاهد عن أبيه.

﴿وَأَضْعَفُ جُندًا﴾: أقلُّ فئةً، وقيل: أنصارًا، أهم أم المؤمنون؟!

***

(٧٦) ـ ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾.

﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾؛ أي: يزيدُ المؤمنين نصرةً وتوفيقًا ورشدًا.

﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ قيل: الصَّلواتُ الخمسُ، وقيل: هي الطَّاعاتُ، وقيل: أداءُ الفرائضِ، وقيل: «سبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إلهَ إلّا اللهُ، واللهُ أكبرُ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ العَليِّ العظيم»، وهي الباقياتُ؛ لأنَّها يبقَى ثوابُها أبدًا.

﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ يعني: أفضلُ ثوابًا، أي: خيرٌ ممَّا فيه الكفَّارُ من المال وحُسنِ الحال ﴿وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾: مرجِعًا، وقيل: منقلبًا، وقيل: ﴿مَّرَدًّا﴾: زكاءً وثمرةً.

ابن عيسى: خيرٌ نعيمًا تَردُّه الباقياتُ الصَّالحاتُ على صاحبها بَدَلَها، فيجدُه في نفسه.

وقيل: ﴿مَّرَدًّا﴾: عاقبةً ومرجعًا.

***

(٧٧) ـ ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ في سبب النُّزول: عن خبَّاب بنِ الأرتِّ قال: كان لي دينٌ على العاصِ بن وائلٍ، فأتَيْتُه أتقاضاه، فقال العاصُ: لا واللهِ حتَّى تكفُرَ بمحمَّدٍ، قلتُ: لا واللهِ لا أكفُرُ بمحمَّدٍ حتّى تموتَ ثم تُبْعَثَ، فقال: فإنِّي إذا ما متُّ ثم بُعِثْتُ جِئْتَني، فيكونُ لي ثَمَّ مالٌ وولدٌ فأعطيك ـ وفي روايةٍ: لئن كان ما تقولُ حقًّا إنِّي لأفضلُ منها نصيبًا منك ـ فأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

---

(١) رواه بنحوه البخاري (٢٠٩١)، ومسلم (٢٧٩٥)، من حديث خباب رضي الله عنه.

الحسن: نزلت في الوليد بن المغيرة(١).

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ استفهامُ تعجيبٍ.

﴿وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾؛ أي: في الآخرة، ذكرَ على وجهِ الاستهزاءِ والإنكار للجزاء.

وقيل: أراد: في الدُّنيا، والمعنى: أَقَمْتُ على دينِ آبائي وعبادةِ آلهتي، فآتاني مالًا وولدًا في الدُّنيا.

وقيل: معناه: لو كنتُ على باطلٍ ما أُوتِيْتُ مالًا وولدًا في الدُّنيا.

وقيل: معناه: أَنَظَرَ في اللَّوح المحفوظ(٢)؟!

الوَلَدُ: المولودُ، كالقَبَضِ بمعنى المقبوض، يقعُ على الواحدِ والجمع، والوُلْدُ لغةٌ فيه كالبَخَل والبُخْل، وقيل: هو جمعُ الوَلَد كأُسْدٍ وأَسَدٍ(٣).

الأخفشُ: الولدُ: الابن والابنة، والوُلْد: هم الأهلُ والولد(٤).

* * *

(٧٨) - ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا﴾.

﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾: أَعَلِمَ عِلْمَ الغيبِ حتَّى يَعلَمَ أفي الجنَّة هو أم لا؟!

---

(١) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٧/ ٢٥٦)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٨٧)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ٣٠).

(٢) كذا جاءت هذه العبارة في هذا الموضع في النسختين الخطيتين، وهي مروية عن ابن عباس والكلبي في تفسير الآية الآتية، وهي ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾. انظر: «تفسير الثعلبي» (١٧/ ٤٥١)، و«البسيط» للواحدي (١٤/ ٣١٢)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٥١).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٠٦)، وعدَّه من العجائب.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٠٦)، وعدَّه من العجائب.

والطُّلوع: ظهورُ الشَّيء وخروجُه عن الخفَاء.

﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ يعني: أم قال: لا إلهَ إلَّا اللهُ.

وقيل: ﴿عَهْدًا﴾[1]: عملًا صالحًا قدَّمه؟!

وقيل: أعَهِدَ اللهُ إليه أنَّه يُدخلُه الجنَّة[2]؟!

* * *

(٧٩) ـ ﴿كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾.

﴿كَلَّا﴾ ردٌّ عليه؛ أي: لم يَفْعَلْ ذلك.

و﴿كَلَّا﴾ في القرآنِ على وجهين:

أحدهما: أنْ يكونَ ردًّا للكلام الأوَّل ونفيًا، كما في هذه السُّورة وسورةِ (عبس) وغيرِهما.

والثَّاني: بمعنى: حقًّا.

وإنْ حملتَ الكلَّ على النَّفي لا يَبْعُدُ، فيصيرُ كقوله: ﴿لَآ أُقْسِمُ﴾ [القيامة: ١].

﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾: سنَحْفَظُ عليه ما يقولُه فنجازيه به في الآخرة.

﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾: نَزيدُه عذابًا فوقَ العذاب.

* * *

(٨٠) ـ ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾.

﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾؛ أي: يموتُ ونَرِثُه مالَه وولدَه ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ في القيامةِ لا

(١) في (ن): «أعهد عهداً».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٠٦)، واستغربه.

يَصْحَبُه شيءٌ، وتقديره: نرثُه ما يقول: إنَّه في الدَّنيا يَملكُه، ويُعطَى في الآخرة مِثْلَه.

وقيل: نَسْلبُه ما عنده من المال[1].

***

(٨١) ـ ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا﴾.

﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا﴾ أي: عبدَ الكفَّار الأصنامَ والشَّياطين والملائكةَ وعيسى؛ ليتعزَّزوا في الدُّنيا، ويَصيروا إلى العزِّ الدَّائم في العُقْبى.

***

(٨٢) ـ ﴿كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا﴾.

﴿كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ﴾ في الآخرة، وفيه قولان:

أحدهما: أنَّ العابِدِينَ يكفرون بعبادةِ ما عَبدوه.

والثَّاني: أنَّ المعبودِينَ يكفرونَ بعبادةِ الكَفَرة لهم، كقوله: ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾ الآية [البقرة: ١٦٦].

﴿وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا﴾ قيل: عليهم أعوانًا، وقيل: أرادوا أن يكونوا لهم شفعاءَ فيَصيرون لهم خُصماءَ، والضِّدُّ يقع على الواحِدِ وعلى الجمع.

***

(٨٣) ـ ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزًّا﴾.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾؛ أي: سلَّطْناهم عليهم.

وقيل: قيَّضْناهم، كقوله: ﴿وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ﴾ [فصلت: ٢٥].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٠٦)، واستغربه.

وقيل: خلَّينا الشَّياطين وإيَّاهم.

﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾: تُغريهِم إغراءً، وقيل: تُزعِجُهم وتُشْلِيهِم(١).

الزَّجَّاج: تُزعِجُهم حتَّى يركَبوا المعاصيَ(٢).

وقيل: تُغْوِيهِم وتهيِّجهم.

وقيل: تَسُوقُهم إلى الشَّرِّ سَوْقًا عنيفًا.

والأزُّ والهزُّ واحدٌ(٣)، وهو التَّحريكُ، وقيل: الأزُّ: الحملُ على الشَّيء برفقٍ واحتيالٍ.

والمعنى: مكَّنَّا الشَّياطين من دعاءِ الكفَّار بالوساوس إلى الكفر والشِّرك وتزيينِ المعاصي بالتَّمويهات.

* * *

(٨٤) ـ ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾.

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ العقوبةُ لهم، وارْفُق(٤) بهم، وكرِّرْ لهم الموعظةَ؛ فإنَّ موعدَ عذابهم قريبٌ(٥)، ....

---

(١) في هامش (ن): «أشلى الكلب على الصيد؛ إذا أغراه».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٤٥).

(٣) قال ابن جني في «الخصائص» (٢/ ١٤٨): «﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾: أي: تزعجهم وتقلقهم، فهذا في معنى: تهذهم هزاً، والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة؛ لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس، من الهز؛ لأنك قد تهز ما لا بال له كالجذع وساق الشجرة ونحو ذلك».

(٤) كذا في النسختين الخطيتين، ولو قال «فارفق» لكان أظهر.

(٥) عدَّ ابن حزم في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٤٥) هذه الآية منسوخة بآية السيف، وتبعه الفيروزآبادي في «بصائر ذوي التمييز» (١/ ٣٠٦).

وهـو قولُـه: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ قيـل: نَعُـدُّ أعمالَهـم، وقيـل: آجالَهـم، وقيـل: أيَّامَهـم، وقيـل: أنفاسَـهم.

***

(٨٥) ـ ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾.

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾؛ أي: نجمعُ المؤمنين ﴿إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ إلى اللهِ سبحانه ﴿وَفْدًا﴾: راكبينَ على النُّوق، وقيل: على نجائبَ.

والوفدُ: مصدر وَفَد يَفِدُ وفدًا ووُفودًا ووِفادةً؛ إذا زار الملوكَ والأشراف، وقيل: جمعُ وافدٍ، وقيل: جماعةً.

***

(٨٦) ـ ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾.

﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ كما يُساقُ البهائمُ ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾: مشـاةً، وقيل: عطاشًا، وقيـل: أورادًا؛ لأنَّ الـوارد يَـرِدُ لإزالةِ العطشِ، ويُسـاقون إلى جهنَّـم فيكونون وردًا لهـا؛ أي: نصيبًـا وحظًّـا، والـوردُ: النَّصيـب؛ أي: هـم نصيـبُ جهنَّـم، والمؤمنـون نصيـبُ الجنَّة.

***

(٨٧) ـ ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾.

﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ قيـل: الضَّميـرُ لـ﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾، والمعنـى: لا يملكـونَ الشَّـفاعة ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾.

وقيل: يعود إلى ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: لا يملكون أن يُشفَع فيهم ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ﴾ استثناءٌ منقطعٌ.

وقيل: يعود إلى الملائكة.

ومعنى ﴿ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا﴾؛ أي: قال: لا إلهَ إلَّا اللهُ. وقيل: مَن مات على الإيمان؛ فإنَّ الله أعطَى عَهْدَه أن يُدخلَه الجنَّة. وقيل: ﴿عَهۡدٗا﴾: عملًا صالحًا.

***

(٨٨) ـ ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا﴾.

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا﴾ يعني: النَّصارى وبعضُ الكفرة.

***

(٨٩) ـ ﴿لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا﴾.

﴿لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا﴾ خاطبَهم الله بهذا الكلام، أو أَمَر نبيَّه بأن يقول لهم.

والإدُّ: العظيمُ من الكفر، وأصلُه الدَّاهيةُ، وقيل: أعظمُ الدَّواهي، تقول: أدَّ الأمرُ يَئِدُّ أدًّا؛ إذا عَظُم، وقيل: الإدُّ: المنكَر.

***

(٩٠) ـ ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا﴾.

﴿تَكَادُ﴾: تُريد ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ﴾[1]: يتشقَّقْنَ منه من عِظَم هذا القولِ ﴿وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا﴾ كَسْرًا، وقيل: قَطْعًا، وقيل: هَدْمًا.

والهدَّةُ: صوتُ الصَّاعقة من السَّماء.

***

(١) في (ن): «ينفطرن منه». قرأ حفص والكسائي ونافع وابن كثير: ﴿يَتَفَطَّرۡنَ﴾ بالتاء، وقرأ باقي السبعة بالنون. انظر: «السبعة» (ص: ٤١٢ ـ ٤١٣)، و«التيسير» (ص ١٥٠).

(٩١) ـ ﴿أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا﴾.

﴿أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا﴾ بدلٌ من الهاء في قوله: ﴿يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ﴾، ويجوز أن يكونَ خبرَ مبتدأٍ؛ أي: هو أنْ دَعَوا للرَّحمن ولدًا، ويجوز أن يكون نصبًا أو خفضًا[١]، على تقدير: لأنْ دعوا للرَّحمن ولدًا، فيكونُ الوقفُ على ﴿يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ﴾[٢].

* * *

(٩٢) ـ ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾.

﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾؛ أي: لا يَليقُ به ذلك؛ فإنَّه غنيٌّ بنفسه، غيرُ محتاجٍ إلى معونةِ الأولاد والأُنسِ معهم والتَّزيُّنِ بهم.

* * *

(٩٣) ـ ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾.

﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾؛ أي: كلُّهم مُقِرُّونَ بعبوديَّته.

وقيل: نسبةُ الجميع إليه نسبةُ العبد إلى المولى، فكيف يكونُ البعضُ ولدًا والبعضُ عبدًا وهما يتنافيان؟!

وآتٍ: اسمُ فاعلٍ مِن أَتَى، وهو الاستقبالُ[٣]، والتَّقدير: يأتيه.

* * *

---

(١) النصب على نزع الخافض عند غير الخليل، وكان الخليل يرى بقاءه على الخفض بعد نزع الخافض، وقد تقدم الكلام عليه في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ﴾.

(٢) في (ق): «ينفطرن منه».

(٣) كذا في النسختين الخطيتين، ولو كان: «للاستقبال» لكان أظهر، والمراد أن الإضافة هنا لفظية؛ لأن اسم الفاعل عامل عمل فعله المتعدي لدلالته على الاستقبال، وإنما تكون الإضافة معنوية إن دلَّ على المعنى. انظر: «شرح الرضي على الكافية» (٢/ ٢١٢).

(٩٤) ـ ﴿ لَقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴾.

﴿ لَقَدْ أَحْصَىٰهُمْ ﴾؛ أي: عَلِم عددَهم وأحوالَهم وأفعالَهم وأقوالَهم ﴿ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴾؛ أي: عَلِم عددَهم وأنفاسَهم وحركاتِهم وسكناتِهم.

***

(٩٥) ـ ﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴾.

﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴾: وحيدًا بلا مالٍ ولا ولدٍ، وقيل: بلا ناصرٍ ولا مُعينٍ.

***

(٩٦) ـ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَـٰنُ وُدًّا ﴾.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَـٰنُ وُدًّا ﴾؛ أي: يحبُّهم ويحبِّبهم إلى النَّاس، روَى أبو هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلّى الله عليه قال: «إذا أحبَّ الله عبدًا قال لجبريل: قد أحبَبْتُ فلانًا فأحِبُّوه، فيُحبُّه أهل السَّماء، ثمَّ يَضَعُ له المحبَّة في أهل الأرض، وإذا أَبْغَضَ العبدَ قال لجبريل: قد أبغضتُ فلانًا فأَبْغِضوه، ثمّ يقع له البغضاءُ في أهل الأرض»[(١)].

وقيل: إنَّ ذلك في الآخرة، يَنزِعُ اللهُ ما في صدورهم من الغِلِّ، فلا يكونُ بينهم تباغُضٌ، فتَبْقَى محبَّةٌ محضةٌ وودٌّ خالصٌ.

ابن بحرٍ: معناه: يَهَبُ لهم ما يحبُّون[(٢)].

---

(١) رواه مسلم (٢٦٣٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وروى البخاري (٣٢٠٩) شطره الأول فقط.

(٢) ذكره الرازي في «تفسيره» (٢١/ ٥٦٨)، وذكر الوجوه التي أوردها ابن بحر لترجيحه، وأجاب عنها.

وقيل: يجعلُ لهم حبًّا في قلوب المؤمنين، وهذا من القولِ الأوَّل.

قال كعبٌ: ما يستقرُّ لعبدٍ ثناءٌ في الأرض حتَّى يستقرَّ له في السَّماء[١].

قيل: نزلتْ في عليٍّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه، حكاه الثَّعلبيُّ[٢].

وقيل: نزلتْ في عبد الرَّحمن بن عوفٍ[٣].

***

(٩٧) ـ ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ يعني: القرآنَ؛ أي: سهَّلْنا قراءةَ القرآن على لسانك ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ يعني: المؤمنين ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ ابن عبَّاسٍ: شِدادًا في الخصومة[٤].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٦٥٠٨)، ومن طريقه ابن عبد البر في «التمهيد» (٢١/ ٢٣٩).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٧/ ٤٧١)، وروى في ذلك حديثًا لا يصح رفعه، ولفظه: قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه: «يا علي، قل: اللهم اجعل لي عندك عهداً، واجعل لي في صدور المؤمنين مودة» فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾.
قال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١٠٨): «أخرجه الثعلبي، والطبراني في مسند حمزة الزيات، وابن مردويه، من حديث البراء بن عازب رضى الله عنهما، وفيه إسحاق بن بشر عن خالد بن زيد، وهما متروكان».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٦٤٤) عن عبد الرحمن بن عوف: «أنه لما هاجر إلى المدينة، وجد في نفسه على فراق أصحابه بمكة، منهم شيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، وأمية بن خلف»، قال ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ٢٣٨): «وهو خطأ؛ فإن هذه السورة بتمامها مكية لم ينزل منها شيء بعد الهجرة، ولم يصح سند ذلك».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٤٧٤).

وقيل: جَدَلًا بالباطل.

الحسن: صُمًّا[١].

وقيل: صُمَّ آذانِ القلوب.

وقيل: الألدُّ: الذي لا يَقبلُ الحقَّ ويدَّعي الباطلَ.

وقيل: هو الخَصِمُ؛ وعن النَّبيِّ عليه السّلام أنَّه قال: «أبغضُ الرِّجالِ إلى الله الألَدُّ الخَصِم»[٢]. واشتقاقُه من (لَدِيدَيِ الوادي)[٣]، وقد سبق[٤].

وقيل: ﴿قَوْمًا لُّدًّا﴾ لا يستقيمون، واشتقاقُه من اللَّدود في الفم[٥]، كلَّما أخَذْتَه في جهةٍ عدَل عنها إلى جهةٍ أخرى.

***

(٩٨) ـ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ﴾: هل تجدُ، وقيل: هل ترَى، والإحساسُ: الإدراك بالحاسَّة.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٦٤٦) بلفظ: «صمًا عن الحق».

(٢) رواه البخاري (٢٤٥٧)، ومسلم (٢٦٦٨) عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) وهما جانباه؛ لأنه كلما أخذت عليه جانباً من المحجة أخذ في جانب آخر، كما ذكر القاضي عياض في «مشارق الأنوار» (١/ ٣٥٦)، وانظر: «العين» (٨/ ٩).

(٤) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾.

(٥) هو دواء يسقى في أحد شقي الفم، وأما الوجور فهو في وسط الفم، انظر: «غريب الحديث» للقاسم بن سلام (١/ ٢٣٥).

﴿أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا﴾ وهو الصَّوتُ الخفيُّ والحركةُ التي لا تفهمه؛ أي: لمّا أتاهم عذابُنا لم يَبْقَ منهم شخصٌ يُرَى ولا صوتٌ يُسْمَعُ.

الحسن: هل ترى من عينٍ أو تسمعُ من صوتٍ[١]؟

وقيل: ماتوا ونُسيَ ذكرُهم.

* * *

سُورَةُ طه

سُورَةُ طه

مئةٌ وخمسٌ وثلاثون آيةً(١)، مكِّيَّةٌ.

ويقالُ لها: سورةَ موسى(٢)، وهي من أوائلِ ما نَزَل، وفي الخبرِ عن النَّبيِّ ﷺ: «أنَّه لا يَقرأ أهلُ الجنَّة في الجنَّة إلَّا طه ويس»(٣).

بسم الله الرّحمن الرّحيم

(١ ـ ٢) ـ ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾.

﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ في سبب النُّزول: قال مقاتلٌ: قال أبو جهلٍ والنَّضرُ بن الحارث للنَّبيِّ عليه السَّلام: إنَّك لتَشْقَى بتركِ ديننا ـ وذلك لِمَا رأَوْا من طولِ عبادتِه وشدَّةِ اجتهاده ـ فأَنزل الله هذه الآية(٤).

---

(١) هذا في عدّ الكوفي، وهي مائة واثنتان وثلاثون في عدّ البصري، وأربع في عدّ المكي والمدنيين، وثمان في عدّ أهل حمص، وأربعون في عدّ الشامي.
انظر: «البيان في عدّ آي القرآن» للداني (ص: ١٨٣)، و«فنون الأفنان» لابن الجوزي (ص: ٢٩٢).

(٢) انظر: «المبسوط» لابن مهران (ص: ٢٩٢)، و«مصاعد النظر» للبقاعي (٢/ ٢٦٧)، و«الإتقان» للسيوطي (١/ ١٩٩)، وذكر فيه أنها تسمى سورة الكليم أيضاً.

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٤٨٦) عن الحسن مرسلاً، وفيه المسيب بن شريك متروك.
وروى نحوه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص ٢٥٢) عن شهر بن حَوْشبٍ مرسلاً بلفظ: «يُرْفعُ القرآنُ عن أهل الجنة إلا طه ويس».

(٤) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٠٣)، وعبارته كما «تفسير مقاتل» (٣/ ٢٠): «وذلك أن =

وعن جُويبرٍ عن الضَّحَّاك قال: لمّا نزل القرآنُ على النَّبيِّ ﷺ قام هو وأصحابه فصلَّوا، فقال كفَّار قريشٍ: ما نزل هذا القرآنُ على محمَّدٍ إلَّا ليشقَى به، فأنزل الله: ﴿طه ① مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾[1].

مجاهدٌ: كان رسولُ الله ﷺ وأصحابُه يربطون الحبالَ في صدورهم في الصَّلاة باللَّيل كي لا يَغْلِبَ عليهم النَّوم، ثمَّ نُسخ بالفرضِ، وأنزل الله هذه الآية[2].

وعن ابنِ شُعبةَ قال: قام رسولُ الله ﷺ حتَّى تورَّمت قدماه، فقيل له: أليسَ قد غَفَر اللهُ لك ما تقدَّم من ذنبِك وما تأخَّر؟ فقال: «أفلا أكونُ عبداً شكوراً»[3].

ورَوَى بعضُ المفسِّرين أنَّه عليه السَّلام كان إذا صلَّى باللَّيل رفع رجلاً ووضَعَ أخرى، فنزل ﴿طه﴾ الآية[4].

= أبا جهل والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث والمطعم بن عدي قالوا للنبي ـ ﷺ ـ: إنك لتشقى حين تركت دين آبائك فائتنا ببراءة أنه ليس مع إلهك إله، فقال لهم النبي ﷺ: «بل بعثت رحمة للعالمين»، قالوا: بل أنت شقي، فأنزل الله عز وجل في قولهم للنبي ﷺ: ﴿طه﴾».

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤١٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٠٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤١٥) بلفظ: «﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ قال: هي مثل قوله: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ فكانوا يعلقون الحبال في صدورهم في الصلاة».

(٣) رواه البخاري (٤٨٣٦)، ومسلم (٢٨١٩) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

(٤) رواه البزار في «مسنده» (٩٢٦) عن علي رضي الله عنه بلفظ: «كان النبي ﷺ: يراوح بين قدميه يقوم على كل رجل حتى نزلت ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾»، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٥٦): «رواه البزار وفيه يزيد بن بلال، قال البخاري: فيه نظر. وكيسان أبو عمر، وثقه ابن حبان وضعفه ابن معين، وبقية رجاله رجال الصحيح». وحسن إسناده السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٤٩). =

وفي ﴿طه﴾ أقوالٌ سِوَى ما سَبَق أوَّلَ البقرةِ مجمَلاً:

مجاهدٌ والحسنُ وعطاءٌ في جماعةٍ: معناه: يا رجلُ(١).

عكرمةُ: «يا رجلُ» بلسان الحبشة(٢).

قتادةُ: «يا رجلُ» بالسُّرْيانيَّة(٣).

ابن جبيرٍ: بالنَّبطيّة(٤).

السُّدِّيُّ: معنى ﴿طه﴾: يا فلانُ(٥).

الكلبيُّ: يا رجلُ بلغةِ عَكٍّ(٦)، وأنشد:

= وروي نحوه عدة روايات. انظر: «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ٣٤٧، ٣٤٨)، و«الكاف الشاف» (ص: ١٠٨)، و«الدر المنثور» (٥/ ٥٤٩).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥ ـ ٧) عن ابن عباس وابن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة والحسن.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤١٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٤٩٠)، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٠٩) عنه يذكره عن ابن عباس رضي الله عنهما، وانظر «المهذب» للسيوطي (ص: ١١٠).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٦)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٤٩٠).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٩٩٧٤).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٤٩٠) عن السدي عن أبي مالك وعكرمة. وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٨٩) عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٠٩)، واستغربه.

(٦) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٨٩) من رواية أبي صالح عن ابن عباس، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٤٩١) عن الكلبي.

إِنَّ السَّــفاهَةَ طَاهَــا فــي خلائقكُــم   لا قَــدَّسَ اللهُ أَخــلاقَ المَلاعِيــنِ(١)

القُرَظيُّ: أقسَمَ الله بطَوْله وهدايته(٢). والعربُ تعبِّرُ عن الشَّيء ببعضِ حروفه، وهذا بابٌ واسعٌ.

وقيل: الطَّاءُ: طبولُ الغُزاةِ، والهاءُ: هَيْبَتُهم.

وقيل: الطَّاء: طُوبى، والهاءُ: الهاوية.

وقيل: ﴿طه﴾: اسمُ الله، وقيل: اسمُ القرآنِ، وقيل: اسمُ السُّورة.

عطاءٌ: اسمُ النَّبيِّ ﷺ، فقد رُوي أنَّ للنَّبيِّ ﷺ سبعةَ أسماءٍ في القرآن: محمَّدٌ، وأحمدُ، وطه، ويس، والمزَّمِّل، والمدَّثر، وعبد الله(٣).

---

(١) البيت في «تفسير الطبري» (١٦/ ٧)، و«الأضداد» لابن الأنباري (ص: ٤٠٤)، و«تفسير الثعلبي» (١٧/ ٤٩١)، و«النكت والعيون» (٣/ ٣٩٢)، و«البسيط» (١٤/ ٣٤٨)، و«الكشاف» (٣/ ٥٠).

وعزاه الماوردي ليزيد بن مهلهل. ورواية عجزه عند الطبري:

لا بــاركَ اللهُ فــي القــومِ المَلاعِيــنِ

قال الزمخشري: «واللهُ أعلمُ بصحَّةِ ما يقال: إن (طاها) في لغة عَكٍّ في مَعْنَى: (يا رَجُلُ)، ولعَلَّ عَكًّا تصرَّفُوا في (يا هذا)، كأنهم في لغَتهمْ قالِبُون الياء طاءً فقالوا في (يا): (طا)، واختَصَروا (هذا) فاقتَصَرُوا على (ها) وأَثَرُ الصَّنعة ظاهِرٌ لا يَخفى في البَيت المستشهَد به».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٤٩٢)، والواحدي في «البسيط» (١٤/ ٣٤٩).

(٣) عزاه القاضي عياض في «الشفا» (١/ ٤٥٠) إلى النقاش، وذكره ابن العربي في «أحكام القرآن» (٤/ ١٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال: «حديث لا يصح».

وروى الآجري في «الشريعة» (١٠١٥)، وابن عدي في «الكامل» (٤/ ٥٠٩)، من طريق أبي يحيى التيمي، عن سيف بن وهب، عن أبي الطفيل قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لي عند ربي عز وجل عشرة أسماء» قال: أبو الطفيل: قد حفظت منها ثمانية: محمد، وأحمد، وأبو القاسم، والفاتح، والخاتم، والماحي، والعاقب، والحاشر» قال أبو يحيى التيمي: وزعم سيف أن أبا جعفر قال له: =

وقيل: الطَّاء في حساب الجُمَّل تسعٌ، والهاءُ خمسٌ، فيكونُ أربعَ عشرةَ، ومعناه: يا أيُّها البدرُ، حكاه الثَّعلبيُّ(١).

وقرئ: (طَهْ) بسكونِ الهاء(٢)، وهو أمرٌ، وفيه وجهان:

أحدهما: أن تكونَ الهمزةُ قُلبت هاءً، نحو: هِيَّاك وإيَّاك.

والثَّاني: أن تكونَ الهاءُ للاستراحة، وطَ: أمرٌ من (وَطِيَ) على ترك الهمزة.

وأجازَ ابنُ الأنباريِّ أن تكونَ الهاءُ للكنايةِ عن الموضع فسكِّن كبابِ: ﴿يُؤَدِّهْ﴾(٣).

= إن الاسمين الباقيين: طه، ويس. وأعله ابن عدي بسيف بن وهب. وكذا فعل العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (ص: ٨٧٠).

وقال ابن قيم الجوزية في «تحفة المودود» (ص: ١٢٧): «وأما ما يذكره العوام أن (يس وطه) من أسماء النبي ﷺ فغير صحيح، ليس ذلك في حديث صحيح ولا حسن ولا مرسل ولا أثر عن صاحب، وإنما هذه الحروف مثل: (الم وحم والر) ونحوها»، قال: «ومما يُمنع منه التسميةُ بأسماء القرآن وسوره مثل: (طه ويس وحم)، وقد نص مالك على كراهة التسمية بـ(يس) ذكره السهلي».

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٧/ ٤٩٤)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٠٩)، واستغربه.

(٢) نسبت للحسن. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٨٩)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (٣/ ١٥٠). وذكرها الهذلي في «الكامل في القراءات» (ص: ٥٩٧) عن أبي حنيفة والحسن وورش في اختياره.

(٣) بسكون الهاء قراءة أبي بكر وأبي عَمْرو وحمزة، وقالون باختلاس كسرةِ الهاء، وكذا روى الحلواني عن هشام، والباقون بإشباع الكسرة، والوَقْف للجميع بالإسكان. انظر: «السبعة» (ص: ٢٠٧)، و«التيسير» (ص: ٨٩).

وقول المصنف: «للكناية عن الموضع»، أراد والله أعلم: أن الهاء هنا ضمير وليست مقلوبة عن الهمزة كما في الوجه السابق، وهي كناية عن الأرض. وذكر ابن الأنباري في «الأضداد» (ص: ٤٠٤) أن (طه) مما يُفسر تفسيرين متضادين.

قال الشَّيخ رحمه الله[١]: ويحتمِلُ أنَّ (طَ) أمرٌ من وَطِئَ[٢] يطَأُ، حُذف همزُه كما يُحذف مِن (اقرأ)[٣] وبابِه، و(ها) كنايةٌ عن الأرض؛ أي: طَأِ الأرضَ بقدميك، وحذف الألف من الخطِّ كما حُذف من قوله: (أيُّها المؤمنون)، فإنَّه في الإمام: ﴿أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: ٣١]، وكذلك ﴿أيّه ٱلسَّاحِرُ﴾ [الزخرف: ٤٩]، وهذا ظاهرٌ جدًّا، والله أعلم[٤].

وكان بعد ذلك يضعُ قدميه ويصلِّي بعضَ اللَّيل وينامُ بعضَه.

وقيل: هو نفيٌ لِمَا قال الكفَّار: شَقِيَ بترك دين آبائه؛ أي: ما أنزلناه لتَشْقَى بل لتَسْعَد.

***

(٣) ـ ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾.

﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾: تذكيراً للخلق، ونصبُها على الاستثناء المنقطِع.

وقيل: مفعولٌ له[٥].

---

(١) «قال الشيخ رحمه الله»: ليس في (ف).

(٢) في (ف): «وطأ».

(٣) في (ن): «قرأ».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٠٩)، واستغربه.

(٥) أي: هو مفعولٌ من أجله، والعاملُ فيه عند بعضهم ـ كالزمخشري ـ فِعْلُ الإنزال، وكُلُّ واحدٍ من ﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾ و﴿تَذْكِرَةً﴾ عِلَّةٌ لِلفعْلِ، ووجبَ مجيءُ الأولِ مع اللام لأنه ليس لفاعلِ الفعلِ المُعَلَّل، ففاتَتْه شريطةُ الانتصابِ، والثاني جاز قطع اللام عنه ونصبه لاستجماعه الشرائط، وليس انتصابه على البدل من محلِّ ﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾؛ لاختلاف الجنسين؛ فالتذكرة ليست بشقاء هذا مختصر كلام الزمخشري بشقاء. انظر: «الكشاف» (٣/ ٥٠)، و«الدر المصون» (٨/ ٨). =

وقيل: على التَّقديم: ما أنزلنا إلَّا تذكرةً لا لتَشْقَى[1].

وقيل: معناه: ما أنزلناه لتَتْعَبَ في دعاء الكفَّار، فلستَ عليهم بحفيظٍ، بل لتُذكِّرَ به.

﴿لِّمَن يَخۡشَىٰ﴾؛ أي: يخشَى اللهَ فيَنتفِعَ به، وخصَّ الخاشعَ لانتفاعه به.

***

(٤) ـ ﴿تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى﴾.

﴿تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى﴾؛ أي: نزَّله الله تنزيلاً.

وقيل: بدلٌ من التَّذكرة[2].

و﴿ٱلۡعُلَى﴾: جمع العُلْيا، وهي تأنيثُ الأَعْلى.

***

= والمصنف رحمه الله في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٠) لم يرتض هذا القول؛ أعني: كون (تشقى) و(تذكرة) علتين لـ﴿أَنزَلۡنَا﴾، قال: لأن ذلك جمع بين علتين لفعل واحد من غير عطفٍ: أحدُهما باللام والآخرُ بالمصدر، وذلك ممتنع.

ثم قال: وللآية وجهان:

أحدهما: أن تقديره: ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ما أنزلناه إلا تذكرة لمن يخشى، فكل واحد منهما متعلق بفعل سوى الآخر.

والثاني: أن الاستثناء منقطع؛ أي: لكن تذكرة لمن يخشى.

(١) واستبعده المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٠)؛ لأن إضمار «لا» ـ كما قال ـ إنما يجوز في القسم.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٠)، واستغربه. قال: «والتنزيل والتذكرة في المعنى واحد».

(٥) ـ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾؛ أي: هو الرَّحمنُ، وما بعده في محلِّ نصبٍ على الحال، وقيل: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ مبتدأٌ وما بعدَه خبرُه.

ومعنى قوله: ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾ سبَق في سورة (الأعراف)، وليس ذلك بمعنى التَّمكُّنِ في المكان، فإنَّه كان بلا مكانٍ بإجماعٍ، فلم يَحتَجْ بعد خَلْقِ المكان إلى ما كان عنه غنيًّا.

ورُوي عن ابن عبَّاسٍ الوقفُ على قوله: ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ ثم ابتدأ[1]: ﴿ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ...﴾ الآية[2].

***

(٦) ـ ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ﴾.

﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ﴾؛ أي: تحت الأرض.

و﴿ٱلثَّرَىٰ﴾: التُّرابُ النَّديُّ، وقيل: ﴿ٱلثَّرَىٰ﴾: الماء، من قولهم: التقَى الثَّريَانِ، ويروى: الثَّرَوَانِ؛ أي: ماءُ السَّماء وماءُ الأرض[3]، ولا يَعلم ما تحت الثَّرى إلَّا اللهُ وحدَه.

---

(١) في (ف): «ثم قال».

(٢) ذكره الداني في «المكتفى في الوقف والابتدا» (ص: ١٢٩) من طريق الكلبي عن أبي صالح. والكلبي متروك.

(٣) تقول العرب: إذا التقى الثريان فهما الحيا، والمراد: ندى المطر وندى باطن الأرض، وفسّره ابن فارس في «متخير الألفاظ» بأنه ندى المطر القديم وندى الحديث، ولكنه قال بالأول في «المجمل» و«المقاييس». انظر مادة (ث ر ي) في «جمهرة اللغة» (٢/ ١٠٣٤)، و«متخير الألفاظ» (ص: ٢٠٧)، و«مجمل اللغة» (ص: ١٥٨)، و«مقاييس اللغة» (١/ ٣٧٥).

(٧) - ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾.

﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ﴾؛ أي: تُعْلِنْ به ﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾؛ أي: وأَخْفَى من السِّرِّ.

ابن عبَّاسٍ: ﴿السِّرَّ﴾: ما أسرَرْتَ في نفسك، ﴿وَأَخْفَى﴾ ما لم يكنْ وهو كائنٌ[١].

وقيل: ﴿السِّرَّ﴾: ما أَسرَّ ابنُ آدمَ في نفسه، ﴿وَأَخْفَى﴾: ما خَفِيَ على ابنِ آدم ممَّا هو فاعلُه قبل أن يَعْلَمه.

وقيل: ﴿السِّرَّ﴾: العَمَل بخُفْيَةٍ عن النَّاس، ﴿وَأَخْفَى﴾: الوسوسةُ.

الحسن: ﴿السِّرَّ﴾ ما أسرَّه الرَّجل إلى غيره، ﴿وَأَخْفَى﴾ ما أسرَّه في نَفْسه[٢].

زيد بن أسلمَ: يَعلمُ أسرارَ العباد ﴿وَأَخْفَى﴾ سِرَّه فلا يُعْلَمُ[٣]. فعلى هذا ﴿أَخْفَى﴾ فعلٌ ماضٍ[٤].

وقيل: ﴿أخفى﴾ بمعنى: الخفيِّ[٥]؛ أي: يعلمُ السِّرَّ والخَفِيَّ، وله نظائرُ[٦].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٤)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٥١٧)، وابن بطة في «الإبانة» (١٦٣٨).

(٢) رواه ابن وهب في «جامعه - التفسير» (١٠٢)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٥٠٣).

(٣) رواه ابن وهب في «جامعه - التفسير» (٧٧)، والفريابي في «القدر» (١٠٦)، والآجري في «الشريعة» (٤٨١).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١١)، واستغربه، ولم يرتضه الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٥٢).

(٥) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١١)، وعدَّه من العجائب. وانظر: «المقتضب» (٣/ ٥).

(٦) تقدم منها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾، ومنها قوله تعالى: ﴿أحسن مقيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤]، وسيأتي.

وتقدير الآية: وإنْ تجهَرْ بالقول لم يكن عنده أظهرَ ممَّا تسرُّه، وجوابُ الشَّرط محذوفٌ، ثمَّ عَطف عليه جملةً تكشفُه فقال: ﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾[1].

***

(٨) ـ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ يريد: صفاته، وهو ما رُوي عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «إنَّ لله تسعةً وتسعين اسماً، مئةً إلَّا واحداً، مَن أحصاها دَخل الجنَّة»[2].

ومعنى ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾؛ أي: في الآذانِ والقلوب.

وقيل: هي الحسنى لأنَّ سماعَها يدلُّ على توحيدِه وجُودِه وكرمه.

و﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ صفةُ الجمع؛ كقوله: ﴿حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [النمل: ٦٠].

***

(٩) ـ ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾.

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾؛ أي: تأسَّ بـه واصْبِرْ على المكارهِ والأذى تَنَلِ الدَّرجةَ العليا كما نالها أخوك موسى.

ومعنى ﴿هل أتاك﴾: قد أتاكَ[3]، ....

---

(١) وجملة الجواب تُقدر بـ: فإنه غني عن جهرك، وإنما يُقدر هذا الجواب لأن الله يعلم السر والجهر دائماً، وهذا أمـر غير مترتب على الشرط، وهو الجهر بالقول، والله أعلم، وقد عدَّه الزمخشري جواباً في «الكشاف» (٣/ ٥٢)، فلينظر ثمة.

(٢) رواه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) ذكر سيبويه أن (هل) بمعنى: قد، وزعم الزمخشري أنها عنده على هذا فقط، وأنكر ذلك ابن هشام، وإنما ذكر المفسرون والنحاة ذلك في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾. انظر: «الكتاب» (١/ ١٠٠)، و«معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٣)، و«حروف المعاني والصفات» للزجاجي =

وقيل: استفهامٌ يتضمَّنُ الحثَّ على الإصغاء إلى ما يُخبر به منه[١].

الكلبيُّ: أي: لم يأتك[٢]، فهو استفهامٌ بمعنى النَّفي.

* * *

(١٠) ـ ﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾.

ثم أَخبر فقال: ﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ﴾ وذلك أنَّ موسى عليه السَّلامُ لمّا قضَى الأجلَ استأذَنَ شعيباً في الرُّجوع إلى والدته، فأَذِنَ له فيه، فخرج بأهله وسار عن مدينَ، فلمَّا بلغَ وادي طُوَى وفيه جبلُ زَبير ـ وهو الطُّور ـ وكانت ليلةَ الجمعة، غامت عليه السّماء، وهاجَتْ نكباءُ، وأضلَّ الطَّريق، وتبدَّدت غنمُه، وأخذ امرأتَه الطَّلْقُ، فبينا هو كذلك إذ رأى مِن جانبِ الطُّور ناراً، فقال ﴿لِأَهْلِهِ﴾ امرأتِه وولديه: ﴿ٱمْكُثُوٓاْ﴾: أقيموا على مكانكم ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾: أبصرتُ ناراً وأحسَسْتُها، يقال للذي أَبصرَ الشَّيءَ من بعيدٍ ممَّا يَسْكُنُ إليه: آنسَه، قال:

آنَسَ خِربانَ فَضَاءٍ فانكَدَرْ[٣]

= (ص: ٢)، و«المفصل» للزمخشري (ص: ٤٣٧)، و«المغني» لابن هشام (ص: ٤٦٠)، وذكر الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٦٦٥) أن (هل) بمعنى: قد في الاستفهام خاصة.

(١) ذهب ابن قتيبة وابن جني إلى أن (هل) على أصل معناها في مثل هذا الموضع، وأنها إنما جاء الاستفهام بها للتقرير. انظر: «تأويل مشكل القرآن» (ص: ٢٨٩)، و«الخصائص» (٢/ ٤٦٤).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٥٠٤)، والواحدي في «البسيط» (١٤/ ٣٦٢).

(٣) الرجز للعَجَّاج يمدح عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، وهو في «ديوانه» (١/ ٤٣)، و«الأزمنة وتلبية الجاهلية» لقطرب (ص: ٣٠)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٨٧)، و«تفسير الطبري» (٢٤/ ١٣٢)، و«الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٤٢٣)، وقبله:

إذا الكرامُ ابتدروا الباعَ بَدَرْ

وكان نوراً تراءَى له ناراً.

﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ﴾ القبسُ: الشُّعلة من نارٍ في طرفِ عودٍ أو فَتيلةٍ.

وقيل: القبس: الجمرةُ الصَّغيرة.

﴿أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى﴾: هادياً يدلُّني على الطَّريق والماء.

أي: أرجو أن أَلْحقَ ناساً وأقتبِسَ ناراً.

* * *

(١١ ـ ١٢) ـ ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾.

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾؛ أي: النَّارَ، وجد ناراً بيضاءَ تتوقَّدُ في شجرةٍ خضراءَ، وجاء في التَّفسير أنَّها شجرةُ العُنَّاب[1]، ولم يجد عندها أحداً ﴿نُودِيَ﴾ موسى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ ١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ كرَّر الكنايةَ لتوكيدِ الدلالة، ومَن فَتَحَ حمَله على ﴿نُودِيَ﴾ ومَن كسَر[2] أضمَرَ القولَ، أو نزَّل النِّداء منزلةَ القول؛ لأنَّ النِّداءَ قولٌ.

= تَقَضِّيَ البازي إذا البازي كَسَرْ
دَانَى جناحَيْهِ من الطَّودِ فمَرّ

يصفه بالكرم وأنه لحرصه على السبق للمكارم يسرع إليها إسراع بازٍ رأى صيداً فانقض عليه، و«خربان» بكسر الخاء المعجمة وسكون الراء المهملة: جمع خَرَبٍ بفتحتين، وهو ذكَر الحُبَارى وهي طائر معروف، وانكدر: أسرع بعض الإسراع. انظر: «الغريب المصنف» لأبي عبيد (١/ ٣٧٣)، و«المنجد في اللغة» لكراع النمل (ص: ٩٣)، و«حاشية الشهاب على البيضاوي» (٨/ ٣٢٦). والرجز في المصادر السابقة بلفظ: «أبصر خربان»، ولا شاهد فيه؛ فقد استشهد به المصنف على لفظ «آنس»، وهو بهذا اللفظ في «مجاز القرآن» (٢/ ١٠٢)، و«تفسير الطبري» (١٨/ ٢٣٨).

(١) العناب: شجر شائك من الفصيلة السدريَّة، يبلغ ارتفاعه ستَّة أمتار ويُطلق العنَّاب على ثمره أيضًا، وهو أحمر حُلو لذيذ الطَّعم على شكل ثمرة النَّبق. انظر: «المعجم الوسيط» مادة: (ع ن ب).

(٢) قرأ أبو عمرو وابنُ كثير: ﴿أَنِّي﴾ بالفتح، والباقون بالكسر. انظر: «السبعة» (ص: ٤١٧)، و«التيسير» (ص: ١٥٠).

﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ قيل: كانا من جلدِ حمارٍ غيرِ مدبوغٍ[(١)].

الحسنُ في جماعةٍ: كانا من جلدِ بقرٍ، وإنَّما أُمر بخلعِهما لتنالَ قدمُه بركةَ الوادي المقدَّس[(٢)].

وقيل: أمَره بذلك تأديباً له وأمراً بالخضوع.

والخلع: نَزْعُ الملبوس.

وقيل: معناه: فرِّغْ قلبَك مِن شُغل الأهل والولد، حكاه الثَّعلبيّ[(٣)].

فخلَعهُما موسى وألقاه[(٤)] من وراء الوادي.

﴿إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ﴾ الوادي: سفحُ الجبل، ويقال: هو مجرًى عظيمٌ من مجاري الماء.

و﴿ٱلۡمُقَدَّسِ﴾: المطهَّر بإزالةِ النَّجاسات، وكذلك بإزالةِ الكفرِ والمعصيةِ عنه.

وقيل: ﴿ٱلۡمُقَدَّسِ﴾: المبارك.

﴿طُوًى﴾: اسمُ علَمٍ للوادي؛ مَن صَرَفه قال: سمِّي مذكَّرٌ بمذكَّرٍ، ومَن لم يَصْرِفه[(٥)] فلتأنيثِ البقعةِ والتَّعريف، وقيل: للعَدْل والتَّعريف.

---

(١) هذا مروي عن علي وأبي ذر وأبي أيوب رضي الله عنهم، وفيه حديث مرفوع عن ابن مسعود رضي الله عنه. انظر: «تفسير الطبري» (١٦/ ٢٥)، و«تفسير ابن كثير» (٥/ ٢٧٦)، والحديث رواه الترمذي (١٧٣٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٣١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٤١٨)، وأبو يعلى في «مسنده» (٤٩٨٣)، ومداره على حميد الأعرج، وهو متروك.

(٢) ذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٧/ ٤٦١٨)، وابن عبد البر في «الاستذكار» (٨/ ٣١٥).

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٧/ ٥١٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١١)، واستغربه.

(٤) في (ف): «فألقاه».

(٥) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بضم الطاء غير مصروف، والباقون بضم الطاء مصروفاً. انظر: «السبعة» (ص: ٤١٧)، و«التيسير» (ص: ١٥٠).

وقيل: ﴿طُوًى﴾ مصدرٌ مثل: هُدًى، والمعنى: نُوديَ طوًى؛ أي: مرَّتين؛ لأنَّ الثَّانية إذا أَعْقَبتِ الأولى صارتْ كالمطوِيَّة عليها، وكذلك فيمَن كَسَر (طِوًى)[1]، ومثلُه: «لا ثِنَى في الصَّدَقة»[2].

وقيل: ﴿ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾؛ أي: قدِّس مرَّتين.

وقيل: ﴿طُوًى﴾: ليلاً[3].

وقيل: طَوَيْتُ الوادي واجْتَزْتُ به طُوًى، فهو أيضاً مصدرٌ.

الضَّحَّاك: وادٍ مستديرٌ عميقٌ، مثلَ البئرِ الطَّويّ[4].

وقيل: ﴿طُوًى﴾ من الطَّوي، وهو: الجوعُ؛ أي: صائمٌ[5].

* * *

(١٣) ـ ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾.

﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾: تؤمَرُ وتُنْهَى.

* * *

---

(١) ذكرها ابن مجاهد في «السبعة» (ص: ٤١٧) عن أبي عمرو، وهي خلاف المشهور عنه.

(٢) رواه أبو عبيد في «الأموال» (٩٨٢) من طريق حسن بن حسن عن أمه فاطمة بنت حسين عن النبي ﷺ، وهو مرسل.
ورواه الديلمي عن أنس رضي الله عنه كما في «كنز العمال» (٦/ ٣٣٢)، ومعناه: لا تؤخذ الصدقة في السنة مرتين. انظر: «عمدة الحفاظ» للسمين الحلبي (١/ ٢٨٩).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٢)، وعدَّه من العجائب.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٥١١).

(٥) والصائم على هذا موسى عليه السلام. انظر: «تفسير التستري» (ص: ١٨٦).

(١٤) ـ ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾.

﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى﴾: وحِّدني وأَطِعْني ولا تَعْبدْ غيري.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ فيه ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: لتَذْكُرني فيها.

والثَّاني: لأَذْكُرك فيها[١]، وهذا غريبٌ.

والثَّالث: إذا ذكَرْتَ الصَّلاةَ فصَلِّها[٢]، وروَى قتادةُ عن أنسٍ رضي الله عنه: أنَّ رسول ﷺ قال: «مَن نَسيَ صلاةً أو نامَ عنها فلْيُصلِّها إذا ذكَرها، إنَّ الله تعالى يقول: ﴿أقم ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾»[٣].

وقيل: هو خطابٌ للنَّبيِّ عليه السَّلامُ إلى قوله: ﴿فَتَرْدَىٰ﴾، ثمَّ رجع إلى قصَّة موسى، حكاه الفقيهُ أبو اللَّيث في «تفسيره»[٤].

وقيل: ﴿لِذِكْرِىٓ﴾: مردودٌ على الوحي ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾: فاستَمِعْ لذكري، حكاه الثَّعلبيُّ[٥].

***

---

(١) في (ف): «بها».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٣)، واستغربه.

(٣) رواه البخاري (٥٩٧)، ومسلم (٦٨٤).

(٤) انظر: «تفسير السمرقندي» (٢/ ٣٩١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٣)، وعدَّه من العجائب.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٥١٥). وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٣)، وعدّه من العجائب أيضاً.

(١٥) ـ ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ﴾.

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾: كائنةٌ لا محالةَ ﴿أَكَادُ﴾: أريدُ[١].

وقيل: زيادةٌ[٢].

وقيل: على أصله من تقريبِ الفعل.

وقيل: متَّصلٌ بـ﴿ءَاتِيَةٌ﴾؛ أي: أكادُ إتيانَها[٣]، ثمَّ استأنَفَ فقال: ﴿أُخۡفِيهَا﴾ وفيه قولان:

أحدهما: أسترُها، وعِلْمُ السَّاعةِ مستورٌ عن الخلائق كلِّهم، وقُرئ: (أُخفِيْها عن نفسي)[٤]؛ أي: أُخفيْها جدًّا[٥].

والثّاني: أُظْهِرُها، والإخفاءُ من الأضداد، وحقيقةُ ذلك: أَسْلُبُ خفاءَها، والخَفاءُ: الغطاء.

---

(١) تقدم ذكر هذا المعنى عند المصنف في تفسير قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَ﴾، وذكره أبو بكر الأنباري في «الأضداد» (ص: ٩٧)، وإليه ذهب الأخفش وأبو مسلم كما في «البحر المحيط» لأبي حيان (٧/ ٣١٩).

(٢) ذكره الأنباري أيضاً، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٣)، وعدَّه من العجائب.

(٣) كذا في النسختين، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٣)، واستغربه، وفي «الأضداد» (ص: ٩٦): «أكاد آتي بها»، وهو أظهر مما ذكر المصنف.

(٤) رواها عبد الرزاق في «تفسيره» (١٨٠٧) عن قتادة، وذكرها الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ١٧٦)، وابن خالويه في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٠) عن أبيٍّ، وذكرها السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٩٢) عن عطاء.

(٥) هذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، كما في «البحر المحيط» (٧/ ٣١٩).

انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ١٦)، و«الأضداد» للأنباري (ص: ٩٥ ـ ٩٩)، و«سر صناعة الإعراب» لابن جني (١/ ٥١).

﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾: بما تعملُ من خيرٍ وشرٍّ فتُجازَى عليه.

ويقوِّي الإظهارَ قراءةُ مَن قرأَ: (أَخْفِيها) بالفتح[١]؛ فإنَّه الإظهارُ لا غير، واللَّام متَّصلةٌ بالإخفاء فيمَن جعلَه بمعنى الإظهار.

وقيل: متَّصلٌ بقوله: ﴿ءَاتِيَةٌ﴾.

الزَّجَّاج: يجوزُ أن تكونَ متَّصلةً بقوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾[٢].

* * *

(١٦) ـ ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ﴾.

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾: عن الإيمانِ بالقيامةِ وعن التأهُّبِ لها ﴿مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ والصَّدُّ يُستعمَلُ في الخير، تقولُ: صدَّه عن الخير، ولا تقولُ: صدَّه عن الشَّرِّ[٣]، والهوَى يُستعمَلُ في المعاصي، وحقيقةُ ميلِ النَّفسِ إلى الشَّيء للشَّهوة.

﴿فَتَرْدَىٰ﴾: فتهْلِكَ في القيامةِ وتعذَّبَ في النَّار، الخطابُ له والمرادُ به غيرُه.

* * *

---

(١) أي: بفتح الهمزة، نسبت لأبي الدرداء وسعيد بن جبير. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٧٦)، و«معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٤٠٢)، و«تفسير الطبري» (١٦/ ٣٦)، و«معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٥٢)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٠).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٥٣)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٤)، واستغربه.

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٤/ ٣٧٩)، والصد المنع برفق، كما ذكر ابن فارس في «الصاحبي في فقه اللغة» (ص: ١٤٢).

(١٧) ـ ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾.

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾: استفهامٌ يَتضمَّنُ التَّنبيهَ على ما في العصا من العجائب التي لم يَعهَدْ مثلَها مِن قَلْبِها حيَّةً تسعَى.

الزَّجَّاج: استفهامٌ يؤخَذُ به إقرارُ المخاطَبِ؛ ليكونَ أبعدَ مِن بَعْدُ عن الإنكارِ وعن الادِّعاء أنَّها لم تَزَلْ كذلك[1].

وقيل: أراد الاستئناسَ ورَفْعَ الهيبةِ في المكالمة.

وإنَّما قال: ﴿بِيَمِينِكَ﴾ ولم يقُلْ: بيدك؛ لأنَّه يحتمِلُ أنَّه كان في يساره خاتمٌ أو شيءٌ آخرُ، فكان يَلْتَبِسُ عليه الجوابُ.

وذهب كثيرٌ من المفسِّرين إلى أنَّ ﴿بِيَمِينِكَ﴾ صلةٌ لـ﴿تِلْكَ﴾؛ أي: وما التي بيمينك[2]، وزعموا أنَّ أسماءَ الإشارةِ قد تُوْصَلُ[3]، وأنشدوا:

عَدَسْ ما لعبَّادٍ عليكِ إمارةٌ ... نجَوْتِ وهذا تحمِلينَ طليقُ[4]

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٥٣)، وعبارته: «وهذا الكلام لفظه لفظ الاستفهام ومجراه في الكلام مجرى ما يسأل عنه، ويجيب المخاطب بالإقرار به لتثبت عليه الحجة بعدما قد اعترف، مستغنًى بإقراره عن أن يجحد بعد وقوع الحجة، ومثله من الكلام أنْ تُرِيَ المخاطب ماءً فتقول له: ما هذا؟ فيقول: ماء، ثم تحيله بشيء من الصِّبْغ فإن قال: إنه لم يزل هكذا، قلت له: ألست قد اعترفت بأنه ماء؟».

(٢) ذهب إلى هذا الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ١٧٧)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٢).

(٣) ذهب إلى هذا الفراء والزجاج، وهو منسوب للبغداديين والكوفيين، قال: إن أسماء الإشارة تأتي بمعنى أسماء الموصول فتوصل، وردَّ ذلك البصريون. انظر: «شرح الكتاب» للسيرافي (٣/ ١٨٥)، و«الحجة» لأبي علي (٢/ ٣٢٠)، و«الإنصاف» للأنباري (٢/ ٥٨٩).

(٤) البيت ليزيد بن مفرغ الحميري. انظر: «الفرق» للسجستاني (ص: ٢٥٩)، و«البغال» للجاحظ (ص: ٥٩)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٣٥٢). وكان الشاعر هجا عباد بن زياد والي سجستان فسجنه، =

ويحتمِلُ أنَّ قوله: ﴿بِيَمِينِكَ﴾ حالٌ لـ﴿تِلْكَ﴾ لا صلةٌ(١).

***

(١٨) ـ ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾.

﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾: وكانت عصًا طولُها عشرةٌ، ولها شُعْبتانِ، وفي أسفلِها سنانٌ، وكانت من آسِ الجنَّة، واسمها: عُلَيقٌ، وقيل: نَبعةٌ، وقيل: غيرُهما(٢).

﴿أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا﴾ اتّكاءً وأعتمِدُ عليها إذا مشَيْتُ وإذا أَعيَيْتُ، وعند الوثبةِ والطَّفْرة.

﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾: أَخْبِطُ بها الشَّجرَ؛ ليتناثرَ ورقُها فتأكلَه غنمي.

﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾: جمعُ مَأْربةٍ بالحركات الثَّلاث، وهي الحاجةُ.

ووحَّد ﴿أُخْرَىٰ﴾ لتأنيثِ الجماعة، وقيل: لرويِّ الآية.

قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كان موسى يحمِلُ عليها زادَهُ وسِقاءَهُ، وتماشِيْهِ وتُحدِّثُه، وكان يَضرِبُ بها الأرضَ فيَخرُجُ ما يأكلُ يومَه، ويَرْكُزُها فيَخرجُ منها الماء، فإذا رفَعَها ذهب الماءُ، وإذا ظهَر له عدوٌّ حارَبَتْ وناضَلَتْ عنه، وإذا أراد الاستِقاءَ

= فأمر الخليفة معاوية رضي الله عنه فأُطلق، وقدمت إليه بغلةٌ ليركبها. فنفرت، فقال هذا الشعر، و«عدس» اسم صوت لزجر البغل.

(١) هذا ردّ البصريين على احتجاج الكوفيين بالآية كما في «الإنصاف» (٢/ ٥٨٩).

(٢) أي: عوسج أو سمرة، والأول قول وهب بن منبه كما في «الهداية» لمكي (٨/ ٥٥٢٧)، والثاني قول مقاتل كما في «تفسير الثعلبي» (١٧/ ٥١٨)، وفي «تفسير مقاتل» (٣/ ٢٥): «شفعة»، وعلم ذلك مما لا يضرّ الجهل به، والله أعلم.

من البئر أَدْلاها فكانت على طولِ البئر، وصارتْ شُعبتاها كالدَّلو حتَّى يستقيَ، وكان يَظهرُ على شُعبتيها كالشَّمع باللَّيل يضيءُ له ويهتدِي به، وإذا اشتَهَى ثمرةً من الثِّمار ركَزَها فتغصَّنتْ غصنَ تلك الشّجرة، وأَوْرَقتْ وَرَقَها، وأَثْمَرَتْ ثَمرَها[1].

وإنَّما زاد على الجواب تعداداً للنِّعم وشكراً[2]، وقيل: خاف أن يُنْكَرَ عليه استصحابُ العصا كالنَّعلين.

وقيل: هو جوابُ سؤالٍ آخر، كأنَّه لمّا قال: ﴿قَالَ هِىَ عَصَاىَ﴾ قيل له: ما تصنع بها؟ فأخذ يَعُدُّ منافعَها، وعلى هذا القولِ يحتمِلُ أنَّ قوله: ﴿عَصَاىَ﴾ جوابُ سؤالٍ آخَرَ؛ لأنَّ جوابَ قوله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ﴾ أن يقول: عصًا، ثمَّ قيل: لِمَن هي؟ فقال: عصايَ، ثمّ قيل: وما تصنعُ بها؟ فعَدَّ مَنافِعَها[3].

ويحتمِلُ أنَّ ما عدَّ ابنُ عبَّاسٍ من منافعِ عصاهُ حَصَل فيها بعدَ السُّؤال[4]؛ لأنَّ أكثرَها مُعجزٌ، ولم تكن لموسى قبلَ تلك اللَّيلةِ معجزةٌ.

***

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٥٢٠)، وذكر نحوه مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٢٥)، وقال ابن كثير (٥/ ٢٧٩) متعقبًا: «والظاهر أنها لم تكن كذلك، ولو كانت كذلك لما استنكر موسى عليه السلام صيرورتها ثعباناً، فما كان يفر منها هارباً، ولكن كل ذلك من الأخبار الإسرائيلية».

(٢) قال أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٣٢١): «وحكمة زيادة موسى عليه السلام رغبته في مطاولة مناجاته لربه تعالى، وازدياد لذاذته بذلك، كما قال الشاعر:

أطلتُ ذنوبـاً كي يطول عتابُه ... وأمـلى عتابـاً يُسـتطاب فليتنـي».

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٤)، واستغربه.

(٤) في (ق): «بعد ذلك السؤال».

(١٩ ـ ٢٠) ـ ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾.

﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ﴾: اطْرَحْ عصاك ﴿فَأَلْقَىٰهَا﴾: فطَرَحها ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾: تمشي سريعاً.

وجاء في التَّفسير: فمرَّت بشجرةٍ فأكلَتْها، وبصخرةٍ فابتلعَتْها، فهالَ موسى ما رآه وولَّى هارباً خوفاً.

ابن عبَّاسٍ: صارت حيَّةً صغيرةً لها عُرفٌ كعُرْفِ الفَرَس، وجعلَتْ تَزيدُ حتَّى صار[1] ثعباناً. والجانُّ أوَّلُ حالتِها، وهي الصَّغيرة من الحيَّات، والثُّعبان آخِرُ حالها، وهي أكبرُ ما يكونُ، والحيَة للجنس يعمُّ الكلَّ[2].

***

(٢١) ـ ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾.

﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾: سنرُدُّها إلى خِلْقتِها وهيئتِها.

والسِّيرة: مرورُ الشَّيء في جهةٍ، مِن قولهم: سار بهم سيرةً حسنةً أو قبيحةً، والتَّقدير: سنُعيدها إلى سيرتها، فحُذف الجارُّ.

فمدَّ موسى يدَه إلى قرنَيْها فعادتا شُعبتين، وصارت عصاً كما كانت.

***

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٥٢١)، وفيه: «صفراء» بدل «صغيرة». انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٧/ ٣٢٣).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٨/ ٥٦)، و«تفسير السمرقندي» (٢/ ٥٧٤)، و«تفسير الثعلبي» (١٧/ ٥٢١)، و«الهداية» لمكي (٨/ ٥٣٧٣)، و«المخصص» لابن سيده (٢/ ٣١٢).

(٢٢) - ﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ﴾.

﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ يعني: إبطك.

الكلبيُّ: أسفل الإبط(١).

مجاهدٌ: تحت عَضُدِك(٢).

مقاتلٌ: مع جناحِكَ(٣).

وقيل: ﴿إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾: إلى عصاك(٤).

وقيل: جناحا الإنسان: جنباه؛ كجناحَيِ العسكر. وقيل: جَناحاه: يداه، والمرادُ في الآية: الجنبُ، وقيل: العَضُدُ؛ إذ لا معنَى لقوله: واضمُمْ يدَكَ إلى يدِك.

﴿تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ﴾ ذاتَ نورٍ وشعاعٍ، وكانت يدُه كالشَّمس ﴿مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ﴾: علَّةٍ ولا مكروهٍ، وجاء في التَّفسير: من غيرِ بَرَصٍ(٥).

﴿ءَايَةً أُخۡرَىٰ﴾: علامةً أخرى لنبُوَّتِك، وانتصابُها على الحال.

* * *

(٢٣) - ﴿لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى﴾.

﴿لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى﴾ من المعجزاتِ العِظَامِ التي نُعطِيْكَها، و﴿ٱلۡكُبۡرَى﴾ صفةُ الآيات.

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٩٣)، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٥٢٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٢١).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٥٢٣)، ولفظه: «يعني: مع جناحك، وهو عضده»، وفي «تفسير مقاتل» (٣/ ٢٥): «إلى جناحك؛ يعني: عضدك».

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٦)، واستغربه.

(٥) انظر: «التصاريف» ليحيى بن سلام (ص: ١٢٢)، وذكره عن قتادة، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ١٥٦)، ورواه عن ابن عباس.

وقيل: تقديره: لنُريَك الكبرى من آياتِنا(١).

* * *

(٢٤) ـ ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾.

﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾؛ أي: اذهَبْ بهاتين الآيتينِ في الحال إليه وادعُه إلى عبادتنا؛ ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾: عصَى وعلَا وكفَر وتكبَّر.

ابن عبَّاسٍ: لم يرجِعْ موسى إلى أهله إلَّا بعدَ حولٍ(٢).

* * *

(٢٥) ـ ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾.

﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾: وسِّع وليِّن قلبي بالنُّبوَّة.

ابنُ جريرٍ: اشرحْ لي صدري لأَعِيَ عنكَ ما تُوْدِعُه من وحيِك، وأجترئَ على خطاب فرعون(٣).

* * *

(٢٦) ـ ﴿وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى﴾.

﴿وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى﴾: سهِّل عليَّ ما أَمَرْتَني من تبليغِ الرِّسالة إلى فرعون.

* * *

---

(١) هو قول أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ١٨)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٦)، واستغربه.

(٢) لم أجده.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١٦/ ٥٢).

(٢٧ ـ ٢٨) ـ ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾.

﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾: افتحْ وأَزِلْ ما بلساني من الرُّتَّة(١).

ابن عبَّاسٍ: العقدةُ في اللِّسان: كلُّ ما لم يَنطِقْ بحرفٍ مثلَ التَّمتمةِ والفَأْفأة(٢).

قطربٌ: العقدةُ: ما لم ينطِقْ وكانت فيه مُسْكةٌ(٣).

مجاهدٌ: العقدةُ من الجمرةِ التي أَدْخَلَها فاه؛ وذلك أنَّ الله تعالى ألقَى محبَّتَه في قلب آسِيَةَ، وسألتْ فرعون ألَّا يَذبحَه كما يَذبحُ سائرَ أولاد بني إسرائيل، فبينا هي تُرْقِصُه يوماً وتَلعَبُ به أخذه فرعون، فلمَّا تمكَّن في حِجْره أخذَ لحيتَه فنتَفَها، فغضبَ فرعونُ غضباً شديداً، فدعا السَّيَّاف، فقالت: إنَّما هو صبيٌّ لا يفرِّقُ بين الياقوتِ والجَمْر، فأُحضِرا بينَ يديه، فأراد مدَّ اليدِ إلى الياقوت، فحوَّلَ جبريلُ يدَه إلى الجمرة، فأخذَها ووضَعَها في فيه فاحترَق لسانه، فظهر به تَتَعْتُعٌ وتَحبُّسٌ عند بعضِ الحروف، فسأل الله تعالى أن يُزيل ذلك من لسانه(٤).

---

(١) الرتة: عجلة في الكلام، كما في «العين» مادة: (ر ت ت) (٨/ ١٠٦)، و«فقه اللغة» للثعالبي (ص: ٩٠).

(٢) كذا فسَّره أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ١٨)، وذكر نحوه أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٣٢٧) عن ابن عيسى، والتمتمة أنه يتردَّد في التاء، والفأفأة أن يتردَّد في الفاء، كما في «الزاهر» للأزهري (ص: ٧٥).

(٣) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٣٢٧).

(٤) روى نحو هذه القصة الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٣ ـ ٥٤) عن سعيد بن جبير ومجاهد وابن جريج والسدي. وورد معناها فيما رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٢٦٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٦١٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه أنها قالت: «اجعلْ بيني وبينك أمرًا يُعْرَفُ فيه الحقُّ، ائتِ بجمرتين ولؤلؤتين فقرِّبْهنَّ إليه، فإنْ بَطَش باللُّؤلؤ واجْتَنَب الجمرتين عَرَفْتَ أنه يَعْقِلُ، وإنْ تناول الجمرتين ولمْ يُرِدِ اللُّؤلؤتين عَلمتَ أنَّ أحدًا لا يُؤْثِرُ الجمرتين على اللُّؤلؤتين وهو يَعقلُ، فقرَّب =

(٢٩) ـ ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي﴾.

﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي﴾: الوزيرُ من الوِزْر؛ أي: يحمِلُ الثِّقلَ عن أميرِه، وقيل: من الوَزَر، وهو الملجأُ.

***

(٣٠) ـ ﴿هَٰرُونَ أَخِي﴾.

﴿هَٰرُونَ أَخِي﴾؛ أي: ﴿وَٱجۡعَل﴾ أخي هارونَ ﴿وَزِيرٗا﴾ لي ﴿مِّنۡ﴾ بينِ ﴿أَهۡلِي﴾: أهلِ بيتي(١).

***

(٣١) ـ ﴿ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي﴾.

﴿ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي﴾: ظهري، وقيل: قوَّتي، وقيل: ضَعْفي(٢)؛ أي: اجعَلْه لي مُعاوناً أتقوَّى برأيه ومشورته.

***

(٣٢) ـ ﴿وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾.

﴿وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾؛ أي: اجعَلْه شريكي في النُّبوَّة.

وقرئ: ﴿أَشْدُدْ﴾ بالفتح ﴿وأُشْرِكْهُ﴾ بالضَّمِّ(٣) جواباً لقوله: ﴿اجعل﴾.

ابن عيسى: الشَّدُّ: جمعٌ يَستَمْسِكُ به المجموعُ، قال: ومثلُه: الرَّبطُ والعَقْدُ.

= ذلك إليه فأخذ الجمرتين فانتزعوهما منه مخافة أن يحرقا يده». قال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١٠٩): «وهذا يدل على أنه لم يرفعهما إلى فيه. وهو أصح ما ورد في ذلك».

(١) في (ق): «أهل بيتي».

(٢) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» (١٣/ ١٦٩) عن ابن الأعرابي، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٧)، واستغربه.

(٣) هي قراءة ابن عامر الشامي من السبعة. انظر: «السبعة» (ص: ٤١٨)، و«التيسير» (ص: ١٥١).

(٣٣ ـ ٣٥) ـ ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾.

﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾: ننزِّهك عمَّا لا يليقُ بك، ونقول: سبحان الله.

وقيل: نصلِّي لك.

﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ بالدُّعاء والثَّناء على كلِّ حالٍ.

﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾: عالماً بأحوالنا نَفِي بما ضَمِنَّاه أم لم نَفِ.

وقيل: عالماً بما يَصْلُح لنا في أداءِ ما أمَرْتَنا به.

* * *

(٣٦) ـ ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ﴾.

فأجابه الله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ﴾؛ أي: أجبْتُك إلى مُلتمَسِك، وأُعطيتَ سؤلَكَ: من شرحِ الصَّدر، وتيسيرِ الأمر، وإزالةِ العقدةِ عن اللِّسان، وتقويةِ الظَّهرِ بنبوَّة الأخ.

وقيل: ﴿سُؤْلَكَ﴾: أمنِيَتك، فيمَن خصَّه بحذفِ الهمزة[1].

* * *

(٣٧) ـ ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ﴾.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ﴾؛ أي: أنعمْنا عليك في زمانٍ آخَرَ قبل هذه المرَّة.

والمرَّةُ: الواحدةُ من مرَّات الزَّمان أو مرورِه، ويقال: مرًّا أيضًا، قال الشَّاعر:

---

(١) في «تاج العروس» مادة: (س أ ل) (٢٩/ ١٥٨): «والسؤل؛ بالضم مهموزاً، والسؤلة: بالهاء، وهذه عن ابن جني، ويُترك همزهما، وبهما قرئ قوله تعالى: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ﴾؛ أي: ما سألته؛ أي: أعطيت أمنيتك التي سألتها. وقال الزمخشري: السؤل فعل بمعنى مفعول، كعرف ونكر. وقال ابن جني: أصل السول الهمز عند العرب، استثقلوا ضغطة الهمزة فيه، فتكلموا به على تخفيف الهمزة». وانظر: «الكشاف» (٣/ ٦٢).

مـــرًّا ســـحابٌ ومـــرًّا بـــارحٌ تـــرب[١]

وقيل: المرّةُ: الكرّةُ الواحدة.

* * *

(٣٨ ـ ٣٩) ـ ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾.

﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ﴾ حين وُلدت، وكان فرعون يقتل أمثالك فنجّيناك وألهمنا أمّك. وقيل: رأت في المنام. ثم فسَّر ﴿مَا يُوحَىٰٓ﴾ بقوله:

﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾؛ أي: اقذفي التّابوت وهو فيه في البحر.

وقيل: ﴿ٱلْيَمِّ﴾: اسم نيل مصر خاصّةً[٢]، ويَمَّ: غرقَ في البحر[٣].

﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾: أمر البحر بأن يلقي التّابوت إلى شاطئ البحر.

وقيل: هو جوابٌ خرج مخرج الأمر كقوله: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَـٰيَـٰكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢].

﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ يريد: فرعون.

فاتَّخـذَتْ تابوتًـا، وجعلـت فيـه قطنًـا، ووضعـتْ فيـه موسـى، وقيَّرتْ رأسَـه وخَصَاصَـه[٤].

---

(١) عجز بيت لذي الرمة، وصدره:

لا بَـلْ هـو الشَّـوقُ مِـنْ دارٍ تخوَّنهـا

انظر: «ديوان ذي الرمة» (١/ ١٩)، و«جمهرة أشعار العرب» (ص: ٧٤٥).

(٢) والأول هو الصواب، لأن الله تعالى قال: ﴿فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ ولم يُغرقوا في النيل. انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٧/ ٣٣٠).

(٣) انظر: «كتاب الأفعال» لابن القوطية (ص: ٣٠٤)، ولابن القطاع (٣/ ٣٧٧).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٥٢٩). وقيرت: طلت بالقار، وخصاصه: شقوقه، قاله الثعلبي.

قال مقاتل: اسمُ مَن صَنَع التَّابوتَ: خربيل، وهو مؤمنُ آلِ[١] فرعون[٢].

ثم ألقَتْه في اليمِّ، وكان فرعونُ جالسًا في مجلسٍ له على شفيرِ النِّيل جاء التَّابوت يدفعُه الماءُ إلى الشَّطِّ، وامرأتُه آسِيَةُ بنتُ مزاحمٍ جالسةٌ معه، فأُتِيَا بالتَّابوت ففتحاه فرأَيَا غلامًا، ووقعتْ محبَّتُه في قلوبهما، وهو قوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾.

قتادةُ: مَلاحةً كانت في عينيْ موسى مَن رآه أحبَّه لها[٣].

عطيَّة العَوْفيُّ: جعَلَ عليه مَسحةً من جمالٍ لا يكادُ يَصْبِرُ عنه مَن رآه[٤].

وقيل: معنى قوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾: أحببْتُك.

﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾: على علمٍ منِّي. وقيل: على محبَّتي، فيمَن قال: أحببْتُك.

وهو عطفٌ على المعنى؛ أي: ليُحبَّكَ فرعونُ ولا يقتلَكَ، ولتُصْنعَ على عيني.

***

(٤٠) ـ ﴿إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾.

﴿إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾: إذ مشَتْ أختُك وكان اسمُها

---

(١) في (ف): «من آلِ»، والمثبت من (ن)، وهو الذي ذكره كثير من المفسرين. انظر: «تفسير السمرقندي» (٢/ ١٢٧)، و«تفسير الثعلبي» (٢٣/ ١٤٩)، و«النكت والعيون» للماوردي (٤/ ٢٣٦).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٢٧)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٥٢٩)، وفيه: «حزقيل»، ولكنه ذكره بلفظ المصنف في تفسير سورة غافر (٢٣/ ١٤٩).

(٣) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦١/ ٢٣)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٥٣٠).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٥٣٠)، والواحدي في «البسيط» (١٤/ ٣٩٦).

مريمَ ـ حكاه الثَّعلبيُّ[1] ـ فقالت لآسيةَ وكانت تطلبُ حاضنةً وأنتَ تأبى رَضاعَ مَن تَحضُرُ من النِّساء: ألَا أدلُّكِ على مَن يَضمَنُ القيامَ بإرضاعه وتربيته؟

﴿فَرَجَعْنَاكَ﴾: فردَدْناكَ ﴿إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ كما وعَدْناها بقولِنا: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾ [القصص: ٧]، ﴿كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ سروراً بالولد ولقائهِ ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ على فراقِه.

﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾؛ أي: القِبْطيَّ.

ابن عبَّاسٍ: قَتَل قِبْطيًّا كافرًا[2].

كعبٌ: كان إذ ذاك ابنَ اثنتيْ عشرةَ سنةً[3].

﴿فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾: من خوفِ القتلِ، وذهَبْنا بك من مصرَ إلى مدينَ حتى زال.

وقيل: من غمِّ التَّابوت وكَرْبِه.

وقيل: من غمِّ البحر.

المؤرِّج: ﴿ٱلْغَمِّ﴾: القتلُ بلغةِ قريشٍ[4].

قال وهبٌ: أوحى اللهُ إلى موسى لو أنَّ النَّفس التي قَتَلْتَ أَقرَّتْ ساعةً من ليلٍ أو نهارٍ بأنِّي خالقُها ورازقُها لأَذَقْتُكَ طَعْمَ العذابِ، ولكنِّي عفَوْتُ عنك أمرَها أنَّها لم تُقِرَّ لي ساعةً.

﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾: وابتلَيْناكَ ابتلاءً.

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٧/ ٥٣١).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٥٣١).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٥٣٢).

(٤) ذكره دون نسبة النسفي في «مدارك التنزيل» (٤/ ٥٤٥)، والنيسابوري في «تفسيره» (٤/ ٥٤٥)، والشوكاني في «فتح القدير» (٣/ ٤٣٢)، واستبعده.

ابن عبَّاسٍ: بلاءً على بلاءٍ(١).

وقيل: أخلَصْناك إخلاصاً.

ابنُ عيسى: عامَلْناك مُعاملةَ المختبِرِ حتَّى صلَحْتَ للاصطفاء بالرِّسالة، وكان هذا أكبرَ نعمةٍ(٢).

﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾: مكَثْتَ عشرَ سِنينَ في مَدْينَ، وهي بلدةُ شُعيبٍ على ثمانِ مراحِلَ مِن مِصرَ(٣).

وهبٌ: لبثَ عشرَ سنينَ عند أَخْتانِه حين أَجَّر نفسَه من أبِ امرأتِه لمهرِ امرأته، وثمانِ عشرةَ سنةً قام بها حتَّى وُلد له(٤).

﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾ القَدَرُ: المقدورُ، والمجيءُ على الشَّيء: بلوغُه والوصولُ إليه؛ أي: بلَغْتَ ما كان اللهُ قضاه وقدَّره مِن قدومِكَ في هذا المكان وإرسالِكَ إلى فرعون.

الزَّجَّاج: على موعدٍ(٥).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٦٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٢٣) بلفظ: «ابتليناك ابتلاء».

(٢) سيأتي نقل المصنف تفسير الفتنة بالاختبار عن ابن عيسى في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ﴾ [طه: ٨٥].

(٣) قيل بأنها سميت باسم مدين بن إبراهيم عليه السلام. انظر: «البلدان» لابن الفقيه (ص: ١٠١) و«معجم البلدان» الياقوت (٥/ ٧٧).

(٤) ذكر نحوه الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٥٣٣)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ١٥٩).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٥٧).

ابن عبَّاسٍ: جئتَ لميقاتٍ[1].

وقيل: للوقتِ الذي أجَّلْناه للوحي إليكَ وانبعاثِكَ للرِّسالة، وكلُّ شيءٍ لا يتجاوزُ وقتَه ولا يَزيدُ ولا يَنقصُ عن مقدارِ مُريدِه وفاعلِه فهو على قَدَرٍ.

وقيل: على رأسِ أربعين سنةً، وهو القَدرُ الذي يُوْحَى فيه إلى الأنبياء.

***

(٤١) ـ ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾.

﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ﴾: اخترْتُكَ واصطفيتُكَ واجتبَيْتُكَ.

ابن عيسى: الاصطناعُ: الإخلاصُ بالألطاف.

﴿لِنَفۡسِي﴾: لمحبَّتي. وقيل: معناه: اتَّخذتُك وليًّا. ويحتمِلُ أنَّ النَّفس تأكيدٌ؛ أي: اصطنعتُكَ[2] لي نَفْسي.

***

(٤٢) ـ ﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي﴾.

﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي﴾؛ أي: اذهبا إلى فرعون رسولَينِ لي بما معكما من المعجزات ﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي﴾: لا تَضْعُفَا ولا تَهِنَا. وقيل: لا تَفْتُرَا، من الوَنْيِ، والوَنْيُ هو الفتور؛ أي: لا تقصِّرا في تبليغِ ذِكْري إلى النَّاس.

***

(٤٣) ـ ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾.

﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ﴾ أعاد لأنَّ الأوَّلَ مطلَقٌ والثَّاني مقيَّدٌ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٧١).

(٢) في (ف): «اصطفيتك».

﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾: كفَر وجاوَز الحدَّ في الكفر.

***

(٤٤) ـ ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾.

﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا﴾: يحلُو في السَّمع ويأخُذُ بمجامِعِ المستمِع، ولا تُخْشِنا له في القول.

وجاء في التَّفسير: أنَّ معناه: كنِّياه في المخاطَبة، وقيل: كنيتُه أبو العبَّاس، وقيل: أبو الوليد، وقيل: أبو مُرَّةَ[(١)].

وقيل: كلِّماه على رِفقٍ كَيْ لَا يغضبَ ويزدادَ كفرًا.

وقيل: قولُهما: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ [طه: ٤٧] هو القولُ اللَّيِّن[(٢)].

وقوله: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾؛ أي: اذهَبا على رجائِكما وطمَعِكما.

ابن عبَّاسٍ: (لعلّ) هاهنا استفهامٌ؛ أي: أيتذكَّرُ فيرْتَدِعَ، أو يَخْشَى فينْزَجِرَ[(٣)]؟

وقيل: هي بمعنى: (كي)؛ أي: كي يتذكَّرَ[(٤)].

---

(١) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ١٨٠) عن محمد بن أبان القرشي، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٧٤) عن السدي، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٢٣) عن علي وسفيان، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٥٣٥) عن عكرمة. وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٧)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٧)، وعدَّه من العجائب.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٧٥) بلفظ: «هل يتذكر أو يخشى». وقد قال الكوفيون بأن لعلَّ تدل على الاستفهام وتبعهم ابن مالك. انظر: «بمعنى الذي» للمرادي (ص: ٥٨٠).

(٤) أثبت الكسائي والأخفش هذا المعنى لـ(لعل)، قال الأخفش: «نحو قول الرجل لصاحبه: افرغ لعلنا نتغدى، والمعنى: لنتغدى، وحتى نتغدى». انظر: «معاني القرآن» لأخفش (٢/ ٤٤٣)، و«مغني اللبيب» لابن هشام (ص: ٣٧٩).

(٤٥) - ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾.

﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾: يُعجِّل بعقوبتِنا، وقيل: يبادِر بعقوبتنا، وقيل: يَشْتِمَنا ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾: يتجاوزَ حدَّه.

ويحتمِلُ أنَّ معنى قولِهما: ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ وقد أخبرهما اللهُ مرَّتين فقال: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [النازعات: ١٧]، ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾؛ أي: يدومَ على طغيانه، والله أعلم.

***

(٤٦) - ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾.

﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ﴾ ما تقولون ﴿وَأَرَىٰ﴾ ما تفعلون.

وقيل: معناه: حافِظُكما، كما تقولُ: اللهُ معك.

***

(٤٧) - ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾.

﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾؛ أي: أطلِقْهم ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾؛ أي: لا تُتْعِبْهم في العمل، وكان بنو إسرائيلَ عند آلِ فرعون في تعبٍ ونَصَبٍ وعذابٍ شديدٍ: مِن قتل الأبناء، واستخدامِ النِّساء، وكان يكلِّفُهم الأعمالَ الشَّاقَّة: مِن ضَرْبِ اللَّبِن، وبناءِ المدائن، وعَمَلِ الطِّين، ونَقْلِ الحجر.

﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ يريد: اليدَ، فأراها إيَّاه فإذا لها شعاعٌ يَغْلِبُ نورَ الشَّمس، فعَجِبَ من ذلك.

والجمهورُ على أنَّها اليدُ كما ذكرتُ، ويحتمِلُ أنَّها العصا؛ لقوله في الآية

الأخرى: ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ۝٣٠ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٣١ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الشعراء: ٣٠ـ ٣٢].

ويحتمِل أنَّها العصا واليدُ معًا؛ لقوله عقِيبَه: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾ [الشعراء: ٣٣].

﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ قيل: السَّلامةُ؛ أي: نال السَّلامةَ مَن اتَّبعَ الهدى، وقيل: مَن اتَّبَع الهدى فله التَّحيَّةُ والسَّلامة، وقيل: السَّلامةُ والنَّجاةُ لمن اتَّبع الهدى، وقيل: دعاءٌ منهما.

* * *

(٤٨) ـ ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾.

﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ﴾ يعني: في الدُّنيا والآخرة ﴿عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾؛ أي: كذَّب الأنبياءَ وتولَّى عن الإيمان.

قيل: هذه أَرْجى آيةٍ في القرآن، حكاه الثَّعلبيُّ(١).

* * *

(٤٩) ـ ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾.

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾؛ أي: فأَتَياه وأَدَّيا الرِّسالةَ وقالا له كلَّ ما أُمِرا به، فقال: فمَن ربُّكما الذي تَدْعُوانِني إليه يا موسى؟ فوحَّد(٢) لأنَّ المتكلِّم كان هو وحدَه، وقيل: لتغليبِ الخطاب(٣)، وقيل: لرَوِيِّ الآية.

* * *

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٧/ ٥٤١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٨) واستغربه.

(٢) فقال: يا موسى، ولم يقل: يا موسى وهارون.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٨)، واستغربه.

(٥٠) ـ ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾.

﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾؛ أي: أعطَى كلَّ واحدٍ من المخلوقات ما به قِوَامُه واستقلالُه في كونِه ومَعاشه.

﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾؛ أي: هداه إلى ما يَتِمُّ به وله أمرُ مَعاشه.

ابن عبَّاسٍ: أعطَى كلَّ شيءٍ زوجَه ثم هَدَاه لمَنْكَحِه ومَطْعَمه ومَشْرَبه(١).

وقيل: أعطاه نظيرَه في الصُّورة من الذُّكورة والأُنوثة ثمَّ هداه لمأتَى النَّسْلِ.

وقيل: معناه: ملَّكَ عباده جميعَ الدُّنيا، ثم هداه(٢) إلى معرفة توحيدِه؛ أي: دَلَّه.

ويحتمِل أنَّ الهاء في ﴿خَلْقَهُ﴾ تعودُ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ على هذا القول(٣)، وعلى غيره من الأقوال تعودُ إلى ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾.

وقيل: أعطَى كلَّ شيءٍ صورتَه ثمَّ هداه لمعيشتِه.

وقيل: أعطَى كلَّ شيءٍ قوَّته.

* * *

(٥١) ـ ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾.

﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾؛ أي: لم يكونوا على ما تَدْعوني إليه ثم لم يَنَلْهم ما تُوْعِدُني به من العذاب.

وقيل: إنَّما قال ذلك حين ذكَر البعثَ، فقال: ما بالُ القرونِ الأولى لم يُبعَثوا؟

وقيل: معناه: إنْ كُنتُما نبيَّينِ فأَخبِراني حالَ القرونِ الماضية.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٧٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٢٤).

(٢) أي: هدى الخلق.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٨)، واستغربه.

(٥٢) ـ ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾.

﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖ﴾؛ أي: أسماؤُهم وأفعالُهم مُثْبتةٌ في اللَّوح المحفوظ، وقد أحاطَ علمُه سبحانه بهم وهو يُجازيْهم في دارِ الجزاءِ ووقْتِه.

﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾؛ أي: لا يُخطِئُ، ولا يَنْسَى ما عَلِمَ.

وقيل: عَدَلَ فرعونُ عن المُحاجَّة في الله إلى ذِكر القرون.

ابن عيسى: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي﴾: لا يذهب عليه، تقول العرب: «ضَلَّ منزلَه» بغير ألفٍ، وفي الحيوان: «أضلّ بعيرَه» بالألف(١).

وقيل: ﴿لَّا يَضِلُّ﴾(٢) الكتابُ.

﴿وَلَا يَنسَى﴾ ما في الكتاب.

ويقال: ﴿وَلَا يَنسَى﴾: لا يترُك مؤمناً إلَّا جازاه على خيرِه، ولا كافراً إلَّا جازاه على شرِّه.

وقيل: ذكَر ذلك لأنَّه لم يكن نَزَل عليه التَّوراةُ بعدُ.

* * *

(٥٣) ـ ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ﴾.

﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا﴾: مسكَناً يُمْكِنُكم الاستقرارُ فيها، ولم يَجعلْها حَزْنةً غليظةً لا يمكنُ الاستقرارُ عليها ولا حَرْثُها ولا حَفْرُها.

---

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٣٤١).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٩)، واستغربه.

والمهدُ: يَصْلُحُ للاسم والمصدر، والمهادُ يَصْلُحُ للواحد كالفراش والجمع، والمهدُ: ما يُهيَّأ للصَّبيِّ لينامَ فيه[١].

﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾: نَهَجَ وأَوْضَحَ لكم طرقاً تسلُكونها.

وقيل: إنَّ المعنى: أَدْخَلَ لأَجْلِكم فيها طرقاً تبلُغون إلى مَنافِعها، فإنَّها متفرِّقةٌ فيها، فما فُقِدَ في مكانٍ جُلب إليه من مكانٍ، من قوله: ﴿مَاسَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ﴾ [المدثر: ٤٢].

﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: مطراً ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ ذُكر بلفظ التَّعظيم، وقيل: يجوز أن يكون تقديره: فأخرَجْنا نحن[٢] معاشَ عبادِه بالحَرْث والزَّرْع، وقد سبق.

﴿أَزْوَٰجًا﴾: أصنافاً وألواناً ﴿مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾: متفرِّقٍ كثيرٍ، يجوزُ أن يكونَ من وصفِ الأزواج؛ أي: أزواجاً شتَّى من النَّبات، ويجوزُ أن يكونَ مِن وصفِ النَّبات.

* * *

(٥٤) ـ ﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾.

﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ﴾؛ أي: كُلوا منها ما يَصْلُحُ لقُوتِكُم وغِذائكُم وتفكُّهِكم، ﴿وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ﴾: الكلأَ والحشيشَ والخُضَر.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾؛ أي: في إنباتِ الألوانِ المختلِفة من ماءٍ واحدٍ ﴿لَءَايَٰتٍ﴾: لبصائرَ ودلالاتٍ ﴿لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾: لذَوِي العقول، واحدُها: نُهْيَةٌ[٣]، وسمِّي نُهْيَةً؛ لأنَّها تَنْهَى

---

(١) قرأ ابن عامر ونافع بالرفع وابن كثير وأبو عمرو (مهاداً) بالألف وكسر الميم وفتح الهاء، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي ﴿مَهْداً﴾ بفتح الميم من غير ألف. انظر: «السبعة» (ص: ٤١٨)، و«التيسير» (ص: ١٥١).

(٢) أي: بني آدم، وقد تقدم ذكر هذا في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٩٩].

(٣) انظر: «التقفية في اللغة» للبندنيجي (ص: ١٢٥).

صاحبَها عمَّا لا يُحبُّ ولا يَحْسُنُ، وقيل: لأنَّ صاحبها يُنتَهَى إلى رأيه ومعرفته، وقيل: يُنْتَهَى إلى رأيه فيُعْمَلُ به.

* * *

(٥٥) ـ ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾.

﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ﴾؛ أي: من الأرض.

وأراد به آدمَ عليه السَّلامُ؛ لأنَّه خُلِقَ من طينٍ، وهو الأصلُ.

وقيل: لأنَّ النُّطفة يكوِّنُها الله من أنواعِ الأغذية وهي من الأرض(١)، والأوّل هو الوجه.

﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ بعد الموت.

وقيل: حقيقةُ الإعادة: انحلالُ تركيبه وعَوْدُ كلِّ جزءٍ إلى أصله، والأوَّلُ أظهر.

﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾؛ أي: نخلُقكم؛ كقوله: ﴿ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ٤٧].

* * *

(٥٦) ـ ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا﴾ يريد: آياتِنا التي أَصْحَبْنا موسى ﴿فَكَذَّبَ﴾؛ أي: فرعونُ موسى ﴿وَأَبَىٰ﴾: امْتَنَعَ من طاعةِ الله والإيمانِ به.

* * *

(٥٧ ـ ٥٨) ـ ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى﴾.

﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾ يعني: مصرَ ﴿بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾؛ أي: قد عرفْنا

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٩)، واستغربه.

خداعَكَ ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ﴾: نُقابلنَّك[1] بمثْلِ فعلِكَ ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا﴾؛ أي: واعِدْنا مكاناً نجتمِعُ للمغالَبة فيه؛ فيَتبيَّنُ صدقُكَ في دعوَى النُّبوَّة، ثم لا نُخْلِفُ ذلك الموعِدَ لا نحنُ ولا أنت.

﴿سُوًى﴾: سَوِيًّا لا ساترَ فيه، وقيل: عدلاً، وقيل: نَصَفاً بين الفرقين، وقيل: مكاناً يستوِي مسافتُه على الفريقين.

قرئ بالضَّمِّ والكسر[2]، وهما صفتان كلُبَدٍ وحُطَمٍ[3]، ولحمٍ زِيَمٍ[4]، وقومٍ عِدًى.

ونُصبَ ﴿مَكَانًا﴾ على البدلِ من موعد.

الكلبيُّ: مكاناً سِوَى هذا المكان[5]. وفيه بعدٌ عند المحقِّقين.

---

(١) في (ف): «نقابلك».

(٢) قرأ عاصم وابن عامر وحمزة: ﴿سُوًى﴾ بضم السين منوناً، وباقي السبعة بكسرها منوناً. انظر: «السبعة» (ص: ٤١٨)، و«التيسير» (ص: ١٥١).

وقرئ في الشاذ بالضم وبالكسر بلا تنوين فيهما. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٠)، و«المحتسب» (٢/ ٥٣).

(٣) اللُّبد: من لا يبرح منزله، ولا يطلب معاشاً، كما في «القاموس المحيط»، مادة (ل ب د) (ص: ٣١٦)، والحُطم: الشديد الحَطْم، كما في «تصحيح الفصيح» لابن درستويه (ص: ٤٣٠).

(٤) لحم زيم؛ أي: مكتنز، أو متفرق، كأنه ضدٌّ. انظر: «مقاييس اللغة» مادة (ز ي م) (٣/ ٤١)، و«معجم ديوان الأدب» (٣/ ٣٤٦)، و«تاج العروس» (٣٢/ ٣٤٥).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٥٥١)، والواحدي في «البسيط» (١٤/ ٤٣٠)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧١٩)، وعدَّه من العجائب. ثم قال: «وفيه بعد؛ لأنه لا يستعمل غير مضاف».

(٥٩) ـ ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾.

﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ ابن عبَّاسٍ: يومُ عاشوراءَ[١].

سعيدٌ: يومُ سُوقٍ لهم[٢].

وقيل: يومُ النَّيْروز.

الكلبيُّ: يومُ عيدٍ لهم من كلِّ سنةٍ يتزيَّنون ويجتمِعون فيه[٣].

وقيل: السَّبت.

﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾: وأنْ يُساقَ النَّاس للاجتماع ضُحًى.

وقيل: ما كان لهم اجتماعٌ، وإنَّما قال موسى: يجب أن يُحشروا لأمرنا.

***

(٦٠) ـ ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ﴾.

﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ﴾: أَدْبَرَ عن موسى مُعْرِضاً، وجمَع مَكْرَهُ ثم جاء الموعدَ[٤].

وقيل: تَرَكَ ما كان فيه وقَصَد لجمعِ سَحَرته ﴿ثُمَّ أَتَىٰ﴾: تَهيَّأ لمغالبةِ موسى.

وقيل: مضَى ليَفعلَ ما قال وتهيَّأ لمقاومةِ موسى.

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٤٠٣)، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٥٥٢)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤٠٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٩١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٢٦).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٤٩)، والواحدي في «تفسيره» (١٤/ ٤٣٢).

(٤) في (ف): «للموعد».

وقولـه: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ والقيـاسُ: أَجْمَـعَ[١]؛ لأنَّ المـرادَ بالكيد السَّـحرةُ، فحُمـل علـى المعنى.

ابن عبَّاسٍ: كانوا اثنين وسبعين ساحرًا، مع كلِّ واحدٍ حبلٌ وعصًا[٢].

وقيل: كانوا أربعَ مئةٍ، حكاه الثَّعلبيُّ[٣].

***

(٦١) ـ ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾.

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: لا تقولوا لِمَا جئتُ به: سحرٌ ﴿فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ﴾: فيُهْلِككم، قتادةُ: يستأصلكم[٤]. وقيل: فيذبَحكم.

ابن عيسى: أصل السَّحْتِ: استقصاءُ الحَلْق، سَحَتَ وأَسْحَتَ لغتان[٥].

﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾: من كذَب لينال رغيبةً خاب آخرًا.

***

(٦٢) ـ ﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ﴾.

﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: تنـازَعَ السَّـحَرة فقـال بعضُهـم: هـذا سـاحرٌ

---

(١) لأن (أجمع) أكثر ما يقال في المعاني، و(جمع) أكثر ما يقال في الذوات، والكيد معنى، فكان القياس أن يقال: فأجمع كيده. انظر: «شروح درة الغواص» للشهاب الخفاجي (ص: ٢٨١).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤١٣).

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٨/ ٧).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٨٢٠)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٩٤).

(٥) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٣٣٥) بلا نسبة، وزاد أن (سحت) لغة الحجاز، و(أسحت) لغة نجد وتميم.

مثلُنا، وقال بعضُهم: ليس هذا من كلامِ السَّحرة، يعني: قولَه: ﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ الآية.

﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ﴾؛ أي: أسرُّوا كلامهم هذا فيما بينهم.

وقيل: تناجَوا فيما بينهم: إنْ غلبَهم موسى آمنوا.

والتَّنازُعُ: الاختلافُ؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ[1] يَنزِعُ المعنى عن صاحبه.

وقيل: الضَّمير في ﴿تَنَازَعُوا﴾ لفرعونَ وقومِه والسَّحرة جميعاً؛ أي: تشاوَروا في أمر موسى وفيما يَخافون مِن قِبَله.

* * *

(٦٣) ـ ﴿قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ﴾.

﴿قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾؛ أي: قال فرعون وأصحابُه للسَّحرة وغيرِهم: ﴿إِنْ هَٰذَانِ﴾ يعني: موسى وهارون ﴿لَسَاحِرَانِ﴾.

ويَحتمِل أنّه تفسيرٌ لـ﴿النَّجْوَىٰ﴾.

﴿يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم﴾ مصرَ ﴿بِسِحْرِهِمَا﴾؛ أي: هما يجتهِدان في إبطالِ دينِكم والاستيلاءِ على دياركم ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ﴾؛ أي: والذَّهابَ بطريقتِكم المُثْلى، وهي: أحسنُ العاداتِ والسِّيَرِ والهيئات، فاجتهِدوا في إبطالِ ما أَتيَا به وابذُلوا وسعَكم فيه.

ومعنى (طريقتِكم): أهلِ طريقتِكم، و﴿الْمُثْلَىٰ﴾: تأنيثُ الأَمثل، وهو الأحسنُ الأفضل.

---

(١) في (ف): «واحد منهم».

الزَّجَّاج في جماعةٍ: الطَّريقةُ: الأشرافُ والأفاضل، يُقال للرَّجل الفاضل: هذا طريقةُ قومه ونظيرةُ قومه، قال: وحقيقتُه: أن يُجعلَ قدوةً فتُتَّبعَ طريقتُه، وأن يُنْظَرَ إليه فيُتَّبعَ[1]. وعلى هذا لا يحتاجُ إلى إضمارِ الأهل.

ابن عبَّاسٍ: أي: أمثَلِكم، وهم بنو إسرائيل[2].

مجاهدٌ: أولو الفضلِ والشَّرف[3].

وقيل: الذي أنتم عليه، مِن قولِه: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ﴾ [غافر: ٢٦].

وقولُه: ﴿إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ اختلَف النُّحاةُ فيه:

فذهب بعضُهم إلى أنَّ هاهنا إضمارَ الأمر والشَّأن؛ أي: إنَّه هذان، قال الشَّاعر:

إنَّ مَـن لامَ فـي بنـي بنـت حسَّـا ... ن أَلُمْـهُ وأَعْصِـه فـي الخُطـوبِ[4]

يريد: إنَّه مَن لامَ.

وقال بعضهم: ﴿إِنَّ﴾ بمعنى: نعم، قال الشَّاعر:

ويَقُلْـنَ: شيـبٌ قـد عـلا ... كَ وقـد كبـرتَ، فقلـتُ: إنَّـهْ

لا بـدَّ مـن شيـبٍ ومِـن ... كبـرٍ، فدَعْـنَ مَلَامَكُنَّـه[5]

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٦٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٠٢).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٠٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٢٧).

(٤) البيت للأعشى. يمدح قيس بن معدي كرب الكندي والد الأشعث بن قيس الصحابي، يريد أنه يحبهم، وأنَّ مَن لامه في محبته إياهم كافأه على لومٍ بلومٍ مثله، ولم يطعه في أمره، وقوله: «بني بنت حسان» حسان أحد تبابعة اليمن. انظر: «ديوان الأعشى» (ص: ٣٣٥)، و«الكتاب» (٣/ ٧٢)، و«المسائل الحلبيات» (ص: ٢٦١)، و«شرح أبيات سيبويه» لأبي محمد السيرافي (٢/ ٩٥)، و«خزانة الأدب» (٥/ ٤٢٣).

(٥) البيتان لعبيد الله بـن قيـس الرقيات كما في «ديوانه» (ص: ٢١٢)، و«غريب الحديث» لأبي عبيد =

واعتذروا عن اللامِ بأنَّ اللام قد يَدخلُ الخبرَ كما يَدخلُ المبتدأ، قال:

خالـي لأنـتَ ومَـن جَريـرٌ خـالُـه ... يَـنَلِ العَـلاءَ ويُكْـرِمِ الأخْـوالا[١]

الزَّجَّاج: لهما ساحران[٢]. وزيَّفه أبو عليٍّ.

وقال بعضُهم هذا بلغةِ بَلْحارثِ بن كعبٍ وخَثعمٍ[٣]، وأنشد:

فأَطْـرَقَ إطـراقَ الشـجاعِ ولـو يَرَى ... مسـاغاً لناباه الشـجاعُ لصمَّمـا[٤]

أي: لنابَيْه[٥].

= (٢/ ١٢٥)، و«البيان والتبيين» (٢/ ١٩١)، و«المنتخب من كلام العرب» لكراع النمل (ص: ٦٢٢)، و«الأغاني» (٤/ ٧١). والبيت الثاني لم يُذكر إلا في «الأغاني» برواية:

لا بـدّ مـن شـيب فدعـ ... ـن ولا تطلـن ملامكنَّـه

(١) البيت بلا نسبة في «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٦٣)، و«سر صناعة الإعراب» لابن جني (٢/ ٥٦)، و«المحكم» لابن سيده (٤/ ٤٧٣)، و«البسيط» للواحدي (١٤/ ٤٤٢)، و«شرح التسهيل» لابن مالك (١/ ٢٩٩).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٦٣).

(٣) واختار هذا أبو حيان فقال في «البحر» (٧/ ٣٥٠): والذي نختاره في تخريج هذه القراءة أنها جاءت على لغة بعض العرب من إجراء المثنى بالألف دائماً، وهي لغة لكنانة؛ حكى ذلك أبو الخطاب، ولبني الحارث بن كعب وخثعم وزبيد وأهل تلك الناحية؛ حُكِي ذلك عن الكسائي، ولبني العنبر وبني الهجيم ومراد وعذرة. وقال أبو زيد: سمعت من العرب من يقلب كل ياء ينفتح ما قبلها ألفاً.

(٤) البيت للمتلمس بن عبد المسيح الضبعي، كما في «العين» (٧/ ٩٢)، و«الأصمعيات» (ص: ٢٤٦)، و«الشعر والشعراء» لابن قتيبة (١/ ١٧٨)، و«تهذيب اللغة» (١٢/ ٩٠)، ونسبه ابن السيد في «الحلل» (ص: ٢٨٥) لعمرو بن شأس الأسدي، وهو دون نسبة في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٨٤). ورواية الخليل والأصمعي: «لنابيه» فلا شاهد فيه.

(٥) في هامش (ن): «تثنية الناب، وهو الضرس».

وقال بعضهم: ألف ﴿هَٰذَٰنِ﴾ ألف الأصل، وألف التَّثنية حُذفت لالتقاء السَّاكنَين بخلافِ سائرِ ما في آخرِه ألفٌ؛ لأنَّ النُّون هاهنا لازمٌ فصار دليلَ التَّثنية[1]، ولهذا شدَّد مَن شدَّد النُّون[2].

وقراءة أبي عمرٍو صحيحٌ في الإعراب مخالفٌ للإمام، وقراءةُ مَن خفَّف النُّون أحسنُ الثَّلاثة[3].

***

(٦٤) ـ ﴿فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾.

﴿فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ﴾ هذا مِن قول السَّحرة بعضِهم لبعضٍ، وقيل: من قول فرعون لهم، والمعنى: ليكن عزمُكم كلُّكم على الكيدِ مجتمِعين عليه غيرَ مختلِفين فيه؛ فمَن وصل احتجَّ بقوله ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ [طه: ٦٠] وقد سبق، ومَن قطع[4] فلأنَّك تقول: أجمعتُ الأمرَ وجمعتُ القومَ، والكيدُ أمرٌ.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢١)، واستغربه. وفيه: «ومن الغريب: أنه لما ثنى «هذا» اجتمع في التثنية ألف «هذا» وألف التثنية، فحذف ألف التثنية لالتقاء الساكنين، وناب عن ألف التثنية النون، فإنه لازم له لا تحذفه الإضافة؛ لأنه لا يضاف، ومَن قرأه (هذين) قال: حذف ألف «هذا» وبقي ألف التثنية، ثم انقلبت في حال النصب والجر ياء، وهذا كما في واوَيْ: مقْوُول، وألفي: رأيت عصا، في الوقف، فتأمل فإنه أحسن ما قيل فيه.

(٢) وهو ابن كثير كما سيأتي.

(٣) قرأ أبو عمرٍو: ﴿إنَّ هذَيْنِ لساحِرانِ﴾، وابنُ كثير وحفصٌ: ﴿إنْ هذان لساحران﴾، والباقون: ﴿إنَّ هذان لساحران﴾، وشدد ابن كثير النُّون من ﴿هذانِّ﴾ والباقون يخففونها. انظر: «السبعة» (ص: ٤١٩)، و«التيسير» (ص: ١٥١).

(٤) قرأ أبو عمرو بوصل الألف وفتح الميم، والباقون بقطع الألف وكسر الميم. انظر: «السبعة» (ص: ٤١٩)، و«التيسير» (ص: ١٥٢).

﴿ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ﴾؛ أي: مصطفِّين، وقيل: صفوفاً، وقيل: هو موضعٌ يجتمِعون فيه في الأعياد كالمصلَّى وما أَشبهه[1].

﴿وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ﴾؛ أي: نال البُغْيَة والظَّفَر مَن غلَب.

* * *

(٦٥) ـ ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ﴾.

﴿قَالُواْ﴾؛ أي: السَّحرةُ ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ﴾: إمَّا أنْ تبدأ فتطرحَ ما معك من العصا، وإمَّا أنْ نبدأ فنطرحَ ما معنا، وهو قوله: ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ﴾.

وموضعُ ﴿أَن﴾ فيهما نصبٌ؛ أي: اخترْ أحدَ هذين، ويجوز أن يكونَ رفعاً بالابتداء والخبرُ مضمرٌ.

* * *

(٦٦) ـ ﴿قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ﴾.

﴿قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ﴾؛ أي: اطرحوا حبالَكم وعصيَّكم.

ذكر بعض المفسِّرين أنَّهم كانوا سبعين ألفَ ساحرٍ، معهم سبعون ألفَ حبلٍ وسبعون ألف عصًا[2].

وهبٌ: خمسةَ عشرَ ألفاً[3].

السُّدِّيُّ: ثلاثاً وثلاثين ألفاً[4].

---

(١) ذكره أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٣) بعد سابقه، وذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ٣٦٥)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٢)، واستغربه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٥٨)، والثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٣٠)، عن القاسم بن أبي بزة.

(٣) ذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٧/ ٤٦٦٧).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٣٥).

ابن جُريجٍ: تسعَ مئةٍ؛ ثلاثَ مئةٍ من الفرس، وثلاثَ مئةٍ من الرّومِ، وثلاثَ مئةٍ من إسكندريَّة، ومعهم حملُ ثلاثِ مئة بعيرٍ[١].

﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ﴾؛ أي: فألْقَوا فإذا حبالُهم وعصيُّهم ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾: تمشي سريعاً؛ لأنَّهم جعلوا فيها الزئبقَ، والزِّئبقُ يتحرَّك عند اشتدادِ حرِّ الشَّمس عليه، فتخيَّلت له أنَّها تتحرَّك، وكذلك تراءَى للنَّاس أنَّ الواديَ امتلأ حيَّاتٍ عظاماً يركبُ بعضُها بعضًا.

وقيل: ﴿إِلَيْهِ﴾ يعودُ إلى فرعون[٢].

وخيالُ الشَّيء: ما يُتصوَّر في النَّفس على مثالِ الشَّيء وليس به في الحقيقة.

وقوله: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ﴾ يُخيَّل إليه[٣] سعيُها، ومَن قرأ بالتَّاء[٤] فالفعلُ مسندٌ إلى ضمير الحبال والعصيِّ، و﴿أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ بدلٌ منها.

* * *

(٦٧) ـ ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾.

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾؛ أي: تَدَاخَلَ موسى من ذلك رعبُ البشريَّة عند معايَنةِ الأهوال التي لا عَهْدَ له بها.

وقيل: خاف موسى أن يَفْتَتِنَ النَّاسُ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٠٨) بلفظ: «كان السحرة ثلاث مئة من العريش، وثلاث مئة من فيوم، ويشكُّون في ثلاث مئة من الإسكندرية».

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٢)، واستغربه.

(٣) «أنها تسعى يخيل إليه» ليس في (ن).

(٤) وهي قراءة ابن ذكوان. انظر: «التيسير» (ص: ١٥٢).

وقيل: لمّا أَبطأ عليه الوحيُ بإلقاء عصاه خاف.

وقيل: الإيجاسُ: الإحساسُ والإضمار.

وقيل: [أوجس]: أَحسَّ [و]وَجَد(١).

وتقدير الآية: فأَوْجَس موسى خِيفةً في نفسه، فأُخِّر لرويِّ الآية.

* * *

(٦٨) - ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾.

﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾؛ أي: لا تخف ما توهَّمتَ فالنُّصرةُ والظَّفَرُ(٢) لك.

* * *

(٦٩) - ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾.

﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ﴾(٣): واطْرَحْ عصاكَ تبتلِعْ عصيَّهم وحبالهم. والتَّلَقُّفُ: أخذُ الشَّيء بسرعةٍ، تقول: لَقِفْتُه وتَلقَّفْتُه.

والتَّاء في ﴿تَلْقَفْ﴾ للتَّأنيث. ويجوزُ أن تكونَ للخطاب على طريق السَّبب(٤).

فألقاها ففتَحَتْ فاها ووضعتْ إحدى مِشْفَرَيها على الأرض ورفعتِ الأخرى

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٨٦)، و«تفسير السمرقندي» (٢/ ٤٠٥)، و«تفسير الثعلبي» (١٨/ ٣٦)، وما بين معكوفتين من هذه المصادر.

(٢) في (ف): «والغلبة».

(٣) في (ن): «تَلْقَفْ ما صنعوا»، وهي قراءة حفص بإسكان اللام مع تخفيف القاف والجزم، وقرأ الباقون بفتح التاء واللام وتشديد القاف، مع الرفع لابن ذكوان والجزم للباقين. انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٠)، و«التيسير» (ص: ١١٢ و١٥٢).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٢)، واستغربه.

فابتلعَتْ كلَّها ولم يَظهَرْ أثرُ ذلك عليها، ثمَّ جاءت إليه فقبَض عليها فإذا هي عصًا كما كانت.

﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾: حيلةُ ساحرٍ، و﴿كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾ إضافةُ تبعيضٍ؛ أي: الذي صنعوه وعَمِلوه.

وقيل: معنى ﴿صَنَعُواْ﴾: احتالوا وكذَبوا.

﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾: حيث كان وأين كان؛ أي: يُقتَلُ حيث وُجد، قال عليه السلام: «إذا رأيتم السَّاحرَ فاقتُلوه»، ثمَّ قرأ: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾[1].

وقيل: معناه: لا ينال الظَّفَر؛ لأنّه باطلٌ.

* * *

(٧٠) ـ ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾.

﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾؛ أي: لمّا رأى السَّحرةُ ذلك تحقَّقوا أنَّه ليس بسحرٍ وأنَّه من الله، فآمَنوا كلُّهم وخرُّوا ساجِدين لله ورفعوا أصواتهم ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾؛ أي: آمنَّا بالله وأقرَرْنا بأنَّ الذي أتَى به موسى وهارونُ من عند الله، وليس هو بسحرٍ ولا مِن أفعال البشر.

وذُكر بلفظ المجهول؛ أي: دُفعوا ـ لعظيمِ ما رأَوا وظهَر لهم من الآية ـ إلى الإيمان والسُّجود وهم مختارون، وقيل: لسرعةِ ما سجدوا كأنَّهم أُلْقُوا.

وقدَّم ﴿هَٰرُونَ﴾ لرويِّ الآية، ولأنَّ الواو لا يُوجِبُ ترتيباً.

---

(١) رواه ابن بشران في «أماليه» (٨٥٧) عن جندب بن عبد الله البجلي، وروى الترمذي (١٤٦٠) عن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «حد الساحر ضربة بالسيف»، وقال: «هذا حديث لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه، وإسماعيل بن مسلم المكي يضعف في الحديث من قبل حفظه، وإسماعيل بن مسلم العبدي البصري قال وكيع: هو ثقة، ويروي عن الحسن أيضًا، والصحيح عن جندب موقوفًا».

وقيل: قدِّم ﴿هَٰرُونَ﴾ لأنَّ فرعونَ ربَّى موسى في صِغره، فربَّما يَتوهَّمُ مُتوهِّمٌ أنَّهم عَنَوا بربِّ موسى: فرعون[١].

***

(٧١) - ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾.

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾: لموسى، تقول: آمنتُ له وآمنتُ به.

ابنُ عيسى: اللَّام يتضمَّن معنى الاتِّباع دون الباء[٢].

﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾: آمُرَكم به ﴿إِنَّهُۥ﴾: إنَّ موسى ﴿لَكَبِيرُكُمُ﴾: أستاذُكم ومعلِّمُكم وأعلَمُكم ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ وأنتم تواطَأْتُم على ما فعلْتُم ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾: اليدَ اليمنَى والرِّجلَ اليسرى.

ويحتمِل: مِن أجل خلافٍ ظهَر منكم[٣].

﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾: ولأجعلنَّكم على الخُشُبِ حتَّى تموتوا عليها جوعاً وعطشاً.

وقيل: هو أنْ يُترك على الخشب إلى أن يسيلَ منه الصَّليبُ، وهو الوَدَك[٤].

وفرعون أوَّلُ مَن صَلَب[٥].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٣)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (١/ ٤١٨)، وذكر نحوه الخطيب الإسكافي في «درة التنزيل» (٢/ ٦٧٢) بلا نسبة.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٣)، واستغربه.

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٣)، واستغربه.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٦٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

و﴿فِي﴾ ههنا بمعنى: على؛ لأنَّ المصلوب إذا علا على الخشب صار الخشبُ ظرفاً له ومستقرًّا، ولأنَّ حروفَ الجرِّ ينوبُ بعضُها عن بعضٍ[1].

﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ﴾ أنا أم ربُّ موسى الذي آمنتُم به خوفاً من عذابه ﴿أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ﴾: أدْوَمُ.

***

(٧٢) ـ ﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ﴾.

﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ﴾: لن نختارَكَ ﴿عَلَىٰ مَا جَآءَنَا﴾ موسى ﴿مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: الدَّلالاتِ القاطعةِ.

﴿وَٱلَّذِي فَطَرَنَا﴾: خلقَنا، وهو عطفٌ على ﴿مَا﴾، وقيل: أَقْسَموا بالله أنَّهم لا يُؤْثِرونه.

﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾؛ أي: قاضيهِ؛ أي: اصنَعْ وافْرُغْ ممَّا تفعل بنا، وقيل: احكم ما أنت حاكمٌ.

﴿إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ﴾؛ أي: قضاؤك بما تقضيهِ وسلطانُك فيما تأتيهِ إنَّما هو في هذه الدُّنيا، فهي ظرفٌ، وقيل: مفعولٌ به.

***

---

(١) هذا مذهب الكوفيين كما تقدم التنبيه عليه أكثر من مرة، وقد قال فيه ابن جني في «الخصائص» (٢/ ٣٠٨): «هذا باب يتلقاه الناس مغسولاً ساذجاً من الصنعة، وما أبعد الصواب عنه وأوقفه دونه...» ثم بيَّن أن اتساع العرب في إنابة حروف الجر إنما يكون لضرب من تضمين الفعل معنى فعل آخر يتعدى بذلك الحرف.

(٧٣) ـ ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾.

﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا﴾: كُفْرَنا وذنوبَنا ﴿وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ﴾: بدعائك إيَّانا إليه.

وقيل: بحَمْلِك إيَّانا على تعليمه وتعلُّمِه.

وقيل: بإكراهك إيَّانا على مقابلةِ موسى بالسِّحر.

وقيل: ﴿ما﴾ نفيٌ، وتقديرُه: خطايانا من السِّحر لم تُكْرِهنا عليه، وفيه ضعفٌ؛ لأنَّ ضميرَ المجرور لا يتقدَّمُ على المجرور[١].

﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ﴾ جزاءً وثواباً ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾ عقاباً وعذاباً، جوابٌ[٢]؛ لقوله: ﴿أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾.

* * *

(٧٤) ـ ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾.

﴿إِنَّهُۥ﴾: الأمر والشَّأنَ ﴿مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ﴾ في الآخرة ﴿مُجْرِمًا﴾: كافراً مات على كفره ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ﴾ يحتمِلُ الضَّميرُ أن يعودَ إلى المجرم، ويحتمِلُ أن يعودَ إلى ﴿رَبَّهُۥ﴾.

﴿لَا يَمُوتُ﴾ المجرمُ ﴿فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾؛ أي: ﴿لَا يَمُوتُ﴾ فيستريحَ، ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ فيتهنَّى.

وقيل: ﴿لَا يَمُوتُ﴾ فتخرجَ نفسُه، ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ فتستقرَّ نفسُه في مَقَرِّها[٣]، ولكنَّها تتعلَّق بالحناجر.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٣)، وعدَّه من العجائب.

(٢) «جواب» ليس في (ن).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٤)، واستغربه.

(٧٥ ـ ٧٦) ـ ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ۝٧٥ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾.

﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا﴾: مُطيعاً مات على إيمانه ﴿قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ في الدّنيا ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾: المنزلةُ والمكانة، وقيل: المكانُ والمنزلُ، ثم فسَّر فقال:

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾: تطهَّرَ من الكفر وطلبَ أن يكونَ عند الله زاكياً.

وقيل: قال: لا إلهَ إلَّا اللهُ.

اختلف المفسِّرون في الآية؛ فقال بعضهم: هي من كلامِ السَّحرة[1]، وقال بعضهم: ابتداءُ كلامٍ من الله، وهذا أظهرُ.

***

(٧٧) ـ ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى﴾ لمّا أراد اللهُ إهلاكَ فرعونَ وقومِه أمر موسى أن يَخرجَ بهم مِن مصرَ ليلاً ويأخُذَ بهم طريقَ البحر ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ﴾: اتَّخِذْ طريقاً بضربِ الماء بعصاك.

ابن عيسى: اضْرِبْ بعصاك يجعَلْ طريقاً[2].

وقيل: هو كضربِ الدَّراهم والدَّنانير[3].

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٤)، واستغربه.

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٤)، واستغربه.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٤)، وعدَّه من العجائب.

﴿يَبَسًا﴾: يابساً، وهو مصدرٌ؛ أي: ذا يَبَسٍ ليس فيه ماءٌ ولا طينٌ.

﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا﴾: لا تخافُ أن يُدْرِكَكَ أحدٌ ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ مِن قِبَلِه شيئاً.

وقيل: ﴿لَّا تَخَٰفُ﴾ خوفاً مِن خَلْفِك ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ الغرَقَ من قُدَّامِك.

وقرئ بالرَّفع والجزم[1]، الرفعُ على الحال والاستئنافِ، والجزمُ على الجواب.

وقوله: ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ استئنافٌ، ويجوز أن يكون الألفُ للإطلاق كما في قوله: ﴿ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب: ١٠] و﴿ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٦][2].

وقيل: خطابٌ لمحمَّدٍ عليه السّلام.

* * *

(٧٨) ـ ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾.

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ﴾ وذلك أنَّ موسى عليه السَّلامُ خرج بهم من أوَّلِ اللَّيل ـ وكانوا سبعين ألفاً ـ فأُخْبِرَ فرعونُ بذلك، وكان بنو إسرائيل قد استعاروا حليًّا كثيراً، فركب في ستِّ مئةِ ألفٍ من القِبْطِ فقصَّ أثرهم، وهو قولُه: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ﴾؛ أي: ألْحقَهم جنودَه وكان معهم، فتكونُ الباء زائدةً، وقيل: الباءُ للحال والمفعولُ محذوفٌ.

وقيل: معناه: فلَحِقَهم[3].

---

(١) قرأ حمزة: ﴿لا تخفْ﴾ بالجزم، والباقون بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٤٢١)، و«التيسير» (ص: ١٥٢).

(٢) أي: الفعل مجزوم بلا الناهية، ولكن الفتحة أُشبعت ألفاً للإطلاق، وقد ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٤)، وعدَّه من العجائب.

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٥)، واستغربه.

وقرئ في الشَّواذِّ: (فاتَّبَعهم)[١]، والمعنى: خرج خلفهم ومعه جنوده.

﴿فَغَشِيَهُم﴾: نالَهم ﴿مِّنَ ٱلْيَمِّ﴾: البحرِ ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ يعني: الماء، وقيل: الغَرَق، ذُكر بلفظ العموم تهويلاً وتعظيماً[٢].

وقيل: غَشِيَهم من اليمِّ ما غرَّقهم[٣].

***

(٧٩) ـ ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾.

﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ﴾ قيل: أضلَّهم في البحر؛ لأنَّهم غرِقوا فيه، وقيل: أضلَّ فرعون قومَه عن الدِّين، ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾؛ أي: وما هداهم، وقيل: وما هدى هو[٤]؛ أي: وما نجا، وقيل: وما هداه الله إلى الصَّواب[٥].

***

(٨٠) ـ ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾.

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ﴾ قيل: متَّصلٌ بما أوحى الله إلى موسى؛ أي:

---

(١) عن الحسن وقتادة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٣٠٩) . وهي رواية عبيد عن أبي عمرو في غير المشهور عنه. انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٢).

(٢) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٧/ ٣٣٠).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٥)، واستغربه.

(٤) أي: وما اهتدى؛ فـ(هدى) يأتي بمعنى: اهتدى، فيكون لازماً في هذه الحالة انظر: «تأويلات أهل السنة» (١٠/ ٢٥٢)، و«غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٥)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٦٣)، و«تاج العروس» مادة (هـ د ي) (٤٠/ ٢٨٤).

(٥) ذكر الأقوال الثلاثة السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٤٠٧).

أَوْحينا إلى موسى أنْ أَسْرِ بعبادي وقلنا: يا بني إسرائيل، وقيل: خطابٌ للنَّبيِّ ﷺ؛ أي: قل لهم.

وقوله: ﴿مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ﴾ يعني: فرعونَ وجنودَه.

﴿وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ﴾ يعني: السَّبعين الذين اختارهم موسى ليَسمعوا كلامَ الله إذا كلَّم موسى ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ﴾ يريد: في التِّيه، وقد سبَق.

* * *

(٨١) ـ ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ﴾.

﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾: لذيذاتِ، وقيل: حلالاتِ ﴿وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ﴾ الهاءُ يعودُ إلى ﴿مَا﴾؛ أي: لا تُجاوِزوا الحدَّ في المنِّ والسَّلوى ولا تدَّخِروا.

ابن عبَّاسٍ: لا يَظْلِمْ بعضُكم بعضاً فيه(١).

وقيل: لا تَعْصُوني بتَرْكِ شكري في المنِّ والسَّلوى.

﴿فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِي﴾: فينزِلَ عليكم عذابي فيمَن قرأ بالرَّفع، ومَن كَسَر(٢) فمعناه: يَجِبُ.

أبو عليٍّ: هو مِن «حِلٍّ وبِلٍّ»؛ أي: مباحٍ غيرِ محظورٍ(٣).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٢٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٢٩).

(٢) قرأ الكسائي: ﴿فَيَحُلَّ عَلَيۡكُم﴾ بضم الحاء ﴿وَمَن يَحۡلُلۡ﴾ بضم اللاَّم الأولى، والباقون بكسر الحاء واللاَّم. انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٢)، و«التيسير» (ص: ١٥٢).

(٣) انظر: «الحجة» للفارسي (٥/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣)، وفيه: «وجه قراءة من قرأ: (يحلّ) بكسر الحاء: أنه روي في زمزم: «إنه لشارب حِلٌّ وبِلٌّ»؛ أي: مباحٌ له غيرُ محظور عليه ولا ممنوعٍ منه، والحلّ =

﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾: فقد هَلَك.

وقيل: تَرَدَّى في النَّار، وقيل: ﴿هَوَىٰ﴾: وقعَ في الهاوية[1].

* * *

(٨٢) - ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾.

﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾؛ أي: عن الشِّرك ﴿وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾: ثم أقامَ على ذلك.

وقيل: لَزِمَ الإسلامَ حتَّى يموت.

وقيل: أَخَذ بسنَّةِ نبيِّه.

وقيل: أصاب العملَ.

ابن عبَّاسٍ: لم يشكَّ في إيمانه[2].

الفرَّاء: عَلِم أنَّ لذلك ثواباً وعقاباً[3].

= والحلال في المعنى مثل المباح، فهو خلاف الحظر والحجر والحرام والحرم، فهذه الألفاظ معناها المنع، وهي خلاف الحلّ والحلال الذي هو الإباحة والتوسعة».

وهذا القول ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٦)، واستغربه.

والخبر المذكور رواه أبو عبيد في «غريب الحديث» (٥/ ٣٠) من قول العباس، ومن قول ابنه عبد الله رضي الله عنهما، ومن قول أبيه عبد المطلب. ورواه عبد الرزاق في «المصنف» (٩١١٣) و(٩٧١٨) عن الزهري في خبر طويل، وفيه أن عبد المطلب أُمر في المنام بقول ذلك لمّا حاول الحسدة من قريش إفساد عمله في حفر البئر، فقاله.

(١) ذكرهما المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٦)، واستغربهما، وذكر الرازي الثاني في «تفسيره» (٨٣/٢٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٢٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٣٠).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٨٨).

ويحتمِلُ أنَّ التَّقدير به التَّقديم؛ أي: لمن اهتَدَى وتاب[1].

* * *

(٨٣ ـ ٨٤) ـ ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٨٣ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾.

﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ وذلك أنَّ موسى لمّا انتهى إلى الجبل مع السَّبعين الذين اختارهم عَجِل موسى شوقاً إلى كلام الله، وخلَّف السَّبعين وأمَرهم أن يتْبَعوه إلى الجبل، فقال الله لموسى: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾: ما الذي حملَك على العجَلة؟

﴿عَن قَوۡمِكَ﴾؛ أي: السَّبعين، استفهامُ إنكارٍ.

﴿قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي﴾؛ أي: هم خَلْفي يَلْحَقون بي.

الحسن: يعني: إنَّهم ينتظِرون مِن بعدي ما آتِيهم به مِن عندك[2].

قال: ومعنى: ﴿ما أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ﴾: ما جاء بك؟

و﴿أُوْلَآءِ﴾ بمعنى: هؤلاء، ﴿عَلَىٰٓ أَثَرِي﴾ خبرٌ بعد خبرٍ، ويجوزُ أن يكونَ صلةً لـ﴿أُوْلَآءِ﴾، كما سبق في ﴿تِلۡكَ﴾[3].

فاعتذَر موسى وقال: ﴿وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾؛ أي: لم أقصِدْ بذلك تعظُّماً عليهم، إنَّما قصدْتُ المسارعةَ طلباً لمرضاتك.

* * *

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٦)، واستغربه.

(٢) انظر: «تفسير يحيى بن سلام» (١/ ٢٧١).

(٣) انظر تفسير قوله تعالى في هذه السورة: ﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾.

(٨٥) ـ ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾.

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ﴾: ابتَلَيْنا قومَك بعبادةِ العجل بعد خروجِك مِن عندهم.

وقيل: دُفعوا إلى حالٍ شديدٍ تُظهِر دِخْلتَهم.

ابن عيسى: عامَلْناهم معاملةَ المختبِر[١].

﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾ بدعائه إيَّاهم[٢] إلى عبادة العجل وإجابتِهم له.

قيل: كان السَّامريُّ من كَرْمانَ[٣].

وقيل: من قبيلةٍ يقال لها: سامِرةُ، وكان من عظماءِ بني إسرائيل.

***

(٨٦) ـ ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾.

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ﴾ من مناجاة ربِّه ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ﴾: بغيظٍ وغضبٍ ﴿أَسِفًا﴾: حزيناً متلهِّفاً على ما فاته.

وقيل: الأَسَفُ: اشتدادُ الغضب، وقيل: جَزِعاً.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ الحسنُ: هو الجنَّة[٤]، وقيل: هو قولُه:

---

(١) تقدم نحوه عن ابن عيسى في تفسير قوله تعالى: ﴿وفتناك فتوناً﴾.

(٢) في (ف): «بدعائهم».

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٣٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ٣٧١)، وذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٦) عن سعيد بن جبير، وعدَّه من العجائب، وذكره الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٨١)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٣٦٧).

(٤) كذا في النسختين الخطيتين، ولعل المراد: الوعد الحسن: هو الجنة، كما في «تفسير السمعاني» (٤/ ١٥١)، والله أعلم.

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ الآية [طه: ٨٢]، وقيل: هو إنزالُ التَّوراة عليهم، وقيل: صدقاً.

﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾ بإنزال التَّوراة كما وعدكم. وقيل: مدَّةَ فراقي إيَّاكم؛ وذلك أنَّ موسى وعد قومه حين أتى الجبلَ أن يرجِعَ إليهم بعد ثلاثين يوماً، فلمَّا جاوَزَ وَعْدَه من ثلاثين إلى أربعين، قال لهم السَّامريُّ: إنَّ موسى غضِب عليكم لأجل حليِّ القِبْط، استعَرتُم ثمّ لم تَرُدُّوها عليهم.

الكلبيُّ: إنَّ موسى وعدهم أربعين يوماً، وكانوا يَعُدُّون اليومَ واحداً والليلةَ واحداً، فلمَّا كَمل عشرون ولياليها قالوا: إنَّ موسى أَخطأَ الطَّريق وخالَفَنا في الوعد(١).

﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ﴾: يجبَ عليكم ﴿غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بعبادتِكم العجلَ ﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾ اختلف المفسِّرون فيه، فأكثرُهم على أنَّ المعنى: خالَفْتُموني فيما تواعَدْنا عليه.

المفضَّل: أَوَجَدْتُموني أَخلَفْتُ فيما وعدتُكم؟ مِن قول العرب: فلانٌ أَخْلَفَ وَعْدَ فلانٍ: إذا وجَده وقع فيه الخُلفُ(٢).

وقيل: أخلَفْتُم ما وَعَدْتُمونيهِ في اللَّحاقِ بي واتِّباعي الموعد.

ويحتمِلُ: أنَّ الوعد من القوم، وإضافتُه إلى موسى إضافةُ المصدرِ إلى المفعول(٣)، ولهذا وقع الإخلافُ منهم، ووَعْدُهم لموسى هو أنْ وَعَدوه أن يتمسَّكوا بدينِ الله وسنَّةِ موسى، ولا يخالفوا أمرَ الله أبداً.

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٥٢) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنه. وانظر: «تفسير يحيى بن سلام» (١/ ٢٧٢).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٧)، واستغربه، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٣٦٨).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٧)، واستغربه.

وإنْ جعَلْتَ المصدر مضافاً إلى الفاعل فالوجهُ ما ذكره المفضَّل.

***

(٨٧) ـ ﴿قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾.

﴿قالُوا ما أَخْلَفْنا مَوْعِدَكَ بمِلْكِنا﴾ أي: بمِلْكنا الصَّواب، ولكنْ أخطَأْنا، وقيل: معناه: بسلطانٍ كان لنا ولا قدرةٍ. وقيل: بطاقَتِنا.

«الحجَّة»: لم يَكُنْ لنا مِلْكٌ فنُخلِفَ موعدكَ لمكانِ[1] مِلْكنا، كقوله: ﴿لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۖ﴾ [البقرة: ٢٧٣]؛ أي: ليس لهم سؤالٌ فيكونَ لهم إلحافٌ[2].

والملك: بالحركات الثَّلاث لغاتٌ[3].

وقيل: قال المؤمنون: إنَّ الذين أَخْلَفوا موعِدَك لم نقدرْ أن نردَّهم، ولم نملكْ أن نمنعَهم عن ذلك.

وقيل: معناه: لم نملكِ الوفاءَ فتركناه عن تمكُّنٍ، لكن الذي حُمِّلْناه من زينةِ القوم شَغَلَنا عن الاهتمام بذلك.

﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾ وذلك أنَّهم كانوا قد استعاروا من القِبْطِ حليًّا كثيراً ليومِ زينةٍ لهم، فبقِيَتْ معهم، وقيل: أَمَرهم موسى بالاستعارة، وقيل: أَمَر اللهُ موسى بذلك، وكان حلالاً لهم.

---

(١) في (ف): «بمكان».

(٢) انظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي (٥/ ٢٤٤).

(٣) قرأ نافع وعاصم بفتح الميم، وحمزة والكسائي بضمِّها، والباقون بكسرها. انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٢)، و«التيسير» (ص: ١٥٣).

و﴿أَوۡزَارٗا﴾: أثقالاً، وكان كثيراً.

وقيل: هو ما ألقاهُ البحرُ على السَّاحل من ذَهَبِهم وفضَّتهم وحليِّهم بعد إغراقهم، فأَخَذوه.

وقيل: ﴿أَوۡزَارٗا﴾: آثاماً؛ أي: حمَّلنا من حليِّ القوم؛ لأنَّهم استعاروه ليتزيَّنوا في عيدٍ كان لهم، ثمَّ لم يردُّوها عليهم عند الخروج من مصر مخافةَ أن يعلموا بخروجهم فحملوها[1].

فلمَّا تأخَّر مجيءُ موسى من الجبل، قال لهم السَّامريّ: إنَّما أَخْلَفَ موسى ميعادَكم لِمَا معكم من حليِّ القوم، وإنَّها حرامٌ عليكم ـ وقيل: لم تكن الغنائمُ حلالاً لهم ـ قالوا: فما الرَّأي؟ قال: نحفرُ حُفيرةً ونَسْجُرُ فيها ناراً وكلُّ مَن معه شيءٌ منها قذَفَه فيها، ففعلوا وقذف السَّامريُّ ما معه، وهو قولُه: ﴿فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾، وقيل: ﴿فَقَذَفۡنَٰهَا﴾[2] عن أنفسِنا وأولادنا.

* * *

(٨٨) ـ ﴿فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾.

﴿فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا﴾ ثم أخذ السَّامريُّ تلك المذوَّبة والأوزارَ وصاغَها كصورةِ العجل ﴿جَسَدٗا﴾ لحماً ودماً، وقيل: مُزَعْفراً، من (الجِسَاد)[3].

﴿لَّهُۥ خُوَارٞ﴾ قيل: كان يخورُ فيَسجدون، ثم يخورُ فيرفعون رؤوسهم.

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٧)، واستغربه.

(٢) في (ف): «قذفناها».

(٣) الجساد ككتاب: الزعفران. انظر: «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٧)، و«القاموس» مادة: (ج س د).

وقيل: ما خار إلَّا مرَّةً واحدةً، وقد سبق بيانُه(١).

﴿فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾؛ أي: قال السَّامريُّ لهم فقَبِلوه.

﴿فَنَسِيَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّ موسى نسيَ إلهه وذهب يَطلبُه، وهو مِن تمامِ قولِ السَّامريِّ.

وقيل: استئنافُ كلامٍ من الله؛ أي: نسيَ السَّامريُّ اللهَ والإيمان، وقيل: نسيَ السَّامريُّ الاستدلالَ على أنَّ العجلَ لا يجوزُ أن يكون إلهاً بقوله:

(٨٩) - ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾.

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾؛ أي: لا يَعْلمون ﴿أَلَّا يَرْجِعُ﴾: أنَّه لا يَرجعُ ﴿إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾؛ أي: لا يُجيبُهم ولا يكلِّمُهم ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾: لا يقدرُ على نفعِهم ولا ضرِّهم، وقيل: لا يخورُ ثانياً.

* * *

(٩٠) - ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى﴾.

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ﴾؛ أي: قال لمَن عبدوا العجلَ قبل رجوع موسى: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾: ابتُلِيتُم بالعجل ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ لا العجلُ، ﴿فَٱتَّبِعُونِى﴾ على دِيني ﴿وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى﴾ فاعبُدوا اللهَ ولا تعبُدوا العجل.

* * *

(١) في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾.

(٩١) ـ ﴿قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾.

﴿قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ﴾: لن نزالَ مقيمِينَ على العجل وعبادتِه ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾.

وجاء في التَّفسير: فاعتزَلهم هارونُ في اثني عشر ألفاً، وهم الذين لم يَعبدوا العجل(١).

***

(٩٢ ـ ٩٤) ـ ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ۝٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ۝٩٣ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾.

﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ﴾؛ أي: فلمَّا رجع موسى قال: يا هارون ﴿مَا مَنَعَكَ﴾.

وقيل: فلمَّا رجع موسى سمع الصِّياحَ والجَلَبَةَ ـ وكانوا يرقُصون حول العجل ـ قال السَّبعون الذين معه: هذا صوتُ الفتنة، فلمَّا رأى موسى هارونَ أَخذ شعرَه بيمينه ولحيتَه بيساره وقال: ﴿يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟﴾ بعبادةِ العجل وأَشركوا ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾: أيُّ شيءٍ منعَك من تركِ اتِّباعي(٢) حين لم يَقْبَلوا قولَك واللُّحوقِ بي كيلا تكونَ من العاصين؟

وقيل: هلَّا اتَّبعْتَ عادتي في منعِهم والإنكارِ عليهم.

وجمهورُ المفسِّرين على أنَّ ﴿لَا﴾ زائدةٌ، كما في قوله: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾ [الحديد: ٢٩](٣).

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٤٧).

(٢) قوله: «أيُّ شيءٍ منعَك من تركِ اتِّباعي» هذه العبارة مشكلة؛ لأن مؤداها العتاب على الاتباع لا على تركه، ويستقيم المعنى بحذف: «ترك».

(٣) انظر: «البسيط» للواحدي (١٤/ ٥٠٣)، و«تفسير السمعاني» (٣/ ٣٥)، و«التبيان» للعكبري (٢/ ٩٠١).

وقال ابن عيسى: التَّقدير: ما منعك بدعائه إيّاك أن لا تتّبعني.

﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾ الجمهورُ على أنَّه كان أخاه من أبيه وأمِّه، ولكنه ذكر الأمَّ استعطافاً وترفيقاً.

وقيل: كان أخاه لأمِّه.

الزَّجَّاج: وقد قيل في هارون: إنَّه لم يكن أخا موسى لأمِّه، قال: وقد يقولُ القائلُ لمن ليس بأخٍ لأمٍّ ولا بأخٍ البتَّةَ: يا ابنَ أمّ، وكذلك يقولُ للأجنبيِّ: يا ابن عمّ(١).

﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ﴾؛ أي: شعرِ رأسي.

ذهب بعضُهم إلى أنَّ أخذَ اللِّحية في ذلك الوقتِ كأخذِ اليدِ في وقتنا.

وقال بعضهم: كانا كشخصٍ واحدٍ، فسواءٌ أَخَذ بلحيةِ نفسِه أو بلحيةِ أخيه، والإنسانُ قد يأخذ لحيتَه عند الغضب، وعند التَّأمُّل في الأمرِ يَستقبلُه.

وقال بعضُهم: أَخَذ بأُذنه وبلِحيته يُسِرُّ إليه نزولَ الألواحِ عليه ويُخفِيهِ عن بني إسرائيل في تلك الحالةِ حتَّى يتوبوا، فعبَّر عن الأذن بالرّأس.

وقوله سبحانه حكايةً عنه: ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ﴾ يضعِّف هذه الأقاويل.

وقيل: معناه: لا تخاطِبْني وخاطِبْهم، كما تقول: دعني وخَلِّ لحيَتي ورأسي، وهو لم يأخُذْ بلحيته ورأسه، وهذا يدفعُه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أخذ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ [الأعراف: ١٥٠](٢).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٧٣).

(٢) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٢٨)، وعدَّه من العجائب.

والأحسنُ إجراؤه على الظَّاهر، وأنَّ موسى فَعَل في غضبه في الله ما فَعَل، والله أعلم.

ثم ذكَر عُذْره وقال: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾؛ أي: خِفتُ إنْ خرجْتُ وفارَقْتُهم لَحِقَ بي فريقٌ، وتبعَ السَّامريَّ على عبادة العجل فريقٌ، وتوقَّف فريقٌ، ولم آمَنْ مقاتلتَهم فتقولَ لي: فرَّقْتَ بين بني إسرائيل، أو تقولَ: قد تسبَّبْتَ لمقاتَلَتِهم ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ حيث قلتَ: ﴿ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

***

(٩٥) ـ ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾ ثم أَقْبَل على السامريِّ فقال منكِراً عليه: ما شأنُك يا سامريُّ؟ وما الذي حَملك على ما فعلْتَ؟

***

(٩٦) ـ ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾.

﴿قَالَ﴾ يعني: السَّامريَّ: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾ فيه قولان:

أحدهما: علِمْتُ ما لم تَعلَموا؛ أي: علِمْتُ أنَّ ترابَ أثرِ الرَّسول ـ وقيل: أثرِ فرسِ الرَّسول، والرَّسولُ ههنا جبريل ـ يصيرُ به الجَمادُ حيواناً.

والثَّاني: رأيتُ ما لم ترَوْه؛ يعني: جبريلَ ـ تقول: بَصُرْتُ؛ بمعنى: أَبْصرْتُ ـ قال موسى: وما الذي أَبْصَرْتَه؟ قال: رأيتُ جبريلَ على فرس الحياة فأُلقِيَ في نفسي أن أَقْبِضَ من أَثَرِه، فما أَلقيتُ على شيءٍ إلَّا صار له روحٌ ولحمٌ ودمٌ، وذلك أنَّه رأى جبريلَ حين فَلَق البحرَ فعرفه؛ لأنَّ أمَّه أَلقَتْه حين ولدَتْه خوفاً عليه من فرعونَ حين

يقتلُ[1] أولادَ بني إسرائيل، وكان يَغْذُوه جبريلُ صغيراً، فعَرَفه في كِبَره، فأَخَذ قَبضةً من ترابِ حافرِ فرسه، وهو قوله:

﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾؛ أي: أخذتُ بجميعِ[2] كفِّي مرَّةً واحدةً.

﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ قيل: فيما ذاب من الحليِّ، وقيل: في جوفِ العجل حتَّى خارت، وقيل: حتى صار لحماً ودماً، وقيل: مسحَه به.

وقيل: الرَّسولُ هو موسى، والقبضةُ: ما أَخَذ مِن عِلْمه، وأثرُه: شَرْعُه وسنَّتُه، وقوله: ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾؛ أي: طرَحْتُ شريعةَ موسى وسنَّتَه ثم اتَّخذتُ عجلاً، وذلك أنَّه كفَر باتِّخاذ العجل، ثم لمّا جاء موسى صرَّح بذلك.

وقوله: ﴿مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾؛ أي: بزَعْمه وزَعْمِ بني إسرائيل.

﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى﴾؛ أي: زيَّنَتْه وحسَّنَتْه، وفعَلْتُ من تِلْقاءِ نفسي من غيرِ أنْ دَعاني إلى ذلك داعٍ.

وقيل: معناه: أطمَعَتْني نفسي في انقلابه حيواناً، والسُّولُ: ما يتمنَّاه الإنسان.

وقيل: ناقَضَ في جوابه؛ لأنَّه قال: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾ فادَّعى العلم، ثم قال: ﴿سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى﴾ فنسَبه إلى حديثِ النَّفس.

***

---

(١) كذا في النسختين الخطيتين، ولو كان: «حين كان يقتل» لكان أظهر.

(٢) كذا في النسختين الخطيتين، ولعل صوابه: «بجمع كفي» بضم الجيم وكسرها، وهو ملء الكف. انظر: «العين» مادة: (ج م ع) (١/ ٢٤٠).

(٩٧) ـ ﴿قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾.

﴿قَالَ﴾ يعني: موسى: ﴿فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾؛ أي: إنَّك لا تمسُّ أحداً ولا يَمسُّكَ أحدٌ في حياتك، ولا يكونُ بينك وبينَ النَّاس مماسَّةٌ، فأَمَر موسى بني إسرائيل ألَّا يؤاكِلوه ولا يجالِسُوه ولا يبايِعُوه.

وقيل: معنى ﴿لَا مِسَاسَ﴾: إنَّك تعيش في البريَّة مع السِّباع والوحوشِ ولا تَـمَسُّ ولا تُـمَسُّ.

وقيل: ما مَسَّ أحداً ولا مَسَّه أحدٌ إلَّا حُمَّا معاً[1]، ومَن أراد أن يمسَّه جهلاً بحاله قال له السَّامريُّ: (لا مِساسَ)؛ خوفاً من الحمَّى وتنبيهاً للغير.

ويقال: ذلك باقٍ في عَقِبه إلى اليوم.

وقيل: أراد موسى أن يقتلَه فمنعَه اللهُ مِن قَتْلِه، وقال: لا تَقتُلْه فإنَّه سَخيٌّ[2].

﴿وإنَّ لكَ مَوْعِدًا لن تُخْلِفَه﴾: لن تَغِيبَ عنه بل توافِيْه، ومَن فتحَ اللَّامَ[3] فمعناه: لن يُخْلِفَكه اللهُ.

﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ يعني: العجلَ، و﴿ظَلْتَ﴾ أصلُه: ظَلِلْتَ، فحَذَف إحدى اللَّامَينِ تخفيفاً، ويجوزُ كسرُ الظَّاء.

أي: تأمَّل فيما يُفْعَلُ بمعبودِك من التَّحريق والتَّفريق، ثمَّ أكَّد باليمين فقال: ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾؛ أي: بالنَّار ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ﴾: نُثيرُ رمادَه ﴿فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾.

---

(١) في (ف): «جميعاً».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسير» (١٨/ ٥٢)، والقرطبي في «تفسيره» (١١/ ٢٤١).

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر اللام، والباقون: ﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ بفتح اللام على ما لم يسمَّ فاعلُه. انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٤)، و«التيسير» (ص: ١٥٣).

ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَحْرقَه بالنَّار ثم ذَرَّاه في البحر(١). وهذا فيمَن قال: صار لحماً ودماً.

ومَن قال: بقي ذهباً قرأ: ﴿لنَحْرُقنَّه﴾(٢)؛ أي: لنبْرُدَنَّه بالـمِبْرَد، ويجوزُ أن تكونَ قراءةُ العامَّة من هذا أيضاً؛ تحريقاً مِن حَرَّقَه بالمِبْرَد(٣).

ومعنى نَسَفْتُه: ذَرَوْتُه؛ من نَسَفْتُ الطَّعام؛ إذا ذَرَوْتَه ليطيرَ عنه القُشورُ.

***

(٩٨) ـ ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾.

﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ﴾ يعني: معبودُكم المستحقُّ للعبادةِ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ لا العجلُ، والمعنى: لا يَضيقُ عِلْمُه عن شيءٍ، وتقديرُه: وَسِع عِلْمُه كلَّ شيءٍ؛ أي: أطاقَه وأحاطَ به، فصُرِف الفعلُ إلى المضافِ إليه وانتصَبَ المضافُ على التَّمييز.

واسمُ السَّامريِّ فيما ذكره النَّقَّاش: موسى بنُ ظَفَرٍ(٤)، وقيل: غيرُه.

***

(٩٩) ـ ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾.

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾؛ أي: كما قصَصْنا عليك قصَّةَ موسى نقصُّ عليك ﴿مِنْ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٥٦)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٥٤).

(٢) هي قراءة أبي جعفر من رواية ابن وردان عنه، وقرأ في رواية ابن جماز: ﴿لنُحْرِقنه﴾ بضم النون وكسر الراء، وباقي العشرة: ﴿لنُحَرِّقَنَّهُ﴾. انظر: «النشر» (٢/ ٣٢٢).

(٣) ولخص الزمخشري القول في القراءات الثلاث بقوله: ﴿لنُحَرِّقَنه﴾ و﴿لنُحْرِقَنَّه﴾ القراءتان من الإحراقِ، وذكر أبو علي الفارسي في ﴿لَنُحَرِّقنهُ﴾ أنَّه يجُوز أن يكون (حَرَّقَ) مبالغةً في (حَرَق)؛ إذا برَد بالمِبْرَدِ، وعليه القراءةُ الثالثة. انظر: «الكشاف» (٣/ ٨٥).

(٤) ورواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٦٧٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾؛ أي: بعضَ أخبارِ مَن سَبَقَ زمانُه زمانَك؛ أي: تقدَّم بالزَّمان من الأنبياء وأممِهم. وقيل: أخبارَ كلِّ شيءٍ[1].

﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ﴾: أعطيناك ﴿مِن لَّدُنَّا﴾: مِن عندنا ﴿ذِكْرًا﴾ يعني: القرآنَ. وقيل: آتيناك شرفاً.

* * *

(١٠٠) ـ ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا﴾.

﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾: عن القرآنِ، وقيل: عن الله ﴿فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا﴾: يحمِلُ أعباءَ كُفره وذنوبه؛ أي: يعذَّب عذاباً شديداً.

* * *

(١٠١) ـ ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ حِمْلًا﴾.

﴿خَـٰلِدِينَ فِيهِ﴾: في الوِزْر؛ أي: في جزاءِ الوِزْر، وهو العذابُ ﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ حِمْلًا﴾؛ أي: ساءَ حِملاً للذُّنوب[2].

* * *

(١٠٢) ـ ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾.

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ يريد: يومَ القيامة، والصُّور: شِبْهُ قرنٍ، وقيل: جمعُ صورةٍ، وقد سبق بيانُه[3].

---

(١) و(من) على هذا بيانيه، أما على القول الأول فهي للتبعيض.

(٢) كذا في النسختين الخطيتين، ولعل الصواب: «ساء حملًا الذنوب»؛ فقد جرت عادة المصنف أن يفسر الآيات التي فيها أسلوب مدح أو ذم بذكر الممدوح والمذموم المضمر، كما فعل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾، وقوله ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾، والله أعلم.

(٣) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾.

﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾: زُرْقةُ العينِ وسوادُ الوجهِ مِن علامةِ أهلِ النَّار، وزُرْقَتُها: أنْ تَضْرِبَ الحَدَقةُ إلى خُضرةٍ، والعربُ تتشاءَمُ بزُرْقةِ العين[1].

وقيل: ﴿زُرْقًا﴾: أعداءً، تقولُ العربُ: عدوٌّ أزرقُ[2].

وقيل: تصيرُ أعينُهم من العطشِ زرقاً، وكذلك تصيرُ العينُ في شدَّة العطش[3].

وقيل: هي عبارةٌ عن العَمَى ليُوافقَ الآيةَ الأخرى[4].

وقيل: الأزرقُ: شاخصُ البصرِ كأنَّه محدِّقٌ نحوَ شيءٍ أبداً.

***

(١٠٣) - ﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾.

﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾: خافتَ؛ بمعنى: خَفَتَ؛ أي: أَخْفاه، وأصلُه السُّكون.

﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ يقولُ بعضُهم لبعضٍ سرًّا[5]: لَبِثْنا في القبور عشرَ ليالٍ؛ أي: منذُ انقطَعَ عنهم عذابُ القبر.

وقيل: إن لَبِثْتُم في الدُّنيا، فيَنْسَون مِن هولِ ما يَرِدُ عليهم ما كانوا فيه من نعيم الدُّنيا.

---

(١) ذكر ذلك الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٥٧)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٣٨٢).

(٢) انظر: «كتاب الألفاظ» لابن السكيت (ص: ٦٠)، و«متخير الألفاظ» لابن فارس (ص: ١٢٣)، و«فقه اللغة» للثعالبي (ص: ٧٤).

(٣) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٠)، واستغربه.

(٤) وهي قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤]، وقد ذكر هذا المعنى ابن دريد في «جمهرة اللغة» (٢/ ٧٠٨)، و ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٠)، وعدَّه من العجائب.

(٥) في (ف): «بسر».

(١٠٤) ـ ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذۡ يَقُولُ أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا يَوۡمٗا﴾.

﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذۡ يَقُولُ أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً﴾: أعدلُهم قولاً، وقيل: أجودُهم عملاً، وقيل: أعلمُهم عند نَفْسه بما يقول، وقيل: ﴿أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً﴾: رأياً وحالاً وعملاً.

﴿إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا يَوۡمٗا﴾ الحسنُ: لطول لَبْثِهم في النَّار يقلِّلون لَبْثَهم في الدُّنيا[1].

وقيل: تحاقَرتِ الدُّنيا عندهم حين عايَنوا الآخرة.

***

(١٠٥) ـ ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا﴾.

﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ﴾؛ أي: سيَسْألُونكَ: إلَامَ يَؤُولُ أمرُ الجبالِ؟ ولهذا أُجيبَ بالفاء، وقيل: سأله رجالٌ من ثَقيفٍ عنها.

﴿فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا﴾ كما يَنْسِفُ الطَّعام على الرِّيح، وهو تَنْقِيَتُه من القُشور.

وقيل: يقلعُها[2] من أصلِها، ثم يبدِّدُ[3] أجزاءها فتصيرُ كأنْ لم تكُنْ.

وقيل: يجعلُها اللهُ بمنزلةِ الرَّمل، ثم يُرْسِلُ عليها ريحَ الدَّبور فينسفُها ويفرِّقُها.

وقيل: يقلعُها من أماكنها ويطرحُها في النَّار فتستوي الأرضُ.

***

---

(١) كذا ذكره المصنف عن الحسن، وفيه إشكال؛ فإن هذه المقاولة وقعت في المحشر، ولم يدخلوا النار بعد حتى يقارنوا لبثهم فيها بغيره، وقد ذكر الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤٢٥) عن الحسن غير هذا، وعبارته: «إن لبثتم في الدنيا إلا عشرًا؛ لما شاهدوا من سرعة القيامة»، وقد وردت عبارة «يقللون لبثهم في الدنيا» بلا نسبة في «تفسير ابن أبي زمنين» (٣/ ١٢٧).

(٢) في (ن): «نقلعها».

(٣) في (ن): «نبدد».

(١٠٦) ـ ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾.

﴿فَيَذَرُهَا﴾ الكنايةُ عن الأرض، ولم يتقدَّمْ ذكرُها للعلم بها.

وقيل: يعودُ إلى مواضع الجبال.

﴿قَاعًا﴾: مستوياً صَلْباً لا ترابَ عليه ﴿صَفْصَفًا﴾: لا يُنْبِتُ.

وقيل: القاعُ: الذي يَعْلُوه الماء، والصَّفْصفُ: المستوي، كأنَّها من استوائها على صفٍّ واحدٍ.

وقيل: القاعُ: المنكشِفةُ، والصَّفْصَفُ: التي لا أثرَ للجبال فيها.

* * *

(١٠٧) ـ ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾.

﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا﴾: أوديةً ﴿وَلَآ أَمْتًا﴾: روابيَ.

وقيل: الأمتُ: الارتفاعُ والانخفاضُ والغِلَظُ والدِّقَّة[1].

وقيل: الشُّقوقُ في الأرض.

* * *

(١٠٨) ـ ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ﴾؛ أي: داعيَ الله الذي يَدْعُوْهم إلى الموقِف، وهو إسرافيلُ، فيُسرعُ المؤمنون ويَتثاقلُ المجرمون، فيرسلُ اللهُ ناراً فيَسوقُهم إلى جهنَّم.

وقيل: يَدْعوهم من صخرةِ بيتِ المقدس.

---

(١) في (ف): «والرّقة».

﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾: لا يقدِرُ أحدٌ أنْ يَعْدِلَ عنه، والتَّقديرُ: لا عِوَج لهم عنه.

﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾؛ أي: سكَنَتْ لمهابةِ الله ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ الحسن: صوتَ وَطْءِ الأقدام ونَقْلِها إلى المحشر[1].

وقيل: صوتاً خفيًّا كتحريكِ الشَّفَة.

* * *

(١٠٩) ـ ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾.

﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ﴾؛ أي: إلَّا شفاعةُ مَن أَذِنَ ﴿لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾؛ أي: في الدُّنيا، وهو قولُ: لا إلهَ إلَّا الله.

وقيل: لا تنفعُ إلَّا لِمَن أَذِنَ اللهُ للشَّافعِ أنْ يَشفعَ فيه.

وقيل: معنى ﴿أَذِنَ﴾: سَمِع.

* * *

(١١٠) ـ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾؛ أي: النَّاسِ، وقيل: الملائكةِ؛ يريد: ما كان قبلَهم.

﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: وما يكونُ بعدَهم.

وقيل: على العكس، واللَّفظ صالحٌ لهما.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه يعودُ إلى قوله: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾.

والثَّاني: أنَّه يعودُ إلى الله سبحانه؛ أي: لا يُحيطون علماً بذاته.

* * *

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٦٩).

(١١١) ـ ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾.

﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾؛ أي: ذلَّتْ وانقادَتْ؛ أي: أصحابُها، والعَنْوةُ: تكون تسليماً؛ أي: استَسْلَموا لِمَا يَفعلُه، وتكونُ غلَبةً وقَهْراً؛ أي: صاروا كلُّهم أسرى له.

وقيل: هي السُّجودُ على سبعةِ أعضاءٍ: الجبهةِ والكفَّين والرُّكبتين والقَدَمين.

﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾: انقطَعَ رجاؤه ويَئِسَ ممَّا طَلَب، وقوله: ﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾؛ أي: شركاً وثِقلَ مغبَّتِه ووِزْرِه، كقوله: ﴿يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾ [الأنعام: ٣١].

***

(١١٢) ـ ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾.

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ يريد: الإيمانَ والطَّاعات ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾: لا يُزادُ في سيِّئاته ولا يُنقَصُ من حسناته، وأصلُ الهضمِ: الكسرُ، والمعنى: لا يُظْلَمُ بحِرْمان الثَّواب، ولا يُهْضَمُ بنقصانِ الجزاء.

مَن رَفَع جَعَل تقديره: فهو لا يخافُ، ومَن جَزَم[1] جعلَه نهياً، ودخل الفاءُ لجزاءِ الشَّرط.

***

(١١٣) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب، وهو نَسَقٌ على قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ [طه: ٩٩].

---

(١) هي قراءة ابن كثير، والباقون بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٤)، و«التيسير» (ص: ١٥٣).

وقيل: كما رغَّبنا أهلَ الإيمان بالوعد حذَّرنا أهل الشِّرك بالوعيد.

﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ﴾: كرَّرْنا القولَ فيه ﴿مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾: ذكرِ الطُّوفانِ والصَّيحةِ والرَّجفةِ والمسخ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أن يَنزلَ بهم مثلُ ما نزل بمَن تقدَّمَهم ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾: عظةً واعتباراً. وقيل[1]: شرَفاً بإيمانهم به، و﴿أَوْ﴾ بمعنى: الواو.

وأُسند الإحداثُ إلى القرآن لأنَّه يقع عنده.

* * *

(١١٤) ـ ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾.

﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ﴾: ارتفعَ صفاتُه من صفاتِ المخلوقِين ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾؛ أي: يَستحقُّ الوصفَ بالملك، وقيل: هو المالكُ حقًّا.

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ قيل: كان النَّبيُّ ﷺ يَعْجَلُ بالقراءة من قبلِ أن يَستَتِمَّ جبريلُ وحيَه مخافةَ أن ينساه أو يفوتَه شيءٌ منه، فيقرأُ مع جبريل[2].

ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: لا تَعْجَلْ حتَّى نبيِّنَه لك[3].

السُّدِّيُّ: لا تَسأل إنزالَه قبل أن يأتيَك[4].

---

(١) «قيل» من (ف).

(٢) ذكر ابن حزم في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٤٥) أن هذه الآية منسوخ معناها لا لفظها بقوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٨٠).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤٢٩) بلا نسبة، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» =

وقيل: لا تَعْجَلْ بتعليمِه ما لم تَفْهَمه.

ومعنى ﴿يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾: يَتمُّ بيانُه، وقيل: يُفْرَغُ مِن إيحائِه وإنزاله.

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾: سَلِ اللهَ أن يزيدَ علماً إلى عِلْمكَ بوحيِه إليك.

وقيل: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾: أدباً في دينك.

وقيل: زدني علماً بقِصَصِ أنبيائك.

وقيل: زدني حفظاً حتَّى لا أنسَى ما أُوحي إليَّ.

* * *

(١١٥) - ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾.

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾؛ أي: أمَرْناه أنْ لا يَقْرَبَ الشَّجرةَ ولا يأكلَ منها ﴿مِن قَبْلُ﴾: قبلَ هذا الزَّمان، وقيل: قبلَ أولاده.

﴿فَنَسِىَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: نسيَ العهدَ وسَهَا.

والثَّاني: تَرَكَ أمرَ ربِّه.

وقيل: نسي فأوَّلَ.

وقيل: حمَلَ النَّهي على التَّنزيه لا على التَّحريم، وقد سبق في أوَّل (البقرة) بيانُه.

= (٣/ ١٧٨)، ونسبه للماوردي، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٣٧) عن السدي: «كان النبي ﷺ إذا أنزل عليه جبريل بالقرآن أتعب نفسه في حفظه حتى يشق على نفسه؛ يتخوف أن يصعد جبريل ولم يحفظه، فينسى ما علمه، فقال الله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ قال: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾».

وقيل: إنَّ حوَّاء قَدِمَتْ عليها فلم يُصبها شيءٌ، ثم أبتْ أن يجامِعَها إلّا أنْ يأكُلَ منها، فأكَلَ منها[١].

﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ فيه قولان:

أحدهما: عزماً على الذَّنب؛ لأنَّه أخطأ ولم يَتعمَّدْ.

والثَّاني: من أهل العزيمة والثَّبات. وروي عن أبي أُمامةَ أنَّه قال: لو وُزِنَتْ أحلامُ بني آدمَ بحِلْم آدمَ لرَجَح حِلْمُه، وقد قال الله: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾[٢].

ولا يصحُّ أن يُطْلَقَ في نفي العزمِ عنه، بل يقيَّدُ فيقالُ: لم يكن له عزمٌ في التَّحفُّظ عن مكايدةِ إبليس.

وقيل: لم نجدْ له عزماً في العَوْد إلى الذَّنبِ ثانياً.

وقيل: ﴿عَزْمًا﴾: رأياً وصبراً.

وقيل: نسيَ الوعيدَ لا العهدَ.

والعزمُ: اعتقادُ القلبِ على الشَّيء، وقيل: العزمُ: المحافظةُ على أمر الله.

* * *

(١١٦) ـ ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾ سَبَق[٣].

* * *

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٠)، وعدَّه من العجائب.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٨٥)، وابن منده في «الرد على الجهمية» (ص: ٢٣).

(٣) في تفسير سورة البقرة.

(١١٧) ـ ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾.

﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ أراد: تشقيَا، لكنه وحَّد لمشاكلةِ رؤوسِ الآي.

وقيل: أوَّلُ الخطاب له وحدَه، فجُعل آخِرُه كأوَّله.

وقيل: حوَّاءُ تَبَعٌ لآدم.

ومعنى ﴿فَتَشْقَىٰٓ﴾: يشدَّدُ عيشُك، والشَّقاء: كَدُّ العيش.

وقيل: معنى ﴿تشقى﴾: تأكلُ مِن كدِّك وكَسْبِك.

***

(١١٨ ـ ١١٩) ـ ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾.

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾؛ أي: لا يَنقطِعُ الطَّعامُ والشَّرابُ واللِّباسُ عنك، بل يَحْضُرُك ما تريدُه أبداً.

ومعنى ﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾: لا يُصيبُكَ حرُّ الشَّمس؛ إذ ليس فيها شمسٌ.

قُرِئَ: (إنَّ) بالكسر والفتح[1]، والكسرُ على العطفِ على الأوَّل، والفتحُ على العطفِ على ﴿أَلَّا تَجُوعَ﴾، ومحلُّه نصبٌ بـ﴿إِنَّ﴾، وجاز كما تقولُ: إنَّ في عِلمي أنَّك جالسٌ، كما وقع مبتدأً[2] في قول الشَّاعر:

---

(١) قرأ عاصم في رواية أبي بكر ونافعٌ: ﴿وإنك لا تظمأ﴾ بالكسر، والباقون بالفتح. انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٤)، و«التيسير» (ص: ١٥٣).

(٢) أي: المصدر المؤول من (أنَّ) وما بعدها مبتدأ، وخبره مقدم عليه، وهو متعلق الجار والمجرور.

أفـي الحـقِّ أنِّـي مُغـرَمٌ بـكِ هائمٌ   وأنَّـك لا خَـلٌّ هـواك ولا خمـرُ(١)

***

(١٢٠) ـ ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾.

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾؛ أي: ألقـى الشَّـيطانُ في نفسـه، و﴿شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾: هـي التي مَـن أكَل منها لا يموتُ ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾: لا يزولُ، وقيل: لا ينقطعُ بالموت.

***

(١٢١) ـ ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾.

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا﴾: أقْبَـلا وداما ﴿يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾: يَستُران عورتَيْهمـا ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾ بـأكلِ(٢) الشَّـجرةِ ﴿فَغَوَىٰ﴾: ارتكـبَ مـا فيـه الهـلاكُ أو فسـادٌ عظيمٌ.

وقيل: غَوَى: ضلَّ عمَّا أُمر به، وقيل: جَهِل وجهَ الأمر، وقيل: تعدَّى إلى شيءٍ لم يكن له أن يتعدَّى إليه، وقيل: خاب ما كان يظنُّ أن ينالَه بأكلِ الشَّجرة من الخلود. وقيل: ﴿فَغَوَىٰ﴾: حُرِم ما جَعَل الله له من الدَّوام في الجنَّة.

---

(١) نسـب البيـت لعائـد بن المنذر القشـيري فـي «المقاصـد النحويـة» (٣/ ١٠٦٥)، وذكـر الأزهري في «شرح التصريح» (١/ ٥٨٧) أنه فائد بالفاء، ونُسـب لأبي الطمحان القيني في: «محاضرات الأدباء» (٢/ ٥٧)، ودون نسبة في «الحماسة» بشرح المرزوقي (ص: ٨٨٨).

(٢) في (ف): «فأكل».

(١٢٢ ـ ١٢٣) ـ ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (١٢٢) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾.

﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (١٢٢) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ يعني: اهْبِطا أنتما وإبليسُ جميعاً، ولفظُ (جميع) يدلُّ على ذلك.

وقيل: إنَّه خطابٌ لآدمَ وإبليسَ وذرِّيَّتِهما.

وقيل: كان أُهبِطَ إبليسُ قبلهما، والمعنى: اهبِطا جميعاً، ثم أنتما وإبليس ـ وقيل: والحيَّة ـ ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾.

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾: خطابٌ لآدم وحوَّاء وذرِّيَّتِهما.

وقيل: وإبليسُ أيضاً مخاطبٌ به، والأوَّل الوجه.

﴿مِنِّي هُدًى﴾: كتابٌ ورسولٌ ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ﴾: كتابي ورسولي ﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ سبق.

* * *

(١٢٤) ـ ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾ قيل: القرآن، وقيل: الهدى فلم يَتَّبعْه ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾: ضيِّقاً غيرَ موسَّعٍ؛ يعني: في النَّار، وقيل: حراماً؛ يعني: في الدُّنيا.

وقيل: هو الكسبُ الخبيثُ والعملُ السَّيِّئ.

وقيل: ﴿مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ يضيِّقُ عليه قبرُه.

وقيل: هو عذابُ القبر، وبذلك فسَّره رسول الله ﷺ(١).

ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الشَّقاءُ معيشةُ الضَّنك(٢).

ابن جبيرٍ: يسلبه القناعة حتَّى لا يشبع(٣).

وقيل: عيش الدُّنيا ضنكٌ ضيِّقٌ؛ لانقضائه وقِصَرِ مدَّته وكثرةِ شوائبه، وإنَّما العيشُ الواسعُ عيشُ الآخرة.

﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ قيل: عن الحجَّة(٤)، وقيل: أعمى البصر، وقيل: أعمى القلب.

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: يُحشر بصيراً، ثمَّ إذا سيق إلى المحشر عَمِيَ(٥).

وقيل: أعمَى عن كلِّ شيءٍ إلَّا عن جهنَّم.

---

(١) جاء في ذلك أكثر من حديث مرفوع:

منها: ما رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٤٣٩) وصححه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ قال: «عذاب القبر».

ومنها: ما رواه ابن حبان في «صحيحه» (٣١١٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ مثل حديث أبي سعيد.

ومنها: ما رواه البزار في «مسنده» (٩٤٠٧)، وأبو يعلى في «مسنده» (٦٦٤٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٣١٢٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ قال: «المعيشة الضنك الذي قال الله تبارك وتعالى: أنه يسلط عليه تسعة وتسعون حية ينهشون لحمه حتى تقوم الساعة».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٩٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٣٩).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٨٠).

(٤) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣١)، واستغربه.

(٥) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٤١٦)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ١٨١).

(١٢٥) ـ ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾.

﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ في الدُّنيا.

* * *

(١٢٦) ـ ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾.

﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾؛ أي: إنَّما عَمِيْتَ جزاءً على فِعْلِكَ، وهو نسيانُ آياتِ الله، وقيل: تركُ العمل بها.

﴿وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾: تُتركُ في العمَى والعذاب.

وقيل: تُعامَلُ معك معاملةَ المنسيِّ.

* * *

(١٢٧) ـ ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾.

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ﴾؛ أي: كما جازَيْنا المُعْرِضَ نَجزي المسرِفَ.

والإسرافُ: مجاوزةُ الحدِّ المحمود.

﴿وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ يريد: فعصَى اللهَ وكفرَ به.

﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ﴾ الذي ينالُه بعد ذلك ﴿أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾.

* * *

(١٢٨) ـ ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾.

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ﴾ هؤلاء ﴿فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾ ديارِ المُهْلَكين ومنازِلِهم إذا سافروا واتَّجروا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾.

اختلفوا في فاعل ﴿يَهْدِ﴾ فقال الكوفيُّون: فاعلُه ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾[1]، وهذا لا يجوزُ

---

(١) ذكره المصنف في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣٢)، وعدَّه من العجائب.

عند البصريِّين؛ لأنَّ الجُملَ لا تكون فاعلةً، وقال البصريُّون: فاعلُه مضمَرٌ يفسِّرُه ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾، قالوا: ويجوزُ أن يكونَ مصدراً كما قيل في قوله: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم﴾ [يوسف: ٣٥](١).

ويحتمِلُ أنَّ الفاعلَ هو الله سبحانه على تقدير: أفلم يَهْدِ اللهُ لهم فيَعلموا، ويقوِّيه قراءةُ مَن قرأ: (نهد) بالنُّون، وهو يعقوب(٢).

* * *

(١٢٩) ـ ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ تقدير الآية: ولولا كلمةٌ سبقَتْ بتأخير العذاب عن أمَّة محمَّدٍ ﷺ، وقيل: بأنْ يؤمنَ بعضُهم، و﴿أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ يعني: القيامةَ، لكان العذابُ لزاماً لهم لا يفارقُهم كما لم يفارقِ القرونَ الماضيةَ الكافرة.

وقيل: الأجلُ المسمَّى: الموت.

وقيل: ﴿لِزَامًا﴾: قتلاً، وقيل: ما أصابهم يومَ بدرٍ لَزِمهم حتَّى يُستأصلوا.

* * *

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢١٠)، و«الهداية» لمكي بن أبي طالب (٩/ ٦٠٢٨)، و«البسيط» للواحدي (١٨/ ١٦٠).

(٢) وهي رواية زيد عن يعقوب كما في «المبسوط في القراءات» (ص: ٣٥٤)، ونسبت لعلي وابن عباس والسلمي. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٩)، وقد ذكر المصنف هذا القول في «غرائب التفسير» (٢/ ٧٣١)، واستغربه.

(١٣٠) ـ ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾.

﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ منسوخٌ بآية السَّيف[1]، وقيل: اصْبِرْ على أذاك ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾: صلاةَ الفجر ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾: صلاةَ العصر ﴿وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ﴾ يعني: المغربَ والعشاءَ الآخرة ﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾: الظُّهرَ، وجُمع لأنَّ النّهارَ جنسٌ.

وقيل: أراد بـ﴿أطراف ٱلنَّهَارِ﴾: التَّطوُّعَ في جميع أجزاء النَّهار، وبـ﴿ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ﴾ صلاةَ اللَّيل كلِّه. و﴿ءَانَآئِ﴾: جمعُ أَنًى وإِنًى وأَنْيٌ[2].

﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾: بما تُعطَى، ومثلُه: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ [الضحى: ٥]، و﴿تَرْضَىٰ﴾: يرضيكَ اللهُ بكرامته.

* * *

(١٣١) ـ ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾.

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ في سببِ النُّزول: عن أبي رافعٍ مولى رسول الله ﷺ: أنَّ ضيفاً نزل برسول الله ﷺ فدعاني فأَرْسلني إلى رجلٍ من اليهودِ يبيعُ طعاماً: يقولُ لكَ محمد عليه السَّلام: إنَّه نزل بنا ضيفٌ ولم نُلْفِ عندنا بعضَ الذي نُصلحه، فبِعْني كذا وكذا من الدَّقيق، وأَسْلِفْني إلى هلالِ رجب، فقال اليهوديُّ: لا أبيعُه ولا أُسْلِفُه إلَّا برهنٍ، قال: فرجعتُ إليه وأخبرتُه، فقال: «واللهِ إنِّي لأمينٌ في السَّماء

---

(١) انظر: «الناسخ والمنسوخ» لابن حزم (ص: ٤٥).

(٢) هذه أقوال في مفرد (آناء)، وفيها أقوال أخرى منها: إِنْوٌ، وإِنْيٌ، وأَناءٌ. انظر: «المنتخب» لكراع النمل (ص: ٥٣٦)، و«الصحاح» مادة (أ ن ي) (٦/ ٢٢٧٣)، و«تاج العروس» مادة (أ ن ي) (٣/ ١٠٦).

وأمينٌ في الأرض، ولو أسلَفَني أو باعَني لأدَّيتُ إليه، اذهَبْ بدرعي»، ونزلت هذه الآية تعزيةً له عن الدُّنيا[١].

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾؛ أي: لا تنظُرْ، وقيل: لا يَعْظُمْ في عينك، وقيل: لا تتأسَّفْ وارْضَ بما رزَقَك الله.

وقوله: ﴿أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾؛ أي: أصنافاً، وهم الرِّجالُ والنِّساء.

وقيل: ﴿أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ أشكالاً منهم؛ لأنَّهم أشكالٌ في الذَّهاب عن الصَّواب.

﴿زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: زينتَها وحُسْنَها وبهجَتَها.

والزَّهْرةُ: المضيءُ المستحسَنُ.

﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾: لنُعامِلَ معهم معاملةَ المختبِرِ، وقيل: لنشدِّدَ تكليفَهم.

﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ في الجنَّة ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾.

***

(١٣٢) - ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾.

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾؛ أي: أمَّتَك، وقيل: أهلَ بيتِك ﴿وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾: داوِمْ عليها ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا﴾ لخلْقِنا ولا لنفْسِك ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ فالتَمِسْ منَّا، فإنَّ الله رازقُ الجميعِ ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾؛ أي: الصَّلاحُ في آخِرِ الأمر للمتَّقين.

***

(١) رواه البزار في «مسنده» (٣٨٦٣)، والروياني في «مسنده» (٦٩٥)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢١٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٧٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩٨٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٠٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ١٢٦): «رواه الطبراني في الكبير، والبزار، وفيه موسى بن عبيدة الربذي، وهو ضعيف».

(١٣٣) ـ ﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾؛ أي: آيةٍ تدلُّ على صدقِ محمَّدٍ عليه السَّلام ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ يعني: القرآنَ، فيه بيانُ ما في التَّوراة والإنجيل والزَّبور.

وقيل: أليس قد أُعلموا أنَّ الله قال في الكتب المتقدِّمة: إنَّ الآيةَ المقترحةَ إذا لم يُؤمَنْ بها تَبِعها عذابُ الاستئصال.

وقيل: بيانُ صفةِ محمَّدٍ ﷺ.

***

(١٣٤) ـ ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم﴾ يعني: العربَ ﴿بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ﴾: قبلِ محمَّدٍ والقرآنِ ﴿لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا﴾: هلَّا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ يدْعونا ﴿فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ بالعذابِ. وقيل: نذلَّ في الدُّنيا ونخزَى في العُقْبى.

***

(١٣٥) ـ ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾.

﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ﴾: منتظِرٌ دورانَ الزَّمانِ ولمن يكون الفتح والنَّصر ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ أنتم ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ إذا جاءت القيامة ﴿مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾: المستقيمِ، وقيل: السَّويُّ: الذي يستوِي سالكُه إلى نجاحه.

﴿وَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ من الضَّلالة، أنحن أم أنتم؟ هذا إذا جعلتَ ﴿مَنْ﴾ استفهاماً، وإنْ جعَلْتَه خبراً نصبتَه، والمعنى: ستعرفون.

وقرئ في الشَّواذِّ: (الصِّراط السَّوء)، و(السُّوأى)[1]، ﴿وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ للازدواج، والله أعلم بالصَّواب، وإليه المرجعُ والمآب.

***

(١) القراءتان في «البحر» (٧/ ٤٠٢)؛ الأولى عن ابن عباس، والثانية عن الجحدري وابن يعمر.